السحر والطب
في الحضارات القديمة

الدكتور

اسامة عدنان يحيى



اشوربانيبال

السحر والطب في الحضارات القديمة

السحر والطب في الحضارات القديمة

دراسة تاريخية مقارنة

د.أسامة عدنان يحيى

أستاذ تاريخ القديم المساعد

كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

Magic and Medicine in Ancient Civilizations	السحر والطب في الحضارات القديمة
Historical comparative study	دراسة تاريخية مقارنة
Dr. Usama Adnan Yahiya	د. اسامة عدنان يحيى

الطبعة الالكترونية الاولى ٢٠١٥
جميع الحقوق محفوظة للناشر: اشوربانيبال للكتاب
العراق-بغداد
الطبعة الورقية: دار امواج للطباعة والنشر
عمان-الاردن
البريد الالكتروني: ashurbanipal668@yahoo.com

The first Printing in 2015
Filing Number:
Copyright ©Ashurbanipal Book
Iraq-Baghdad
E-mail: ashurbanipal668@yahoo.com

الإهداء

إلى إيناس

وأنس

وأيسر

اللذين يستحقون أكثر من هذا

المقدمة

شكلت الظاهرة الدينية ميدانا خصبا للدارسين والباحثين على مختلف تخصصاتهم العلمية ،من اثاريين ،وقارئي الخطوط القديمة ،والانثروبولوجيين وعلماء النفس ،ولكن لم يسهم المؤرخين إلا بمقدار ضئيل من ذلك ،أولئك المؤرخين الذي يمكن لهم ان ينجحوا في رسم صور جيدة ، وعقد مقارنات مضبوطة نظرا لما تتوفر لديهم من مادة أولية غزيرة يمكن الاستفادة منها.

إن هذه الدراسة ليست بحثا في تاريخ الأديان ،بل لن ندعي إنها تسعى لدراسة مفهوم السحر وجوانبه الواسعة ،والمتشابكة ،والغامضة ،وبقوانينه غير الخاضعة للمنطق ،إنما ستقتصر على جانب واحد من الاعتقادات السحرية التي سادت في الحضارات القديمة ،وهو السحر وعلاقته بالطب.ولما كانت هذه الدراسة تهدف لدراسة هذا النوع من السحر كان لابد من دراسة مستفيضة لمفهوم المرض لدى المجتمعات القديمة لكي نفهم لماذا استخدم السحر في العلاج.

يشكل موضوع السحر والطب واحد من أهم القضايا الفكرية التي نكاد نلمسها في ثنايا دراستنا للمجتمعات القديمة ،فمنذ عصور سحيقة شكل المرض مفهوما غريبا عند الجماعات البشرية ،ففي الوقت الذي كانت فيه تلك الجماعات تستطيع ان تفهم بشكل أكيد ،الجروح الناتجة من المخاطر التي يتعرض لها الإنسان من جراء صراعه مع بني جنسه أو مع الحيوانات الضارية التي تحيط به ،شكل مفهوم المرض بعدا خاصا في مسيرة تأملاته الفكرية ،فوقوع شخصا ما في الجماعة البشرية التي عاشت في عصور ما قبل التاريخ السحيقة ،أسير المرض ثم الموت جعلت الإنسان يفكر بان هناك أسبابا وراء تحول الإنسان الممتلئ صحة إلى مجرد كائن ضعيف ،لا يلبث ان يسلم الروح ليتحول إلى جثة هامدة ،ولو تمكنا من تخيل أول جماعة بشرية واجهت محنة الموت لأدركنا مدى الصدمة النفسية التي تعرض لها المجتمع البشري.

لم يكن أمام الإنسان الذي واجه الموت لأول مرة في جماعته البشرية الصغيرة في عصر موغل في القدم إلا ان ينسب ظهور المرض إلى قوى غير مرئية لم يكن يستطيع مشاهدتها سببت المرض ،قوى أقوى منه مقدرة وذكاء ،كانت تتحكم في حياته وفي نفس الوقت في مماته.ويمكن ان نستنتج ان هذه الفكرة قد مرت بمرحلتين لا يمكن البرهنة عن وجودهما حاليا بأدلة قاطعة:الأولى شعور الجماعة

البشرية بوجود قوى تسبب المرض ،ومن ثم بلا شك كانت هناك قوى تسبب الشفاء ،وفي مرحلة لاحقة ، وعندما تبلورت فكرة الأخلاق ، أصبحت القوى الخيرة تحاسب الإنسان على سلوكه تجاههم فتنزل به المرض أيضا ،وأصبحت التقوى والعبادة جزء لا يمكن التخلي عنه ،إلى جانب الطقوس السحرية التي يمكن ان نتكهن إنها ظهرت في المرحلة الأولى ،من اجل الحصول على الشفاء[١] .

لقد برز السحر في العلاج من اجل مساعدة الإنسان على التخلص من الآثار السلبية لاستحواذ قوى شريرة عليه ، والعمل على طردها ، ويقول الأستاذ غليونجي: "إن الإنسان واجه على مر التاريخ نوعين مختلفين من الظروف احدهما: قابل للتكهن والاستقراء ،كالأجواء ومواسم الزراعة ، والفيضان وتأثير أنواع الطعام والشراب ، وكل العوامل الخارجية: كجروح السيوف والرماح والفؤوس. وثانيهما: لم ير له سببا بادئ بدء: كالرعد ، والقحط ، والأوبئة ، والسكتة القلبية ، والصرع ، والزلازل فلم يسعه إخضاعها لقانون ،ولم يريقه إسنادها إلى الصدف ،فافترض لها أسبابا خفية.وقد واجه النوع الأول بالوسائل التي أملتها عليه خبرته ، واستنتجها عقله المنطقي.ثم اخضع تلك الوسائل إلى التصحيح بالملاحظة والتجربة.أما الثانية فقد ظلت عالما مغلقا مبنيا على الخبرة الصوفية لا على البرهان التجريبي أو المنطقي ،وعالجها بما كانت توحيه إليه عقائده وأحاسيسه ، فتقدمت أولى الوسيلتين وكونت العلم ،بينما تجمدت الثانية وأصبحت ما نسميه السحر"[٢] .

تشكل هذه الدراسة منهجا وسطا بين الدراسات الاثارية ذات الطابع التخصصي الدقيق ،والدراسات الانثروبولوجية التي تقدم أحيانا دراسات مستفيضة عن كل الحضارات والثقافات البدائية في ان واحد من غير ان تراعي الخصوصية المكانية والبعد التاريخي ،من أمثال دراسات أستاذ الانثروبولوجيا البريطاني الشهير جيمس فريزر الذي قام في ان واحد بدمج كافة الحضارات الكبرى والثقافات البدائية في منظومة واحدة كما فعل في مطبوعه الأشهر:"الغصن الذهبي" ،أو الدراسات التي نفذها الانثروبولوجي ، والفيلسوف ، وعالم الأديان المرموق مرسيا

---

[١]) حول المرحلتين المفترضتين لدى الجماعات البشرية الأولى انظر:أسامة عدنان يحيى ،"علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة:الكتابات اليهودية والمسيحية المبكرة أنموذجا" ، **دورية كان التاريخية** ،العدد:١٢ ،لسنة:٢٠١١ ،ص ٩٠.

[٢]) بول غليونجي ، **الطب عند قدماء المصريين** ،(الإسكندرية: دار مطابع المستقبل ، بلا. ت) ،ص ٥٢-٥٣.

الياد في عدد كبير من مؤلفاته التي ركز فيها بشكل مباشر على الثقافات البدائية ، والأفكار الدينية الهندية ، والمسيحية وجاءت دراسته عن الحضارات الكبرى في بلاد الرافدين ، ومصر القديمة ، والأناضول في كثير من الحالات سطحية وغير واضحة ،وأدرجت كمحاولة لمقارنتها مع الثقافات البدائية.أما الدراسات الاثارية رغم أهميتها البالغة بسبب قدرتها على تقديم دراسات قيمة حول الحضارات القديمة الكبرى فإنها في كثير من الحالات تقتصر على جانب أحادي من التصورات يخص الحضارة المعنية بالدراسة كبابل وأشور ، ومصر القديمة ،والحضارة الكنعانية ، والاغريقية وهكذا ،والكثير منها يعمد إلى المقارنة مع ما ورد من أدبيات في العهد القديم.

ولكن مع عزوف المؤرخين من محاولات القيام بدراسات شاملة برز اثنين منهم على الساحة الأكاديمية أغنت دراساتهما الحقل المطلوب ، واتصفت دراستهما بالشمولية ، وهما الأستاذ سامي سعيد الأحمد لاسيما في مطبوعه:"الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان" ،الذي تجاوز فيه اطر الشرق الأدنى القديم متجها نحو الهند القديمة ، والحضارة الكلاسيكية ، والمؤرخ الأخر الذي كانت كتابته من الأهمية بمكان في تطوير حقل الدراسات التاريخية المقارنة وهو فراس السواح الذي قدم في سلسلة من الدراسات رؤية وتوجه يمثل تطويرا للمفاهيم التاريخية التقليدية.

إن هذه الدراسة التاريخية الطابع والمنهج تحاول جمع ما أمكن من نتاج علمي لأكاديميين في مختلف التخصصات من مؤرخين ،واثاريين ،وقارئي الخطوط القديمة ،ومؤرخي أديان ،وانثروبولوجيين ،أو بمعنى أدق مد الجسور بين المؤرخ وغيره من الباحثين من اجل فهم أعمق للظاهر الدينية من جهة ،وكسر الجمود الذي أصاب حقل الدراسات التاريخية التقليدية من جراء عدم الاستفادة من نتاج اختصاصيين آخرين يتناولون نفس المشكلات التي يناقشها المؤرخ.ومن ثم فان عمل كهذا يهدف إلى مقاربة بين كافة هذه النتاجات المطروحة.

إن الدراسة الحالية هي محاولة للبرهنة عن فرضية مفادها إن العلاج السحري أمر شائع ومقبول ذهنيا في الحضارات القديمة ،بل هو العلاج الأكثر نجاحا في أعراف قدامى البشر.

تبنت الدراسة منهجا مقارنا في بحث مفهوم السحر وعلاقته بالطب ،وهذا المنهج اعتمد بشكل جيد في الدراسات الانثروبولوجية كما في دراسات: جيمس فريزر وادوارد ، ويستر مارك ،ومن ثم طبق على الدراسات النفسية التي تعنى بموضوع الأديان كما في دراسات: سيغموند فرويد ، وكارل غوستاف ، يونغ واريك فروم ،كما استخدمه علماء الأديان الذي يظهر بشكل واضح في دراسات مرسيا الياد ،وأخيرا طبق في عدد من الدراسات الاثارية والتاريخية فقد استخدمه الأستاذ تقي الدباغ في دراسته حول الصيغ الوثنية في حوض البحر المتوسط[1] ،واعتمده فراس السواح في عدد كبير من نتاجه العلمي.وقد طُبق هذا المنهج في الدراسة الحالية.

قبل الشروع في إيضاح طبيعة المقارنات المعروضة لابد من فهم منهج التاريخ المقارن.فمن المعروف أن المقارنة تمكن من تحديد الشبه والاختلاف بين الأشياء والمواضيع ، وهي مقدمة رئيسة للتعميم. والمنهج المقارن عموما يعتمد على بحث ، وتفسير الظواهر الثقافية ، والاجتماعية ، والمعرفية انطلاقا من إبراز الأصول المشتركة أو القرابة التكوينية بين الظواهر.وقد طبق المنهج المقارن بصفة خاصة من قبل أوجست كونت في علم الاجتماع في مؤلفه (دروس في الفلسفة الوضعية).وفي الفيلولوجيا (فقه اللغة المقارنة) الذي تطور في ألمانيا على يد جاكوب غريم وأوغست فريدريك وأوغست شلايماخر ، كما طوره فرديناند دي سوسير في سويسرا ، وأعطاه دفعة قوية علماء اللغة الروس وهم بودوين دي كورتيني ، وأ.ن.فيسلوفسكي ، وأ.ك.فوستوكوف ، وف.ف.فورتانوف وغيرهم. ومن أقدم من نبه للمنهج المقارن في مجال التاريخ الفيلسوف ، ومحلل اللغة الألماني ك.ف.همبولت (١٧٦٧-١٨٣٥) لاسيما في مؤلفه (حول مهمة المؤرخ) عام ١٨٢١ لكنه ظل أسير نظرية كانط الفلسفية رغم أنه كان يميل للمثالية الموضوعية في تحليله للتاريخ الاجتماعي.وقد سبق لدوركايم عالم الاجتماع الفرنسي المعروف أن نبه إلى أن التاريخ لا يمكن أن يكون علما إلا عبر التفسير ، ولا يمكنه أن يفسر إلا عبر المقارنة.وفي سنة ١٩٠٧ كتب كلوتز بأن المنهج المقارن أتاح للعلوم المختلفة

---

[1]) تقي الدباغ ،"الآثار وصيغ الوثنية القديمة في حوض البحر المتوسط" ،**مجلة كلية الآداب** ،جامعة بغداد ،العدد:٢٢ ،لسنة:١٩٧٨ ،ص٤٢٩-٤٦١.

إمكانية تحقيق تقدم شبيه بالمعجزة ، فلماذا لا يشمل هذا التقدم مجال التاريخ أيضا ؟ بعد ذلك في المؤتمر العلمي في أوسلو في عشرينيات القرن الماضي ، تأسف مارك بلوك على جل المؤرخين لأنهم لم ينتبهوا بعد لفائدة المقارنة في مجال التاريخ ، ولأنهم بذلك يستهترون بمستقبل هذا العلم. وقدم بلوك التاريخ المقارن في عشرينيات القرن الماضي في إزاء التاريخ الوطني الذي نحا خلال الحرب العالمية الأولى منحى اثنيا عنصريا يكرس تفوق شعوب على أخرى. وعلى هذا قدم التاريخ المقارن نفسه على أنه نهاية للآلام المترتبة عن التاريخ الوطني ، بما أنه يتجاهل الحدود الدولية ، فالمؤرخ يعد مقارنا إذا كان يتبنى وجهة نظر عالمية.وفي سنة ١٩٣٣ قدم شارل سينيوبوس محاولته عن التاريخ المقارن بين الشعوب الأوربية. بعد ذلك تعالت موجة المنادين بضرورة إيجاد مكان تحت الشمس للتاريخ المقارن إلا أن أشد المنافحين عن هذا النوع من الكتابة التاريخية يظل ، وبامتياز ، مارك بلوك ، الذي أعاد صياغة رؤية دوركايم ولكن بشكل متطور ، اذ ذكر بلوك بأن ممارسة التاريخ المقارن تعني البحث من أجل التفسير عبر المقارنة التي هي استخراج لنقط الاتفاق ، ونقط الاختلاف. ويرى بلوك إن الحديث عن التاريخ المقارن لا بد إذن من توافر شرطين أساسيين

أولا:نوع من التماثل والمشابهة بين الظواهر الملاحظة.

ثانيا:نوع من التباين والاختلاف بين المجتمعات التي أنتجتها

هذا المنهج يمكن أن يطبق ، حسب بلوك دائما ، بطريقتين:

١.المقارنة بين مجتمعات متباعدة في الزمان والمكان ،بحيث يتعذر تفسير التماثل بوحدة الأصل أو بالتأثير المتبادل(وهي الطريقة التي اتبعت هنا في هذا المطبوع)

٢.مقارنة عبر الدراسة المتوازية أي مجتمعات متجاورة متزامنة لتقصي ، ولو جزئيا ، الأصل المشترك.

إن النتائج التي يمكن الحصول عليها عبر هذا المنهج يمكن أن تكون ثرية.إذ فضلا عن الوظيفة الكشفية التي تسمح باكتشاف ظواهر لم تكن لتخطر على بال المؤرخ ،لو تمت محاصرة الظاهرة المدروسة في وسط بعينه ،يقدم المنهج قابلية المساعدة على تأويل وتفسير الظواهر التاريخية ،ومن ثم الحكم عليها ،بكيفية مؤسسة على وقائع من أزمنة أو أمكنة متباينة أو منهما معا.رغم ذلك فالواقع أن

التاريخ المقارن ما زال يفتقر لمنهجية حقيقية تحدد بدقة أهدافه وصلابته العلمية .وهو ما يدعو لمزيد من الاجتهاد للدفع بالمقارنة إلى أبعد الحدود[1].

لقد جاءت المقارنات نتيجة لهذا المنهج لتغطي مساحة واسعة مكانيا وزمانيا ، ونتيجة لهذا المنهج ابتعد الباحث في عقد المقارنات إلى استعراض كل حضارة على حدة نظرا للتشابه الكبير في الأفكار التي قد تبعث عن الملل لو تم تكرارها في كل حضارة فعلى سبيل المثال ،كانت الآلهة والشياطين من مسببات المرض لدى غالبية الشعوب القديمة ،فلا داعي لتكرار هذه الفكرة عند دراسة كل حضارة على حدة ،بل تم دمج كافة الحضارات في موضوع مركزي يتم خلاله عقد المقارنات المستندة إلى القرب الجغرافي أحيانا ،أو البعد التاريخي أحيانا أخرى ،ففي كل موضوع من هذه الدراسة يظهر إدراج الأدلة وفق معيار ثابت تبدأ بحضارات الشرق القديم ،ثم الحضارات الكلاسيكية ،وحضارات الشرق الأقصى ،وتنتهي بأمثلة متنوعة من الثقافات البدائية ،هذا مع العلم انه ليس كل النماذج المعروضة قد تغطي كافة الحضارات فبعض وسائل العلاج السحري قد تظهر في حضارات ، وتختفي في أخرى. فعلى سبيل الفرض زيارة معابد الآلهة لم نعثر على أمثلة تغطي كافة الحضارات القديمة ، واقتصرت الأمثلة على حضارات مصر القديمة ،واليونان ،والصين ،مع مراعاة المعيار الأنف الذكر ،ان هذه الطريقة في عقد المقارنات تجعل القارئ أكثر تجاوبا مع الدراسة ،من ناحية وتوفر شروط البحث التاريخي من ناحية أخرى.

وقبل الشروع في العمل يجب التنبيه إلى ان محاولة فهم الطب السحري استلزم دراسته في كافة المجتمعات القديمة ،سواء الحضارات الكبرى(البابلية-الفرعونية-الحيثية-الإيرانية القديمة-الكنعانية-العبرية-اليونانية-الرومانية-الهندية-الصينية-اليابانية) ،وفي الثقافات البدائية(الاسترالية-الأفريقية-الأمريكية وغيرها).وان الدافع وراء دراسة الصنف الأخير من الثقافات هو بسبب: عزوف اغلب الدراسات التاريخية التي تتناول الحضارات القديمة لهذه الثقافات ،واقتصار دراستها على الانثروبولوجيين ومؤرخي الأديان ،جعل الكثير ممن يدرس الحضارات القديمة

---

[1]) انظر هذا الاستعراض في:عبد العزيز غوردو ،**افتراس اللحوم الادمية:زيارة الى التاريخ المقارن** ،(الكويت:دار ناشري للنشر الالكتروني ،٢٠١٣) ،ص١١-١٣.

لا يعرف بوجود حضارات عاصرت حضارتنا القديمة والحديثة ولكنها لم تتطور بل ما زالت في أطوار ما قبل التاريخ.ولعل الاثاري الوحيد في العراق الذي تناول ثقافات الصنف الأخير هو أستاذ دراسات عصور ما قبل التاريخ تقي الدباغ في مطبوعه المشترك مع الأستاذ وليد الجادر الموسوم عصور ما قبل التاريخ.

إن هذه الثقافات تعد في غاية الأهمية لمعرفة تصورات الإنسان الفكرية خلال هذا العصر فهم بمثابة معرض أحياء حي.وترى الباحثة المتخصصة في عصور ما قبل التاريخ ماري ادواردسون:"ان البحث المتصل بالديانات ما قبل التاريخية قد يتضمن دراسة المعتقدات والممارسات الدينية ابتداء من زمن مبكر يرجع إلى حوالي ٦٠٠٠٠ قبل الميلاد ويمتد هبوطا إلى زمننا الراهن تقريبا ،حيث نجد العديد من الثقافات غير الكتابية قائمة حتى ألان"[١].وقد تنبه الباحثون منذ وقت طويل إلى تشابه الأفكار بين أصحاب الحضارات الكبرى ، والقبائل البدائية في جوانب عدة منها الأفكار الدينية ، إذ يرى بعض المهتمين بتاريخ الدين إن تشابه الظروف يولد تماثلا في الآراء والأفكار والعادات من الناحيتين النظرية والعملية ، والإنسان الحديث حسب هذه النظرية مر عبر تاريخه الطويل بمراحل عديدة تطور بعضه وانشأ الحضارات المتقدمة وتأخر البعض الأخر وبقي محافظا على تراثه القديم فأصبح يعد من الأقوام البدائية ،فسكان استراليا الأصليين وقدماء الإغريق لهم أساطير متشابهة لان أجداد الإغريق القدامى مروا بنفس المرحلة التي يعيشها الاستراليون الأصليون في الوقت الحاضر ، غير إن الإغريق تطوروا وأقاموا صرح حضارة عظيمة لا يزال الغربيون يعدونها أساس مدنيتهم الحديثة ، بينما ظل الاستراليون الأصليون في مستوى العصور الحجرية[٢].ومن خلال دراسة القبائل البدائية ندرك تماما هذه الحقيقة ،فالقبائل الاسترالية الأصلية كانوا اقرب الجماعات البشرية إلى سلالات العصر الحجري القديم الأعلى كانسان سولو وروديسيا ، ولم تكن ثقافتهم تتعدى حضارة العصر الحجري الوسيط عندما دخل الأوربيون إلى القارة في القرن الثامن عشر الميلادي ،بل ان الباحثين كثيرا ما يصفون سكان

---

[١]) ماري ادوارد سون ، "مفهوم ما قبل التاريخ والديانات ما قبل التاريخية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج١ ،ص٢٥٧.

[٢]) الدباغ ،الآثار وصيغ الوثنية ،ص ٤٣٠.

استراليا الأصليين بأنهم أكثر الناس تأخرا في مضمار الحضارة ،وإنهم حالة من البدائية لا يضاهيها حالة ،فهم لا يبنون بيوتا ، ولا أكواخا متينة ، ولا يزرعون الأرض ، ويجهلون تربية الحيوانات ،حتى الكلب منها ،ولا يعرفون صناعة ما ،ويجهلون صناعة الفخار تماما.والاستراليون الأصليون يقتاتون على لحوم الحيوانات البرية ، وجذور النباتات ،وليس لديهم رؤساء أو زعماء ، ولكن لديهم مجلس يجتمع فيه الرجال الراشدون ، ويقررون الأعمال التي تهمهم جميعا.أما ديانتهم فبعيدة عن عبادة الأجرام الطبيعية أو التقرب إلى الكائنات الكبرى ،بل تنحصر في الطوطمية.هذا وازدهرت الحضارة الهندية في أمريكا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ،وان الثقافات الشامانية حول الدائرة القطبية تحتفظ بملامح واضحة من ثقافة العصر الحجري القديم ،وثقافات أفريقيا هي الأقرب إلى ثقافة الشرق القديم عندما كان ينسلخ عن طور العصر الحجري الحديث ويتهيأ للدخول في طور المدنية.وان ثقافة الفويجيين في أرض النار(جنوب أمريكا الجنوبية) ،كانت تمثل ثقافة العصر الحجري القديم وقت الاكتشاف الأوربي لها[1].الأمر الثاني المهم الذي يجب إثباته ان الباحث لم ينظر إلى السحر وطقوسه لدى هذه الحضارات كما ينظر إليه المؤرخين والانثربولوجيين على إنها علم زائف ،بل يجب النظر إلى السحر بعيون الحضارات القديمة التي أمنت به إيمانا مطلقا وكان بالنسبة إليهم حقيقة لا يرقى إليها الشك.ويجب التنويه أخيرا ان تناول الطب السحري سيتم من خلال الفهم الواسع للكلمة أي انه لن يقتصر على دراسة الطقوس السحرية فحسب ، بل سيتناول كافة أشكال المعالجة غير المنطقية للعقل الحديث ان جاز لنا التعبير ،أي بعبارة أدق كافة وسائل العلاج التي لا تقوم

[1]) حول ذلك انظر:تقي الدباغ ووليد الجادر ،**عصور ما قبل التاريخ** ،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٣) ،ص٣٦٣-٤١٦ ؛فراس السواح ،**الأسطورة والمعنى:دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية** ،(دمشق:منشورات علاء الدين ،٢٠٠١) ،ص ٢٢٠ ؛فراس السواح ،**دين الإنسان:بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني** ،(دمشق:منشورات علاء الدين ،٢٠٠٢) ،ص١٨١ ؛يوسف شلحت ،**نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني** ،(بيروت:دار الفارابي ،٢٠٠٣) ،ص١١١ ؛ميرسيا الياد ،**الأساطير والأحلام والأسرار** ،ترجمة:حسيب كاسوحة ،(دمشق:منشورات وزارة الثقافة ،٢٠٠٤) ،ص٩٢ ، ٢٦٥ ؛مُحَمَّد الخطيب ،**الاثنولوجيا:دراسة عن المجتمعات البدائية** ،(دمشق:منشورات علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٤) ،ص ١١٠.

على أسس علمية:(تعاويذ-تمائم-طقوس سحرية-صلوات-قرابين-عقاقير سحرية).من هذا المنطلق كانت المادة المقدمة ستغطي حيزا مكانيا وزمانيا واسعا.

إن الباحث في كل الأحوال ليس متخصصا بموضوع القبائل البدائية أو مؤرخا للدين فهو أولا وأخير متخصصا في موضوع تاريخ الحضارات القديمة لا أكثر وما تضمنه العمل من تفاصيل عن ما يعرف بالديانات البدائية ما كانت إلا محاولة لاستكمال التصورات الخاصة عن مسألة ارتباط الطب بالسحر.

ولا يمكن أن ندعي أن هذه الدراسة تمثل عملا وافيا لكل مفهوم الطب السحري في الحضارات القديمة ،ولكن نعتقد ان الأمثلة المعروضة هنا كافية للقارئ لتجعله يدرك هذا النوع من العلاج وأهميته في الحضارات القديمة.

واخيرا ان المطبوع الحالي في الاصل لم يكن غير مجموعة دراسات نفذها الباحث بين عامي ٢٠١٠-٢٠١٥ والتي نشرت في مجلات علمية متخصصة ، ومن ثم جمعت في المطبوع الحالي بعد اضافة المزيد من الادلة حول الحضارات القديمة التي لم تناقش في المقالات الانفة الذكر.

أسامة عدنان يحيى
كلية الآداب/الجامعة المستنصرية
صيف ٢٠١٥

الفصل الأول
علم أسباب المرض

نظر الأقدمون إلى المرض في كافة أشكاله إلى انه نتيجة لتدخل قوى فائقة المقدرة جعلت من وجوده أمرا ممكنا ،سواء كانت هذه القوى آلهة ،أو قوى شيطانية لها القدرة على إيذاء الإنسان وإنزال أفدح الضرر به ،وحتى نتيجة لتدخل قوى إنسانية تتمكن إلحاق الضرر بالفرد عن طريق التحكم بقوى السحر.ومن هذا المنطلق سنحاول ان نفهم كافة أشكال مسببات المرض من وجهة نظر المجتمعات القديمة.

١.المرض كعقاب من الآلهة:

ارتبط مفهوم المرض في كثير من أنحاء العالم القديم بالآلهة ،وهناك أمثلة واسعة يمكن ان تقدم برهانا مناسبا لهذا التصور ،ففي كثير من الحضارات الكبرى كانت الأمراض أما تجسيدا لبعض الآلهة أو أحيانا تمثل ببساطة عقاب من الآلهة للبشر ،ففي **بلاد الرافدين**[١] ،نجد كلا الصورتين ، فالإله نرگال(عرف ايضا باسم مسلامتايا) وهو اله من الآلهة الشمسية ، والذي كان يمثل شمس منتصف النهار في فصل الصيف الحار حينما تصبح الشمس عمودية في وسط السماء فترسل أشعتها اللاهبة وبهذه الصفة عرف الإله نرگال فهو يسبب الأذى للإنسان والحيوان على حد سواء ويكثر من الإصابات بضربات الشمس والحمى والأوبئة التي تكثر في المناخ الحار لذلك عد ألها للأمراض والأوبئة.وفي نص نقرأ عن الطاعون بأنه:"يد الإله نرگال" ،ويطابق الإله نرگال في كثير من الأحيان بالإله ايررا رب الطاعون[٢].ويرتبط

---

[١]) درس مفهوم المرض ومسبباته في حضارة وادي الرافدين من قبل الباحث بشكل مسهب وما سيتم التطرق إليه حاليا ما تناوله الباحث في تلك الدراسة فضلا عن بعض الأدلة التي أضيفت لاحقا بعد انجاز الدراسة الأولى. انظر:أسامة عدنان يحيى ،"المرض ومسبباته في بلاد الرافدين القديمة:دراسة في ضوء النصوص السومرية والاكدية" ،**مجلة الأستاذ**/جامعة بغداد ،العدد:١٣٨ ،لسنة:٢٠١٠ ،ص٢٢٩-٢٧٠.

[٢]) نائل حنون ،**عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة** ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٦) ،ص١٩٢ ، ١٩٧-١٩٨ ؛هنري.س.عبودي ،**معجم الحضارات السامية** ،(بيروت:جروس برس ،١٩٩١) ،ص٧٩١ ؛فاتن موفق فاضل علي الشاكر ،**رموز أهم الآلهة في العراق القديم:دراسة تاريخية دلالية** ،(رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،٢٠٠٢) ،ص١٧٠-١٧١ ؛جان بوتيرو ،**الديانة عند البابليين** ،ترجمة:وليد الجادر ،(حلب:مركز الإنماء الحضاري ،٢٠٠٥) ،ص٥٤-٥٥ ؛ماكس شابيرو وردا هندريكس ،**معجم الأساطير** ،ترجمة:حنا عبود ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٨) ،ص١٣٥ ؛م.ف.البيديل ،**سحر الأساطير:دراسة في الأسطورة والتاريخ**

نمتار ،الذي عد في بعض النصوص كروح شريرة وفي أحيان أخرى كاله ، بالأمراض ونقرأ إن بيده ستين نوعا من الأمراض والأوبئة[١]:

"وقالت (ايرشكيكال) لرسولها نمتار

اذهب يا نمتار(واسجنها في)بلاطي

وأطلق الأمراض الستين على عشتار

أمراض العيون(على) عينيها

أمراض الأذرع(على) ذراعيها

أمراض الأرجل(على) رجليها

أمراض القلب(على) قلبها

أمراض الرأس(على) رأسها

ضدها كلها ،ضد[ها ، أطلق الأمراض الستين]"[٢].

ومن الجدير ذكره ان الاله ايا الذي طالما ما عرفنا انه يقف الى جانب البشر في مصائبهم الا انه هو ايضا كانت تحت تصرفه قوى المرض منهم الربو ، والوجع العالي ، والدوار ، والحمى ، والعدوى[٣].

وتشير النصوص إلى ان الآلهة قد تبتلي الإنسان بالأمراض ،فنقرأ مثلا ان الالهة هي التي قدرت مصير ان تكون بعض النساء عاقرات من اجل منع تكاثرهم: "كما توجد لدينا نساء ولودات فلتكن ايضا علاوة على ذلك نساء عواقر"[٤].وفي نصوص الإنذار الاكدية نقرأ:"إذا استمر رأسه(أي المريض) يؤثر عليه واستمرت الحمى تعاوده ،فإنها يد الإلهة عشتار" ،أو:"إذا تغير كلامه وظلت الحمى تعاوده ،إنها يد الإله نينورتا" ،أو:"إذا نزف قضيبه ،إنها يد الإله شمش..." ،أو:"إذا

والحياة ،ترجمة:حسان ميخائيل إسحاق ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٨) ،ص٣٣٢.

[١]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص٢٠٦ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص١٧٩.

[2]) *E.A. Speiser, "Descent Of Ishtar to The Nether World",In:ANET,(Princeton,1966),P.108.*

رينيه لابات ،**المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين:مختارات من النصوص البابلية** ،ترجمة:ألبير أبونا ووليد الجادر ،(بغداد:مطبعة التعليم العالي ،١٩٨٨) ،ص٣١٥.

[٣]) قاسم الشواف ،**ديوان الاساطير** ،(بيروت: دار الساقي ،٢٠٠١) ،ج٤ ،ص١٤٦.

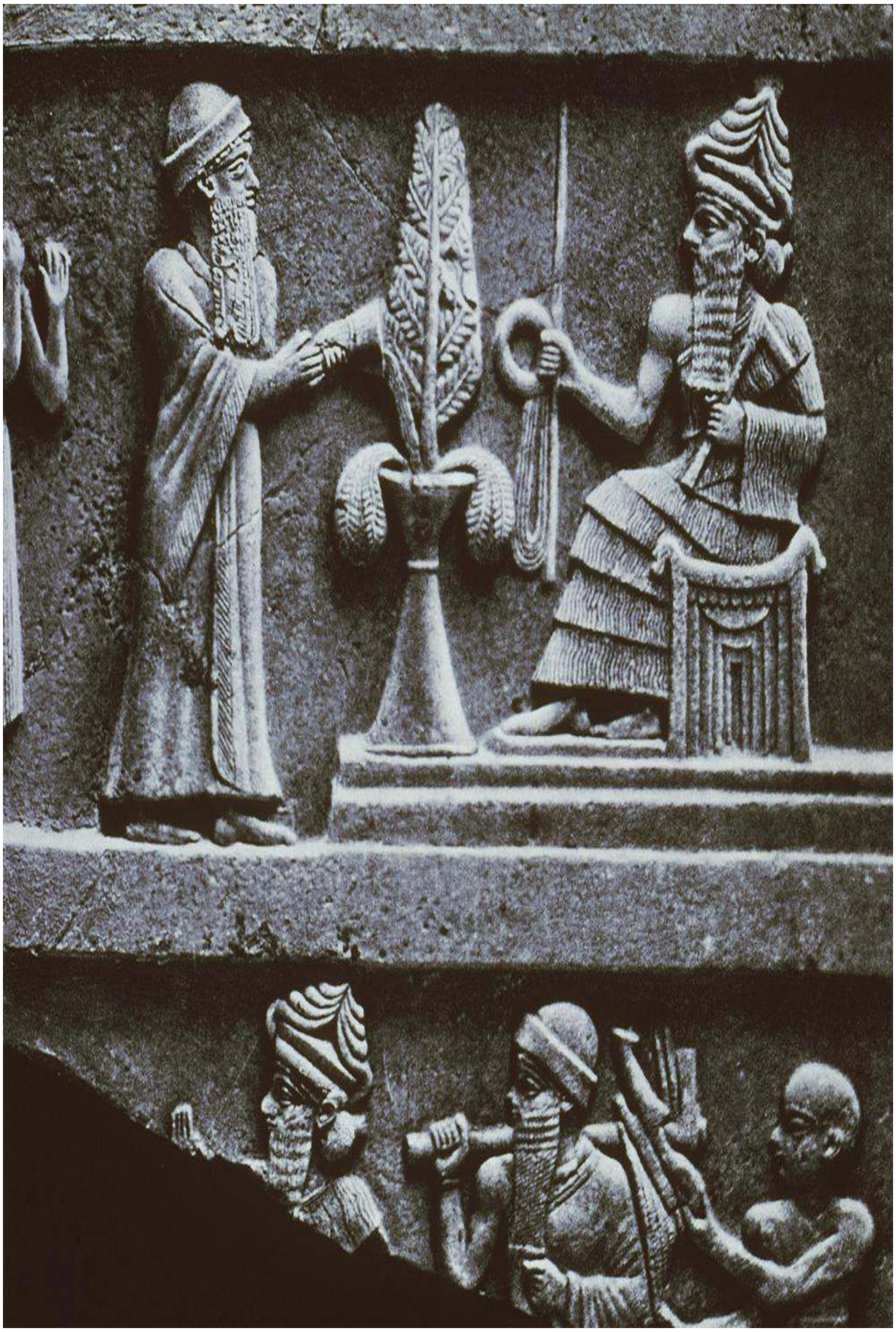
[٤]) قاسم الشواف ،**ديوان الأساطير** ،(بيروت: دار الساقي ،١٩٩٧) ،ج٢ ،ص٢٧٣-٢٧٤.

كان المريض مصابا في رقبته ،فإنها يد ادد ،أما ان كان مصابا في الرقبة والصدر يؤلمه ،فإنها يد عشتار..." ،أو:"إذا أصيب الرجل برأسه وأصاب الظلام عينيه فان إصابته هي يد نينكرسو" ،أو:"إذا اصطكت أسنانه وكانت يداه وقدماه مرتجفتين فان يد سين قد استحوذت عليه وانه سيموت" ،أو:"إذا أصيب في شرسوفه وجبهته وجانبيه فإنها يد ايريشكيكال" ،أو:"إذا كانت حنجرة الطفل مختنقة فإنها يد گولا استحوذت عليه"[1] .وفي نص نقرأ:"لقد ابتلاه ايا بالصرع والدوار ومرض ال(buˊra)"[2] .وهناك رسالة مرسلة إلى الملك الأشوري اسرحدون(٦٨١-٦٦٨قبل الميلاد) تقول: "إلى سيدي الملك ، الذي منحته الآلهة گولا ونينورتا صحة الفكر والجسم ، بالنسبة للمريض المصاب بعينه ، عندما رفعت مساء الأمس الضمادات التي سبق وان وضعتها على وجهه ،وجدت على الضماد بقعة من الصديد بحجم اظفر الإصبع الصغير.ايا كان الإله الذي وضع يده على هذا المريض ،فان حالته ألان جيدة.ليدخل السرور إلى قلب سيدي الملك وليعلم ان المريض سيشفى تماما في غضون ستة أو سبعة أيام"[3] .

[1]) مارغريت روتن ،**علوم البابليين** ،ترجمة:يوسف حبي ،(بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٨٠) ،ص ٧٠ ؛هاري ساكز ،**قوة أشور** ،ترجمة:عامر سليمان ،(بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٩٩) ،ص٣٢٢ ؛عبد اللطيف ألبدري ،**الطب في العراق القديم** ،(بغداد: منشورات المجمع العلمي ، ٢٠٠٠) ،ص٢٩-٣٠.

[2]) ألبدري ،الطب ،ص٨٤.

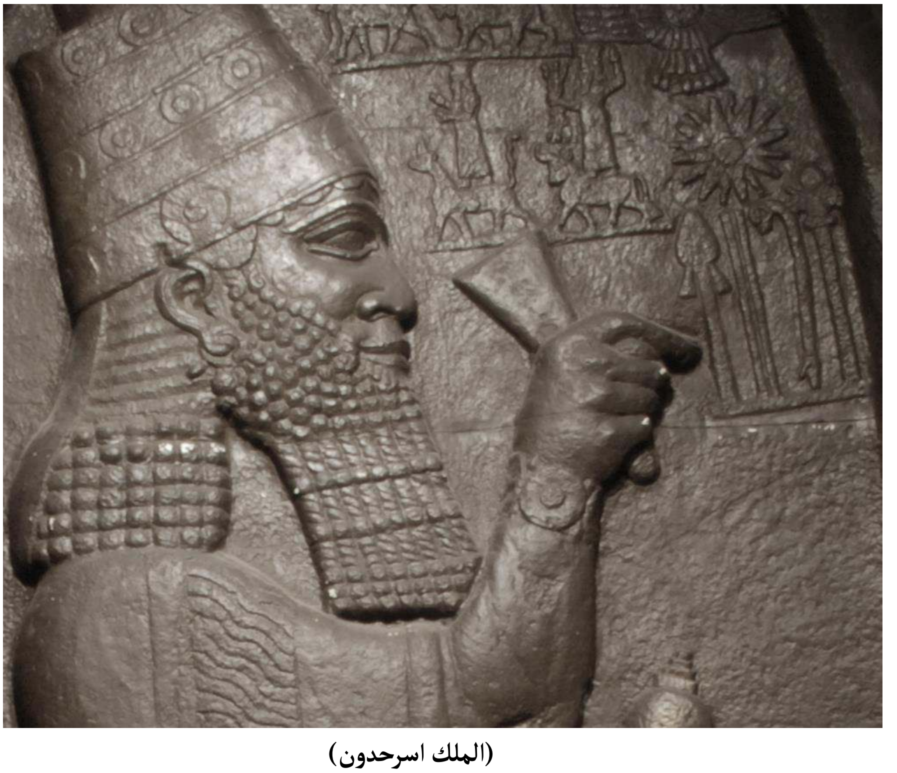
[3]) المصدر نفسه ،ص٩٧.



(مسلة الملك السومري اورناممو يظهر فيها الاله سين جالسا على عرش)



(الاله نينورتا يقاتل وحشا)



(الملك اسرحدون)

تتحدث النصوص السومرية والبابلية عن المرض وتعده عقابا من الآلهة عن الذنوب المقترفة[١] ،وهذا العقاب يمكن ان تلقيه الآلهة على اقرأنها أيضا كما تلقيه على البشر[٢] ،ففي أسطورة سومرية تشتهر بين الباحثين باسم أسطورة اينكي ونينخورساك وارض دلمون ،تنطق الإلهة نينخورساك ذات مرة مدفوعة بغضبها بلعنة الموت على الإله اينكي لأنه أكل ثمانية أصناف من النباتات كانت قد زرعتها في دلمون:

"حين أقسمت باسم اينكي(أعلنت) نينخورساك
لن امنحه بعد ذلك نظرة الحياة
ومن اجل ذلك سيموت!"[٣].

في بلاد الرافدين تعد الذنوب والخطايا من أهم أسباب المرض ، وهذه الخطايا ليس بالضرورة مقترفة ضد الآلهة بل إنها تشمل كافة الأعمال الشريرة التي قد يقوم بها الإنسان ، فالذنوب والآثام التي يقترفها الإنسان ،تجلب غضب الإله ويتبع ذلك فرض العقوبات بالمرض والمعاناة والآلام ،ونحن نقرأ عن الاعتقاد القائل إن المرض عقاب الهي بوضوح في النصوص المتوفرة لدينا ،ففي واحد نقرأ كيف إن العقم الذي تصاب به المرأة هو نتيجة للقسم الكاذب:"احترم قسمك ،وأحفظ نفسك ،إن الذي يقسم زورا في محنة النهر...ميراثه ،ولا تنجب زوجته أبدا"[٤].وفي ملحمة گلگامش ، تقرر الآلهة معاقبة اينكيدو على ذنوبه ،ويشاهد في المنام رؤيا يفهم منها انه سيموت وبالفعل فانه يصاب بالمرض ثم يموت:

---

[١]) جورج رو ،**العراق القديم** ،ترجمة:حسين علوان حسين ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٤) ،ص٤٨٩.

[٢]) يحيى ،المرض ومسبباته في بلاد الرافدين ،ص٢٣٢.

[3])*S.N. Kramer, "Enki & Ninhursag: a Paradise Myth", In: ANET(Princeton,1966),P.40.*
صموئيل نوح كريمر ،**السومريون:تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم** ،ترجمة:فيصل الوائلي ،(الكويت:دار غريب للطباعة ،١٩٧٣) ،ص١٩٧ ؛فوزي رشيد ، "المعتقدات الدينية" ،بحث ضمن موسوعة:**حضارة العراق** ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٤) ،ج١ ،ص١٢٥ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص٧٥ ؛لطفي ألخوري ،**معجم الأساطير** ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠) ،ج١ ،ص٧٦ ؛قاسم الشواف ،**ديوان الأساطير** ،(بيروت:دار الساقي ،١٩٩٦) ،ج١ ،ص٣٥ ؛نائل حنون ،**عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة** ،(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،٢٠٠١) ،ص٥٥ ،صموئيل هنري هوك ،**منعطف المخيلة البشرية** ،ترجمة:صبحي حديدي ،(اللاذقية:دار الحوراء للنشر والتوزيع ،٢٠٠٤) ،ص٣٦-٣٧ ؛البيديل ،سحر الأساطير ،ص٢٥٩.

[٤]) أحمد أمين سليم ،**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم:مصر-العراق-إيران** ،(بيروت:دار النهضة العربية ،١٩٩٢) ،ص١٩٨.

"يا صاحبي أي حلم عجيب رأيت الليلة الماضية!
(رأيت) ان انو واينليل وأيا وشمش السماوي
قد اجتمعوا يتشاورون وقال انو لاينليل :
لأنهما قتلا الثور السماوي وقتلا خومبابا
فينبغي أن يموت ذلك الذي اقتطع أشجار الأرز من الجبال
لكن اينليل أجابه قائلا:ان اينكيدو هو الذي
سيموت ، ولكن گلگامش لن يموت"[١].

وبالفعل يرقد اينكيدو على فراش المرض ويستمر مرضه أثنى عشر يوما قبل ان يموت[٢].



(گلگامش وصديقه اينكيدو)

---

[1]) *E.A.Speiser, "The Epic Of Gilgamesh",In:ANET(Princeton,1966),P.84.*

سامي سعيد الأحمد ،**ملحمة كلكامش** ،(بيروت:دار الجيل ،١٩٨٤)،ص٣١٧-٣١٨ ؛طه باقر ،**ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان** ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٦)،ص١١٧-١١٨ ؛لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٢١٦-٢١٧.

[2]) باقر ،ملحمة كلكامش ،ص١٢٤-١٢٥ ؛لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٢٢٥.

وفي ملحمة اتراخاسيس نقرأ بشكل أكثر وضوحا كيف ان المرض يسلط على البشر نتيجة ذنوبهم:

"لم تكد تنقضي ستمائة وستمائة عام

حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس

وكانت البلاد تخور كالثور

فأزعجت الآلهة بضجيجها وصخبها

سمع اينليل الضجيج فخاطب الآلهة العظام قائلا:

لقد ضقت ذرعا بضوضاء البشر

فحرمني ضجيجهم النوم

فلنأمر بالوباء(ينتشر بين الناس)"[١] .

وفي نسخة ثانية لنفس النص نقرأ:

"ليقضي الإله نمتار على ضجيجهم

ولتفتك بهم كالإعصار:الأمراض والأوجاع

والأوبئة والاساككو".

لذا توافق الآلهة على طلب اينليل ، لذا فقد فتكت بهم كالإعصار كما تقول الملحمة الامراض والاوجاع والاوبئة والاساككو[٢] .

لم يكن البشر في هذا النص مذنبين تماما لكن ضوضائهم التي حرمت الإله النوم جعلتهم مذنبين بشكل لا يصدق إلى درجة ان أصبح المرض عقابا لهم[٣] .

---

[١]) فاضل عبد الواحد علي ،**الطوفان في المراجع المسمارية** ،(بغداد:مطبعة الإخلاص ،١٩٧٥) ،ص١٣٩ ؛باقر ،ملحمة كلكامش ،ص٢٢٧-٢٢٨ ؛ لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٢٥ ؛ الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢ ،ص٢٤٩-٢٥٠ ؛سعيد الغانمي ،**اتراحسيس:ملحمة الخلق والطوفان** ،(الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي ،٢٠٠٨) ،ص٨٧.

[٢]) فاضل عبد الواحد علي ،"ثم جاء الطوفان" ،**مجلة سومر** ،م:٣١ ،لسنة:١٩٧٥ ،ص٢٣-٢٤ ؛علي ،الطوفان ،ص١٦١-١٦٢ ؛الغانمي ،اتراحسيس ،ص١٠٠-١٠١.

[٣]) يحيى ،المرض ومسبباته في بلاد الرافدين ،ص٢٣٤.



(نص مسماري جزء من نص ملحمة اتراخاسيس)

كان نقض الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين ملوك بلاد الرافدين وملوك وأمراء الدول الأخرى ،يعد عملا موجها ضد الآلهة التي تم عقد المعاهدة تحت حمايتها وأشرافها ، ولذلك فان العقاب الإلهي سرعان ما يحل بناكث المعاهدة ، كما تشير إلى ذلك مثلا المعاهدة التي عقدها الملك أشور نيراري الخامس(٧٥٤-٧٤٥ قبل الميلاد) مع ماتع-ايلو حاكم مدينة ارباد ،الذي في حالة نقضه المعاهدة فان العقاب الإلهي سينزل بماتع-ايلو:"عسى أن ينقطع(نسل) ماتع-ايلو كالبغل ،(عسى أن تصبح) زوجاته عاقرات ، ،عسى أن تسلبهم عشتار ،آلهة الرجال وسيدة النساء ،قوسهن ،(وان) تسبب عقمهن"[١] ،ولم تكن عشتار هي الوحيدة التي ستصب جام غضبها على الحكام الذين ينقضون عهدهم مع الملوك الأشوريين بل هناك الطبيبة العظيمة گولا التي ستدخل إلى قلب بعل حاكم صور المرض والتعب وقرح لا يشفى من جسمه إذا ما نقض المعاهدة المعقودة بينه وبين الملك

[١] وليد مُحَمَّد صالح ،**العلاقات السياسية للدولة الأشورية** ،رسالة ماجستير غير منشورة ،(جامعة بغداد ،كلية الآداب)،١٩٧٦ ،ص١٤٤.

اسرحدون(٦٨١-٦٦٨قبل الميلاد)[1].والملك الأخير نفسه كان قد عقد مع حكام الأقاليم التابعة معاهدة ضمان العرش الأشوري لولديه أشوربانيبال وشمش شوم أوككن ،لذا يخبرهم انه إذا ما قام احدهم بالخروج عن بنود المعاهدة ولم ينفذها بعد وفاته فان انو ملك الآلهة سيملأ:"بيوتكم بالمرض والتعب والأرق والقلق والسقم" ،ولم يكتف اسرحدون بالإله انو بل يدعو الإله سين منير السموات والأرض إن يكسوهم بالجذام[2] ،وان الربة العظيمة بعلة-ايلي ستحل بهم كارثة العقم:"عسى أن تقطع بعلة-ايلي ،سيدة جميع المخلوقات الولادة في بلادكم"[3] ،وان نرگال سينشر الطاعون ، وتصيبهم الربة گولا بالمرض والوهن في قلوبهم ،وان تصيب أجسادهم بالآم لا تشفى[4].وعندما نقض اوتع(Uate) عهده مع اشوربانيبال أصابه وجيشه طاعون ايررا:"وقد أصاب اوتع وجنوده الطاعون من جراء غضب ايررا الإله المقاتل"[5].ولم تكن نقض الاتفاقيات والمعاهدات من مسببات المرض حسب بل هناك التمرد على الملك الشرعي وإثارة العداء ضده ،ففي نص عائد لاشوربانيبال(٦٦٩-٦٢٧ قبل الميلاد) يعود لأيام تمرد أخيه شمش-شوم-اوكين عام ٦٥٢ قبل الميلاد نقرأ فيه:"إلى ذلك الذي دبر الشر ضد اشوربانيبال(أي

---

[1]) المصدر نفسه ،ص١٤٧.

[2]) انظر هذا النص من المعاهدة في:

D. J. Wiseman, The Vassal-Treaties of Esarhaddon, Iraq, Vol. 20, No. 1, The Vassal-Treaties of Esarhaddon,(Spring, 1958),Col:6,Lin:418-421;

صالح ،العلاقات السياسية للدولة الأشورية ،ص١٦٢ ؛أحمد حبيب سنيد الفتلاوي ،**اسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ قبل الميلاد** ،(أطروحة ماجستير غير منشورة ،جامعة واسط ،كلية التربية ،٢٠٠٦) ،ص٤٧.

[3]) انظر هذا النص من المعاهدة في:

Wiseman,The Vassal-Treaties of Esarhaddon,Col:6,Lin:437-438;

صالح ،العلاقات السياسية للدولة الأشورية ،ص١٦٣.

[4]) انظر هذا النص من المعاهدة في:

Wiseman,The Vassal-Treaties of Esarhaddon,Col:6,Lin:455-456;461-462;

صالح ،العلاقات السياسية للدولة الأشورية ،ص١٦٤.

[5]) انظر نص اشوربانيبال في:

A.Leo Oppenheim, "Ashurbanpal",In:ANET,(Prenceton,1966),P.299;

لمياء الكيلاني وسالم الالوسي ،**أول العرب من القرن التاسع وحتى السادس قبل الميلاد**" ،(لندن:منشورات نابو ،١٩٩٩) ،ص٥٨.

شمش-شوم-أوككن) وأثار العداء عليه سينزل عليه الموت من خلال...تفشي وباء الطاعون..."[1].



(اشوربانيبال)

يمكن أن نفهم الآن كما يقول الأستاذ بوتيرو إن التسبب بالمرض لم ينص عليه اعتباطا فكل مخالفة للقانون الإلهي يستلزم بصورة ضرورية عقابا ،وبالعكس فأن تفسير الآلام والمعاناة ،ترجع أصلا إلى خطيئة المريض ،وليس من الممكن فهمها إلا من خلال قانون الإله ومتأتية من مقاومة المريض لقانونه[2].كانت الذنوب والخطايا التي يرتكبها الإنسان عديدة ،كإهمال الطقوس الدينية والسرقة والقتل والزنا.ولم يكن ثمة تمييز بين الذنوب الخلقية والذنوب المتعلقة بالطقوس الدينية ،ويشير نص من سلسلة شوربو إلى خطايا الإنسان ذات الطبيعة الدينية ،ومنها ان كان قد أساء إلى اله أو آلهة معينين ،أو أكل ما هو محرم لإلهه ،وإلهته ،أو لم يحضر الطقس الخاص بتقديم القرابين بصورة دائمة

---

[1]) انظر النص في:

ARAB, Vol:II, No.790;

رياض عبد الرحمن أمين الدوري ،**اشوربانيبال:سيرته ومنجزاته** ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،٢٠٠١) ،ص١١٢.

[2]) بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٢١-١٢٢.

وبمواظبة ؟أو عامل إلهه بعدم احترام ،وأهمل إلهه.وهناك ذنوب ذات طبيعة أخلاقية ،كأن مارس الكذب ،أو عاند سيده ،أو أثار العداوة بين العوائل والأصدقاء:"فرق بين الابن وأبيه ،والأب وابنه ،فرق بين البنت وأمها ،والأم وابنتها ،فرق بين ألكنة وحماتها ،والحماة وكنتها ،فرق بين الأخ وأخيه ،والصديق وصديقه" ،أو تسلم ما ليس من استحقاقه ،أو زيف علامات الحدود:" وضع حجر حدود مزور" ،أو استعمل موازين غير دقيقة:"هل استخدم موازين كاذبة(تلاعب بالكيل)؟ ،هل رضي اخذ عملة مزيفة ورفض اخذ عملة حقيقية" ؛و:"باع بالمقياس الصغير واستلم بالمقياس الكبير" ،أو احتفظ بما وجب إعطاؤه ،أو سرق ودفع الآخرين إلى السرقة ،أو تسلل إلى بيوت الآخرين ،أو جامع زوجة جاره:" هل استولى على زوجة جاره ،واسأل الدم منه" ،أو ظلم أحدا ،أو رفض إطلاق سراح أسير:"لم يطلق سراح الأسير ،ولم يطلق سراح الرجل المقيد...(بل) قال للآسر:احتفظ به أسيرا ،وبالنسبة للرجل المقيد:قيده جيدا" ،أو:"أهمل والده ووالدته ،عامل أخته الكبرى بعدم احترام" ،بل انه:"قال انه هناك ،بينما لم يكن هناك ،(وقال):انه ليس هناك ، بينما كان هناك" ،أي انه كاذب ،أو رفضه قرض قناة السقاية الذي طلب منه ليوم واحد ،ورفضه إعارة إناء الماء الذي طلب منه.فضلا إلى هذه الخطايا المقصودة والموجهة ضد الإله والإنسان ،فان هناك مجموعة أخرى يحتمل إنها ارتكبت سهوا ،ولكن بالإمكان ان تثير حنق الإله ،مثل أكل شيئا محرما على المدينة أو تكهن لمدينته بالسوء أو ان كان قد رافق احد المسحورين ،أو نام في سريره ،أو جلس على مقعده ،أو أكل من صحنه ،أو شرب من قدحه.وربما قد فعل شيئا أثناء مشيه في الشارع ان كان قد تخطى فوق الماء المقدس المسكوب ،أو داس ماء قذرا ،أو نظر مرتابا إلى الماء المستعمل لغسل الأيدي ،أو لامس امرأة بيدين غير نظيفتين ،أو نظر مرتابا إلى امرأة ويداه غير مغسولتين ،أو لامس أحدا غير نظيف.فكل هذه خطايا ترتكب ضد الإله وبنفس الوقت ضد التنظيم والارتباط المعنوي والأخلاقي والاجتماعي:وبعبارة أدق إنها آثام[1] .

---

[1]) جورج كونتينو ،**الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور** ،ترجمة:سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٧٩) ،ص٤٤٨ ؛هاري ساكز ،**عظمة بابل** ،ترجمة:عامر سليمان ،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر ،١٩٧٩) ،ص٣٥٧ ؛رو ،العراق القديم ،ص٤٨٩ ؛بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص ١٢٠-١٢١.

من ذلك نخلص إلى ان كلا النوعين من الخطايا الدينية والخلقية كان ينظر إليها بنفس الطريقة ،لتماثل النتائج المترتبة عنها ،وهي إثارة الغضب الإلهي وبالتالي جلب الشيطان وآثاره الشريرة على الخاطئ ،ولذا يمكن القول ان المرض والخطيئة مترادفين لدى البابلي[1] .فالخاطئ يقول:"أنا خاطئ ،ولهذا أنا مريض"[2] ،رغم إن المريض في العديد من الحالات قد يجهل الإثم الذي ارتكبه:"إن الإثم الذي ارتكبته ،اجهله"[3] .

وتتحدث النصوص الكثيرة التي وصلتنا عن هذه الحالة بجدارة إذ يقول شخص مريض في صلاته:

"لقد أذللت كما لم اخف الهي وإلهتي
فنزلت بي الأمراض ووجع الرأس والخراب والدمار
وحل بي اليأس وشحوب الوجه والغضب الكامل"[4] .

وفي صلاة ثانية نقرأ:

"أنا شمش-شوم-اوكن(Šamaš-Šum-ukin) خادم إلهه
ان عبدك حزين ، ومعذب ، ومتألم
إغضاب الإله ، حزن طاغٍ ونار
ومرض خبيث واتوكو وحمى لجسدي
وجع مميت يخيم علي"[5] .

في صلاة ثالثة نقرأ:

"إلا إني لا أخاف الهي أو إلهتي يقع علي الضيق
فالشقاء والمرض والدمار والمصائب حلت بي"[6] .

---

[1]) سبتينو موسكاتي ،**الحضارات السامية القديمة** ،ترجمة:السيد يعقوب بكر ،مراجعة:محمد القصاص ،(القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،بلا.ت) ،ص ٧٧ ؛جورج بوييه ،**المسؤولية الجزائية في الآداب الأشورية والبابلية** ،ترجمة سليم الصويص ،(بغداد:شركة المطابع النموذجية ،١٩٨١) ،ص٥٨ ؛بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٢٣.

[2]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٧.

[3]) بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٢٣.

[4]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٣١.

[5]) المصدر نفسه ،ص١٨٤-١٨٥.

[6]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٥١.

ولم يكن أمام الإنسان المذنب والمريض إلا ان يعترف بخطاياه بتذلل:

"ان تعدد إهمالي لا يحصى

سبع وسبع مرات متعددة هن خطاياي"[١].

إن هذه الصلوات تعكس كيف إن اله الإنسان يسلط غضبه عليه لكونه مذنب وهو أمر ذا أهمية خاصة ،ففي وادي الرافدين كان لكل إنسان اله حامي ،بمثابة الملاك الشخصي للفرد ،ولكن إذا ما تخلى هذا الإله عن الإنسان فانه سرعان ما يقع ضحية المرض[٢] ،ولعل أفضل ما يصور النتيجة المأسوية لغضب الإله القصيدة الطويلة التي تعارف الباحثون عليها تحت اسم أيوب البابلي ،أو لأمجد رب الحكمة ،وفيها يقول الشخص المعذب المريض:

"تركني الهي ، واختفى إلى الأبد

وخذلتني إلهتي وابتعدت (عني)!

عني انفصل الروح الخير الذي كان يرافقني

وهرب ملاكي الحامي ليبحث عن أخر!

لقد سلبت مني حيويتي ،واظلم مظهري الرجولي

ذهبت صحتي الجيدة ،واختفت كل حماية فجأة!".

ونتيجة لذلك:

"فمي الذي كان من قبل مليئا بالثقة ،إنهم(العفاريت السبعة) يلجمونه

أنا الذي كانت شفتاي سريعة الكلام ،أصبحت ألان مثل أصم أبكم

ونداءاتي التي كانت رنانة قد أرغمت على الصمت

ورأسي الذي كنت ارفعه عاليا ،قد انحنى حتى الحضيض

وقلبي القوي قد ضعف من الهلع

صدري الواسع ،بوسع اخرق ان يدحره ألان

ذراعاي المفعمتان نشاطا قد شلت كلتاهما".

ثم يصف المعذب بعد ذلك الأمراض التي ابتلي بها:

"جاء فوق ذلك مرض مضني

---

[١]) بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٢٣.

[٢]) يحيى ،المرض ومسبباته في بلاد الرافدين ،ص٢٣٩.

وهبت علي ريح رديئة[من عمق] الأفق
لقد انتشرت حمى ايعو من سطح العالم الأسفل
وخرج السعال الرديء من ابسو مخبئه
ثار من أيكور اوتوككو لا يقاوم
انحدرت لماشتو من قلب الجبل
و(مع النهر) الفائض ،جاءت الرجفة الباردة
لقد نبت الذبول خلال التربة في الوقت ذاته مع الخضار
جميع هذه (الشرور مقرونة) قد دنت مني
ضربت رأسي وألمت جمجمتي
فاظلم(وجهي) وزاغت عيناي
واجتازت هذه الآلام على رقبتي وشلت عنقي
أصابت صدري وضربت أحشائي
أدمت لحمي وألقتني في التشنجات
وأضرمت النار في شرسوفي
لقد أثارت أحشائي(وأقلقت) أعضائي
وجعلتني اقذف لعابا ووضعت الحمى في رئتي
وهدت قامتي الرشيقة مثلما ينهار الجدار
صرعت بنيتي العريضة مثل قصبة
لقد استرخيت مثل عشب قد التوى وأنا صريع ووجهي على الحضيض
لقد ارتدى العفريت الو جسدي مثل ثوب
واكتنفني الخدر مثل شبكة
تحملق عيناي ولا تريان شيئا
أذناي مفتوحتان ولا تسمعان
اعترى الشلل جسمي كله
وانتابت الهزة جميع مفاصلي
واستحوذ العسم على ذراعي
وحلت النتانة بركبتي

ونسيت رجلاي إنهما كانتا تستطيعان السير
أصابتني نوبة وإذا بي اختنق فجأة!
الموت وقد غطى وجهي
ولا أجيب مفسر الأحلام حينما يهتم بشأني
(أسرتي) تبكيني ،لقد فقدت الوعي
حشاكة وضعت على فمي
ومزلاج يغلق شفتي
بابي مغلق ونبعي مسدود
طال وهني وأغلقت حنجرتي
وإذا أعطوني حب ،فانا ابتلع النتانة
والجعة حياة البشر قد أصبحت كريهة لدي
وعلاوة على ذلك ،فان هذا الألم يستمر منذ وقت طويل
ولنقص في الطعام ،قد تغيرت ملامحي
لقد ارتخى لحمي وانسكب دمي
وترتسم عظامي تحت جلدي الذي وحده يغطيها
والتهبت عضلاتي لقد أصيبت بداء اوريقتو
لازمت الفراش مثل سجن والخروج ليس سوى نحيب
لقد تحول بيتي إلى سجن لي
جسدي هو غلاف فيه تبقى ذراعاي دون حراك
واتبع قيودا فيها شدت رجلاي
الصدمة التي تكبدتها أليمة جدا وجرحها خطير
السوط الذي ضربني مليء بالأشواك
والمهماز الذي اخترقني مزود بأشواك
النهار كله يضطهدني مضطهد
ولا يدعني خلال الليل أتنفس لحظة!
في الاضطراب الذي أنا فيه ،لقد انهارت عضلاتي
أعضائي المفككة صريعة هنا وهناك

أمضيت ليالي في مزبلتي مثل ثور
وتلوثت بفضلاتي مثل خروف
علاماتي أفزعت المعزم
وفؤولي أقلقت العراف
ان المتعوذ لم يجلُ طبيعة دائي
ولا العراف حدد نهاية لألمي
لم يأت الإله إلى عوني ،ولم يأخذ بيدي
إلهتي لم تشفق علي ولم تسر قربي"
وأخيرا فان المعذب البابلي يصف أخر آلامه:
"ثقيلة علي كانت يده(مردوك) ولم يكن باستطاعتي تحملها
رهيبة كانت خشيتي منه[...]
[وجهه ؟] كان غاضبا ،والطوفان بالذات
هو [صوته]
تصرفه كان عنيفا[....]
وبسبب ذلك المرض المضني لم اعد
[اعرف] نفسي
فقدت وعي وكان مرضي يجعلني أهذي
وليل نهار وبشكل متماثل كان مستمرا أنيني
وفي يقظتي كما في حلمي[كنت] شديد المرض"[١].

إذا ما غادرنا ارض الرافدين فأن المبدأ القائل ان الآلهة تبتلي البشر بالمرض نقرأ عنه في كثير من الحضارات المعروفة لدينا بشكل جيد ، ففي **مصر** تشير التعاويذ إلى دور الآلهة في الأمراض: "الأمراض التي يحدثها معبود أو معبودة"[٢].وقد ارتبطت الأمراض بالربة سخمت(Sekhmet)(معنى اسمها القوية)،وكانت هذه ربة الحرب والأوبئة.وكانت تفشي الأوبئة والأمراض الجماعية ينسب إلى رسلها.ويعتقد إن أنواع الطاعون والأمراض نجمت جميعها من سهام

[١]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٣٩٤-٤٠٢ ؛الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢ ،ص ٤٣٠-٤٤١.
[٢]) حسن كمال ،**الطب المصري القديم** ،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٨) ،ص٣٨٥.

سخمت السبعة.وقد لعبت هذه الربة دورا مزدوجا فهي مسئولة عن الأمراض ،وفي نفس الوقت كانت مسئولة عن علاجها[١].وكان الإله سيث ينظر إليه كناشر للأمراض والأوبئة[٢].ويشير نص رحلة ون-أمون إلى بلاد فينيقيا كيف ان هذا الإله أمون قد ابتلى احد الشبان المرافقين له بمس من الجنون:"ألان بينما كان يقدم (ون-أمون)قربانا إلى آلهته ،امسك الإله بواحد من شبانه وعمل على مسه...وظل (الشاب) الذي أصابه المس في خبلة طيلة الليل"[٣].

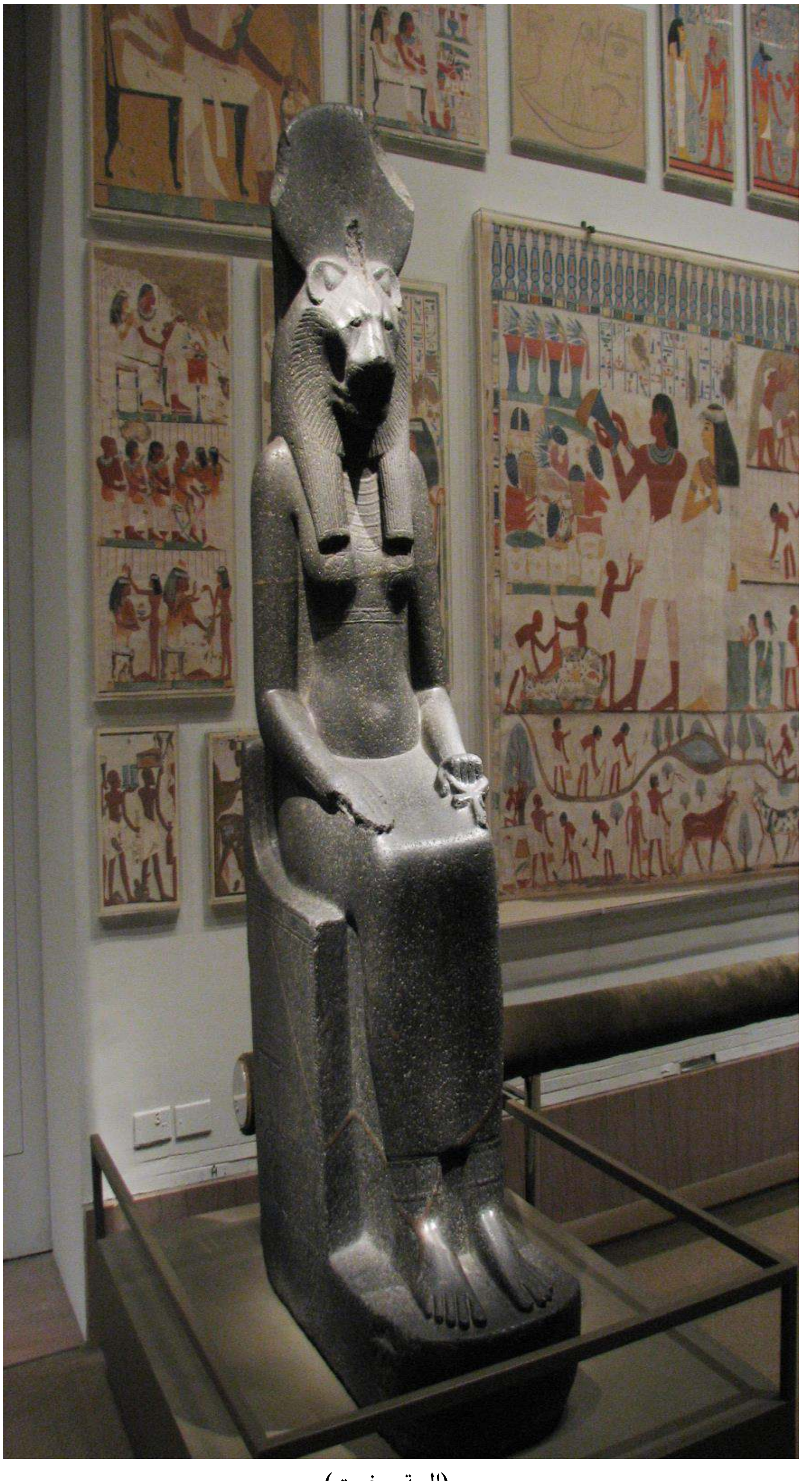
[١]) مُحَمَّد أبو رحمة ،**السحر عند الفراعنة** ،(القاهرة:حابي للنشر والتوزيع ،٢٠٠٥)،ص٦١ ؛ آنا رويز ،**روح مصر القديمة** ،ترجمة:إكرام يوسف ،(القاهرة:مكتبة الشرق الدولية ،٢٠٠٦)،ص١٣٨ ، ١٨٥.

[٢]) غليونجي ،الطب ،ص٤٦.

[3])*John A. Wilson,"The Journey Of Wen-Amon to Phoenicia", In: ANET, (Princeton,1966),P.26.*



(الاله امون)



(الربة سخمت)

كانت الخطيئة بحق الاله تسبب المرض ، ونحن نقرأ في نص ان ابن احد الرسامين قام بعمل فيه خروج عن التقوى بشأن بقرة يمتلكها الاله امون-رع ، وربما لم يزد هذا الذنب عن اخذ لبن منها بحلبها ، فمرض الابن بعد ذلك ، واعترف الاب بخطيئة ابنه فشفي الابن[١] . كما نقرأ كيف ان احد صغار الرؤساء العاملين في مقبرة طيبة قد اذنب عندما اقسم يمينا كاذبا بالإله بتاح فأصيب بالعمى[٢].وعندما قام الملك الفارسي قمبيز(٥٢٩-٥٢٢قبل الميلاد) بقتل العجل المقدس أبيس الذي يعبده المصريون ،أصيب بالجنون ،وكان المصريون على قناعة بان فقدانه التام لعقله هو نتيجة مباشرة لجريمته هذه[٣] .

تتحدث النصوص المصرية وتقول ان الآلهة لم تكن تصيب البشر وحدهم بالأمراض بل إنها تصيب به أقرانها من الآلهة ففي أسطورة تقول ان الربة ايزيس قررت ان تعرف الاسم السري للإله رع لذا تقوم باستخدام السحر وتصنع أفعى تعمل على لسع كبير الآلهة المصرية ،فكما تروي الأسطورة ان ايزيس كانت امرأة ذكية ،قلبها اشد ذكاء من مليون رجل ؛ومصطفاة أكثر من مليون اله ؛وأكثر فطنة من مليون من أشراف الموتى.ليس هناك شيء لا تعرفه في السماء والأرض مثل رع الذي أشاع الاطمئنان على الأرض.أصرت الإلهة في قلبها معرفة اسم الإله(رع) المهيب.وكان الإله رع يدخل يوميا على رأس طاقم السفينة ،آخذا مكانه على العرش الخاص بالأفقين.وكانت الشيخوخة المقدسة قد حلت في فمه.وفي مرة ألقى لعابه على الأرض ،وبصقه ساقطا على التربة.فعجنته ايزيس بيدها مع التراب الذي كان به ،وصنعت منه ثعبانا مهيبا ،صنعته على شكل رأس حاد ،لكنه لم يتحرك بنشاط أمامها ،بل تركته عند مفترق الطرق ،حيث المكان التي اعتاد الإله العظيم الذهاب إليه.وعندما ظهر الإله المهيب خارج الأبواب مع الآلهة الذين يرافقونه من القصر ،ليتمكن من التجول كما هو الحال كل يوم ،عضه الثعبان ،فشعر الإله كأن نارا تدب في أوصاله ،وسرعان ما تلاشى الثعبان بين العشب.واخذ الإله رع بالصراخ

---

[١]) جون ولسون ،**الحضارة المصرية** ،ترجمة:احمد فخري ،(القاهرة:مكتبة النهضة المصرية ،١٩٥٥) ،ص٤٧٣.

[٢]) المصدر نفسه ،ص٤٧٤.

[٣]) هيرودوت ،**تاريخ هيرودوت** ،ترجمة:عبد الإله الملاح ،(أبو ظبي:هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ،٢٠٠٧) ،ص٢٣٠.

حتـى وصـلت جلبـة صـوته السـموات.وقد ارتعشـت شـفتاه وارتجفـت كـل أعضائه ،وسرى السم في لحمه ،كما يفيض النيل على الأرض كما يقول النص.ثم نادى حاشيته:"اقبلوا إلي ،يا من أتيتم إلى الوجود في جسدي ،انتم الآلهة الذين أتيتم مني لأعرفكم ماذا حدث!شيء مؤلم طعنني ،[لم] يتحقق منه قلبي ،لم تره عيناي ،لم يصنعه يدي ،لم أدركه في كل الذي صنعت ،لم أذق ألما مثيلا له ،ولا يوجد شيء أكثر ألما منه...بينما كنت خارجا من الأبواب لأرى ما صنعت (و) أتجول في الأرضين التي خلقتها ،شيء حركني-لا اعرف ماذا.انه ليس نار حقيقية ،انه ليس مـاء حقيقي.قلبـي مشـتعل وجسـمي يرتعش ،وكـل أعضـائي بهـا مـس مـن القشعريرة"[1].فالأسطورة هذه تقدم تصورا جيدا حول استخدام الآلهة للسحر ،فعن طريق لعاب الإله الأكبر رع تمكنت ايزيس بعد عجنه بالطين ان تخلق ثعبانا يعمد إلى لسع الإله رع حتى تجبره إلى البوح باسمه السري.



(الالهة ايزيس)

---

[1])*JohnA.Wilson,"The god and his Unknown Name of Power", In: ANET,(Princeton,1966),PP.12-13.*

والـس بـدج ،**السـحر فـي مصـر القديمـة** ،ترجمة:عبـد الهـادي عبـد الرحمن ،(بيروت:مؤسسـة الانتشـار العربـي ،١٩٩٨) ،ص١٢٧-١٢٩ ؛السـواح ،دين الإنسـان ،ص١٩٨ ؛ ج.ڤايد ،"ديانـة مصـر القديمة:الآلهـة والأسـاطير" ،بحث ضـمن موسوعة:**تـاريخ الأديـان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشـق:دار عـلاء الـدين للنشـر والتوزيـع والترجمـة ،٢٠٠٧) ،ج٢ ،ص٢٢ ؛جيسـكا كـلارج ،**الحكايـات الفولكلوريـة والخرافـات والأساطير** ،ترجمة:حازم مالك محسن ،(بغداد:منشورات بيت الحكمة ،٢٠٠٨) ،ص١٥٨-١٥٩.

في **أسيا الصغرى** ارتبطت الآلهة بالأمراض فقد كان الإله ياрريس(Yarris) إلها للأوبئة[١].وتنسب الأمراض عادة إلى الآلهة ،إذ نقرأ في نصوص الملك الحيثي مورسيلس الثاني(١٣٢١-١٢٩٥قبل الميلاد) ان زوجته أصيبت بمرض غامض ،فنسب المرض في أول الأمر إلى الإله ليلواني(Lelwani)وهو من آلهة العالم الأسفل ،لذا فسر مرضها كعقوبة من الإله بسبب إهمالها الواجبات المقدسة ،ولكنه بعد ذلك نسب المرض إلى الأرواح الشريرة أو إلى السحر الأسود[٢].وعندما حل الطاعون في أسيا الصغرى لم يجد الملك الحيثي مورسيلس الثاني غير ان ينسبه إلى الآلهة:"أيتها الآلهة ،ما هذا الذي فعلتموه ؟ لقد تركتم الطاعون يدخل ،ارض خاتي كلها تموت ،ولذا لا يوجد من يعد قرابين الطعام والشراب...أ فتأتون ألينا ،أيتها الآلهة ،وتعدوننا عن هذا مذنبين...وليس هناك شيء ما نعمله يعد صحيحا في عيونكم"[٣].وفي نص أخر يشير مورسيلس الثاني إلى انه قد أصيب بالمرض نتيجة ليد الإله:"هكذا ان شمسي ،الملك العظيم:[سابقا] ،أنا قدت عربتي بين خرائب بلدة كونو(Kunu) ،اله العاصفة سيدي ،احدث عاصفة رعدية مرعبة ،أنا كنت خائفا ،وعندها شعرت بالنطق أصبح صعبا في فمي ،هذا الحدث كان شيئًا صغيرا ،وأنا تركت الأمر جانبا ،ولكن مع مرور السنوات هذا الحادث اخذ يظهر في أحلامي ،فقد وصلتني يد الإله في الحلم وفمي ذهب جانبا"[٤].ونقرأ في نص صلاة بودوخيبا ان الآلهة تسلط الأمراض على البشر ،أما لان الشخص أصبح مكروها من قبلها ،أو ان إلها من غير قصد قد سلط المرض ،وهناك حالة تقول ان شخصا ما قدم قربانا إلى الآلهة من اجل ان يتم إنزال المرض بالملك حاتوسيلي زوجها![٥].

---

[١]) صلاح رشيد ألصالحي ،**المملكة الحيثية :دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول** ،(بغداد:بلا.مط ،٢٠٠٧) ،ص٦٦٩.

[٢]) المصدر نفسه ،ص٢٩٨.

[٣]) اوليفر أ.كرني ،**الحيثيون** ،ترجمة:مُحَمَّد عبد القادر مُحَمَّد ،مراجعة:فيصل الوائلي ،(بغداد:مطبوعات البلاغ ،١٩٦٣) ،ص٢١٦.

[٤]) ألصالحي ،المملكة الحيثية ،ص٦٤٥.

[5]) *Albrecht Goetze, "Prayer To Lelwanis",In:ANET,(Princeton,1966),P.394.*

تنسب الأمراض عادة لدى **الكنعانيين** إلى الإله موت اله الأمراض والأوبئة الفتاكة[١] ،وهناك الإله رشاب(رشف في العهد القديم) الذي اسمه يعني الوباء أو النار ،وهو نفسه الذي يدعى في النصوص رابيو أي الشافي[٢] .ونعرف ان ميكال(Mikal) وهو اله كنعاني قد ارتبط بالطاعون والأوبئة ،على أساس انه طوبق أحيانا مع الإله رشف[٣] .ونعرف ان الآراميين عبدوا الإله سين وربما اعتقدوا بقدرته على تسليط المرض ونقرأ في نص المعاهدة بين ماتع-ايلو ملك بيت اگوزي الآرامي والتي عاصمتها ارباد مع أشور-نيراري الخامس(٧٥٤-٧٤٥ قبل الميلاد) نقرأ انه في حالة نكث ماتع-ايلو بالمعاهدة فانه سيتلقى عقابه من الآلهة:"أرجو من الرب العظيم سين والذي يقطن في حران ان يلفع ماتع-ايلو وأولاده وموظفيه والناس في أرضه بالجذام كالعباءة"[٤] .

في **العهد القديم**[٥] نقرأ عن اعتقاد يقول ان المرض مرتبط بالله:"قدام وجهه يسير الوباء ،ووراء قدميه الموت"[٦] .والمعروف من أدبيات العهد القديم ان غضب الله يجلب المرض وهو اعتقاد سائد لدى حضارات الشرق القديم ،:"أصبتكم(أي شعب إسرائيل)بالأوبئة التي أصيبت بها مصر...لكنكم لم ترجعوا إلي تائبين"[٧] .وبلا شك كانت ابرز أسباب غضب الرب هو عدم امتثال البشر إلى تعليمه:"لكن ان لم تسمعوا لي ،ولم تعملوا كل هذه الوصايا ،وان رفضتم فرائضي ،وكرهت أنفسكم أحكامي ،فما عملتم كل وصاياي بل نكثتم ميثاقي فاني اعمل هذا بكم وأسلط عليكم رعبا وسلاً وحمى تفني العينين وتتلف

---

[١]) خزعل ألماجدي ،**الآلهة الكنعانية** ،(عمان:شركة الشرق الأوسط للطباعة ،١٩٩٩) ،ص٩٩.

[٢]) ألماجدي ،الآلهة الكنعانية ،ص١٠٨ ؛ألان م.كوبر ومايكل كوكان ،"الديانة الكنعانية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والترجمة والنشر ،٢٠٠٧) ،ج٢ ،ص٧٠.

[٣]) ألماجدي ،الآلهة الكنعانية ،ص١٢٦.

[٤]) جافير تاكسيدور ،"الديانة الآرامية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والترجمة والنشر ،٢٠٠٧) ،ج٢ ،ص١٣٥.

[٥]) لقد درست مسببات المرض في الكتابات اليهودية والمسيحية المبكرة من قبل الباحث في:يحيى ،علاقة في:يحيى ،علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة ،ص٩٠-٩٢.

[٦]) حبقوق ،٣: ٥.

[٧]) عاموس ،٤: ١٠.

النفس"[١] ؛و:"اجلب عليكم سيفا ينتقم لنقمة الميثاق ،فتجتمعون إلى مدنكم وأرسل في وسطكم الوباء فتدفعون بيد العدو"[٢].وهناك روايات عديدة في العهد القديم تقدم برهانا جيدا عن هذا الاعتقاد ،إذ نقرأ كيف ان ابيمالك حاكم مدينة جرار(هي مدينة بين قادش وشور في ارض النقب) قد استولى على امرأة إبراهيم سارة الأمر الذي اغضب الرب لذا ابتلى نساء ابيمالك بكارثة العقم:"وكان الرب أغلق كل رحم في بيت ابيمالك بسبب سارة امرأة إبراهيم"[٣].ونقرأ في أخرى كيف ان رأوبين قد اغتصب بلهة زوجة أبيه يعقوب ،فعاقبه الله بمرض عضال في أعضائه التناسلية دام سبعة أشهر[٤].والرب غضب ذات مرة على مريم أخت موسى فابتلاها بمرض البرص:"انتقدت مريم وهارون موسى لزواجه من امرأة كوشية ،قالا:أ كلم الرب موسى وحده ؟أ لم يكلمنا نحن أيضا ؟ فسمع الرب.أما موسى فقد كان أكثر حلما من جميع الناس الذين على وجه الأرض.فقال الرب حالا لموسى وهارون ومريم:اذهبوا انتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع.فمضى ثلاثتهم ،فنزل الرب في عمود سحاب وحل عند باب خيمة الاجتماع ،فنادى ،هارون ومريم فتقدما وحدهما ،فقال:اسمعا كلامي ان كان بينكم نبي للرب فاني اظهر له بالرؤيا واكلمه بالحلم.أما عبدي موسى فلست أعامله هكذا ،بل هو أمين في بيتي ،لذلك اكلمه وجها لوجه ،وبوضوح من غير الغاز ،ويعاين صورة الرب.فلماذا جرئتما على انتقاد عبدي موسى ؟واحتد غضب الرب عليهما ثم مضى عنهما.فلما ارتفعت السحابة عن خيمة الاجتماع ،إذا بمريم برصاء كالثلج ،فالتفت هارون وموسى نحو مريم وإذا هي مصابة بالبرص"[٥].وفي رواية أخرى نقرأ كيف ضرب الرب جيش مملكة دمشق الآرامية بالعمى عندما أرادوا إلقاء القبض على النبي اليشع:"وعندما تقدم جيش أرام نحو اليشع صلى إلى الرب قائلا:اصب هذا الجيش بالعمى.فضربهم الرب بالعمى

[١]) لاويين ،٢٦: ١٤-١٦.
[٢]) لاويين ،٢٦: ٢٥.
[٣]) تكوين ، ٢٠: ١٨.
[٤]) علي الشوك ،**الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة** ،(لندن:دار اللام ،١٩٨٧) ،ص٢٢٧ ؛يحيى ،علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة ،ص ٩٠.
[٥]) العدد ،١٢: ١-١٠.

استجابة لدعاء اليشع"[1] .وعندما أراد داوود ان ينفذ الإحصاء لتعداد بني إسرائيل لامه النبي جاد الرائي على عمله الذي لا يبرره الا الغرور ؛وانذره بوجوب اختيار احدى العقوبات الثلاث:المجاعة أو الحرب أو الطاعون جزاء لما قام به ، فاختار داوود الطاعون: "فأرسل الرب وباء تفشى في ارض إسرائيل مات فيه سبعين ألف رجل "[2] .



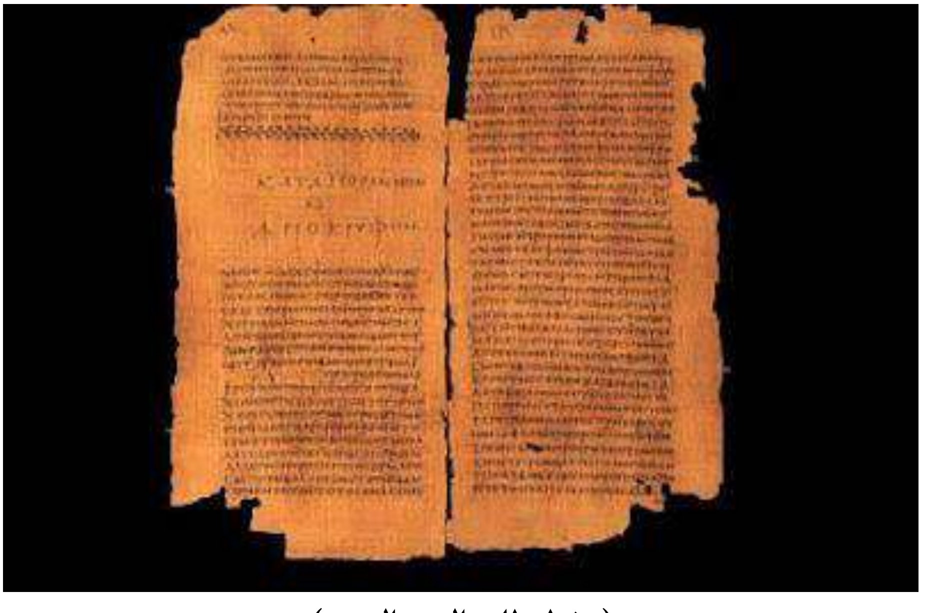
(صورة تخيلية لإبراهيم الخليل وعائلته)

تتحدث وثائق **البحر الميت** عن الأمراض وتعدها عقابا من الله عن خطايا البشر ،بل تهدف إلى ان يتعظ البشر من خطاياهم:"لقد عاقبتنا كما يعاقب الأب أبنه ،وجعلتنا نزداد حكمة خلال أجيالنا[بواسطة] الأمراض المهلكة والمجاعات

[1]) انظر النص الكامل للرواية في:الملوك الثاني ،٦: ١٤-١٨.

[2]) أخبار الأيام الأول ،٢١: ٧-١٤ ؛انظر كذلك:عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٣٠١.

والعطش والأوبئة والسيف..."[1] .ويتحدث نص كيف ان الله ابتلى الملك البابلي نابونائيد بقرحة خبيثة[2] .ولكن في احد الكتب اليهودية المنحولة ويدعى كتاب وصايا الأسباط ألاثني عشر الذي يعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد نقرأ عن تفسير أخر لسبب المرض المسلط من الله فإذا كان العهد القديم يقول ان الخطيئة تجلب المرض ،فإننا نقرأ ألان ان المرض فرضه الله لحماية الإنسان من الوقوع في الخطيئة! ففي وصية شمعون نقرأ:"في أيام صباي كنت غيورا من أخي يوسف لان أبي أحبه أكثر منا جميعا ،فعزمت في سري على إهلاكه ،لان أمير الخطيئة بلعار(الشيطان) أعمى بصيرتي فلم اعد أرى فيه أخا ولم اصفح لأبي (تفضيله له).ولكن اله أبائنا بعث رسوله فأنقذه من يدي... لقد قيد الرب يدي ورجلي وحال بيني وبين إتيان ذلك العمل ،ولمدة سبعة أيام بقيت يدي اليمنى مشلولة تقريبا ،ولقد عرفت ان ما حصل لي كان بسبب يوسف.لهذا ندمت واستغفرت وتبت باكيا"[3] .



(مخطوطات البحر الميت)

---

[1]) غيزا فيرم ،**النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت** ،ترجمة:سهيل زكار ،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٦) ،ص٤٤٢.

[2]) المصدر نفسه ،ص٥٤١.

[3]) فراس السواح ،**الرحمن والشيطان:الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية** ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٤) ،ص١٧٨.

نقرأ في **العهد الجديد** عن تسليط الله الامراض على البشر ، وان كانت الادلة محدودة للغاية ،ونحن نقرأ في اقل تقدير في رواية عن القديس زكريا ، والد يوحنا المعمدان الذي عاش في القرن الاول قبل الميلاد ،وهو كاهن يهودي في عهد هيرودوس الكبير.وتذكر الرواية ان اليصابات زوجة زكريا ،كانت عاقرا.وفي احدى الايام ظهر ملاك الرب جبرائيل القائم في حضرة الله لزكريا في الهيكل وانبأه انه سيرزق ابنا يدعى يوحنا ،يمهد الطريق لمجيء الرب(السيد المسيح).ولكن القديس زكريا شك في كلام الملاك لذا فانه اصيب بالبكم ولم يعد اليه النطق الا بعد ولادة ابنه:"لكنك ستصاب بالخرس فلا تقدر على الكلام الى اليوم الذي يحدث فيه ذلك(أي ولادة الطفل)،لأنك ما امنت بكلامي..."[١].

وفي **التلمود** نقرأ كيف ان الله هو أهم مسبب للمرض ، ففي رواية نقرأ ان الله أصاب الفرعون المصري بالجذام ،وكان المرض شديد الوطأة ،فعانى الملك من الآم مبرحة لا توصف[٢].ونقرأ في رواية أخرى ان الرب غضب على المصريين فابتلاهم بالمرض لرفض الفرعون المصري ان يخرج بني إسرائيل من مصر إلى ارض كنعان لذا:"غدت أجسام المصريين عليلة مؤذية المنظر ومليئة بالقروح وأصابت لحومهم الالتهابات"[٣].ويفسر التلمود السبب الذي من ورائه ابتلى الله المصريين بالقروح:"لأنهم كانوا يجبرون الإسرائيليين على تنظيف دورهم وأفنيتهم ،مما جعل دمائهم ملتاثة تنقط بالقروح"[٤].ليس فقط العمل الشرير هو الذي يسبب المرض بل ان التلمود يقدم لنا صورة غير مألوفة عن مسببات المرض ألا وهي الامتناع عن القيام بالعمل الصالح أو تأخيره ،ونقرأ عن قصة الرابي ناحوم ،انه لما كبر في السن أمسى ضريرا ،وبترت يداه ورجلاه وكان جذعه مبتلى بالقروح الأليمة وعندما سأله تلاميذه عن سبب هذه البلوى رغم انه رجل صالح ،لم يحاول ان يعلل الأمر بكبر السن أو بقضاء الله بل قال:"ترون هذا ما استجررته على نفسي ولم اظلم.ففي بعض الأيام كنت مرتحلا صوب بيت نسيبي ،أبي امرأتي ،ومعي ثلاثون جحشا محملا

[١]) انظر الرواية الكاملة في:لوقا ،١: ٦-٢٥ ؛انظر كذلك:عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٤٤٢-٤٤٣.

[٢]) احمد أيبش ،**التلمود:كتاب اليهود المقدس** ،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٦)،ص١٦٨.

[٣]) المصدر نفسه ،ص ١٧٠.

[٤]) المصدر نفسه ،ص١٩٢.

بالمؤن والخيرات ،وصاح بي رجل من قارعة الطريق:يا رابي أغثني! فقلت له تريث ريثما انزل حمولة الجحاش.فلما تم الأمر وفرغت من تنزيل الأحمال عن دوابي ،ألفيت لشقوتي وبلواي الرجل سقط وهلك لشدة الجوع والإعياء.فارتميت على جثته ورحت انتحب بمرارة وقلت:العينان اللتان لم ترقا لحالك ليكن مصيرهما العمى ،واليدان اللتان تلكأتا عن معونتك ليكن مصيرهما البتر ،مع الرجلين اللتين أحجمتا عن إغاثتك.وفوق ذلك لم اكتف حتى دعوت بان يصيب بدني بالقروح الأليمة" ،والمرض كما يتحدث هذا الرابي لم يكن مجرد عقاب بل وسيلة لغفران الذنوب:"لأنني من خلالها أرجو ان يُغفر ذنبي ويُمحى"[1] .ويتضح من التلمود ان الأمراض تقرر سلفا من الله في رأس السنة اليهودية كما يقول الرابي أمنون:"في رأس السنة يكتب ،وفي يوم الغفران يقرر ،اجل كل أوامرك تسجل من يحيا ومن يموت.أسماء من يلاقون حتفهم بالنار ،أو بالغرق ،أو بالسيف ،أو بالجوع ،أو العطش ،أو بالطاعون ،كلها مدونة لديك"[2].في حالة نفهم ان الله يسلط المرض عن طريق ملائكته:"مهد سبلا لغضبه ،أرسلها مع ملائكة الشر ،فلم يمنع الموت عن نفوسهم بل اسلم حياتهم إلى الوباء"[3] .

اعتقد **العرب القدماء** بقدرة الإله على تسليط الأمراض ، ففي نص صفائي(نسبة إلى إقليم الصفاة جنوب شرقي دمشق) نقرأ فيه:"لمغير بن عذبن بن غوث:لقد خرج للبحث عن أخيه ،فيا اللات اشملي برحمتك من خرج ،وأصيبي بالعمى من يمحو هذه الكتابة"[4].وتشير المصادر العربية ان أبرهة الحبشي عندما ارتد خائبا عن مكة بعد ان تفشى بين جنوده مرض خطير ،هلل أهل مكة لتدخل الله وحمايته بيته.وفي هذا يقول عبد الله بن الزعبري:

ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم ولم يعيش بعد الإياب سقيمها
كانت عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها[5]

---

[1]) المصدر نفسه ،ص٢٦٧.

[2]) المصدر نفسه ،ص٢٦٢.

[3]) مزامير ، ٧٨: ٥٠.

[4]) فراس السواح ،"العرب قبل الإسلام" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧) ،ج٢ ،ص٢٨٧.

[5]) المصدر نفسه ،ص٣٠٢.

تقدم **الديانة الزرادشتية** في إيران[1] تصورات مألوفة عما نقرأ في أجزاء مختلفة من الحضارات القديمة حول قدرة الإله على تسليط الأمراض.ففي نص يتحدث زرادشت عن أعدائه الذين يرومون إلحاق الأذى به ،ولأنهم أشرار فانه يطلب من إلهه اهورامزدا ان يبتليهم بالأمراض:"الذي يريد ان يلحق الأذى ببيتي وطيبتي ،لا تدع أعماله السحرية يؤثر فيّ ،فلتوجه الشر الذي خلقه نحو نفسه.فليكن هذا الشر ضد جسده ،فليبعد هذا الشر الصحة عن جسمه ،ولكن لا تبعد عنه الأمراض أيها الناظر العظيم"[2].ويبدو ان الآلهة كانت تبتلي الأشرار بالمرض والموت ، فقد كان ڤرتراگنا اله الحرب الإيراني ينشر المرض بين أنصار الشر: "يتقدم ڤرتراگنا نحو صفوف الجيش ، ويسأل مع ميثرا وراشنو. من الذي يخل بكلمته كاذبا على ميثرا؟ ومن الذي ينسى راشنو؟هو ذاك الذي أعطيه المرض والموت ،وحسب السلطة الممنوحة لي"[3].هذا ويشير هيرودوت إلى ان الفرس كانوا يعتقدون ان الأمراض كانت عقابا ينزل بالمرء ان ارتكب خطيئة بحق الشمس التي كانوا يعبدونها[4].

[1]) حول الترجمة الكاملة لنصوص الافستا انظر:خليل عبد الرحمن(إعداد) ،**افستا:الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية** ،(دمشق:روافد للثقافة والفنون ،٢٠٠٨).

[2]) ياسنا ،٤٦: ٨.

[3]) ياشت ،١٤: ٤٧.

[4]) هيرودوت ،تاريخ هيرودوت ،ص٩٧.



(الاله ميثرا تنبعث منه اشعة الشمس)



(شعار الاله اهورامزدا في بيرسيبوليس)

اعتقد **الإغريق** إن بعض الآلهة قد ارتبطت بالمرض بشكل مباشر مثل الإله أبوللو(Apollo)،الذي كان اله الصواعق وكانت لديه الرماح القاتلة فكان يسبب الأوبئة والطاعون[١].وكانت الربة ارتميس تدعى سيدة الموت المفاجئ ،فقد كانت تطلق سهامها فتقتل وترسل الأمراض الفتاكة فتُفني المواشي والبشر[٢].وكانت هذه الربة تصور وهي حاملة قوسا تقتل بنباله النساء الحوامل ،دفاعا عن عذريتها الخالدة[٣].ومن الآلهة الإغريقية المرتبطة بالمرض الربة ايريس(النزاع) التي أنجبت حسب الأساطير الإغريقية عددا من قوى الخراب منها المرض[٤].



(الاله ابوللو)

---

[١]) حسن كمال ،الطب المصري القديم ،ص١٥.

[٢]) فراس السواح ،**لغز عشتار:الالوهة المؤنثة واصل الدين والأسطورة** ،(دمشق:دار علاء الدين ،٢٠٠٢)،ص٢٢٢.

[٣]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٦٥.

[٤]) ف.غيوراند ،"الآلهة والأساطير اليونانية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٥)،ج٣ ،ص٣٠.



(الربة ارتميس)

واعتقد الإغريق شأنهم شأن الكثير من الشعوب القديمة كالبابليين والحيثيين ،بان الخطايا تسبب الأمراض ،فكل خطيئة يرتكبها الفرد تؤدي إلى غضب الآلهة ،ومن ثم عقابها أما بالمرض أو الموت أو بشرور أخرى[1] ،فالأشخاص الذين يقترفون جريمة(hybris)(وتعني حرفيا:(الاستهانة الطائشة بحقوق الغير) فان الآلهة تنزل غضبها وتعاقبهم كأن تصيبهم بالأمراض والأوبئة والعقم[2].ونعرف ان الصرع كان يسمى عند اليونانيين باسم المرض المقدس لان الشائع عنه انه يمثل الغضب الإلهي[3].

وتتحدث الأساطير اليونانية عن تسليط الآلهة الأمراض على البشر ،ففي أسطورة تقول ان الإله زووس قرر معاقبة البشر ،بعد ان أقدم التيتان بروميثيوس على سرقة النار من الآلهة وأعطاها للبشر ،بسبب منع زووس النار عن الجنس البشري ،ونتيجة لغضب زووس قرر الأخير إرسال كارثة على البشر ،فقد أمر الإله هيفستوس ان يصنع من الصلصال والماء جسما وان يعطيه قوة مهلكة وصوتا بشريا ،وان يصنع من كل هذا عذراء يكون جمالها مساويا للإلهات الخالدات ،وأغدقت جميع المعبودات هداياها الخاصة على المخلوق الجديد التي سميت باندورا(Pandora) ،وقام هرميس بوضع الخيانة والغدر في قلبها ،ووضع الكذب في فمها أو كما يقول هزيود:"وأخبر الإله زووس ابنه هيفستوس بان يبدأ عمله ويخلط الأرض مع الماء وان ينفخ فيه صوت وقوة البشر وان يعمل منها امرأة جميلة لطيفة الشكل محبوبة المنظر تشبه في وجهها الربات الخالدات ،وان تعلمها الربة أثينا عمل الإبرة ونسج أنواع المنسوجات وان تمنحها الربة افروديت العناية وتعطيها الجمال على رأسها والاشتياق القاسي والاهتمام الذي ينهك العضو ،وأشار على هرميس أن...يضع في رأسها عقلا لا يعرف الخجل وطبيعة خداعة...وأطلق على هذه المرأة اسم باندورا(الممنوحة كل شيء)...".بعدها أرسل زووس باندورا هدية إلى ابيثوس(Epitheus) ،وبالرغم من تحذير أخيه بروميثيوس ان لا يقبل هدية سيد

[1]) غريس كوبر ،**أساطير إغريقية ورومانية** ،ترجمة:غانم الدباغ ،(بغداد:شركة التايمز للطباعة والنشر ،١٩٨٤) ،ص٦-٧.

[2]) هـ.ج.روز ،**الديانة اليونانية القديمة** ،ترجمة:رمزي عبده جرجيس ،مراجعة:مُحَمَّد سليم سالم ،(القاهرة:دار نهضة مصر ،١٩٦٥) ،ص٣٥.

[3]) المصدر نفسه ،ص١٣٢.

الاولمب ،إلا ان ابيثوس الأحمق سحره جمال باندورا ،فاستقبلها وجعل لها مكانا بين البشر ،وقد حملت باندورا بذراعيها مزهرية كبيرة تسمى خطأ صندوق باندورا ،وفتحت غطاء المزهرية فخرجت منها أمراض وأوبئة فضيعة انتشرت على الأرض:"ولزمن طويل فان قبائل الإنسان المختلفة عاشت على الأرض حرة وبعيدة عن الآلام والمصائب والمتاعب والأمراض المزمنة التي تجرها الأقدار على البشر...ولكن المرأة باندورا رفعت الغطاء من على الجرة بيديها ،وبسببها نشرت كل هذه المصاعب والرزايا على جميع بني الإنسان ،ولم يبق هناك سوى الأمل(يقبع في محله)لا يصل إليه الهدم ،هناك تحت حافة الجرة الكبرى الداخلية ولم يخرج من الفوهة(حيث انه أوقف كما تذكر الأسطورة من قبل الإله زووس)...أما البقية الطواعين الكثار كانت تتجول بين البشر ،لان الأرض مليئة بالشرور وحتى البحر أيضا...فليس هناك أي طريق(للخلاص) يمكن منه الهرب من إرادة الإله زووس"[1] .

---

[1]) سامي سعيد الأحمد ،**الإله زووس:مقدمة في دراسة الاعتقاد بزووس حتى اضمحلال روما** ،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٠) ،ص١٢٤-١٢٥ ؛كوبر ،أساطير إغريقية ،ص١٣-١٤ ؛ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص١٦٤ ؛السواح ،لغز عشتار ،ص٢٢٨ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ، ،ص٢٠١.

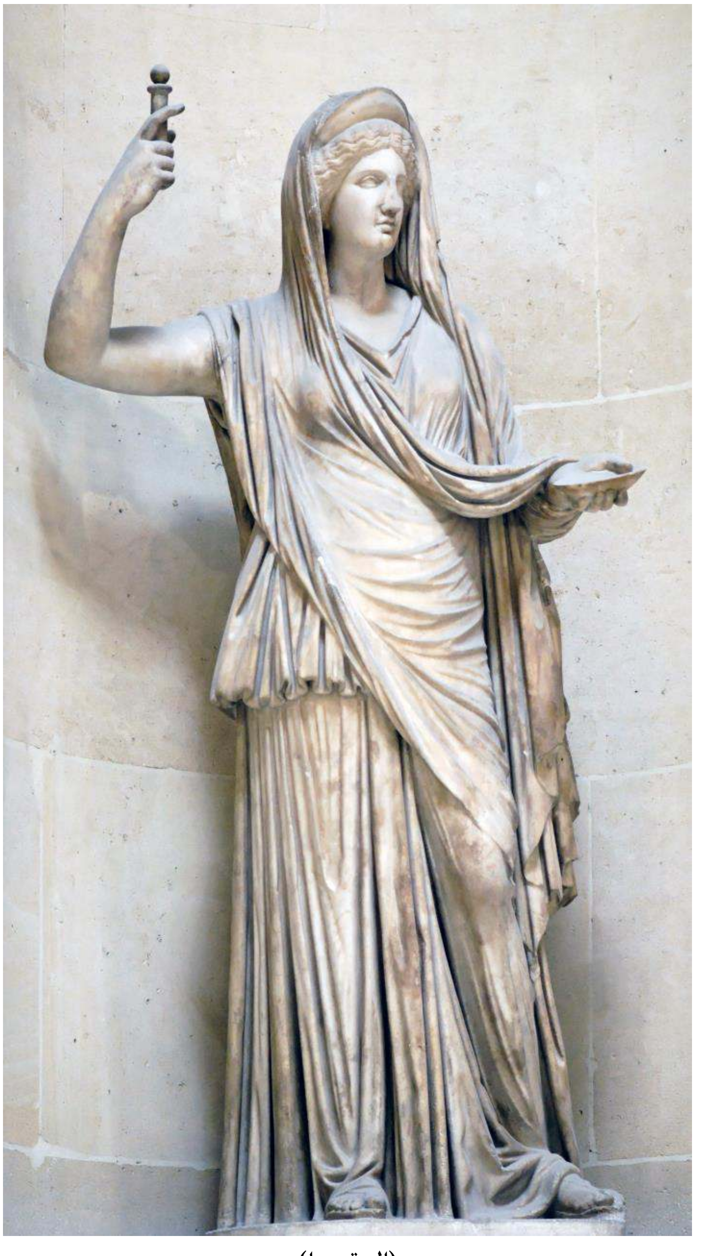


(الاله زووس)

في أسطورة نقرأ ان إلها يدعى أتيس وهو اله نباتي ارتبط بالمعبودة ألكبرى سيبيلي ،تقول الأسطورة ان هذه الربة اختارت أتيس كاهنا لها وفرضت عليه قسم العذرية ،وعندما حنث بيمينه وتزوج من ابنة اله النهر سانغاريوس ،ضربته سيبيلي بنوبة من الجنون كان من خلالها يقوم بتشويه نفسه[١].وفي رواية يونانية اخرى نقرأ انه أبدت كل من ليسيب وافياناسا بنات ملك يدعى بروتوس عدم احترام نحو التمثال الخشبي للربة هيرا ،مما دفع الأخيرة إلى معاقبتهن بان إصابتهن بمرض الجذام والجنون ،فأخذن بالتجول هائجات شبه عاريات خلال شوارع البيلوبونيز ولم يشفهن إلا تدخل الساحر ميلامبوس بعد ان دُفع ثمنا باهظا لقاء خدماته ،إذ طلب ميلامبوس ثلث مملكة بروتوس[٢].وحين تفاخر الشاعر التراقي ثاميريس بأنه تفوق حتى على الميوزات(ربات الموسيقى والشعر والغناء وكان عددهن تسع) ،انزلن عليه لعنة العمى والبكم[٣].وفي أسطورة أخرى نقرأ ان رجلا يدعى تيريسياس(Teriesias) قد شاهد ذات مرة الربة أثينا(Athênê) وهي تستحم ،لذا لم يكن من الأخيرة إلا وقد وضعت كفيها على عينيه فسلبته البصر ،رغم ان ذنب تيريسياس لا إراديا[٤].وفي أسطورة أخرى تعطي تفسيرا أخر عن سبب إصابة تيريسياس بالعمى ،تقول انه ذات مرة وقع جدال بين كبير الآلهة الإغريقية زووس وزوجته هيرا حول موضوع المتعة الجنسية ،وأي من الجنسين أكثر استمتاعا بالجماع من الأخر.فأصرت هيرا على كون الرجل يتلذذ بذلك أكثر من المرأة وأصر الإله زووس على عكس ذلك ،فاستدعى زووس رجلا يدعى تيريسياس(وهو قد عاش سبع سنوات كامرأة بطريقة سحرية)للفصل في المسألة ،لأنه أكثر الناس مقدرة على الحكم على ذلك ،لكونه عاش الحياة الجنسية بشكلها الذكري والأنثوي.وقد حكم تيريسياس إلى جانب زووس ، وقرر إن المرأة أكثر استمتاعا من الرجل بالعملية

[١]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج٢ ،ص٩٠.
[٢]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج٢ ،ص٢٣٤ ؛غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٥٢.
[٣]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٧٠ ، ١٨٦.
[٤]) عبد اللطيف احمد علي ،**التاريخ اليوناني:العصر الهيلادي** ،(بيروت:دار النهضة العربية ،١٩٧٦) ،ص٢٧٣ ؛ غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٥٥ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٢٥٤.

الجنسية ،وقال لو عدت اللذة الجنسية عشرة أجزاء فتكون حصة المرأة تسعة منها وواحدة للرجل فقط.وهنا ثار غضب هيرا وضربت تيريسياس بالعمى[1].



(الربة هيرا)

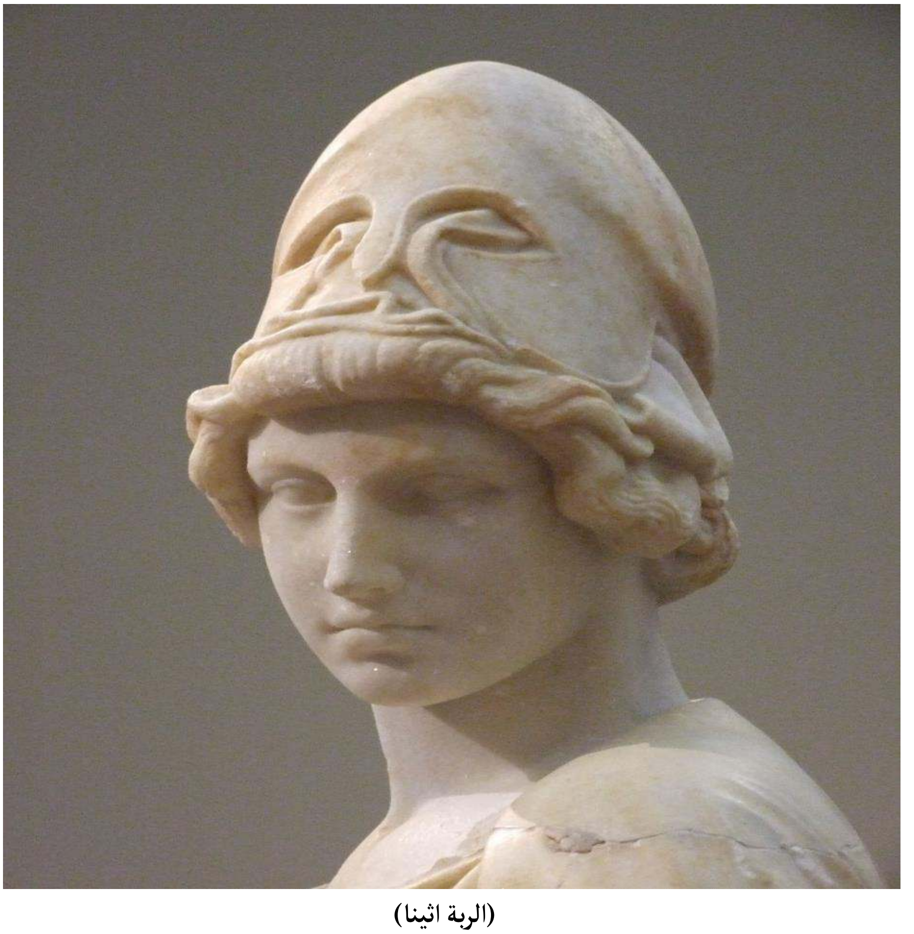
---

[1]) بوبليوس اوفيديوس(اوفيد) ،**مسخ الكائنات:ميتامورفوزس** ،ترجمة:ثروت عكاشة ،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢) ،ص٨٢ ؛انظر كذلك:الأحمد ،الإله زووس ،ص٤٢ ؛السواح ،لغز عشتار ،ص٢٤٤.

وفي أسطورة نقرأ ان الربة أثينا أودعت سلة عند بنات سكيروب وحرمت عليهن فتحها ،وتحوي في داخلها الطفل اريكثونيوس ابن الإله هيفيستوس.وان إحدى الأخوات ، واسمها باندروزوس أطاعت أمر الإلهة ؛أما الاثنتان الأخريان ،هيرس واغلاوروس فلم تتمكنا من التحكم في فضولهما.ولكن حالما فتحتا السلة نفرتا من الرعب ؛ذلك ان أفعى كانت تحيط بالطفل الوليد.فأصابتهما أثينا بالجنون[١].وفي أثناء مرور هرقل باركاديا أغوى اوغ ابنة اليوس كاهنة أثينا وقد أنجبت له ابنا هو تيليفيوس فخبأته في معبد الإلهة لذا غضبت أثينا من جراء هذا التدنيس وأرسلت وباء إلى البلد[٢].وفي أسطورة نقرأ عن نشوء علاقة غرامية بين الربة افروديتي واينخيسيس الطروادي ،وان الربة أنجبت منه ابنها اينياس(Aeneas) ،ولكن الربة ندمت على إنها وهبت نفسها لبشر ،وطالبت اينخيسيس بالا يبوح لأحد بأنها أم ابنه وأنذرته ان هو باح بسر علاقته بها ستنزل به اشد العقاب.لكن اينخيسيس نقض عهده وتباهى بين أصدقائه بمغامراته مع الربة فرماه زووس بصاعقة أصابته بالعرج ،وان كانت هناك رواية أخرى تقول بان افروديتي أطلقت عليه نحلا وخز عينيه سلبه نعمة البصر ،وهكذا عوقب بالعمى لأنه رأى الربة عارية[٣].وكان الصياد اوريون قد تجرأ على لمس الإلهة ارتميس ذات يوم حين كانا يمارسان الصيد معا في جزيرة كيوس ،لذا استدعت ارتميس عقربا مميتا من الأرض فلدغ كاحل قدم اوريون[٤].وفي لاكونيا نزل الإله ديونيسيوس ضيفا على الملك ديون الذي كان لديه ثلاث بنات ،فاغرم ديونيسيوس بالصغرى كاريا فهددت الأختان الأكبر سنا بكشف أمر العلاقة لوالدهن ،فأصابهما ديونيسيوس بالجنون.وأثناء وجود الإله ديونيسيوس في تراقيا ،اظهر الملك ليكرغس عداء ضده فاضطر ديونيسيوس إلى الفرار واللجوء إلى ثيتس في أعماق البحر.في تلك الأثناء زج ليكرغس بحاشية ديونيسيوس من الباختيين في السجن ،نتيجة ذلك حرم الإله ليكرغس من عقله.وفي غمرة جنونه قتل ليكرغيس ابنه درياس.ولم يكن استقبال ديونيسوس أفضل من قبل بنثيوس ملك طيبة ،الذي زج بالإله في السجن.فهرب ديونيسوس

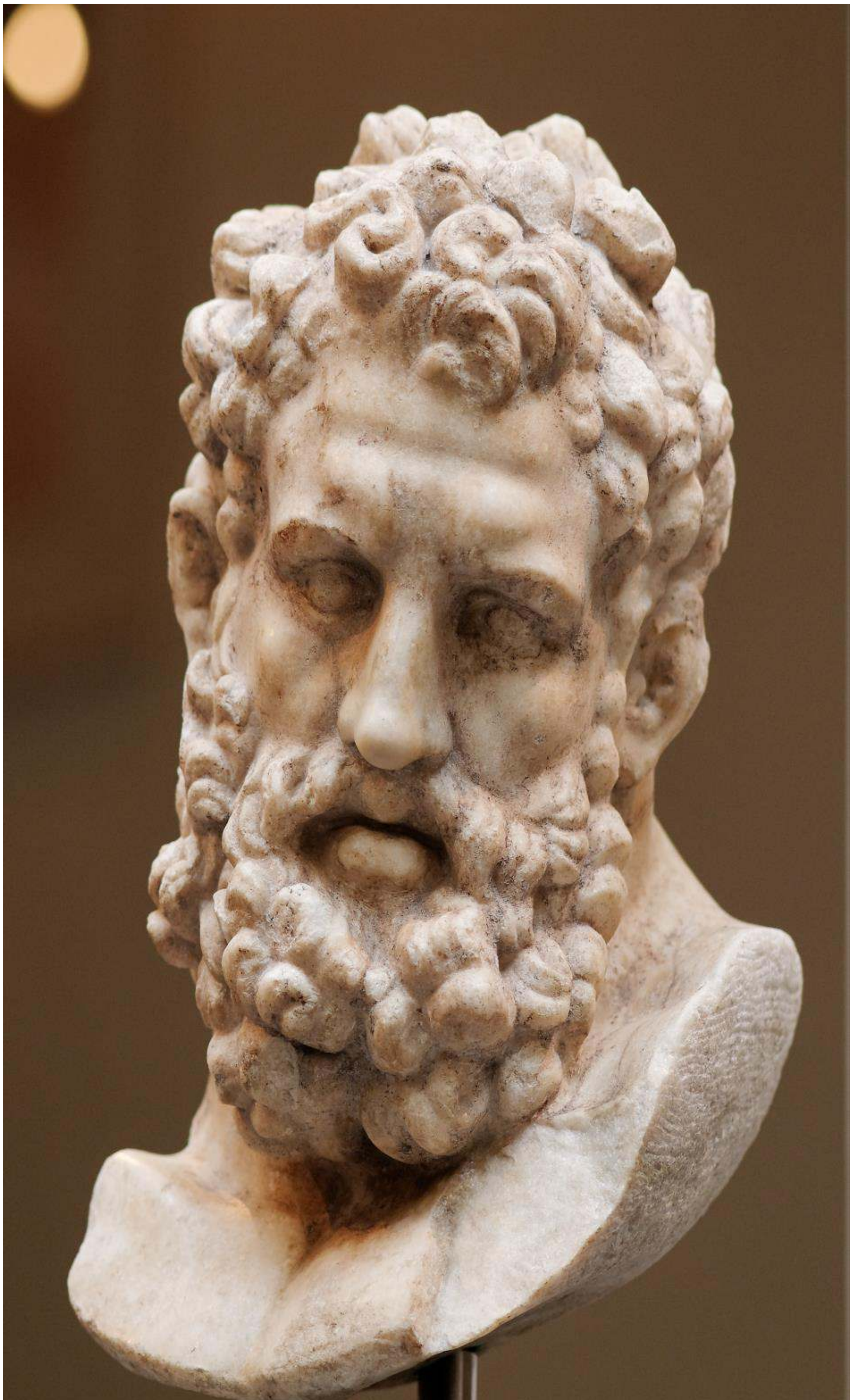
[١]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٥٦.
[٢]) المصدر نفسه ،ص١٦٨.
[٣]) علي ،التاريخ اليوناني ،ص٢٩٢-٢٩٣.
[٤]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٧٣.

دون عناء وابتلى والدة بنثيوس بالإضافة إلى نساء طيبة بالجنون واندفعن إلى جبل سيثيرون حيث أقمن حفلات ديونيزية معربدة ،وكان بنثيوس من الطيش بحيث لحق بهن فقامت أمه بتمزيقه أربا.وكانت هناك مأساة أخرى مشابهة تخص سكان ارغوس الذين رفضوا أيضا ان يعترفوا بقدسية ديونيسيوس فقد فقدت النساء عقولهن ،ومزقن أولادهن والتهموهم.ومن بين العقوبات التي انزلها ديونيسيوس ،واحدة شهيرة جدا تخص بنات ميناس ملك اركومينوس ،كن ثلاث أخوات:السيثوة ،ليوسيب ،وارسيب.وبما إنهن رفضن الاشتراك في احتفالات ديونيسيوس ،قام بزيارتهن متخفيا بصورة فتاة شابة وحاول ان يقنعهن برقة.ولما لم ينجح ،تحول على التوالي إلى ثور ،وأسد ونمر ،وحين ارتعبن فقدت بنات ميناس عقولهن إلى درجة قامت أحداهن وهي ليوسيب بتمزيق ابنتها أربا بيديها[1] .



(الربة اثينا)

[1]) المصدر نفسه ،ص١٤٣-١٤٤.



(هرقل)



(ديونيسوس)

وفي رواية وردت في محاورة فايدروس لأفلاطون تقول ان شاعرا يدعى ستيسيخوروس(stesichoros) الذي عاش في مدينة هميرا في صقلية(٦٣٢-٥٥٣ قبل الميلاد) ،والذي كتب قصيدة بعنوان هليني ذاكرا القصة التقليدية عن هروب هليني مع باريس ،ويقول أفلاطون ان هذا الشاعر فقد بصره لذمه سلوك هليني:"لم ينتبه ستيسيخوروس الذي فقد بصره لذمه هليني غير انه لم يجهل السبب في ذلك مثل هوميروس ،إذ كان واسع الثقافة فأسرع بنظم الأبيات:

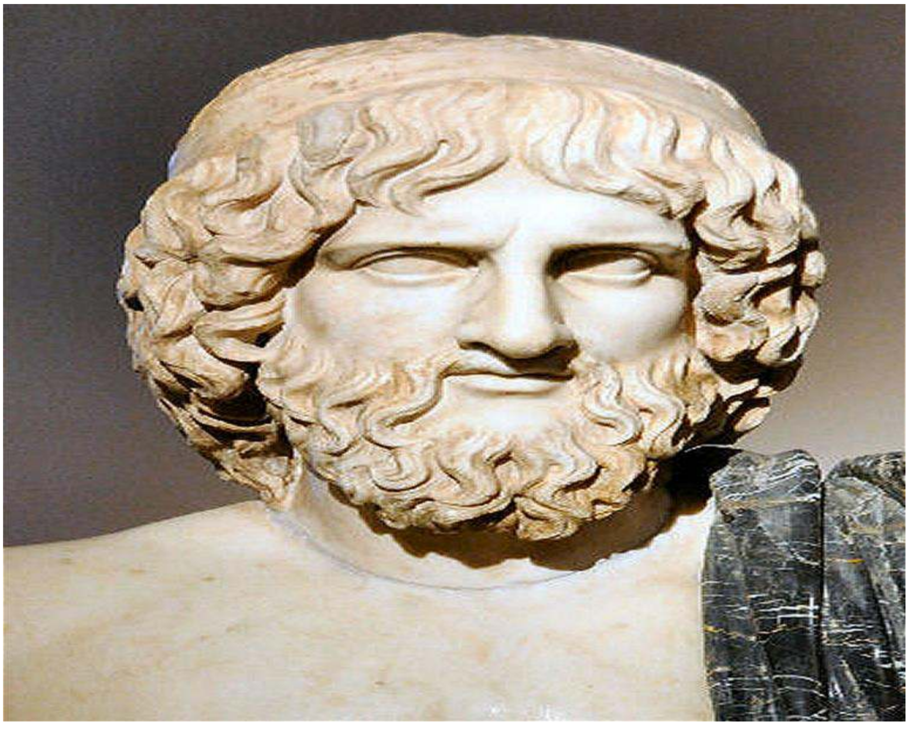
"لا صحة في هذا الحديث ؟كلا انك لم تركبي

السفن المقلعة كلا ولم تخطري على أسوار طروادة

وبعد ان انتهى من تأليف هذا التكذيب عاد إليه بصره"[(١)].وهنا بلا شك كان أفلاطون يعتقد ان هوميروس كأقل تقدير كان قد فقد بصره لروايته قصة هروب

[١]) أفلاطون ،**محاورة فايدروس أو عن الجمال** ،ترجمة وتقديم:أميرة حلمي مطر ،(القاهرة:دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠) ،ص٥٧-٥٨.

هليني مع باريس ؛ وبلا شك كانت هليني تعد بالأصل إلهة في إسبارطة ، وكثير من المدن الدورية لهذا حل بهذا الشاعر (أي ستيسيخوروس) العقاب[1] .



(افلاطون)

ويتحدث هيرودوت عن حالات انتهاك لحرمة الآلهة ونتائجها السلبية ،ويقول ان مجموعة من الاسكيثيين نهبوا معبد افروديتي في عسقلان ،ونتيجة لذلك حلت عليهم لعنة الإلهة ،بان أصيبوا بمرض سماه هذا المؤرخ بمرض النساء[2].وان الأثينيين قد حاولوا مرة انتزاع تمثالين لإلهين من مدينة إيجينا بالقوة وقد أرسلوا وفدا على سفينة ثلاثية المجاديف ليأتوا بالتمثالين ،ورغم إنهما مصنوعين من خشب أثيني وبالتالي فهما ملك لأثينا ،إلا ان عملهم عد خطيئة ،فقد حاولوا أولا انتزاع التمثالين من قاعدتهما ،ولما عجزوا عن ذلك حاولوا انتزاعهما بشدهما بالحبال.ولكن بينما كانت هذه الجماعة منهمكة في عملها إذ بالسماء ترعد والأرض تزلزل ،فجن جنون الرجال واخذوا في قتل بعضهم بعضا ،حتى لم يبق منهم حيا

[1]) علي ،التاريخ اليوناني ،ص٤٥٩.
[2]) هيرودوت ،تاريخ ،ص٨١.

سوى رجل واحد عاد بمفرده إلى فاليرم ميناء أثينا[١].بلا شك تقدم هذه الرواية صورة جيدة عن المعتقد فالآلهة عاقبت رجال أثينا حتى وان كان التمثالين يعودان إليهم بشكل فعلي ،ويبدو إن العقاب لم يكن بسبب التمثالين ،واستردادهما ،بل بالطريقة التي عومل بها تمثالا الآلهة.وتتحدث رواية وتقول إن ملك إسبارطة كليومينيس قد أصيب بالجنون إلى درجة انه اخذ سكين وبدأ بتقطيع أوصاله بنفسه ،بادئا بمقدمة ساقه ،ومستمرا في ذيلك حتى وصل إلى فخذيه ،ثم وركه وخاصرتيه ،وأخيرا وصل إلى بطنه وبعدها مات.ويبدو ان السبب في ذلك كما يقول هيرودوت انه كان عقابا بسبب إفساده عرافة دلفي وحثها على الكذب بشأن ديماراتوس شريكه في الحكم.وقيل انه بسبب تخريبه للغابة المقدسة الواقعة في حمى الإلهتين ديميتر وبيرسيفون ،عندما اجتاح اليوسيس ،وفي رواية ثالثة تقول انه كان عقابا له لتدنيسه المقدسات عندما قام بعد إحدى المعارك بإحضار من هرب من الارغوسيين والملتجئين إلى حمى غابة ارغوس المقدسة واخذ بتقطيعهم ،ثم احرق الغابة نفسها ،فأظهر بذلك عدم احترامه للمقدسات.فبعد اجتياح ارغوس هرب بعض الارغوسيين إلى الغابة المقدسة ،وبعدان عرف كليومينيس من الارغوسيين الفارين أسماء بعض الرجال الذين التجئوا إلى الغابة ،أرسل من ينادي أسمائهم واحد تلو الأخر ،ويخبرهم بأنه قبض فديتهم ،ويدعوهم للخروج.وحينما يخرجون من الغابة يأمر بذبحهم ،وبهذه الخدعة تمكن من إخراج خمسين رجلا منهم.أما من ظلوا في الغابة فلم تكن لديهم أية فكرة عما يجري ،لان كثافة أشجار الغابة لم تمكنهم من رؤية مصير رفاقهم في الخارج.ولكن أخيرا تسلق احدهم إحدى الأشجار وشاهد ما يجري فحذر رفاقه ،لذلك لم تعد الدعوة للخروج مقبولة.عندها أمر كليومينيس العبيد بان يحيطوا الغابة بأكوام الحطب ويشعلوا النار فيها لإحراقهم.وتمت إطاعة الأمر ،وبينما كانت ألسنة اللهب تتصاعد سأل كليومينيس احد الارغوسيين من هو الإله الذي تقع الغابة في حماه ؟ فكان الجواب هو ارغوس.وعندما سمع هذا الاسم صرخ قائلا:"يا اله النبوءة أبوللو ،لقد غررت بي عندما قلت ان علي الاستيلاء على (مدينة)ارغوس! إنني اعتقد ان نبوءتك قد تحققت".عند ذلك أرسل كليومينيس قسما كبيرا من جيشه إلى الوطن ،وذهب على رأس ألف من

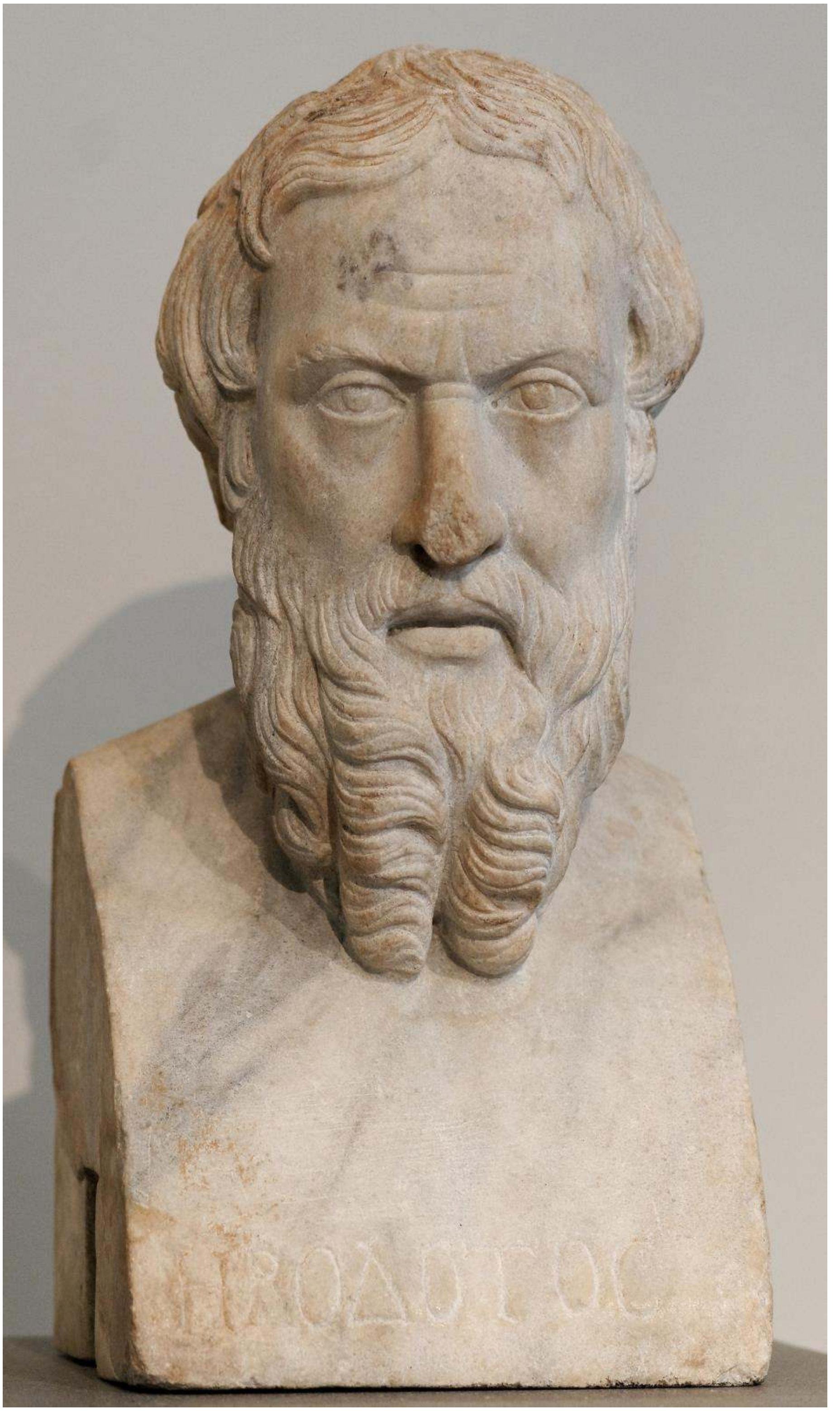
---

[١]) المصدر نفسه ،ص٤٠٨.

خيرة قواته إلى معبد هيرا ،لتقديم القرابين لكن الكهنة في المعبد رفضوا السماح له بالقيام بذلك ،لان تقديم القرابين في هذا المعبد كانت محرمة على الغرباء ،فأمر العبيد بان يجروا الكاهن بعيدا عن المذبح وان يجلدوه بالسياط وقام بتقديم القربان بنفسه ،ثم عاد بعد ذلك إلى إسبارطة.ويعتقد الارغوسيين ان جنون كليومينيس وميتته إنما كانت نتيجة سلوكه تجاههم.في حين يعتقد هيرودوت ذاته ان نهاية كليومينيس إنما كانت عقابا من السماء له على ما فعله بشريكه في الحكم ديماراتوس الذي نفاه من إسبارطة[١].سواء كان اعتقاد الارغوسيين هو الصحيح الذي بسببه أصيب كليومينيس بالجنون أم اعتقاد مؤرخنا هيرودوت فان الرواية ذات أبعاد مهمة ،فأولا ان مختلف الروايات التي أعطيت لتفسير سلوك كليومينيس المشين ،تكشف عن انتهاك واضح للمقدسات سواء تخريبه للغابة المقدسة الواقعة في حمى الإلهتين ديميتر وبيرسيفون ،أو إحراقه لغابة ارغوس المقدسة ،ومن ثم اهانة كاهن هيرا ،وتقديم قرابين هي في كل الأحوال غير مقبولة حسب قوانين معبد هيرا.كما تكشف عن سلوك كليومينيس غير الأخلاقي تجاه شريكه في الحكم ديماراتوس.الأمر الذي يشير إلى ان أي سلوك قد يسلكه الإغريقي ضد المقدسات أو ضد الأخلاق والأعراف السائدة قد يحيق به أقسى عقوبة من الآلهة.

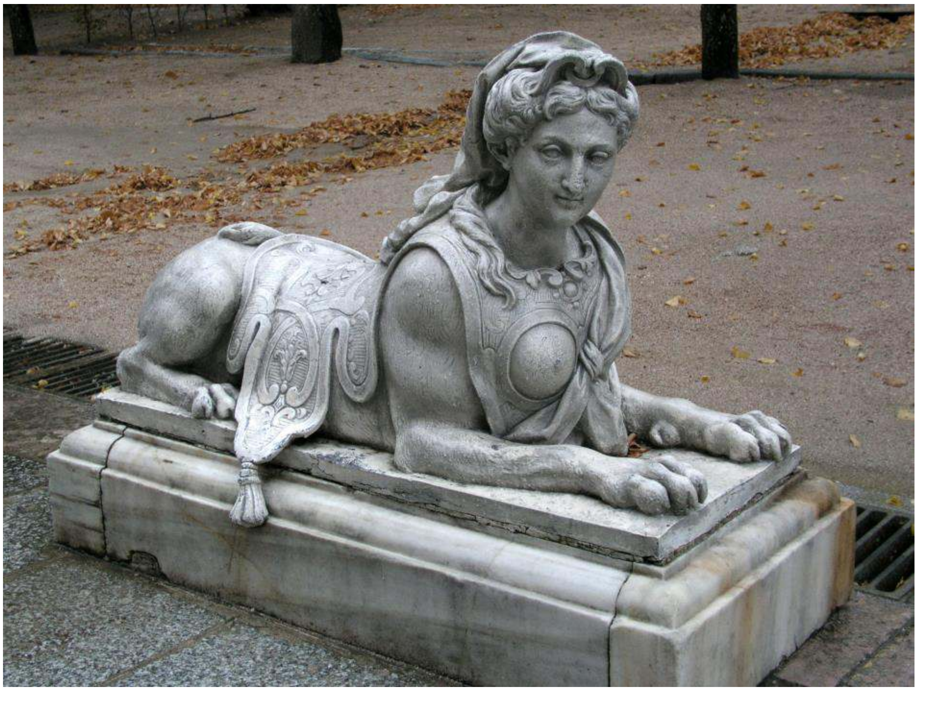
---

[١]) المصدر نفسه ،ص٤٥٧-٤٦٠.



(المؤرخ الاغريقي هيرودوت)

يمكن ان نفهم من المادة المتوفرة ان الإغريق اعتقدوا بمسؤولية الشعب عن خطايا ملوكهم ،فما ان يرتكب ملك ما إثم تجاه الإلوهية حتى تنتشر الأوبئة بين أفراد الشعب ،ونقرأ عن هذه الصورة في عدد من الأساطير الإغريقية تقول إحداها ان الربة هيرا أرسلت السفينكس(Sphinx) وهو حيوان مركب مكون من امرأة ،وطير ،وأسد ،ليجلب الوباء على طيبة عقابا للمدينة على تصريفات ملكها لايوس[1] .

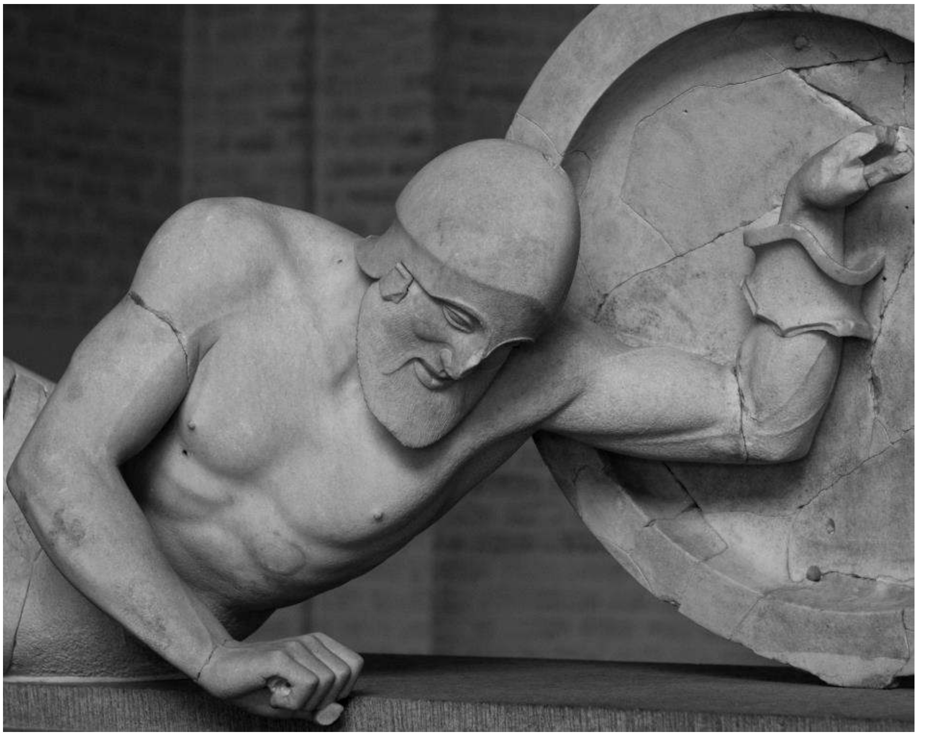


(سفينكس)

وتتحدث أسطورة ثانية كيف غضب الإله زووس على أبوللو وبوزيدون وحكم عليهما بالذهاب إلى طروادة والدخول في خدمة ملكها لاميدون(Laomedôn) مدة عام.هناك عمل بوزيدون على إنشاء الاستحكامات الطروادية ،وكان أبوللو يرعى الثيران الملكية على المنحدرات ، وفي ممرات جبل ايدا الكثيفة الأشجار.ومع انتهاء العام رفض لاميدون ان يدفع للإلهين أجرهما المتفق عليه بل هدد بقطع

[1])شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٢٣٩.

أذناهما.وانتقاما لذلك نشر أبوللو وباء في أرجاء البلاد واستدعى بوزيدون وحشا من البحر فقتل الرجال في الحقول[1].



(لاميدون ملك طروادة)

وتتحدث الإلياذة عن حالة مشابهة إذ تسرد كيف ينزل الإله أبوللو غضبه على الاخيين ،وسلط عليهم الوباء نتيجة اهانة احد القادة الاخيين لكاهنه:

أبوللو ،ابن زووس ،وليتو لنقمته على الملك (اغاممنون)
نشر الوباء بين الجموع ،ففني الناس
لان ابن اتريوس(اغاممنون) ،قد أهان خروسي ،كاهن أبوللو
حين اقترب من سفن الاخيين السريعة
ليفتدي ابنته ،وهو يحمل ما لا يحصى من الغنائم

---

[1]) علي ،التاريخ اليوناني ،ص٤٣١ ؛ريكس وارنر ،**الإغريق والطرواديون أو حرب طروادة** ،ترجمة:صالح التويجي ،(بغداد:مطبعة الاقتصاد ،١٩٨٧) ،ص٦ ؛غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٦٤ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٢١٣.

وبين يديه ، على محفة من ذهب ، أوشحة أبوللو
الذي يضرب عن بعد ، تضرع إلى الاخيين
وعلى رأسهم القائدين ابني اتريوس(اغاممنون ومينلاوس)
يا ابني اتريوس ،ويا أيها الاخيون المدججون
فلتمكنكم الآلهة المستوية على الاولمب
من مدينة بريام(ملك طروادة)لتغنموها ،ولتظفروا بعودة سالم إلى موطنكم بعدها
ولكن أعيدوا إلي ابنتي وخذوا الفدية
فتكونوا قد كرمتم أبوللو ،ابن زووس الذي يضرب عن بعد
هلل الاخيون جميعا موافقين على ان يكرم الكاهن ،وتؤخذ الفدية المبهرة
لكن هذا لم يهدئ قلب اغاممنون ابن اتريوس
بل طرده بقسوة وأمره بصرامة حاسمة:
لا تدعني أراك ثانية ،أيها العجوز ،قرب سفننا الخاوية
فلا تتلكأ ألان ،ولا تعد مرة أخرى إلى هنا
خشية ان لا يحميك صولجانك ،ولا أوشحة الإله بعد اليوم
لن أعيد الفتاة وسرعان ما ستشيخ
في بيتي في ارغوس بعيدا عن موطنها
وهي تكدح على النول ،وتشاركني فراشي
فلتذهب ألان ،ولا تثير غضبي ،فذلك أكثر أمانا لك
ولما فرغ من كلامه انصاع العجوز مرعوبا
وابتعد بصمت على شاطئ البحر المهمهم
واستغرق العجوز في صلاته ،وهو يمشي وحيدا
للملك أبوللو ،الذي حملته ليتو ذات الشعر الجميل(قال):
اسمعني يا ذا القوس الفضية ،يا من تفرض سلطانك على
خريس وكيلا المقدسة ،يا من تفرض سطوتك القوية على تينيدوس
ان كان قد سرك يا سيمثيوس(اسم قديم لأبوللو) إنني بنيت معبدك
وان كان قد سرك إنني قد أحرقت الأفخاذ السمينة
للعجول والتيوس ،فحقق لي هذه الرغبة التي أتضرع إليك بها

ليدفع الدانانيون ثمن دموعي المنهمرة بفعل سهامك
هذا ما قاله في صلاته ،وقد سمعه فويبوس أبوللو
فنزل عبر قمم الاولمب ،والغضب
يترع قلبه ،وهو يحمل قوسه وكنانته المغطاة على كتفيه
والسهام تصلصل فوق كتفي الإله السائر بغضب
جاء كما يهبط الليل ،وركع على مبعدة ،وأطلق سهما
وحين انبض القوس الفضية كان الصوت رهيبا
لحق في البدء بالبغال ،والكلاب الهائمة ،ثم أطلق
سهما شارخا على الرجال أنفسهم وضربهم
وتأججت نيران حرق الموتى(بسبب الطاعون)دون توقف
تسعة أيام والجيش عرضة لسهام الإله"[١].

بلا شك تكشف رواية الإلياذة مفاهيم مهمة في الفكر الإغريقي ،فاغاممنون هنا لم يكتف باهانة كاهن الإله أبوللو فحسب بل انه تجرأ على اهانة الإلوهية المتمثلة بالإله أبوللو ،فقد أعلن بصراحة ان الكاهن خروسي ان أتاه ثانية فانه حتى الإله لن يتمكن من حمايته من غضبه ،ومع ذلك يمكن ان نتساءل انه كان من الممكن للإله أبوللو ان يكتفي بمعاقبة اغاممنون حسب ،لاسيما وان الاخيين كانوا قد أعلنوا موافقتهم على مسألة الفدية ،فلماذا ينزل الإله غضبه عليهم رغم إنهم بريئين من ذنب اهانة الإلوهية ؟ هنا يكمن المبدأ القائل ان الناس مسئولين عن خطايا ملوكهم كما فهمه الإغريق ،فالاخيين رغم موافقتهم على الفدية إلا إنهم لم يعلنوا اعتراضهم كأقل تقدير على التصرف غير اللائق من اغاممنون عندما قام بعناد باهانة الإلوهية ،لذا فببساطة كانوا يستحقون العقاب كما يخبرنا هوميروس.

[١]) هوميروس ،**الإلياذة** ،ترجمة:ممدوح عدوان ،(أبو ظبي:دار كلمة للطباعة ،٢٠٠٩)،١: ٩-٥٣.



(مقاتلون يشابهون أولئك الذين وصفهم هوميروس)

وتتحدث أسطورة كيف ان أبوللو أحب فتاة تدعى بساماث ابنة كروتويوس ملك ارغوس وأنجب منها لينوس وتقول الأسطورة ان الكلاب التهمت لينوس وحين سمعت بساماث النبأ أصابها الحزن وفضحت أمر علاقتها بأبوللو فقتلها والدها ،وعلى الفور ابتلى أبوللو المدينة بوباء رهيب لم ينته إلا بعد نفي كروتويوس[1] .

يبدو إن خطيئة الملوك لم تكن تجلب الغضب الإلهي وحدها فحسب بل أحيانا نقرأ عن أي خطيئة حتى لإنسان عادي قد تجلب الأوبئة على البشر:"ولكن أولئك الذين يمارسون العنف وأعمال القسوة فان الإله زووس المحيط بكل شيء...قدر عقوبة.وغالبا ما تقاسي مدينة بكاملها نتيجة ارتكاب شخص واحد فيها لذنب أو يقترف أعمالا فاسدة خبيثة.وابن كرونوس(أي الإله زووس) يضع المتاعب على الناس والجوع والطاعون سوية وبذلك يفنى البشر...من جهود زووس

[1]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٦٥-٦٦.

المتواصلة..."[١] .ونحن نقرأ في أسطورة عن هذه الحقيقة إذ تقول إن دبا مروضا(كان الدب حيوانا مقدسا لارتميس) كان يتجول بحرية في إنحاء قرى اتيكا ،وذات يوم مزق فتاة بمخالبها فقتله أخوتها.وفي غمرة من الغضب أرسلت ارتميس وباء قاتل إلى أثينا[٢] .

لم تكن الآلهة الإغريقية مثلها مثل آلهة البابليين تحاسب الإنسان على خطاياه المقصودة فحسب ،بل إنها تنزل عقابها على تلك الخطايا التي قد يرتكبها الإنسان عن غير قصد ،فأوديب(Oedipus) في الأسطورة اليونانية يقتل أباه لايوس ،ويتزوج أمه جوكاستا ،من غير ان يعرف صلته بهما ،ومع ذلك تجتاح مدينة ثيبيس كوارث عدة منها أوبئة فضيعة أهلكت البشر ،سلطتها ربات الانتقام الارينيات ،وعندما استشيرت كاهنة دلفي ،أجابت ان المصائب لن تتوقف حتى يقوم أهل ثيبيس بطرد قاتل لايوس المجهول من المدينة[٣] .



(اوديب والسفينكس)

[١]) الأحمد ،الإله زووس ،ص١٢٨.

[٢]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٧٤.

[٣])ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٧٨ ؛غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص ١٨٠ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص١٩٢.

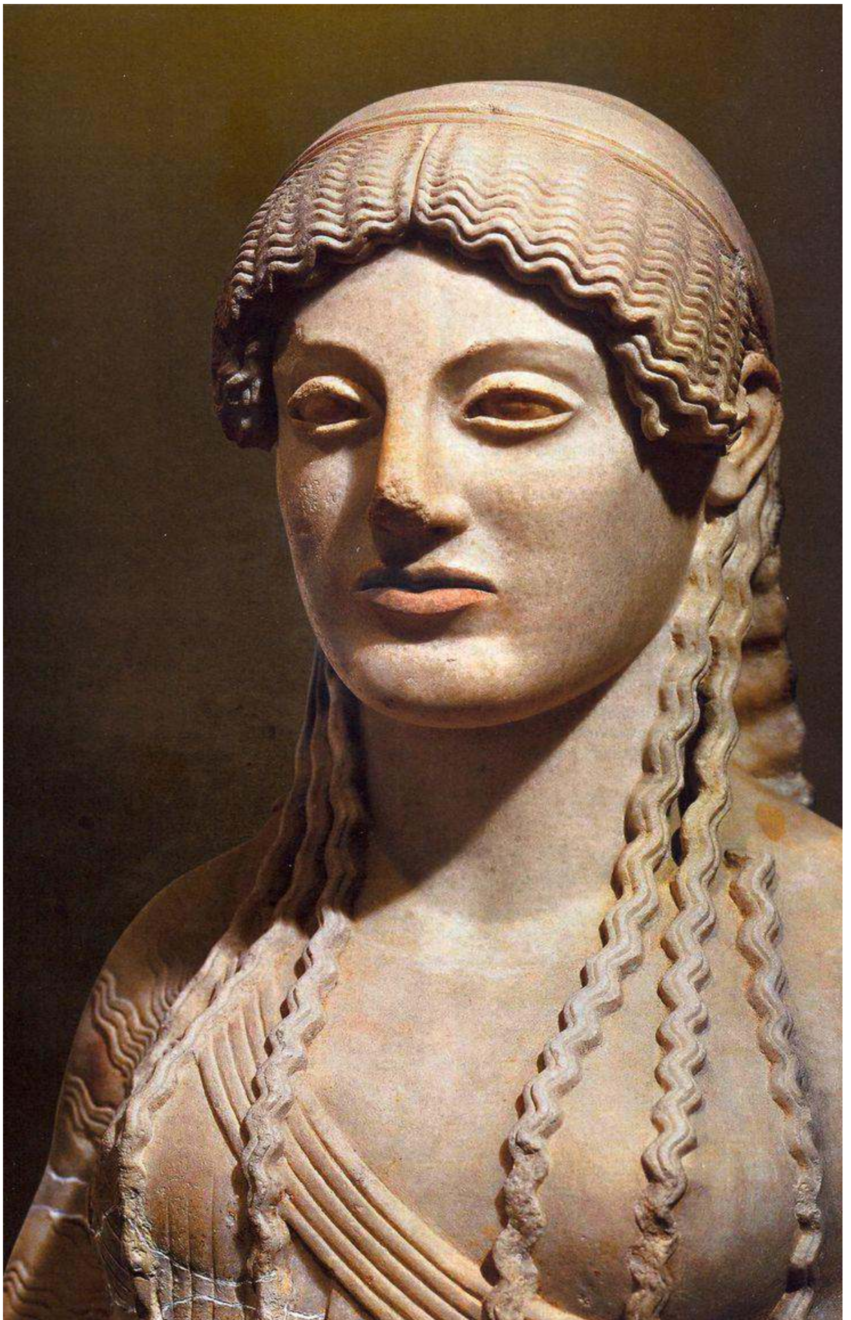
وفي حالات ترسل الآلهة الأمراض للبشر حتى وان لم تكن هناك خطيئة مقترفة ،فعندما أرسل أهل خيوس وفدا إلى معبد دلفي مكون من مائة شاب ،أصيب ثمانية وتسعون بالطاعون ولم ينج منهم سوى اثنين فقط ،وكان ذلك من صنع الآلهة ،على حد تعبير هيرودوت[١] .وتذكر أسطورة ان الربة سيريس(ديميتر) من فرط حزنها على ابنتها بيرسيفوني التي خطفها الإله هاديس ،أنزلت على الفلاحين في صقلية ،عندما كانت هناك تبحث عن ابنتها ، الطاعون[٢] .



(الربة ديميتر)

[١]) هيرودوت ،تاريخ ،ص٤٣٨.

[٢]) اوفيد ،مسخ الكائنات ،ص١٢٥.



(الربة بيرسيفوني)

ونقرأ ان الربة هيرا قد أصابت ابن غريمتها سيميلي الإله ديونيسيوس بالجنون ،لكن المرض لم يطل أمده وبغية الشفاء ذهب ديونيسيوس إلى دودونا لاستشارة الكاهن هناك[١].كما ان هيرا أرسلت إلى البطل الأسطوري هرقل عفريتة الجنون بسبب كراهيتها له لان أمه الكمين غريمتها وعشيقة زووس المدعوة ليسا ،التي أفقدته عقله.وفي إحدى نوبات جنونه لم يتعرف على أولاده وحسبهم أولاد يوريستوس أخيه فذبحهم مع أمهم[٢].وأثناء حصار مينوس ملك كريت لمدينة أثينا صعب عليه اقتحام أسوارها لذا التمس مينوس مساعدة زووس الذي كان حسب الأساطير والده ،فابتلى أثينا بوباء[٣].

في **الهند** نعرف ان الإله رودرا(Rudra)(أي الهائج ،الثائر) كان رب العاصفة والجبل المرعب ،وهو اله الموتى أيضا ،وعد أحيانا شيطانا ،وكان ماهرا في الرماية ،وهو على غرار أبوللو كانت سهامه تحمل المرض ،وكان رب الشفاء أيضا لكونه يتحكم بالنباتات الطبية.وهو حارس القطعان ،وهو في الوقت نفسه من يرميها بالأوبئة ،فهو يمثل قسوة الطبيعة ،غير انه لا يوجد لهذا الإله تشخيص فهو اله غير منظور[٤].

---

[١]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص١٤٢.

[٢]) المصدر نفسه ،ص١٦٢.

[٣]) المصدر نفسه ،ص١٨٧.

[٤]) سامي سعيد الأحمد ،**الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان** ،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٠) ،ص٣٨ ؛أ.س.بوكيت ،**مقارنة الأديان** ،ترجمة:رنا سامي الخش ،(حلب:دار الرضوان ،بلا.ت) ،ص٧٥ ؛جون ب.نوس ،"الديانة الهندوسية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والنشر ،٢٠٠٦) ،ج٤ ،ص١٧ ؛أ.س.ميغوليفسكي ،**أسرار الآلهة والديانات** ،ترجمة:حسان ميخائيل إسحاق ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧) ،ص ١١٠ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٢٢٦.



(صورة تخيلية للإله رودرا)

وكانت الربة سيتالا(Sitala) ربة مرض الجدري ،وذات مرة غضب عليها الإله كيلاسا(Kailasa) وأخرجها من الجنة وبذلك صارت من الأرباب الساقطة المغضوب عليها.أما السبب الذي نقرأه عن إخراجها هو إنها قذفت بقلادتها الذهبية على الإله شيفا(Shiva) وسببت له قروحا دامية[١] .



(الربة سيتالا)

ويرتبط المرض أيضا في الهند بالإله براهما إذ نقرأ في أسطورة ان مريتيو(الموت) قد خرج من جسد براهما في صورة اله على رأسه إكليل من زهور اللوتس ،ويرتدي ثيابا حمراء داكنة ،فاللون الأحمر في الهند هو رمز الموت.وعندما أمره براهما ان يقتل

[١]) الأحمد ،الأصول الأولى ،ص٣٨.

الكائنات الحية لان الناس كانوا خلال العصر الذهبي خالدين لا يموتون فامتلأت الأرض بهم ،اخذ يبكي ويتضرع إليه ليعفيه من هذا العبء المرير ،ولكن براهما كان صارما في موقفه.أما دموع الموت مريتيو فقد جمعها في كفه ،وتحولت إلى أمراض تقتل البشر في الموعد المقرر[1].



(الاله براهما)

[1]) البيديل ،سحر الأساطير ،ص ٢٨٠.

تمثل الخطيئة سواء الأخلاقية أو الدينية من مسببات المرض في الفكر الهندي القديم ،والخطيئة هنا على نوعين إما خطيئة أنية تفضي إلى نتائج فورية كما سنرى ،أو خطيئة من نتاج حياة سابقة.فعلى خلاف أنحاء العالم القديم ،الذي رأى سكانه ان الخطيئة تسبب المرض فور وقوعها ،فان الهنود قد اعتقدوا فضلا عن ذلك بان الإنسان مسئول عن خطاياه السابقة التي ارتكبها في حياته السابقة ،فهناك إيمان قوي بتناسخ الأرواح أو التقمص المعروف في الهند باسم سامسارا(Samsara) ويمكن أن نلخص هذه العقيدة بما يلي:لا تنتقل روح الإنسان الميت إلى حالة من الديمومة في الجنة أو النار أو في أي مكان أخر ،بل تولد ولادة جديدة.وتتوالى إعادة الولادة الواحدة بعد الأخرى في سلسلة لا متناهية.وليس من المحتمل ان تكون الولادات المتتالية على مستوى واحد فقط من الكائنات.فالولادة الثانية قد تحدث لفترة زمنية محددة في أي من حلقات الجنة أو الجحيم أو على الأرض في أي من أشكال الحياة النباتية أو الحيوانية أو الإنسانية لذلك ،قد تكون إعادة الولادة إلى الأعلى والأسمى أو إلى الأدنى من المستوى الحالي أو المستوى السابق من الوجود.أي ان إنسان من مكانة اجتماعية متدنية ألان قد يولد في مرتبة راجا أو برهمي أو كمنبوذ أو حتى كحيوان أو دودة ،أو احد الخضار أو روح في جهنم.وان الذي يقرر طبيعة الولادة الثانية هي أفعال الفرد في حياته وهو ما يعرف بمبدأ الكارما وهو المبدأ الذي يقول بان لأفكار المرء وكلماته وأفعاله أثرا أخلاقيا يحدد مصيره في الوجود المستقبلي[1].

[1]) نوس ،الديانة الهندوسية ،ص٣٧-٣٨.



(السمسارا)

ويبدو ان من نتائج خطايا الإنسان السابقة بحسب مبدأ الكارما هو إصابة الإنسان بمرض في حياته اللاحقة ففي قانون مانو العائد للقرن السادس قبل الميلاد[1] نقرأ إن: "المصابين بداء الجذام ، وداء السل ، جزاء أفعالهم السابقة"[2].ويبدو ان كلا الخطايا الدينية والخلقية تسبب المرض وهو أمر مألوف لدى عدد من الشعوب القديمة كالبابليين والإغريق ،فقد كان الاعتداء على أي من رجال الدين يؤدي بالشخص المعتدي إلى إصابته بالمرض فمن يسرق ذهب البراهمان يصاب بوجع الأظافر ،ومن يقتل البراهمان يصاب بالسل ومن يدنس فراش غورو وهم صنف من الكهنة يصاب بأمراض جلدية[3].ويبدو ان عدد كبيرا من الخطايا الخلقية يعتقد إنها تسبب المرض في الهند القديمة ،فالمرأة التي تنكث عهد زوجها بعد وفاته ،أي تتزوج من بعده فإنها تصاب بالمرض عقابا لها على

---

[1]) حول ترجمة كاملة لقانون مانو انظر:إحسان حقي (ترجمة) ،**مانوسمرتي:كتاب الهندوس المقدس** ،(بيروت:دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ،بلا.ت).

[2]) مانوسمرتي ،٣: ٩٢.

[3]) مانوسمرتي ،١١: ٤٩.

إثمها[1].فالمرأة الخائنة:"تذم بين الناس في هذه الحياة ،وتولد في الحياة الثانية في رحم ابن أوى ،وتقاسي الآم والأسقام عقابا لها على إثمها"[2].ويبدو ان الأعمال السيئة لا تجلب على الإنسان فقط المرض وإنما قصر العمر[3].ونعرف ان الشهادة الكاذبة في قضية ما قد تسبب المرض لصاحبها[4].وان شرب الخمر يسبب اسوداد الأسنان ،ويصاب النمام بنتن الأنف ،وسارق الحبوب يصاب بنقص الأعضاء ،والغشاش أما ان يصاب بزيادة الأعضاء ،أو بانتفاخ البطن.هذا وان سارق الطعام المطبوخ يصاب بسوء الهضم ،وسارق الثياب يصاب بالجذام ،وسارق الخيل يصاب بالعرج ،وسارق المصباح يصاب بالعمى ،ومؤذي المخلوقات يصاب بأمراض عامة[5].ويبدو ان الوباء قد يفسر حدوثه بامتناع الناس عن تنفيذ أحكام الشريعة الهندوسية[6].وأحيانا يفسر بوجود الشودرا(طبقة المنبوذين) والملحدين بكثرة في مدينة ما[7].

وفي **اليابان** نقرأ كيف ان غضب الآلهة يجلب المرض ،وان كان مصدر الغضب الإلهي هنا هو البوذا غوتاما ،فقد حل البوذا محل الآلهة التقليدية في الديانة البوذية وعد كائنا إلهيا.وفي بوذية المهايانا التي انحدرت إلى اليابان كان البوذا يقدس ويعبد بوصفه كائنا إلهيا جاء إلى الأرض بدافع الحنو على البشرية المتألمة.وتتحدث التقاليد اليابانية عن دخول البوذية إلى اليابان عام ٥٢٢م عندما تلقى الإمبراطور الياباني كيمي(Kimmei) من نظيره الكوري صورة للبوذا مطلية بالذهب ،وبعض الكتب المقدسة ،وبعض الأعلام والمضلات ،ورسالة تتعلق بالعقيدة البوذية.وتشير الرواية ان الإمبراطور تباحث في الأمر مع أعضاء مجلسه.وقد كان بعضهم راغبين بالبوذية ولكنهم حذرين مثل الإمبراطور ؛وكان غيرهم معارضين صراحة للدين الجديد ،يملؤهم الاعتقاد الورع بان الكامي آلهة اليابان المحليين ،سوف يغضبون.وتبع القليلون رئيس الوزراء زعيم عشيرة

[1]) مانوسمرتي ،٥: ١٦٤.
[2]) مانوسمرتي ، ٩ :٣١.
[3]) مانوسمرتي ،٤: ١٥٧.
[4]) مانوسمرتي ،٨: ١٠٨.
[5]) مانوسمرتي ،١١: ٤٩-٥٢.
[6]) مانوسمرتي ،٤: ٦٠.
[7]) مانوسمرتي ،٨: ٢٢.

سوغا(Soga) في اقتراحه القيام بخطوات ايجابية ،ولكن الإمبراطور اتخذ جانب الحذر ومرر صورة البوذا الذهبية على رئيس عشيرة السوغا ليختبرها على أسرته ،ويرى هل سيعترض الكامي.وعندما تفشى وباء بين الناس ظُن ان الكامي قد اعترضوا فألقيت الصورة الذهبية في إحدى الاقنية.وبعد وفاة الإمبراطور ،أرسل الملك الكوري سفارة أخرى ضمت إلى جانب الكهنة والكتب المقدسة التي يبلغ عددها المائتين ،راهبة تصنع الصور ،ومهندسا معماريا للمعابد.ومن قبيل المجاملة سمح للسفارة بإشادة معبد لاستعمالها الخاص ،ومرة أخرى أيدت عشيرة سوغا الرأي القائل بان الدين الجديد يجب ان يخضع لاختبار عادل.ولكن تفشى الوباء مرة أخرى.وإذا ما صدقنا الحكاية القديمة فان صورة البوذا قد وجدت مستقرها مرة أخرى في قعر احد الاقنية.ولكن هذه المرة نشأت حيرة ،فقد استمر الوباء فتقدم رئيس عشيرة سوغا بحجة تستثير التفكير هي انه ليس الكامي هم الذين غضبوا وإلا لكان الوباء قد انتهى ، بل صور البوذا التي استاءت من برودة استقبالها[١] .



(بوذا)

[١]) جون ب.نوس ،"الديانة البوذية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٦) ،ج٤ ،ص ١٩٠.

وفي أساطير **أوربا القديمة** هناك تونيتار ،ملكة العالم الأسفل في فنلندا وبناتها ربات المرض والشر والألم[١] .وكانت الربة آنو السوداء لدى السلتيون في أوربا القديمة هي التي تصيب الرجال بالجنون[٢] .وتتحدث الميثولوجيا الاسكندينافية عن وودن ويسمى عند التيوتون الشماليين أودين بأنه عندما كان يتقدم إلى ساحة المعركة فانه ينزل بأعدائه الصمم والعمى ،فضلا عن إصابتهم بالشلل[٣] .

وتتحدث أساطير **القبائل البدائية** عن هذا الاعتقاد ،فالمايدو القاطنين في الجنوب الغربي للولايات المتحدة ألان يعتقدون إن الإله كويوت هو الذي ادخل المرض والشقاء والموت للعالم[٤] .وكان الإله كزيبتوتك ،وهو معبود عند الازتك تنسب إليه إرسال الأمراض إلى البشر مثل الجدري والطاعون والعمى[٥] .وكان بيلان(Pillan/Pilon) ،عند هنود الاروكان في تشيلي ،رب الرعد والإله الأعلى عندهم ،وكانت تحركاته تؤدي إلى البرق والزلازل.وعند بيلان أرواح شريرة تقف على خدمته ،وتحت إمرته فتأتي بالجفاف والأمراض والكوارث الأخرى للبشرية[٦] .وفي ليبيريا في أفريقيا هناك أسطورة تعطي سببا للأمراض والموت ،وهو نتيجة لصراع بين الأرض واله السماء ،فقبل بدء الصراع لم يعرف البشر المرض والموت والشقاء ثم بدأ الصراع وعانى البشر من المرض[٧] .وفي أوغندا كان الإله روكابا هو الخالق لدى شعب أنكور ،وقيل ان عدم رضاه يؤتي بالمرض.وكان الإله روهانغا عند قبائل بانيورو في أوغندا هو حارس الصحة ،ولكنه في نفس الوقت هو الذي اوجد المرض والموت[٨] .وكان سوبانا هو اله الجدري عند قبائل اليوروبان الأفريقية ،وهو يمثل

---

[١]) شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص ٢٦٠.

[٢]) السواح ،لغز عشتار ،ص٢٢٩.

[٣]) ميرسيا الياد ،**صور ورموز** ،ترجمة:حسيب كاسوحة ،(دمشق:منشورات وزارة الثقافة السورية ،١٩٩٨) ،ص١٢٩ ؛إي.تونيلات ،"الآلهة والأساطير التيوتونية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والنشر والترجمة ،٢٠٠٥) ،ج٣ ،ص٢٥٢.

[٤]) آرثر كورتل ،**قاموس أساطير العالم** ،ترجمة:سهى ألطريحي ،(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،١٩٩٣) ،ص١٩٨.

[٥]) المصدر نفسه ،ص٢٠٣.

[٦]) شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص ٢١٠.

[٧]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٢١٢.

[٨]) المصدر نفسه ،ص٢٢٢.

المرض لديهم[1] .ومن آلهة قبائل الفون الأفريقية عند خليج بينان ،ساكباتا وهو بالأصل إلها ارضيا ،بل إلها جهنميا نموذجيا وبما انه كان دائما يعاقب بشدة انتهاك المحرمات بأوبئة الجدري لذا فقد عد إلها للجدري[2] .وتتحدث أسطورة من أفريقيا ان ان المرض قد سلطته الآلهة نتيجة ذنب احد الملوك ،إذ تروي الأسطورة ان كنتو ملك أوغندا الأسطوري ،كان خالدا لأنه كان يزور الإله الأعلى كاتوندا لإعطائه تفسيرا لما يقوم به في الأرض ،وفي إحدى المرات قال كاتوندا لكنتو ألا يزوره وأعطاه كيسا وقال له:لا تدع احد يمسه.ولكن وفي إحدى الأيام سكر كنتو ونسي التعليمات وذهب إلى تل تاركا الكيس فغضب منه كاتوندا وحرمه من الخلود ثم أرسل إلى أوغندا المرض والموت[3] .وتتحدث أسطورة يرويها الايكوا في نيجيريا الجنوبية ان احد فتيان القبيلة قام بسرقة النار من اله السماء اوباسي اوسوا لذا غضب الإله منه فجعله أعرج أو كما تقول الأسطورة على لسان اكبان اوباسي ابن اله السماء الذي ابلغ الفتى رسالة أبيه:"إنني احمل رسالة إليك ،أنت تستطيع ألان ان تمشي ،ولكنك لن تستطيع ذلك منذ اليوم" ،ومن اجل هذا تقول الأسطورة لم يعد يستطيع الأعرج ان يمشي[4] .وهناك أسطورة ثانية ترويها قبيلة كاوند في جنوب افريقية ،تشابه نوعا ما أسطورة باندورا الإغريقية ،تقول بان الإله الأعلى ليزا دعا طائر العسل وأعطاه ثلاث حبات من القرع ،وكان على الطائر ان يأخذها إلى البشر الأوائل ويخبرهم بفتح اثنتين منهما تحتويان على بذور وعلى إلا تفتح الثالثة ،إلا عند مجيء ليزا إلى الأرض لإعطاء التعليمات حول محتوياتها ،لكن الطير لم يقدر على مقاومة حب الاستطلاع وفتح القرع ،وكان اثنتان منهما تحتويان على البذور أما الثالثة فتحمل المرض والموت والحيوانات المفترسة والزواحف[5] .وتعتقد قبائل الكاوندي في أفريقيا بان الحياة والموت بيد الإله ليزا وحده فهو الذي يرسل الأمراض وهو الذي يداويها[6] .

---

[1]) المصدر نفسه ،ص٢٢٣.

[2]) ج.س.فروليش ،"**الديانات الأفريقية**" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:منشورات علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧) ،ج١ ،ص٢٤٩.

[3]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٢٢٥.

[4]) جيمس فريزر ،**أساطير في أصل النار** ،ترجمة:يوسف شلب الشام ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٨) ،ص١٢٤.

[5]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٢٢٥-٢٢٦.

[6]) البيديل ،سحر الأساطير ،ص٢١٢.

٢.الشياطين والعفاريت وأشباح الموتى.

نسب الأقدمون إلى مخلوقات أدنى من الآلهة ، ولكنها أقوى من البشر أسباب الأمراض أحيانا بإرادة الآلهة ،وأحيانا بعدم إرادتها ورضاها ،وهذه الكائنات أو المخلوقات اصطلح على تعريفها أسماء مثل الشياطين والعفاريت والأرواح الشريرة وغيرها من المسميات.

في **بلاد الرافدين**[1] ، كان السكان يعتقدون بان الكون مليء بالعفاريت الطيبة والخبيثة.والأخيرة هي أولاد آلهة الشر الذين دحرهم مردوك ،أما الطيبون فهم أبناء انو واينليل وأيا ،وتميزوا بأجنحتهم ،والخبيثة أكثر عددا من الطيبة ،فهي كما يقول نص:"...كالعشب الذي يغطي وجه الأرض ،برقها يصعق ويحرق كالنار ،تصيب الإنسان بالمرض وهو في فراشه ،وتضيق على جسده ،وتملأ المدن والأرياف نواحا وآهات"[2] ،وان ارتباط هذه القوى بالأمراض هو اعتقاد نقرأ عنه في أقدم وثائقنا المكتوبة[3].وهذه العفاريت ترسل من قبل الآلهة إلى البشر:"لقد خرجوا من عالم الجحيم ،أنهم مرسلو اينليل ،سيد البلدان"[4].

كانت هذه الشياطين كائنات إلهيه أو شبه إلهية(يسبق اسمها دائما إشارة الإلوهية)[5] ،ذات قدرة تفوق طاقة البشر ،فهي أكثر قدرة منه ولكنها اقل مقدرة وعلو من الآلهة ،بيد إنها تشارك الأخيرين في العديد من مميزاتهم المتمثلة في القوة والذكاء وربما الخلود أيضا[6].فالعفاريت كما يتضح من النصوص خالدة لا تموت ولا

---

[1]) درس موضوع قوى الشر المسببة للمتاعب لانسان بلاد الرافدين من قبل الباحث في:اسامة عدنان يحيى ،"العفاريت الشريرة واشباح الموتى ودورها في ديانة بلاد الرافدين" ،**دورية كان التاريخية** ،العدد:٦ ،لسنة ٢٠١٢ ،ص٦٣-٩٧.

[2]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٣ ؛سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية في العراق القديم ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٨) ،ص٦١-٦٢.

[3]) صموئيل نوح كريمر ،**من ألواح سومر** ،ترجمة:طه باقر ،(القاهرة:مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ،١٩٥٧) ،ص١٣٥.

[4]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٥.

[5]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٥.

[6]) بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٢٢.

ولا يمكن تدميرها فعلا ،ولكن يمكن دفنها بعيدا عن طريق الأذى ،كأن يكون إعادتها للعالم الأسفل[1].

تزودنا النصوص المسمارية بتفاصيل جيدة عن هذه القوى الشريرة وصفاتها فهي تسكن في كل مكان تقريبا على الرغم من وجود أماكن تفضلها بوجه خاص مثل: الأماكن المهجورة ، والمظلمة ، والخرائب ، والمدافن ، والصحاري ، وكل مكان يبعث على الرهبة مثل الشيطان اوتوككو الذي يعيش في المقابر والصحاري ،والألو الذي يقطن الخرائب ،وأحيانا تسكن العالم الأسفل ،فنعرف مثلا ان الشيطان أساك(Asag) وهو المسبب للمرض والحمى كان مقره في كور (العالم الأسفل) ،وقد تلعب ظروف خاصة في زيادة نشاط أولئك العفاريت ،مثلا حينما تنتظر المرأة الولادة أو عند ولادتها طفلها توا ،لذا فان التفكير القديم يعزي إلى العفاريت النسبة العالية من حمى النفاس وموت الوليد[2].وتعيش العفاريت بشكل جماعات منهم الاوتوككو الأشرار المعروفين بالسبعة غير متميزي الجنس ،ونقرأ عن كونهم قبيلة[3].إذ نقرأ في نص

"إنها سبعة تسكن الأرض
إنها سبعة خرجت من الأرض
إنها سبعة ولدت على الأرض
إنها سبعة ترعرعت على الأرض
جاءت لتطأ بأقدامها شواطئ المحيط"[4].

وفي نص أخر:

"هي سبعة! ولدت في جبل الغرب
هي سبعة! ترعرعت في جبل الشرق
وتسكن كهوف الأرض

---

[1]) هاري ساكز ،**الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور** ،ترجمة:كاظم سعد الدين ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٠) ،ص٢١٨.

[2]) موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة ،ص٧٦ ؛كريمر ،السومريون ،ص٢٠١ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٧٧ ؛الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٢ ؛ساكز ،الحياة اليومية ،ص٢١٣.

[3]) الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٢.

[4]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٤.

وتظهر فجأة في الأماكن المهجورة من الأرض
سبعتها تركض فوق جبل الغرب
سبعتها ترقص فوق جبل الشرق"[1].

كانت العفاريت بشكل عام عديمة الرحمة وليس لهم أي ارتباطات عائلية على خلاف الالهة والبشر يملئون عالم البشر بل انهم يحاصرونهم مثل الجدران:
"انتم الشياطين العديمو الرحمة(انتم الذين)
لا اب لهم ولا ام ولا اخت
ولا اخ ولا زوجة ولا اولاد لهم
انتم الذين تقلبون السماء والارض
وكل مكان حيث[...]
انتم الذين تسورون البشر كما يفعل سياج من القصب
انتم الذين لا تلينون ولا فرق لديكم بين الطيب والسيء"[2].

ويطلق على هذه الشياطين أسماء تعبر عن وظائفها وعن دورها المخرب ، وعما يسببونه من أذى ودمار. ومن تلك الأسماء الآخذ أو الماسك(aḫḫazu) ،المتربص أو المنتظر(rabasu) ،المخرب أو الداحر(Labassu) ،روح الليل(lilu) ،وأنثاه ليليتو(lilitu).ويطلق عليها أحيانا أسماء ليست لها علاقة بوظائفها مثل الو-كالو-لماشتو-بازوزو-نمتارو...الخ[3].وكانوا يصورونها بهيئة مخلوقات بشعة الخلق والهيئة وسفاكة للدماء[4].ويمكن لهذه الشياطين ان تتشكل في أية صورة ،فيمكن لها ان تستلقي بهيئة أتان في انتظار قدوم الرجل ،أو تطوف المدينة ليلا في شكل ثعلب ،أو تدور في مجموعة ككلاب الصيد ،أو تنساب على الأرض كالأفاعي.ويمكن لها ان تنفذ من أي جسم ،وان تتحرك في كل مكان دون ان يراها احد ،وان الإجراءات الوقائية ذات تأثير ضئيل فيها ،لأنها تستطيع ان تزحف على البيوت خلال شق في باب البيت ،أو تندفع مثل

---

[1]) ساكز ،الحياة اليومية ،ص٢١٥.
[2]) الشواف ،ديوان الاساطير ،ج٤ ،ص٨٤.
[3]) حنون ، عقائد ما بعد الموت ،ص٢١٦ ؛ الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٢ ؛بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٢٢.
[4]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص٢١٦ ؛ الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٢.

تيار هوائي ،وهم يدخلون البيوت والإسطبلات لإحلال الأذى والقتل.وليس هذا فقط بل إنها قادرة على القيام بحركات خاطفة لا يمكن تصديقها ،فهي توصف بأنها يمكن ان تطير بسرعة خاطفة كالشهب.وكانت العفاريت تدل على وجودها بأصوات حيوانية ،تبعث الفزع الشديد في الأماكن الموحشة ،وأصواتهم هذه عادة تكون اشد وطأ من عضاتهم ،وهي تجمع عادة في إشكالها بين البشر ورؤوس الحيوانات ،أو تظهر بأعضاء حيوانات مختلفة[١].ويقدم نصا تصورا جيدا عن هذه العفاريت:"ان كنت الو الشرير لا فم له ،ان كنت الو الشرير لا أعضاء له ،ان كنت الو الشرير لا سمع له ،إن كنت الو الشرير لا هيئة له... ان كنت الو الشرير لا يرى حتى في نور الشمس...ان كنت الو الشرير الالوهة التي تهرب في الليل ،والتي أياديها ملوثة ،وهي تجهل الخوف...ان كنت الو الشرير ينام على الإنسان وينهق مثل الحمار ،ان كنت الو الشرير لا يعرف الذبائح ولا تقدم له قرابين الدقيق...ان كنت الو الشرير مثل خفاش يخرج من شق يطير في الليل ،ان كنت الو الشرير مثل طائر ليلي يطير هناك في الأماكن المظلمة...ان كنت الو الشرير لا يمكن رؤيته مثل الليل ،ان كنت الو الشرير مثل ثعلب في مدينة مهجورة يطوف بصمت في الليل"[٢].وفي نص أخر نقرأ:

"إنهم من دون رحمة مثل شيطان الو إنهم مثل...

ليسوا سوى جسد واحد وليس لهم سوى فم واحد"[٣].

وثمة نص يصف العفاريت بدقة أكثر:

"بين سبعتها واحد هو ريح الجنوب(في هيئة تنين)

الثاني تنين فاغر فاه

الثالث غير مفترس...

الرابع ثعبان عظيم...

والخامس أسد هصور لا يمكن اجتناب وثبته

والسادس...

---

[١]) موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة ،ص٧٦ ؛الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٢ ؛ساكز ،الحياة اليومية ،ص٢١٥-٢١٦.

[٢]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٨.

[٣]) المصدر نفسه ،ص٣٩٦.

والسابع زوبعة دوامة..."[١].

ان هذه العفاريت لم يكن أي هدف في العالم الا التدمير والاذى فهم:

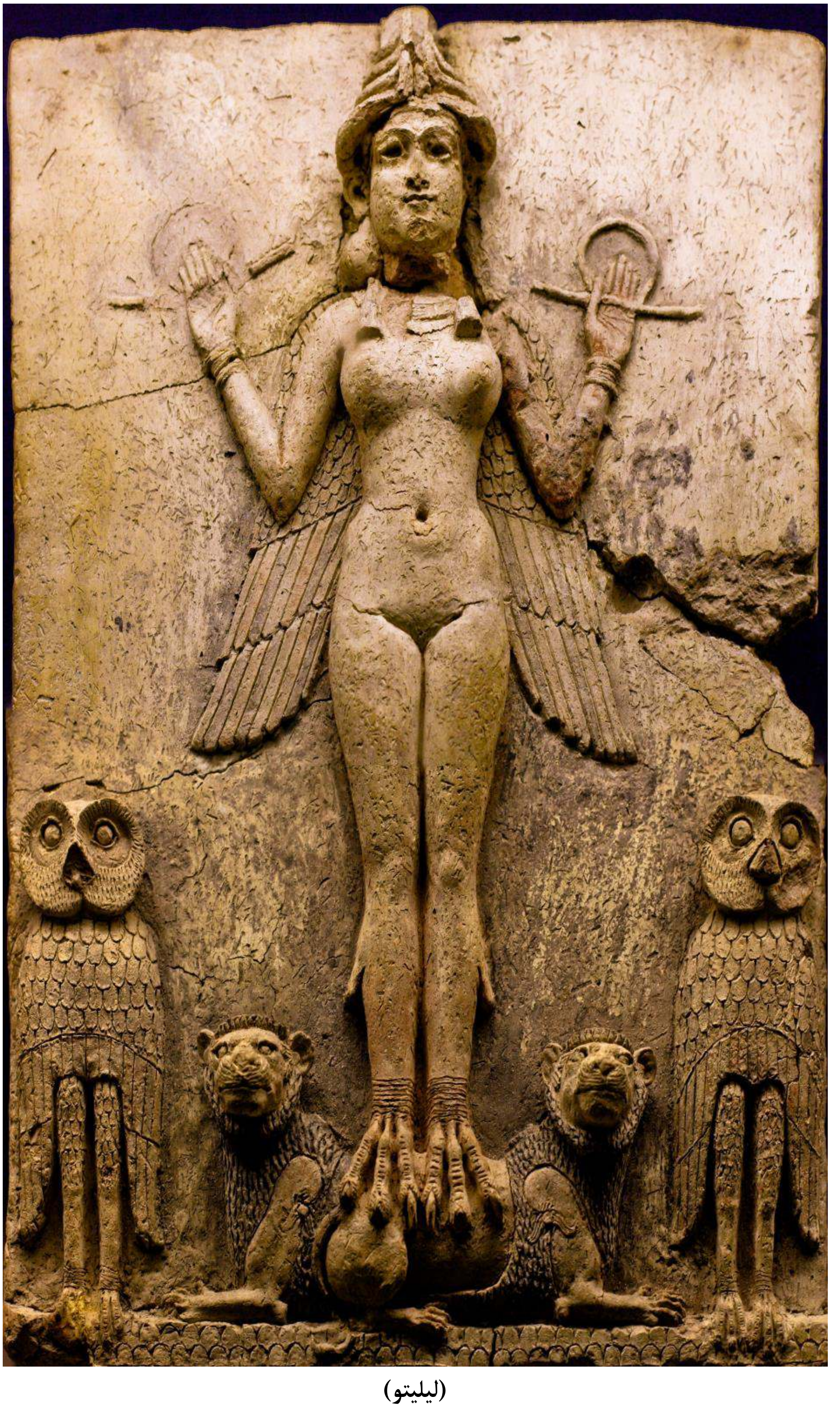
" ... كانوا قادرين عن انتزاع الزوجة من بين ذراع زوجها
وانتزاع الطفل عن ثدي مرضعته"[٢].

تقدم لنا الأدلة الفنية تصورات أخرى عن هذه العفاريت ،فشيطان الحمى ويصور برأس أسد وأسنان حمار وأطراف نمر أرقط ؛وكان يمسك بيديه أفاع هائلة ،وكان كلب اسود وخنزير يداعبان ثدييه[٣].ونمتلك حاليا منحوتة تظهر فيها شيطانة ربما تمثل لبرتو أو لماشتو ،وتصور هذه الشيطانة وهي ممسكة في كل يد ثعبانا وتدلى على صدرها خنزير وكلب يرضعان من ثدييها وقد ثنت ركبتها على ظهر حصان يربض في زورق يسير في المياه[٤].



(بازوزو)

[١]) ساكز ،الحياة اليومية ،ص٢١٥.
[٢]) الشواف ،ديوان الاساطير ،ج٤ ،ص٧٤.
[٣]) موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة ،ص٧٧.
[٤]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص٢١٨.



(ليليتو)

رأينا سابقا ان البابلي كان يعتقد ان الخطيئة تجلب المرض ،فحين يذنب الإنسان يغتاظ منه الإله ويتخلى عنه ،:"هذا الرجل الشرير المرذول اذبحه كما يذبح الحمل ،فقد خرج الإله من جسده ،وتخلت عنه آلهته" ،أو:"فان إلهه قد ترك جسده"[١] ،وإذا ما اختار الإله هذه الطريق الأخير لإظهار غضبه ويخرج من جسد الخاطئ المذنب فانه يصبح من غير مدافع عنه ،في وقت تكون الأرواح الشريرة التي تحوم حوله هي المنتفعة من الخطيئة ،فيصبح فريسة لها ،التي تدخل إليه وتقييم في جسده مع حاشية الشر والشقاء ،بل إنها تسيطر عليه وتمتلكه: "وضع رأسه على رأس المريض ،ويده على يده ،وقدمه على قدمه" ،وانه (أي الشيطان) يجلس معه على نفس المقعد وينام في فراشه ويدخل معه في مخدعه[٢] .وقد كان البابلي يدرك النتيجة المترتبة على الذنب ،وصلاته عادة تعكس حالته النفسية ،:"من لا اله له ويمشي في الشارع يغطيه وجع الرأس كالرداء" ،أو:"من لا آلهة تحميه يُمزق لحمه كما(يمزق) بالخنجر"[٣] .فالإنسان يشعر بوجودها من خلال الشعور بعوارض غير مريحة تظهر على أشدها من خلال المرض ،وهذا هو الدليل على انه وقع تحت سيطرة الروح الشريرة[٤] ،:"لقد استقر عفريت الاساككو الشرير في جسم الرجل ،انه يغطي الرجل كالرداء أثناء تجواله انه يمسك بيديه ورجليه ويشل أطرافه"[٥] .لذا يمكن القول ان هذه الأرواح الشريرة بمثابة أداة الغضب الإلهي الذي يصيب الإنسان المذنب[٦] :"في السماء وعلى الأرض تنقض كصاعقة وتنزل غضبها على الفريسة ،وحين ينزل الإله غضبه تسرع أمامه مطلقة الصرخات" ،ورغم قدرتها على التسبب بالمرض إلا إنها تحت رحمة الآلهة ولا تستطيع ان تفعل شيئًا إلا بإشارة منها ،ويجب عليها ان تحوز على سبب وجيه لأخذ موافقة الآلهة للإيقاع بالإنسان[٧] ،وتوضح النصوص هذه الحقيقة:

---

[١]) روتن ،علوم البابليين ،ص٧٢ ؛بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٤.
[٢]) كونتينو ،الحياة اليومية ،ص٤٣٦ ؛بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٧ ؛بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٢٢.
[٣]) روتن ،علوم البابليين ،ص٧٢ ؛بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٧.
[٤]) موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة ،ص٧٧ ؛بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٨.
[٥]) هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٥٠.
[٦]) يحيى ،المرض ومسبباته في بلاد الرافدين ،ص٢٥٠.
[٧]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٤ ؛بوتيرو ، الديانة عند البابليين ،ص١٢٣.

"هنا يثار غضب الآلهة (بسبب الإثم)
ليت الشياطين تسرع بالمجيء وهي تصرخ"[١].

والأمر لا يتوقف على التمني بان تأتي القوى الشريرة لمعاقبة المذنب بل يخطو الإله خطوة عملية لمعاقبة المذنب:

"لقد وضعنا اساككو في جسدك ليعذبك
وقدرنا لجسدك مصيرا سيئا
وأدخلنا إلى جسدك مرضا
مرضا قاتلا وضعنا في جسدك
وضعنا الخطيئة والألم في جسدك
وضعنا الألم في جسدك
وضعنا في الرجل الشرير وجها شريرا
وفما شريرا ولسانا شريرا
والسحر والرقية والتعويذة
وجميع الآلام التي في جسد المريض"[٢].

تتحدث النصوص عن الكثير من الأمراض التي تسببها هذه القوى الشريرة ،كما في نصوص الإنذار الاكدية:"إذا لم يتوقف صدغاه عن الاختلاج وكان يتقلب في فراشه فان ذلك ضربة الشيطان رابيصو" ،أو:"إذا كان مريضا لمدة أربعة أو خمسة أيام فان الشيطان اخخازو قد استحوذ عليه" ،أو:"إذا لم تنتاب الحمى طفلا ولكن عرقه كان غزيرا فان الشيطان اخخازو قد استحوذ عليه"[٣] ،أو: "إذا كان كان جسد المريض اصفر ،ووجهه اصفر وسطح لسانه اسود فانه اخخازو"[٤].وتتحدث النصوص عن صداع يختلف عن الصداع الذي يصيب الرأس الذي نعرفه ،وهو مرض خطير ربما يكون مرض الملاريا ،وهذا المرض الذي يصيب الرأس يسببه شيطان شر الرأس المعروف باسم تيئو(Ti'u)أو(di'u) ،وهو في السومرية(SAG-GIG) وهناك نص ورد فيه ما يلي:

---

[١]) بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٢٣.
[٢]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٦٣.
[٣]) ألبدري ،الطب ،ص٣١-٣٢.
[٤]) رو ،العراق القديم ،ص٤٩٢.

"تيئو يطوف في الصحراء يحدث عاصفة كالرياح
ويبرق كالبرق ،وينتشر في الأعالي والأسفل
من لا يخاف إلهه يحطمه كما يحطم قصبة
ويحطم خيننو(ḫinnu) عضلاته كقصبة
ومن لا إلهة له تحميه يطعنه في جسده
ويلمع كما تلمع قبة السماء ،وينساب كماء الليل
نحو الرجل الذي يلاقيه على الطريق
ويرديه كما يفعل اومو
ويقتله كما يحطم أضلاعه
ويلقيه في نار لاهبة
هذا هو تيئو الذي طريقه
عاصفة ثقيلة ولا يعرفه احد
ولا احد يعرف روابطه الشخصية"[١].

وفي نص أخر نقرأ عن العفريت الو:"إن كنت الو الشرير...مثل جدار يتمايل وينهار على الإنسان ،إن كنت الو الشرير الذي يربط الفم ويقيد الأذرع والساق...إن كنت الو الشرير الذي يستحوذ على الإنسان في فراشه الليلي ووقت رقاده ،إن كنت الو الشرير ،يسلب النوم ،الذي هو هناك ليأخذ هذا الإنسان...إن كنت الو الشرير ينام على الإنسان...إن كنت الو الشرير يغطي الإنسان مثل قفة ،إن كنت الو الشرير مثل شبكة يلقى على الإنسان على الأرض"[٢].

وأحيانا نجد إن عدة شياطين تهاجم فردا واحدا حيث ينقض كل واحد منها على عضو من أعضاء جسمه ويكون سبب علته[٣] ،فاساككو/اشاككو(asakku/ašakku)يسبب الصداع واوتوككو(utukku)(الذي يطابق أحيانا أرواح الموتى الشريرة)يهاجم البلعوم ،والو(alu) يهاجم الصدر ،واطيممو(وهو يطابق أيضا أرواح الموتى أو

[١]) علي ،ثم جاء الطوفان ،ص٢٤ ؛بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٥.
[٢]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٧-١٥٨.
[٣]) رو ،العراق القديم ،ص٤٨٩.

الأشباح الشريرة)يهاجم الخاصرة ،ورابيصو (rabisu) يسبب أمراض الجلد ولباسسو (Labassu) يسب الصرع ويمكن ان نقرا عن هذه الحالة:

"يقترب اساككو(asakku) من رأس الرجل

ويقترب نمتارو(namtaru)من حلقه

ويقترب اوتوككو(utuku) الشرير من عنقه

ويقترب الو(alu)الشرير من صدره

ويقترب اطيممو(etimmu) الشرير من قوامه

ويقترب غاللو(gallu)الشرير من يده

ويقترب ايلو(ilu)الشرير من قدمه"[١].

وفي نص أخر نقرأ:

"ان الشرير اوتوككو(utukku) والشرير لاما(Lama) سكنا فيه

ديمة(dimme) وديماني(dimani)يقتربان منه ليلا

وحتى نمتار(Namtar)وازاككا(Azagga) يقتربان منه أيضا"[٢].

وفي أخر نقرأ:"اوتوككو الشرير الذي في الصحراء يقتل الإنسان المتمتع بصحة جيدة.الو الشرير الذي يغطي مثل ثوب ،اطيممو الشرير ،كالو الشرير اللذان يقيدان الجسد ،لماشتو ،لاباسو ،اللذان يجعلان الجسد متألما ،ليلو الذي يتجول في كل موضع من الصحراء ،إنهم اقتربوا من الإنسان الذي أصبح لذلك مضطربا.وضعوا في جسمه اساككو المؤلم ،إنهم في جسمه ماميت المسيئة ،وضعوا في جسمه دما فاسدا ،إنهم في جسمه المصير السيئ ،إنهم في جسمه السم الرديء ،إنهم في جسمه اللعنة السيئة ،إنهم في جسمه الشر والخطيئة ،إنهم عليه السم والعقاب ،لقد وضعوا(عليه)الشؤم"[٣] ، وفي أخر يقول الطبيب الساحر:"حينما أدنو من المريض الذي استحوذ عليه نمتار ،الذي انقض عليه اساككو"[٤].وأحيانا يمكن ان نقرأ عن اختصاص كل نوع من العفاريت بعمل فالرابيصو يرهب الناس في

---

[١]) علي ،ثم جاء الطوفان ،ص٢٤ ؛بوبيه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٧ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص٢١٦-٢١٧.

[٢]) بوبيه ،المسؤولية الجزائية ،ص١٩٩.

[٣]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٥.

[٤]) المصدر نفسه ،ص١٥٦.

الليل ،وتهاجم عفاريت الاخخازو ،واللابرتو ،واللاباسسو الأطفال في الغالب ،أما الليلو فهو عفريت نصفه بشر والأخر شيطان وهم في الغالب ذكور دونما إناث لذا فهم يؤذون النساء ،ويقابلهم الاردات ليلي(ليليتو) ،وهن إناث دونما ذكور ويلاحقن الرجال لإشباع رغبتهن منهم والإضرار بهم ،وكان يولد من اتحاد الليليتو بالرجال مخلوقات كالالو والگلو وهي وحوش بدون أوجه تمزق من يقع تحت سلطتها التي كانت تتجمع حول منام الرجل المريض لتحمي أباها بعد الموت[1] .وهناك عفاريت أخرى تسبب المرض مثل العفريتة لماشتو التي يعتقد إنها تعذب المرضى اذ تصيب الرجال بالأمراض ،وتجلب الحمى ،وتهدد النساء عند الولادة وتسرق الأطفال من صدور أمهاتهم[2] ،ونحن نقرأ في النصوص السحرية:"ابنة انو التي تعذب الأطفال" ،أو:"ابنة انو كانت تبحث عن نساء على وشك الولادة"[3] ،أو نقرأ تعابير مثل:"لامست بطن النساء في المخاض" ،أو:"التي تشعل النار" ،والتعبير الأخير يشير إلى الحمى الشديدة التي تحدث في حالات النساء المميتة من جراء حمى النفاس[4] .وهناك النامرتو عفريت الطاعون والأمراض الخبيثة وهو رسول الإله نرگال اله العالم الأسفل[5] .والى جانب تدخل العفاريت المباشر هناك اعتقاد الإصابة بالعين ،وفحوى هذا الاعتقاد ان بعض الأرواح الشريرة تسكن جسم الإنسان ،فإذا نظر بتفرس إلى شخص أخر فان الأرواح تترك جسم الناظر عن طريق العينين لتنتقل إلى جسم الشخص المنظور إليه ،هذه الإصابة لا تتم إلا من شخص له القدرة على توجيه تلك النظر المتفرسة ،ولا فرق ان كانت متعمدة أو من شخص

---

[1]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٨ ؛الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٢-٦٣.

[2]) وليد الجادر ،**الحرف والصناعات اليدوية في العصر الأشوري المتأخر: النساجون والنسيج** ،(بغداد: مطبعة الأديب البغدادية ،١٩٧٢) ،ص ٨٠ ؛ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٧ ؛فاضل عبد الواحد علي ،"العرافة والسحر" ،بحث ضمن موسوعة:**حضارة العراق** ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٤) ،ج١ ،ص١٧٥ ؛عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٧٣٧-٧٣٨ ؛ساكز ،الحياة اليومية ،ص٢١٥.

[3]) ساكز ،قوة أشور ،ص١٩٦-١٩٧.

[4]) المصدر نفسه ،ص١٩٨.

[5]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٧ ؛الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٢.

بريء ،وأقدم رقيم ذكر فيه هذا المعتقد يعود إلى عهد الملك اشوربانيبال(٦٦٩-٦٢٧ قبل الميلاد)[1].

كان يعاون هذه الشياطين والأرواح الشريرة كائنات تعرف بالأشباح وهم أشباح الموتى ويطلق عليهم في اللغة الاكدية اسم اطيممو(eṭemmu) أو اديممو(Edimmu)وهي كلمة تعني على وجه العموم روح الميت أو شبحه كما استعملت في العصرين البابلي القديم والأشوري القديم.ومن المعاني الأخرى للاطيممو ما يشير إلى نوع من الشياطين ولاسيما في حالة عدم دفن جسد الميت والتقريب له ،فتخرج روحه على هيئة شيطان تسبب الأمراض للبشر حيث يرد في احد النصوص:"ان يد الاطيممو(الشبح) الغريب أمسكته في البرية" ،ونقرأ في احد التعاويذ الأشورية ان:"الاطيممو الشرير قد امسك بكتفيه" ،وذلك في معرض ذكرها لعدة أمراض سببتها الشياطين لأجزاء مختلفة من جسد احد الأشخاص[2].ونفهم من النصوص المسمارية ان أرواح الموتى الذين لم تدفن أجسادها بالرغم من إنها تنزل للعالم الأسفل إلا إنها تبقى قلقة فيه وتنتهز كل فرصة لها لتخرج إلى عالم الأحياء بهيئة أشباح تهاجم الأحياء وتلحق الأذى بهم انتقاما منهم لقدرها التعس.فقد كانت أرواح الموتى بحاجة إلى سد احتياجاتها من الطعام والشراب ،وكان انقطاع القرابين والسوائل عن الأرواح يؤدي إلى جعلها أمام أمرين ،فهي أما ان تبقى معتمدة على الطين والماء العكر غارقة في بؤس العالم الأسفل أو إنها تخرج إلى عالم الأحياء غاضبة منزعجة تأكل فضلات الشوارع وتتربص بالأحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها ،وإيفائها حقها ،وذلك بإلحاق الأذى بهم ،أو للانتقام منهم لتسببهم في حرمانهم الراحة في العالم الأسفل بسبب إهمالهم في دفن جسد صاحبها في القبر بعناية ،ووفق الطقوس الخاصة ،وهكذا كان الدافع لعودة هذه الأرواح إلى الأرض هو عدم تمكنها من الحصول على الراحة طالما بقي جسد صاحبها غير مدفون أو غير مقرب له[3].وهناك العديد من التعاويذ الخاصة بطرد الأشباح تشير إلى أشباح الذين بقيت أجسادهم بلا دفن ،ومنها تذكر:"إذا كنت شبحا خرج من الأرض...أو شبح

---

[1]) ألبدري ،الطب ،ص٣٢.

[2]) بوبيه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٧ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٠٨-١٠٩ ؛عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٥٨.

[3]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١١٧ ، ١٢٣.

شخص مات في البرية أو ظل جسده في الصحراء لا يغطيه التراب أو شخص لم يدفن جسده..." ،وأخرى تشير إلى أشباح:"من القي في خندق ...أو من لم يغطِ قبره فتمدد جسده بلا غطاء(مثل) ابن الملك الذي رمي جسده في البرية أو في الخرائب أو وسط السهول"[1].وفي نص أخر:"سواء أ كنت شبح شخص غير مدفون أم كنت شبح الذي لم يلق عناية لائقة أم شبح الميت الذي لم تقدم له القرابين الجنائزية أو الذي لم يسكب له الماء أو كنت شبح الذي لم يذكر اسمه"[2].فضلا عن هذه الحالات فان أشباح الموتى التي تبقى قلقة في العالم الأسفل ويتوقع خروجها إلى عالم الأحياء الأشخاص الذين يموتون بحوادث معينة كأن يكونوا قد سقطوا من على نخلة أو ماتوا في غرق سفينة ،كذلك روح الذي مات موتا مبكرا بسبب الوباء أو الذي قضى نحبه بصورة فجائية ،أو من مات جراء جفاف أو مجاعة أو ضربته صاعقة ،كذلك المرأة التي ماتت وهي عذراء والشاب الذي مات بعمر الزواج ،وهو أعزب والمرأة التي ماتت في المخاض أو في فترة الحضانة لطفلها ،والميت الذي قضى نحبه في مكان غريب[3].وتتحدث النصوص عن الأمراض التي يسببها أشباح الموتى:"إذا أصيب رأسه وجسمه وطرف انفه برضوض وإذا كان يعض شفتيه...فان شبح احد أقاربه الذي كان قد مات ظمأ ،قد استحوذ عليه" ،أو:"إذا أصيب في رقبته وكانت يداه ترتجفان وكانت أحشاؤه معاقة فإنها يد الشبح"[4].ليس فقط الأشباح وأرواح الموتى يمكن ان تبتلي الإنسان في الواقع ،ولكنها يمكن ان تنفذ له عن طريق الحلم ،لاسيما إذا أدركنا ان البابلي كان يرى الحلم على انه حقيقة ويمكن ان نقرأ:"إذا رأى النائم في الحلم ،انه قبله احد الأموات فانه سيموت بسبب البرد" ،وفي نص أخر:"إذا رأى النائم في الحلم انه سكبت الأرواح ماء على يديه ،فان إحدى عينيه ستعمى"[5].

[1]) المصدر نفسه ،ص١٢٣.
[2]) المصدر نفسه ،ص١٢٣-١٢٤.
[3]) المصدر نفسه ،ص١٢٨-١٢٩.
[4]) رينيه لابات ،**التشخيص والإنذار في الطب الأكدي** ،ترجمة:عبد اللطيف ألبدري ،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٧٦) ،ص٢٢ ؛ألبدري ،الطب ،ص ٣٠.
[5]) ألبدري ،الطب ،ص٤٧.

إذا ما انتقلنا إلى خارج ارض الرافدين ،فان الاعتقاد بوجود أرواح شريرة تسبب المرض كان من المعتقدات التي ظهرت في عدد مختلف من الحضارات والثقافات القديمة ،ففي **مصر القديمة** لم تكن الآلهة وحدها هي من تسبب المرض فهناك القوى الشيطانية الشريرة ،فقد كان هناك اعتقاد قوي بان بعض الأمراض تعزى إلى الأرواح الشريرة أو الشياطين التي لها القدرة على دخول الجسم البشري واختراقه إرباكه تبعا لطبيعتهم وتأثيرهم الخبيث ،لكن النصوص لا تقدم لنا معلومات كثيرة حول الموضوع(١) .وقد قسم الأطباء المصريون الجسد إلى ٣٦ قسما ،كل منها يحكمه عفريت معين(٢) .وبلا شك كان السبب الذي دفع المصريين القدماء إلى نسبة الأمراض إلى هذه القوى إنهم خلال تأملاتهم العلمية كانوا قد تمكنوا من معرفة أسباب بعض الأمراض ،ولكنهم وقفوا حيارى أمام أمراض بعينها ،ولم يروا سببا عضويا ظاهريا ،فلم يكن أمامهم إلا إرجاع هذه الأمراض المجهولة المصدر إلى قوى مجهولة أيضا ،أي قوى غير طبيعية ،أو لا تنتمي للعالم الظاهر(٣) ،ويمكن ان نطلق على هذه القوى اسم العفاريت أو الأرواح الشريرة ،ونقرأ في التعاويذ والنصوص المتعلقة بالطقوس السحرية عن هذه الأرواح الشريرة المسببة للمرض ،كما تشهد على ذلك قصة نبامون التي سنتناولها لاحقا ،وتخاطب التعاويذ المتنوعة شياطين الأمراض الذين عدوا المسببين للمرض ،وقد اعتقد المصريون القدماء ان شياطين المرض والأرواح الشريرة هم رسل الربة سخمت ربة الأوبئة والأمراض(٤) .وتتحدث التعاويذ التي وصلتنا عن أسماء هذه العفاريت المسببة للمرض مثل دند ابن الربة حتحور(٥) ،وكان سرخي من عفاريت المرض ،وهناك أيضا بيبي(٦) .وتشير تعويذة إلى دور الشياطين والأموات في نشر المرض إذ نقرأ:"الأمراض التي يحدثها...رجل ميت أو امرأة ميتة"(٧) ،وفي أخرى

(١) بدج ،السحر في مصر القديمة ،ص١٨٣-١٨٤.
(٢) رويز ،روح مصر القديمة ،ص٢٩٢-٢٩٣.
(٣) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٦٢.
(٤) كمال ،الطب المصري ،ص٥٣١.
(٥) المصدر نفسه ،ص ٥٣٠.
(٦) المصدر نفسه ،ص٥٦٥.
(٧) المصدر نفسه ،ص٣٨٥.

نقرأ:"أي واحد قتل بمدية ،وأي واحد توفي في فراشه"[1] ،أو:"مرض عاع المسبب من معبود أو معبودة أو ميت أو ميتة". ،أو:"المرض الآتي من معبود أو جن أو ميت" ،أو:"الإنسان المصاب من جن أو ميت"[2] ،أو:" التأثير الأتي من معبود أو معبودة ،أو روح رجل وامرأة"[3].وكان يعتقد كما قرأنا في بلاد الرافدين إن النساء الحوامل معرضات لتأثير الأرواح والقوى الشريرة[4].

كانت العفاريت في **أسيا الصغرى** من مسببات المرض إذ نقرأ في نص يعود إلى الملك مورسيلس الثاني يعزو سبب مرض زوجته إلى روح شريرة استقرت في جسدها[5].ومن العفاريت المرتبطة بالإمراض نقرأ عن العفريت الاواميس(Alauwaimis) ،وتارباتسيس(Tarpatssis)[6].

اعتقد **العبريون** كغيرهم من المجتمعات القديمة بالعفاريت وقوى الشر المختلفة ،إذ يزودنا العهد القديم بأدلة عن دورها في الأمراض ،في التفسيرات اللاهوتية هي أرواح شريرة يسيطر عليها إبليس تسعى لتجربة الناس بالخطيئة ،ولم يخلقها الشيطان لان الله هو خالق الجميع ،ولكنها ملائكة ساقطة انضمت للشيطان في تمرده على الله.وفي حالتها هذه الفاسدة المنحطة ،تستطيع ان تجعل شخصا ما أبكم أو أصم أو أعمى أو مجنونا[7].فضلا عن ذلك اعتقد العبريون بعفاريت مسئولة عن الأمراض أمثال مرض الطاعون الذي يفتك بالناس وقت الظهيرة[8].ونحن نقرأ كيف يسبب الشيطان المرض للإنسان:"انصرف الشيطان من من حضرة الرب ،وابتلى أيوب بقروح انتشرت في بدنه كله من قمة رأسه إلى أخمص قدميه"[9].وربما اعتقد اليهود الذين عاشوا عند البحر الميت ان الروح الشريرة هي أيضا التي تسبب المرض ،إذ يرد في وثيقة دمشق:"(هذا هو) القانون فيما يختص

---

[1]) المصدر نفسه ،ص٥٣١.
[2]) المصدر نفسه ،ص٥٤١-٥٤٣.
[3]) المصدر نفسه ،ص٥٦٥.
[4]) رويز ،روح مصر القديمة ،ص٣٧.
[5]) ألصالحي ،المملكة الحيثية ،ص٢٩٨.
[6]) المصدر نفسه ،ص ٦٧٠.
[7]) بروس بارتون وآخرون ،**التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**:ترجمة:شركة ماستر ميديا ،(القاهرة:مطبعة شركة ماستر ميديا ،١٩٩٨) ،ص١٩٨١.
[8]) الأحمد ،الأصول الأولى ،ص٥٤.
[9]) أيوب ،٢: ٧.

بجلدة الرأس واللحية(المصابة بمرض)...وعلى الكاهن أن يرى إن الروح قد دخلت الرأس..."[١].وفي **العهد الجديد والأناجيل الابوكريفا** يظهر المرض على انه من فعل فعل الشيطان ففي كثير من الحالات نقرأ عن دور الأرواح النجسة أو الشيطان في أسباب المرض[٢] ،وان مغادرة الشيطان جسد المريض يؤدي إلى استرداد الشخص لصحته ،ونحن نقرأ عن حالة تشير إلى ذلك صراحة:"جاءه(أي يسوع) بعضهم بأخرس يسكنه شيطان فلما طرد الشيطان تكلم الأخرس"[٣].وهذه الشياطين كما هو الحال في وادي الرافدين تسكن الأماكن القاحلة ،وكانت أعدادها كثيرة ،وفي حالات قد يحل أكثر من شيطان في جسد المريض ،ففي حالة نقرأ عن سبع شياطين دخلت جسد الإنسان[٤].وكانت الشياطين لها أسماء تدل عليها ففي رواية ترد في الأناجيل يدعى الشياطين بلجيون وهي كلمة تعني اكبر وحدة في الجيش الروماني ،وهي تتكون من ٣٠٠٠-٦٠٠٠ جندي ،مما يوضح ان الرجل لم يكن يسكنه شيطان واحد بل شياطين كثيرة[٥].

ونعرف ان الشياطين تلعب دورا مهما في نشر الأمراض في **الديانة الزرادشتية** ،وبشكل عام ارتبط المرض في الديانة الزرادشتية بروح الشر انگراماينيو (اهريمان في النصوص المتأخرة) ،فهو الذي قد خلق كل الأمراض الموجهة ضد البشر: "الحمى سارانا(الصداع) ،ساراستي(الحمى الباردة) ،أزانا(؟) ازافاكا(لدغة الحية) ،دوروكا(؟) ،استايريا(؟)...النتانة ، الإصابات التي خلقها انگراماينيو ضد أجساد البشر"[٦].وهو المسئول عن آلاف الأمراض:"نظر الإبليس المتوحش[انگراماينيو] القاتل إلى(الإنسان) ،وأصابني بـ٩٩,٩٩٩ مرضا[٧]".وفي الكتابات المتأخرة (البهلوية) يتحدث البنداهشن عن دور روح الشر اهريمان(انگراماينيو) في نشر الشرور كالبخل والمجاعة والمرض وغيرها:"ألقى اهريمان بالبخل ،العوز ،العذاب ،الجوع ،المرض ،الشبق ،الكسل على الثور

---

١) فيرم ،النصوص الكاملة ،ص٢٥١.
٢) الأحمد ،الأصول الأولى ،ص٧٤.
٣) متى ،٩: ٣٢-٣٣.
٤) متى ،١٢: ٤٣-٤٥ ؛لوقا ،١١: ٢٤-٢٦.
٥) بارتون ،التفسير التطبيقي ،ص١٩٩٦.
٦) فينديداد ، ٢٠: ٣.
٧) فينديداد ،٢٢: ٢.

وغايومارد(الإنسان الأول)"[1]. وهناك نص يقول ان الشياطين المسببين للمرض يعيشون عند الداهما(أبراج الصمت)،وهي أماكن الموتى ،ففي الديانة الزرادشتية يحضر دفن الجثث وذلك لقدسية الأرض فيها ،وتعد الجثة نجسة ،فالذي يدفن الميت يدنس الأرض لذا تعرض الجثث بعد الموت على الداهما ،حيث تعرض لأشعة الشمس ومن ثم تلتهمها الطيور الجارحة والكلاب ،لذا تعد الداهما مواقع مدنسة تتجمع فيها الأبالسة والشياطين حيث ينشرون الأمراض على الداهما[2]. ويشير نص إلى هذه الصورة بقوله:"يتناول الأبالسة الطعام على الداهما ويفرغون قذارتهم عليها يا زرادشت سيبتاما!...لأجل هذا يذهبون للعربدة حتى تصبح تلك الرائحة النتنة متجذرة ،ومنتشرة على الداهما ،تتكون عليها الأمراض:الحكة ،والحمى الساخنة ،الحمى الباردة ،كساح الأطفال ،والشيب قبل أوانه..."[3]. وينسب المرض أيضا في حالات إلى مخلوق يدعى جايني(Jaini) أو الجني:"[تخدع] جايني الناس قليلي الإدراك ممن ينشدون ويبحثون عن التفاهم الأفضل(عبارة غامضة) وتجعل ... الأمراض تتزايد بشكل اكبر بوساطة الثالث[عبارة غامضة]،على أفخاذهم وأياديهم وعلى الضفائر الثلاث لشعرهم"[4]. ويشير الفردوسي من عصر متأخر إلى الجن ودورهم في المرض إذ يتحدث عن الملك كيكاوس احد ملوك إيران الأسطوريين ويقول انه هاجم مدينة مازندران فاستنجد ملكها بملك الجن المدعو سبيذريو الذي لبى طلبه وأصاب الملك الإيراني بالعمى ،وعندما قام بطل إيران الأسطوري رستم بقتل سبيذريو وشق بطنه واخذ كبده إلى كيكاوس الذي ما ان مسح نظره بدمه حتى عاد يبصر[5].

وكان **العرب القدماء** يعتقدون ان سبب المرض هو روح شريرة حلت فيه ،فيداويه بما يطرد هذه الأرواح[6].

---

[1]) بنداهيشن ،الفصل:٣.

[2]) عبد الرحمن ،افستا ،ص٢٥٤.

[3]) فينديداد ،٧: ٥٧-٥٨.

[4]) فينديداد ،٧: ٥٩.

[5]) أبو القاسم الفردوسي ،**الشاهنامة:ملحمة الفرس الكبرى** ،ترجمة ،سمير المالطي ،(بيروت:دار العلم للملايين ،١٩٧٩)،ص٤٧-٤٨.

[6]) مُحَمَّد عبد المعيد خان ،**الأساطير العربية قبل الإسلام** ،(القاهرة:بلا.مط ،١٩٣٧)،ص٣٧.

وفـي **اليابــان** القديمـة سـادت فكـرة وجـود قـوى الشـر المعـروفين باسـم اوني(Oni) ،وهم على أصناف منهم عفاريت جهنم لها أجسام حمراء أو خضراء ذات رؤوس ثيران أو خيول ،ووظيفتها اصطياد الخاطئ وأخذه في عربة من نار إلى اله جهنم ايمو-هوو ،وتعذب هذه العفاريت أبديا من العطش والجوع ،ولها معدة هائلة.وهناك صنف منهم يصور بثلاث عيون وفم كبير وقرون ،ولهم القدرة على الطيران ،وهذه العفاريت هي المسئولة عن الأمراض والأوبئة في الأساطير الشنتوية.وهناك عفريت أخرى مسئولة عن المرض وهي عفاريت كانت نساء تحولن إلى عفاريت نتيجة الغيرة أو الحزن الشديد[١].اعتقد التيوتون في أوربا الغربية بقوى الجن المسببة للمرض ،فهناك جن الينابيع والأنهار الذين كانوا يتخذون عادة هيئة بشرية.ولكن أكثر أنواعهم شهرة هم النيكسيس(Nixies) الذين يعيشون في الماء بهيئة رجال ونساء نصفهم الأسفل على شكل سمكة.وكانت نساؤهم فائقات الجمال يجلسن تحت أشعة الشمس لتمشيط شعورهن الذهبية.وقد يحدث لمن يشاهدهن أو يسمع غناءهن الشجي ان يفقد قواه العقلية.وهناك أرواح أو جن تقطن الحقول والغابات وكانت هيئات هذه الأرواح من ذكور وإناث مستمدة من البيئة التي يعيشون فيها ،فأجسادهم المشعرة تكسوها الطحالب ووجوههم مجعدة كما هو لحاء الأشجار ،وكانوا يعرفون الخصائص السرية للإعشاب ،ويستفيدون منها للحد من انتشار الأمراض.ولكنهم قد يتخذون هيئة الحشرات والعث والديدان فينشرون الأمراض بين الناس[٢].واعتقد السلاف في أوربا الشرقية بوجود أرواح الحمى ، وعفاريت المرض[٣].

---

[١]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص ٩٠-٩١ ؛كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٠٧.

[٢]) تونيلات ،الآلهة والأساطير التيوتونية ،ص٢٨٥.

[٣]) البيديل ،سحر الأساطير ،ص٢٠٤.



(صورة تخيلية للدنيكسيس)

في **الثقافات البدائية** نقرأ عن حالات مشابهة ، فقبيلة اروكان في تشيلي تعتقد ان من أسباب المرض هو استحواذ روح شريرة على المريض(١) .ويعتقد هنود توكانو في أعالي الأمازون بوجود أرواح تجلب المرض ومنهم واحد يدعى فياماهسي ومعنى اسمه سيد الحيوانات ،وينظر إليه كأهم روح في الغابة وهو قزم جسمه ملون باللون الأحمر وهو يتربص بالنساء الحوامل والحديثات الولادة إذ يرسل لهن الأمراض لأنهن لم يحملن منه(٢) .ومن المألوف عند الهنود الطومسونيين الذين يسكنون كولومبيا البريطانية في كندا ان يطلي الرجال الذين يقتلون أعداءهم في الحرب باللون الأسود كإجراء تطهيري ،فإذا أهملوا هذا الجزء ،أصابتهم أرواح القتلى بالعمى(٣) .ويفسر المرض عند أقوام سيبيريا واسيا الوسطى بان شيطانا قد دخل جسد المريض(٤) .وكان النانـاي والاولتشي السيبيريون قد قسموا الأرواح إلى أرواح عادية ودعوها سيفين وأرواح شريرة ودعوها أمبان.وإذا كان التفاهم لا يزال ممكنا

---

[١]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٣٥.

[٢]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٩٧.

[٣]) جيمس فريزر ،**الفولكلور في العهد القديم** ،ترجمة:نبيلة إبراهيم ،مراجعة:حسن ظاظا ،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٢) ،ص٨٦.

[٤]) لينا سيكالا ،"الشامانية السيبيرية والأسيوية الوسطى" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧) ،ج١ ،ص١٦٨.

مع الأولى ،فان هذه الأخيرة ترفض رفضا قاطعا ان تنزل عند إرادة الإنسان.وقد يكون بعض السيفين أرواحا تساعد الشامان على تأدية أعماله ،أما الباقي منها فقد يأتي إلى أي إنسان ويرغمه على الاهتمام به.ويحدث هذا كما يرى النانااي والاولتشي بان تمس الأرواح الناس فيقع هؤلاء صرعى الأمراض ،ولم تلجأ الأرواح إلى مثل هذا السلوك إلا لكي ترغم الإنسان على إطعامها.ويمكن ان تأخذ شكل بشر أو صور الحيوانات[١].وتعتقد القبائل التي تعيش في جزر الاندمان في خليج البنغال ان الأرواح التي تعيش في الغابات والبحار هي التي تسبب المرض للإنسان[٢].ويشخص التشينيون الذين يعيشون في المنطقة الواقعة على حدود أسام وبورما وباء الكوليرا بوصفه روحا خطرة ،إلى درجة انه إذا قامت جماعة منهم بزيارة منطقة رانجون وقت انتشار الوباء فإنهم يحملون سيوفهم مشهرة أينما ساروا ليدرؤوا عنهم الشيطان ،كما كانوا يقضون وقتهم مختبئين بين الأحراش حتى لا يعثر عليهم هذا الشيطان[٣].ويُرجع البوشمن في منطقة صحراء كلهاري في بوتسوانا في أفريقيا سبب المرض إلى نوع من الأرواح الشريرة الصفراء الدقيقة الجسم[٤].وفي بوسوجو في أفريقيا الوسطى شمال بحيرة فكتوريا نيانزا ،يعتقد الأهالي ان كل حجر كبير أو قطعة من الصخر يسكنها روح يمارس نشاطه في القرية أما خيرا أو شرا.فكثير من الأمراض وبصفة خاصة الأوبئة ،تعزى إلى الشر الذي تضمره أرواح الصخور.فإذا انتشر مرض أو وباء ،فان الروح يمتلك شخصا من هذا المكان رجلا كان أو امرأة.عند ذاك يتسلق هذا الشخص الصخرة وهو واقع تحت تأثيرها ويصيح بالناس ،فيجتمع الزعيم والأطباء السحرة بالناس ،ويقدمون نعجة أو دجاجة أضحية للروح ،ثم يتلو عليهم الشخص الطريقة التي يتمكنوا بها من إيقاف المرض.فإذا أفصح الروح عن رغبته للناس على هذا النحو ،فانه يترك الشخص ويسكن الصخرة مرة أخرى.عند ذاك يعود الوسيط إلى بيته ليمارس عمله العادي ويكف الروح عن استخدامه وسيطا مرة أخرى[٥].وتعتقد قبائل الحوصة بالجن ويسمونهم بوري(Bori) وتنسب

---

[١]) البيديل ،سحر الأساطير ،ص٢٠٢.

[٢]) الخطيب ،الاثنولوجيا ،ص٩٢.

[٣]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٢٤٦.

[٤]) الخطيب ،الاثنولوجيا ،ص١٢٢.

[٥]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٣٣٩.

إليهم عادة إنهم يجعلون النساء عاقرات وينشرون الأمراض.وثمة أنواع متعددة من البوري الذي يعبده الحوصة وكان أكبرهم يدعى بابامازا الذي يعد في بعض الحالات أبا لبني البشر ،ويمكن لهم ان يطلبوا منه كل شيء.فإذا ما أمكن استرضاءه بمهارة كان خيرا ،أما إذا غضب فانه يعاقب بفلج كليتي ضحيته أو بإرسال المرض إليهما.ومن هؤلاء الجن أيضا ما يعرف باسم ماساساو وهو حامي حفاري الآبار ويمكن ان يتحول إلى ثعبان وعضته ليس لها شفاء[1].

---

[1]) فروليش ،الديانات الأفريقية ،ص٢٤٣ ، ٢٤٤-٢٤٥.

٣.السحر.

ليس فقط الآلهة والشياطين هي التي تسبب المرض ولكن هناك السحر الذي ينتج عنه المرض.والسحر هو نظام من الأفعال القائمة على الاعتقاد بالفاعلية الفورية لعدد من التصريفات والطرائق والعناصر التي تستخدم بغية خلق النتائج المطلوبة ،أو هو محاولة من الإنسان لترويض الطبيعة والآخرين تبعا لمشيئته وإرادته أو محاولة السيطرة على القوى المحيطة به بواسطة ممارسات معينة[١].وأنواع السحر مختلفة منها ما يعرف بالسحر التعاطفي ،وهناك نوع أخر من السحر هو السحر الاتصالي ،وأحيانا هناك ما يمكن تسميته بسحر الكلمة وإحدى أشكال هذا النوع من السحر هي اللعنة.

في **وادي الرافدين** لعب السحر دورا في ظهور الأمراض ،وقد عد هذا النوع من السحر ممنوعا بموجب القوانين ،إذ نقرأ منذ زمن حاكم سلالة لكش الثانية گوديا ان هناك أوامر ضد السحرة الذين يمارسون السحر الأسود ،وفرضت القوانين الأشورية الوسيطة وقبلها شريعة حمورابي عقوبة الموت على ممارسة السحر الضار ،(الأسود).وقد عزي إلى السحرة الذين اغلبهم من النساء ،بدليل كون معظم التعاويذ موجهة ضدهن ،بجلب الكثير من الأمراض والشرور.وكان السحرة الذين يسببون الأمراض والماسي ،بنظر العراقيين القدماء ،كانوا بصورة عامة أجانب ،لان السحر الرسمي كانت تشرف عليه الدولة وهو ديني غايته الخير[٢].

وتشير الأدلة إلى السحرة المشتغلين بالسحر الأسود وقدرتهم على تسليط المرض على الأحياء:

"عملت الساحرة سحرها الشرير
جعلتني أكل روحها غير الطيبة
جعلتني اشرب شرابها لتأخذ روحي
غسلتني بماء غسل قذر لان وجودي هو وجود رجل ميت
مسحتني بزيتها الرديء لتدميري

---

[١]) رياض عبد الرحمن الدوري ،وعلي حسين فرج العامري ،"الساحرات في العراق القديم والتوراة والتلمود" ،**مجلة سومر** ،م:٥٣ ،لسنة:٢٠٠٥/٢٠٠٦ ،ص١٥٧.

[٢]) الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٣-٦٤ ؛انظر كذلك:ساكز ،الحياة اليومية ،ص٢١٦.

جعلتني امرض بمرض سيء هو قبضة اللعنة
عينتني لشبح غريب يتجول وليس له عشيرة"[١].

ونقرأ في نص تشخيصي:"إذا رأى(الاشيبو) مائدة قرابين فان هذا المريض واقع تحت السحر الذي سيؤدي به إلى الموت"[٢]،و: "إذا لم يتوقف سيلان اللعاب من فم الرجل فان هذا الرجل قد تعرض للسحر"[٣].

ونمتلك من وادي الرافدين أدلة عديدة عن سحر اللعنة وأثاره السلبية ،وكان المرض احد هذه الآثار السلبية فحسب ،فهناك نص يتحدث عن الآثار المترتبة عن لعنة ما:"باللعنة والبلوى كان جسده يذوي ،ونفسه يضيق ،وكان اللعاب والزبد يملآن فمه.وحل به العذاب والأنين ،فهو منهك إلى ابعد حد ،وهو متشرد ليلا ونهارا ولا يترك له المرض فرصة للراحة"[٤].ونحن نقرأ عن آثار اللعنة على الإنسان في خاتمة شريعة حمورابي الذي يلقي بلعنة على أي شخص يحاول محو قوانينه أو يحاول أن يمحو اسم حمورابي ويضع اسمه محله لذا نجده يقول:

"عسى الإلهة نين-كراك ،ابنة انو ،شفيعتي في معبد ايكور
أن تبتلي أطرافه بمرض عضال
ووباء خبيث وجرح ممض لا يشفى ولا يعرف داءه طبيب
ولا تعيد له الحياة المراهم والكمادات
كما لو كانت عضة مميتة لا يمكن استئصال دائها"[٥].

ونقرأ في حجر كودورو(Kudurru)اللعنات المسببة للمرض لكل من يتلف الحجر أو يصدر أمرا بإتلافه فلتنزل عليه لعنة الآلهة العظام و:"لتغطه بالبرص آلهة السماء والأرض"[٦].ويرد في خاتمة حجر كودوررو من عهد مردوك-إبلا-أديننا الثاني(٧٢١-٧١١ قبل الميلاد) ان كل من يعتدي على الأرض الممنوحة في هذا

---

[١]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٥٤-٣٥٥.
[٢]) ألبدري ،الطب ،ص٣٨.
[٣]) المصدر نفسه ،ص١١٢.
[٤]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٨٥.
[٥]) فوزي رشيد ،**الشرائع العراقية القديمة** ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٧٩) ،ص١٧٤.
[٦]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٩٥.

الكـودوررو فـان الآلهة:"عسـاهم ان يلعنـوه باللعنـة التـي لا يمكـن ان تـزول وان يحطموا حجر حدوده ،وان يحلوا بذريته الشر والمرض"[1] .

وهناك نص يتحدث عن كافة الأعمال السحرية المحتملة التي قد تسبب المرض التي لا تقتصر على العمل السحري بل تتجاوزه إلى كل القوى السحرية المؤذيـة :"أيهـا الرجـل الشـرير ،العين الشـريرة ،الكلمة الرديئة ،اللسـان السيئ ،السـحر ،الحيلة السـحرية ،الفتن ،الحيل المؤذيـة التـي توجـد فـي جسـم المريض والتي تجعله يئن مثل جرة ،أيتها الحيل المؤذية التي تقيد الفم ، الحيل الرديئة ، التي تمنع اللسان"[2].

---

[1]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٥٣.

[2]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٥.



(كودورو)



(كودورو)

يظهر في **مصر القديمة** المرض وهو مرتبطا بالسحر ،وتؤكد النصوص هذه الحالة وتشير إلى اثر السحر في الإنسان ،وكيف بإمكان ساحر ان يسلط المرض عليه:"إذا فحصت شخصا مصابا بمرض ،في فم معدته وبضمور في جسمه ،وبوقعه تحت تأثير السحر"[١] .ونقرأ في الاعتراف السلبي الذي يدلي به المتوفى أمام قضاة العالم الأسفل قوله:"لم أتسبب بمرض احد من الناس"[٢] .بلا شك كان يقصد به استخدام السحر في إيقاع المرض بشخص ما.

ونقرأ في النصوص إلى حالة إصابة بالمرض ولكن عن طريق القوة السحرية غير المقصودة والموجهة من السحرة ،ففي بردية أبريس نقرأ عن:"الأمراض الارتشاحية التي تصيب العين اليسرى وتنبع من السرة ،فان ذلك نتيجة النفس الناجم عن نشاط الكاهن.ان القلب هو الذي يجعل هذه تدخل الأوعية ،وهناك تغلي وتغلي في كل لحمه(عضلاته) ،فيصاب القلب بحالة (نزح زح) بسبب ذلك لأنه يصبح في حالة غليان ويحصل إغماء"[٣] .وفي حالة مرضية ثانية نقرأ:"أما بخصوص زوال العقل وفقدان الذاكرة ،فان ذلك من(جراء) من النفس الأتي من نشاط الكاهن الذي يتلو النصوص.فهذا النفس يدخل الرئتين عدة مرات فيربك العقل بسبب ذلك"[٤] .من هذه النصوص يظهر ان التأثيرات السحرية على الإنسان يمكن ان تتم من غير قصد ،فأي نشاط خارق للطبيعة يولد عنه أثرا سحريا يمكن ان يؤثر على الفرد ،فالمرض هنا لم يكن نتاج مباشر لنشاط سحري نفذه ساحر شرير يتعاطى السحر الأسود ولا من جراء لعنة ما ،بل نتيجة منطقية لنشاط كاهن يعمل على ترتيل النصوص الدينية التي تتسم بقوتها السحرية.

وفي **أسيا الصغرى** ونقرأ كيف ان زوجة مورسيلس الثاني قد توفيت ،الذي ألقى مسؤولية موتها على زوجة أبيه متهما إياها باستعمال السحر الأسود[٥] .

في **العهد القديم** نقرأ عن اثر السحر في صحة الإنسان ،ففي نص يشير إلى ان موسى نفذ طقسا سحريا جلب به المرض على المصريين:"اخذ موسى وهارون

---

[١]) كمال ،الطب المصري ،ص٣٩٩.

[٢]) السواح ،الأسطورة والمعنى ،ص٢٢٩ ؛السواح ،الرحمن والشيطان ،ص٧٣.

[٣]) كمال ،الطب المصري ،ص٨١.

[٤]) المصدر نفسه ،ص٨٣.

[٥]) ألصالحي ،المملكة الحيثية ،ص٢٩٨.

من رماد الأتون ووقفا أمام فرعون ،وذراه موسى إلى السماء فصار قروحا وبثورا في الناس والبهائم.ولم يقدر السحرة ان يقفوا أمام موسى بسبب القروح التي كانت في السحرة وفي جميع المصريين"[1] .وتشير المادة المتوفرة في **المصادر المسيحية** ان للسحر دورا فاعلا في أسباب المرض وتشير رواية ان السيد المسيح بكلمة منه تمكن من ان يصيب أناس بالعمى:"دعا يوسف الطفل(يسوع) إليه على انفراد ،وعاتبه قائلا:لماذا تفعل مثل هذه الأشياء ؟(وكان يسوع قد دعا مرة على طفل بالموت فمات فورا) ،ان هؤلاء الناس يتألمون ،ويكرهوننا ،ويقمعوننا ،غير ان يسوع أجابه:أنا اعرف ان هذه الكلمات ليست كلامك ،ومع ذلك إنني من أجلك سوف أكون صامتا ،ولكن هؤلاء الناس سوف يتحملون عقوبتهم ،وعلى الفور أصبح الذين اتهموه عميانا"[2] .وتتحدث النصوص المسيحية عن قوة السحر في المرض ،ففي حالات كان يكفي ان يقوم الساحر بلمس عضو شخص ما حتى يصاب بآلام ،وهناك رواية تقول ان السيد المسيح امسك احد تلاميذه من لحيته الأمر الذي سبب له آلاما شديدة:"امسك بلحيتي وشدها ،وقال لي:لا تكن يا يوحنا غير مؤمن ،ولا تكن فضوليا ،فقلت له:ما الذي صنعته أنا يا مولاي ؟ إنني أخبركم يا إخواني ،إنني عانيت من الم عظيم لمدة ثلاثين يوما ،في المكان الذي امسك فيه بلحيتي"[3] .

[1]) خروج ،٩: ٨-١١.
[2]) إنجيل الطفولة لتوما ،٥: ١-٢.
[3]) أعمال الرسول يوحنا:٩.



(صورة تخيلية للطفل يسوع)

في **التلمود** نقرأ عن السحر وسببه في الأمراض ،فالرجل المتزوج من أكثر من واحدة قد يؤدي ان تقوم:"الزوجة القديمة الأكبر سنا تعمل السحر لمنع الزوجة الشابة من إنجاب الأولاد"(١) .

لعب السحر والسحرة دورا مهما في حياة **الإغريق** الاجتماعية ،وفي اقل تقدير نحن نمتلك وصفا جيدا لطقس مورس من اجل إنزال الجنون بشخص ،رغم ان الطقس جاء جزء من أسطورة تقول ان الربة هيرا أرادت الانتقام من اينو خالة الإله ديونيسيوس ،ابن غريمتها إحدى عشيقات زوجها زووس ،فالتجأت إلى إحدى ربات الانتقام وهي تسيفوني لتصيبها هي وزوجها اثاماس بالجنون ،ولكن الآلهة هنا لم تقرر إنزال الجنون بهما كما شاهدنا في الأمثلة السابقة عندما تنزل الآلهة غضبها على الفرد فتصيبه بالمرض بقرار منها بل التجأت إلى السحر.وتقول الأسطورة ان تسيفوني القاسية أمسكت بمشعلها المغمور بالدم واتشحت بمعطفها الذي صبغته بالدماء ،وتمنطقت بثعبان حول خاصرتها ،وغادرت مقرها في صحبة ربات الخوف والحزن والرعب والجنون ،ووقفت عند باب اثاماس ،فاهتزت أعمدة المدخل وشحب لون الأبواب المصنوعة من خشب الزان ،وهربت الشمس من مكانها المألوف في السماء.وقد أفزعت هذه الإشارات المشئومة اينو ،وعندما حاولت الأخيرة الهرب هي وزوجها ،اعترضت ربة الغضب ،طريقهما عند المدخل ومدت ذراعيها الملتف حولهما الثعابين ،وهزت برأسها فأرسلت الأفاعي فحيحها وانفلت بعضها عن كتفيها ،وبعضها عن صدرها ،ثم انتزعت من ضفائرها ثعابين أرسلت بهما فسقط احدهما على صدر اينو والأخر على صدر اثاماس ،ونفثا فيهما أنفاسا سامة.وكانت تسيفوني قد أحضرت معها ضمن ما أحضرت سائلا ساما فتاكا أعدته إحدى الساحرات من رغاء الكلب كيربيروس(كلب العالم الأسفل) ،ومن سم الأفعوان اخيدنا ،ومن خليط الجنون المصحوب بالهذيان ،ومن فقد الذاكرة الذي يعمي العقل ،ومن الدموع والجريمة والسعار وشهوة القتل.وقد طحنت الساحرة ذلك كله معا وأضافت عليه دماء حارة ،وطهته في قدر برونزي بعد تقليبه بعصا خضراء من نبات الشكران السام ،وألقت تسيفوني هذا السم الذي يسلب العقل على اثاماس واينو وهما واقفان يرتعدان ،ثم أشعلت مشعلهما ودارت حولهما مرات

---

(١) الدوري ،والعامري ،الساحرات في العراق القديم والتوراة والتلمود ،ص١٦٢.

ومرات حتى إذا أدت المهمة التي عهدت بها إليها هيرا واطمأنت إلى نجاحها عادت إلى مملكة الموتى التي يحكمها هاديس.عندها أصيب اثاماس بالجنون إلى درجة انه طارد زوجته يروم قتلها ،ومن ثم قام بقتل ابنه ليارخوس ،أما اينو فقد أخذت ابنها الأخر الرضيع مليكيرتيه وألقت نفسها معه من قمة تل صخري يشرف على البحر[1].بلا شك إننا هنا أمام طقس سحري ربما كان ينفذ من اجل إصابة شخص ما بالجنون ،ورغم صعوبة فصل الأسطورة هنا عن الطقس ولكن بلا شك كان هذا الطقس يتم عن طريق صنع سائل مكون من رغاء كلب من المفترض انه يرمز إلى كلب العالم الأسفل ،وسم أفعى ،فضلا عن مواد سحرية ربما أعشاب خاصة من المفترض إنها تعمل على إصابة الشخص بالجنون ،ويتم طحن هذه المواد وخلطها مع بعضها ،مع إضافة دم جديد إليها وبما ان النص لا يوضح من ان يقوم الساحر أو الساحرة بجلب الدم فلا يمكننا في هذه الحالة ان نتكهن عن مصدره ،ويتم طهو هذا الخليط في قدر برونزي بعد تقليبه بعصا من نبات الشكران السام ،وإلقاءه على من يرغب الساحر بإصابته بالجنون ،ولما كان من المستحيل ان نتخيل ان ساحرا يستطيع ان يقف أمام الشخص الذي يرغب في إصابته بالجنون ويقوم بإلقاء هذا الخليط عليه ،يمكن الافتراض ببساطة ان هذا الخليط سيتم إلقاءه على دمية تمثل الشخص الذي ينبغي ان يتم ممارسة السحر عليه ،ووفق مبادئ السحر التعاطفي فان الأمر بنظر الساحر لابد ان ينجح.

وفي **الهند القديمة** ارتبط السحر بالمرض وعد الأول احد مسببات الثاني وتشير مادة قانونية إلى هذه الحقيقة:"يعاقب بغرامة مالية قدرها مئتا بن كل من يتلف أرواح الناس بالعزائم ،أو يستولي عليهم بالسحر ،أو يمرضهم أو يعيقهم عن مصالحهم"[2].

في **اليابان القديمة** نقرأ عن اثر السحر في المرض ،وتتحدث أسطورة ان أم احد الآلهة ويدعى الذكر أوراق جبل الخريف المحمرة عاقبت ابنها لأنه نكث بوعد قطعه على نفسه ،لذا تقوم بتنفيذ طقسا سحريا من اجل إصابته بمرض ،فقد أخذت قطعة من الخيزران وذهبت إلى جزيرة وسط نهر ايزوتسي حيث كسرتها من مكان

[1]) اوفيد ،مسخ الكائنات ،ص١٠٤.
[2]) مانوسمرتي ،٩: ٢٩١.

العقد ،وصنعت منها سلة قعرها على شكل منور واسع.وكذلك أخذت من النهر حجرا وخلطته مع ملح كانت قد حفظته بورق الخيزران.ثم قذفت بلعنتها:مثلما ان أوراق الخيزران هذه خضراء ،ومثلما تذبل أوراق الخيزران هذه ،فليكن اخضر ثم ليذبل.ومثل هذا الملح ،ملح المد والجزر ،فليصب بالعرق وليجف.ومثلما يغطس هذا الحجر ويغوص ،فليغرق هو ولينقلب.بعد هذا وضعت كل شيء فوق موقد.فذوى الإله ومرض وبقي جافا لمدة ثمانية أعوام.ونتيجة لذلك اخذ يطلب العفو من أمه ،عندئذ رفعت الأم أشياء اللعنة من على الموقد ،وهكذا عاد جسد ابنها إلى صحته[(١)].

ونقرأ لدى **القبائل البدائية** اعتقادات مماثلة فقد اعتقد سكان جزر التروبرياند(شمال استراليا) ان المرض والصحة والوفاة تنتج عن السحر[(٢)].وفي الملايو تنتشر تعازيم سحرية يمكن من خلالها إصابة الشخص الملقى عليه السحر بالمرض ،إذ يصنع الشخص دمية من شمع العسل من خلية مهجورة بحيث يكون طول الدمية حوالي خطوة العدو.فإذا طعن الدمية في مكان العين أصاب العمى عدوه ،وان طعنها في موضع المعدة أصابه بالغثيان والقيء ،ولو طعنها في الرأس أصابه بالصداع ،ولو طعنها في الصدر مزقت الآلام صدره وهكذا[(٣)].وان الساحر في قبيلة وتجوبالوك(Wotjobaluk) في فيكتوريا قد يحصل على قطعة فراء الابسوم التي يستخدمها احد الأشخاص ويشويها ببطء على النار فيشعر صاحبها بالمرض في داخله أثناء ذلك.فان أمكن إقناع الساحر بان يوقف مفعول سحره فانه يسلم القطعة إلى أصدقاء المريض ويطلب إليهم ان يضعوها في الماء كما لو كانوا يطفئون النار.وبمجرد لان يتم ذلك يشعر المريض بالراحة والهدوء حتى يشفى تماما[(٤)].وان أهالي جنوب شرق استراليا مثلا يعتقدون بأنه بالإمكان إصابة الشخص بالعرج ،إذا غرزت بعض الشظايا الحادة من الكوارتز أو الزجاج أو العظم أو الفحم الحجري في

---

[١]) ماسومي شيباتا (ترجمة) ،**كوجيكي:الكتاب الياباني المقدس** ،ترجمه إلى العربية:مُحَمَّد عضيمة ،(دمشق:دار التكوين ،١٩٩٩) ،ص٢٦٨-٢٦٩.

[٢]) الخطيب ،الاثنولوجيا ،ص١٠١.

[٣]) جيمس فريزر ،**الغصن الذهبي:دراسة في السحر والدين** ،ترجمة:أحمد أبو زيد ،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،١٩٧١) ،ص١١١.

[٤]) المصدر نفسه ،ص١٩٧.

آثـار قدميـه ،وكثيرا مـا تنسـب الآلام الروماتيزميـة عنـدهم إلـى هـذا السـبب[1] .وان الأهالي في جنوب غرب استراليا يعتقدون انه من السهل إلحاق الأذى بأي شخص عـن طريـق دفـن بعـض الشـظايا مـن الكـوارتز أو الزجـاج أو غيـر ذلـك مـن الأجسـام الحادة في الأثر الذي يطبعه جسمه أثناء الاسترخاء فتسري الخاصية السحرية التي تكمن في تلك الأجسام الحادة إلى جسم الضحية وتسبب له آلاما مبرحة[2] .وهناك دلائل على ان المرض بسبب السحر لم يكن في كل الحالات نتيجة تدخل ساحر يمارس السحر الأسود ،وهذا يعود إلى خاصية السحر الاتصالي ،فنحن نعرف مثلا ان القبائل الاسترالية تلجأ أثناء حفلات التكريس التي يمر بها أفراد القبيلة من الذكور إلى خلع سن أو أكثر من أسنان الفرد منهم قبل ان يسمح له بالتمتع بحقوق ومزايا الرجل البالغ المكتمل الرجولة.ويشير هذا الاعتقاد إلى وجود علاقة سحرية بين الصبي وأسنانه بعد خلعها من لثته.لذا نجد ان بعض القبائل التي تعيش حول نهر دالنج في نيوساوث ويلز يضعون السن المنزوعة في لحاء الأشجار القريبة من النهر أو إحدى عيون الماء.فإذا نما اللحاء فوق السن ،أو إذا وقعت السن ذاتها في الماء فـان ذلـك يعنـي ان الأمـور سـوف تسـير علـى مـا يرام.أمـا إذا انكشـف اللحـاء عنهـا وهاجمتها أسراب النمل فان الأهالي يعتقدون ان ذلك الصبي سوف يقاسي الشيء الكثير مـن أمراض الفم.ونعـرف ان قبيلـة المـورينج(Murring) قد عهدت للدكتور هاويت(Howitt) ،ببعض الأسنان التي اقتلعت من عدد من الفتيان أثناء إحدى حفلات التكريس وطلب شيوخ تلك القبيلة في حزم وتأكيد ان يحفظها في مكان امـن ،وألا يضـعها فـي كـيس كـانوا يعرفـون انـه يحـتفظ فيـه بـبعض بلـورات الكوارتز ،وذلك حتى لا ينتقل سحر تلك البلورات إلى الأسنان فيصيب الصبية أنفسهم بالأذى.وبعد مرور ما يقرب من عام على عودة الدكتور هاويت من الاحتفال زاره احد رؤساء القبيلة بعد ان قطع في رحلته ما يقرب من مائتي وخمسين ميلا لكي يسترد منه تلك الأسنان.وذكر له انه أوفد في تلك المهمة لان احد الصبية وقع فريسة المرض فاعتقد الناس ان الأسنان ذاتها قد لحقها الأذى الذي انتقل إلى الفتى نفسه.ومع ان هاويت أكد له إنها محفوظة في أمان في صندوق خاص وإنها بعيدة

---

[1]) المصدر نفسه ،ص١٩٩.

[2]) المصدر نفسه ،ص٢٠٢.

بذلك عن التعرض لتأثير أي جوهر سحري مثل بلورات الكوارتز فقد رفض الرجل ان يعـود إلـى مـوطن القبيلـة إلا بعـد ان اسـتعاد الأسـنان ولفهـا فـي حـرص وعنايـة لكـي يخفيها تماما[1].

[1]) المصدر نفسه ،ص ١٨١-١٨٣.

٤.انتهاك التابو.

تشير الدلائل المتوفرة حاليا إلى ان المرض يعد نتاجا منطقيا لارتكاب فعلا محرما(تابو) ،وليس بالضرورة ان يكون موجها ضد الآلهة ،بل أحيانا يكون موجها ضد المقدس بشكل عام ،ويمكن ان نقرأ عنها في مصادرنا بشكل موثق[(١)] .ويتشكل التابو من عدد من التحريمات المتصلة بالعلاقة فيما بين العالم الدنيوي وعالم المقدسات.ويرتبط في قوة فوق طبيعية ما ،سواء أ كانت هذه القوة من مصدر الهي بالمفهوم الذي نعرفه أم من مصدر سحري.ويأتي ارتباط هذه القوة للائحة التحريمات بتدخلها الفوري وبرد فعل أوتوماتيكي فيطال الجزاء من اعتدى على حدود التابو ،كأن يصيب الشلل العضو الذي استخدمه في الفعل المحرم ،أو يداهمه مرض ما ،أو يعاجله الموت السريع[(٢)] .فالتابو يحمل مفهوم الحظر والتحريم ،وبشكل أكثر دقة تحذير:(لا تمس) وهو يطال الأشياء والأشخاص والأفعال.أي بمعنى أخر هناك أشياء لا يمكن لمسها أو حملها ،أو أفعال لا يمكن إتيانها ،وأشخاص يجب تجنبهم أو البقاء على مسافة منهم ،وأماكن لا يمكن الدخول إليها.هذه المحرمات القائمة على مبدأ التابو موجودة في جميع الأديان وفي كل المجتمعات[(٣)] .

في **الدين البابلي** إن قيام شخص ما بفعل محرم كفيل بجلب المرض عليه ،وهذا الفعل المحرم ليس موجه ضد الآلهة بل قيامه بأعمال معينة في أوقات محددة من السنة لا يجوز القيام بها ،ولعل أكثر أوقات السنة قد تسبب المشاكل إذا تم فيها انتهاك المحرم هي شهري تشريتو ونيسانو ،ففي هذين الشهرين يوجد عدد من المحظورات إذا ما تم تجاوزها فإنها قد تسبب أمراضا عديدة ،ففي اليوم الأول من شهر تشريتو:

"لا يأكل (الرجل) الثوم وإلا لسعته العقرب

لا يأكل البصل ،وإلا أصيب بالإسهال".

وفي الثاني من شهر تشريتو نقرأ:

---

[١]) يحيى ،المرض ومسبباته في بلاد الرافدين ،ص٢٦١-٢٦٢.

[٢]) السواح ،دين الإنسان ،ص٧٣.

[٣]) جون ب.نوس ،"أهم الخصائص المميزة للدين في المجتمعات البدائية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج١ ،ص٣٠.

"لا يأكل لحما مطبوخا وإلا أصيب بالبرص
وإذا أكل لحم ثور أو ماعز أو خنزير
أصيب بمرض ساك-كي-بيد-با(Sag-Ki-bid-ba)
ولا يتوجه نحو الآبار وإلا فقد البصر".
وفي اليوم الثالث من شهر تشريتو نقرأ:"
"لا يأكل سمكا وإلا أصيب بمرض(Tussu)توسسو
ولا يروي بالماء حقل سمسم
وإلا أصيب بمرض اكال
ولا يقترب من امرأة
لان هذه المرأة تنزع عنه قوة الإخصاب"
وفي اليوم الخامس من ذات الشهر:
"لا يأكل رشادا أو شومرا
وإلا حبسه الشيطان سيكو".
وكذلك:
"لا يأكل لحما مطبوخا وإلا ضربه الشيطان رابيصو(rabisu)
ولا يأكل لحم ثور ،وإلا أصابته يد اوتوككو(Utukku)
ولا يأكل لحم ماعز وإلا أصيب بمرض ساك-كي-بيد-با"
وفي اليوم الخامس:
"سوف لن يأكل لحما مطبوخا وإلا ضربه العفريت الرابض
ولا يأكل لحم البقر وإلا وضع العفريت الاوتوككو اليد عليه
ولا ينحني إلى صديقه وإلا ضربه الإله الصغير شولاك".
وفي اليوم السادس:
"لا يعبر حقلا وإلا أصيب بألم في الشرايين"[١].

في **إيران القديمة** ،يعد قتل كلب الماء فعلا محرما ،لأنه يعد حيوانا مقدس عند الزرادشتيين فبسبب هذا الفعل:"ستهجر المكان

[١]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٥٦-٣٥٧ ؛بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص١٣٤-١٣٦.

المسكون ،السعادة ،الخير ،الصحة ،الشفاء..."[1] .وفي الهند كان الشخص الذي يتبول وهو ينظر إلى الأشياء المقدسة كالنار والشمس أو القمر أو الماء ، أو إلى البراهمان ، أو البقرة ، فانه يصاب بالجنون[2] .ويبدو ان أكل اللحم في الهند ارتبط بمحرم شديد ينتج عنه الإصابة بالمرض[3] .

وفي حضارات أخرى نقرأ عن الفعل المحرم ونتائجه السلبية ،ففي **أوروبا القديمة** ،كان اللتوانيون الوثنيون يعبدون الأشجار والأحراش وكانوا يعتقدون بان من يقطع احد الأغصان من الغياض المقدسة ،فانه أما يموت فجأة أو يصاب بالشلل في احد أطرافه[4] .وفي **الثقافات البدائية** نقرأ عن حالات مشابهة ففي جزر التروبرياند يمتنع الأقارب من ناحية الأم عن لمس جثة المتوفى أو حتى الاقتراب منها ،كما انه لا يسمح ان يقوموا بغسل الجثة أو تزيينها أو دفنها .وهم يعتقدون ان مجرد الاقتراب من الجثة أو لمسها يؤدي لا محالة إلى إصابتهم بالعلل الخطيرة وموتهم .هذا وان أبناء المتوفى يقومون باستخراج بعض العظام من الجثة وهم يحتفظون لأنفسهم ببعض العظام ويقومون بتوزيع البعض الأخر على أقاربهم .أما أقارب المتوفى من ناحية الأم ،فان استخدام عظام المتوفى محرم عليهم تماما .وإذا لم يقم هؤلاء الأقارب من جانبهم بمراعاة ذلك ،فإنهم يعتقدون بان بطونهم سوف تنتفخ وربما أدى ذلك إلى موتهم[5] .

---

[1]) فينديداد ،١٣: ٥٢.
[2]) مانوسمرتي ،٤: ٥٢.
[3]) مانوسمرتي ،٥: ٤٨-٥٠.
[4]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص٣٨٨.
[5]) الخطيب ،الاثنولوجيا ،ص١٠٦-١٠٧.

٥.تأثير الكواكب على صحة الإنسان.

تعتقد بعض الحضارات القديمة ان للكواكب اثر في صحة الإنسان ،وتعمل أحيانا إلى أصابته بالمرض.فمن المعروف إن الكهنة في **وادي الرافدين** رصدوا الكواكب وعرفوا ان في السماء نوعين منها ،سيارة وثابتة ،وعدوا من السيارة سبعا وهي:الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل ،كما عدو من الثابتة٦٤ في الجزء الشمالي من القبة السماوية و٢٨ في الجزء الجنوبي منها ،ثم سموا التجمعات الكوكبية ألاثني عشر التي تفصلها بالبروج ،وأطلقوا على أكثرها أسماء الحيوانات وخصصوا كل برج لشهر من الأشهر ،وعرفوا الاقتران على انه وقوع احد الكواكب السيارة على الخط الواصل بين الأرض والقمر واحد البروج ،وقالوا ان للاقتران تأثير على الشخص المولود في تلك الساعة وذلك اليوم ،وبه يتقرر مستقبل حياته وصحته فكان ان وضعوا جداولا للبروج وسموا أجهزة الجسم التي تتعرض للمرض في كل برج من هذه الجداول:

برج الحمل	للرأس
برج الثور	للعنق والكتفين
برج التوأم	للبلعوم
برج السرطان	للصدر وما جاوره من أعضاء
برج الأسد	للقلب وفؤاد المعدة
برج الجدي	للركبتين
برج الدلو	للساقين
برج الحوت	للقدمين
برج الميزان	لمنطقة السرة وجسم المعدة والأمعاء
برج الميزان	للكليتين
برج العقرب	للأعضاء التناسلية
برج القوس	للورك

كما وضعوا جدولا بالأمراض التي تحدث في كل برج:

برج الحمل	أمراض العين والرأس والشلل
برج الثور	أمراض عقلية وأمراض القلب والسكتة
برج التوأم	البلعوم والأمراض العصبية والديدان والاكزما
برج السرطان	أمراض الجهاز التنفسي
برج الأسد	الرئة والقلب والحميات الشديدة
برج العذراء	أمراض عصبية والآم المعدة
برج الميزان	الإرهاق العصبي والآم الجنب العصبية المنشأ
برج العقرب	عرق النسا وضعف الظهر
برج القوس	الروماتيزم
برج الجدي	انطواء واضطراب الأحكام
برج الدلو	دوران دموي ضعيف والآم في العضلات والرأس
برج الحوت	وجع الأقدام والظهر والرأس وسوء الهضم[1]

وتتحدث النصوص التنبؤية عن اثر الكواكب والأجرام السماوية في حدوث الأمراض والأوبئة ،كما نقرأ في سلسلة(enuma Anu Enlil):

-"إذا ارتفعت الزهرة في الليل وظلت كذلك طوال الوقت ،فان وباء سيحل بالبلد".

-"إذا كانت الشمس عند شروقها محاطة بغيوم متفرقة ،فسيحل مرض ديئو(di´u) في البلد".

-"إذا بدت الشمس في شهر نيسان متوهجة وعليها شيء كالرواسب فان وباء سيحل بالبلد".

-"إذا كانت الشمس في صباح احد أيام شهر سيمانو(Simânu) محاطة بهالة فان العفريت لماشتو سيحدث الأمراض في البلد".

-"إذا مرت سحابة عند شروق الشمس أمام قرصها وعلى يمينها ، فان نرگال(اله الطاعون)سيسود".

[1]) ألبدري ،الطب ، ٣٢-٣٣.

-"عند بزوغ القمر في اليوم الأول من الشهر ،فان حدثت ساعتها رياح شرقية فستكثر الأمراض في ذلك الشهر".

-"مثله وكان الكوكب سيبزيانا(sibzianna)متلألئا ،فان الطاعون سيحل بالبلد"[1].

وفي **الهند القديمة** اعتقد المنجمون ان كوكب رافي(الشمس) كوكبا نحسا ،أو شريرا وان الشخص المولود تحت برج هذا الكوكب سيكون قلق البال ومعرضا للأمراض وغيرها من الآلام[2].وتنسب **قبائل تشاكو**(Chaco)،(وهو اسم يطلق على السهل الممتد من سفوح جبال ماتوغروسو إلى سهول الأعشاب في الأرجنتين)،إلى اختفاء نجم الثريا السنوي كسبب للأمراض ،والى عودته ظهور الشفاء[3].

---

[1]) المصدر نفسه ،ص٣٩.

[2]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج٢ ،ص٣٨.

[3]) المصدر نفسه ،ج١ ،ص٢٤٧.

٦.أسباب أخرى للمرض.

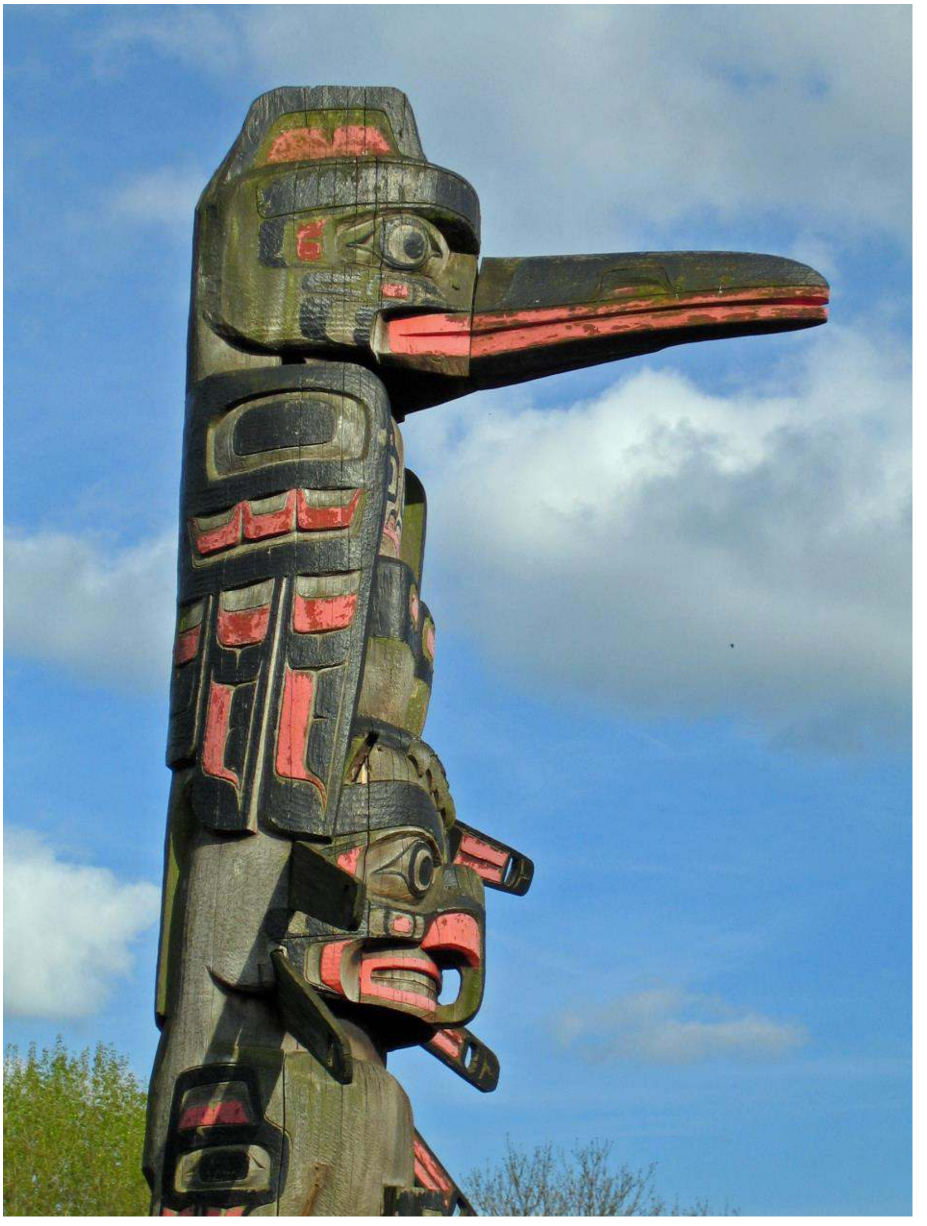
إلى جانب الأسباب الشائعة التي درسناها حول مسببات المرض ،فان أسبابا أخرى نقرأ عنها في مصادرنا ،تعطينا تصورات غنية عن فكر الحضارة القديمة ،**فالاستراليون الأصليون** يعتقدون ان من يأكل طوطمه(إذا كان حيوانا أو نباتا) فان نساء قبيلته يصبحن عواقر وإنهم يصابون بالأمراض أو النكبات[١].وهناك قبائل في استراليا لا يتاح لها استهلاك النبات أو الحيوان الطوطمي دون ضروب من التقييد حتى على الأجانب.فبين قبائل الكايتيش والانماتجيرا فانه إذا حدث ان قام شخص من عشيرة طوطم الايمو في مكان تحتله عشيرة طوطم بذور العشب ،وجمع بعض هذه البذور ،فان عليه قبل أكلها ان يمضي إلى الزعيم ويقول له:"لقد جمعت هذه البذور من أرضكم" ،فيرد الزعيم على ذلك:"حسن يمكنك ان تأكلها".أما إذا أكل رجل الايمو البذور قبل طلب الإذن ،فيعتقد انه سيقع مريضا ويخاطر بالموت[٢].



(طوطم)

[١]) شلحت ،نحو نظرية جديدة ،ص١١٤.

[٢]) أميل دوركايم ،"الطوطمية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ، ،دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج١ ،ص٩٢.



(طوطم)

ويؤمن **هنود أمريكا** بوجود قوة في الكون تدعى واكان وقد ترجم البعض كلمة واكان بالروح العظيمة.وقد أسيء إلى حد بعيد تعريف ماهيتها الحقيقية.فالواكان ليست بأي حال من الأحوال كائنا مشخصا ،والهنود لا يمثلونها في شكل محدد فهم يقولون:"إنهم لم يروا الواكاندا(الواكان)أبدا ،ولذا فهم لا يستطيعون تشخيصها".وليس من الممكن حتى تحديدها من خلال صفات وخصائص معينة

فما من كلمة تستطيع ان تفسر معنى هذا المصطلح بين قبيلة الداكوتا مثلا فهي عندهم تعانق كل لغز وكل قوة سرية وكل الوهة.وجميع الكائنات التي يجلها الداكوتا(الأرض ،والرياح الأربعة ،والشمس ،والقمر ،والنجوم) ليست سوى تجليات لهذه الحياة الغامضة والقدرة الغامضة التي تدخلها جميعا ،إنها قوة غفل ومنتشرة.فعند قبائل الاوماها الأمريكية إذا ما نزل المرض أو الموت بإنسان قام بانتهاك التحريمات التي كانت تحمي طوطمه ،فذلك لأنه وضع نفسه في مواجهة هذه القوة الغامضة أي الواكان الذي كان يعمل ضده بقوة تتناسب مع الصدمة المتلقاة ،ويعود السبب في ذلك ان الطوطم يجسد الواكان[١].وفي الصين تعزى الأمراض عادة إلى الأسلاف أو أرواح العائلة ،للتعبير عن سخطهم على أولادهم وأحفادهم[٢].وكانت قبيلة الميندي في سيراليون إذا مرض احدهم يقولون ان ذلك لعدم إعطاء الطعام لروح السلف[٣].

هناك مسببات أخرى للمرض تقدمها لنا **الثقافات البدائية** ،إذ يسود الاعتقاد مثلا لدى قبيلة اروكان(Araucan) ،وهي من قبائل الهنود الحمر والتي تسكن وسط تشيلي ان الأمراض هي نتيجة دخول شيء غريب إلى الجسم ،أو الحسد ،أو ان الإنسان قد أضاع روحه[٤].ويعزى سبب المرض في المجتمعات القديمة في سيبيريا واسيا الوسطى إلى مفهوم اغتصاب الروح ،وهو السبب الأوسع انتشارا من غيره بكثير هناك.ويعزى الداء إلى ان الروح قد ضلت بعيدا أو إنها قد سرقت[٥].وهناك من التقاليد ما تنسب المرض إلى الخيانة الزوجية أو وجود كائنات حيوانية سببت المرض ،وهذا التصور نقرأ عنه في إحدى أساطير **هنود أمريكا الجنوبية** ،إذ تقول ان رجلا فقيرا يدعى هوثياكوري(Huathiacuri) ،وكان ابنا لـ سبارياكاكا ،وقد تعلم من أبيه الكثير من العلوم ،وكان في نفس منطقته رجل غني

---

[١]) المصدر نفسه ،ص١٢٣-١٢٦.

[٢]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٢٢.

[٣]) المصدر نفسه ،ص٢٢٨.

[٤]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٣٥ ؛سام د.غيل ،"الشامانية الأمريكية الشمالية ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع ،٢٠٠٧) ،ج١ ،ص١٧٣.

[٥]) ميرسيا الياد ،"الشامانية:نظرة عامة" ، بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع ،٢٠٠٧) ،ج١ ،ص١٥٠.

قوي يدعى تاميتانامكا ،وقد جعل من نفسه حكيما والإله الخالق ،يسكن في دار سقفها من ريش الطيور ،ذي لونين احمر وأصفر ،ويمتلك عددا من اللاما الملونة.وتشير الأسطورة عن إصابة هذا الغني بمرض خبيث ،وبينما كان هوثياكوري متجها في سيره نحو البحر استمع إلى كلام يجري بين ثعلبين وعلم سبب مرض الرجل العظيم ،فقد خانته زوجته ،وان هناك ثعبانين هائلين يحومان فوق مسكنه يأكلان حياته ،بينما يختفي ضفدع ذو رأسين تحت حجر الرحى ،فأجبر هوثياكوري الزوجة الخائنة على الاعتراف ،وقضى على الثعبانين فشفي تاميتانامكا من مرضه[1].وفي تقاليد أخرى يظهر المرض بشكل وحش ،فقبائل الداياك في بورنيو في شرق أسيا ،تعزو سبب مرض الجدري إلى وحش ،إذ تتحدث أسطورة عن شبح جائع كان يزورهم على شكل مرض الجدري.وكان قائد شعب الايبان المدعو رادن قد انتصر على عدو له في بيتونك ،وأقام احتفالا بالمناسبة في بيت الطيور(؟) ودعا كل قادة الحرب في دار الضيافة ،وعند الاحتفال قال له شيوخ القرية إنهم شاهدوا خيال الكركدن المقدس ،وهو مقدس عند اله الطير.وطلبوا منه إخلاء المكان بعد ثلاثة أيام ،ولكن لم يستمع إلى نصيحتهم ،وبقي وبدأ أتباعه يموتون من الجدري ،أما هو فقد بقي ثلاثة أيام بلا نوم ،وفي الليلة الرابعة اختبئ في حصيرة ملفوفة وجاء الشبح يغني عن جمال دم الإنسان ،فقام رادن وقتل الوحش[2].وفي الصين نقرأ عن أمرة تدعى شي-وانغ-مو(Shi-wang-mu) ،وكانت امرأة بأنياب نمرة وذنب فهد ،عاشت في جبل اليشب إلى الغرب من منطقة كون-لون تحكم الأرواح الشريرة وترمي البشرية بالوباء والأمراض[3].

---

[1]) *Lewis Spence, The Myths Of Mexico and Peru,(New York,2014),PP.230-231;*

ألخوري ،معجم الأساطير ،ج٢ ،ص٢٢٤.

[2]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٢٢.

[3]) شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص١٢٥.



(شي-وانغ-مو صورة من القرن الثامن عشر الميلادي)

وعند **هنود الكيتشة** في غواتيمالا ينسب المرض إلى كائنات عرفت باسم أسياد العالم الأسفل(شيبالبا)،وهؤلاء ليسوا بآلهة ولا شياطين وهم على أصناف فقد كان اهالبوه واهالغانا وظيفتهما:"توريم البشر ،وجعلهم ينزون قيحا من أرجلهم ،وصبغ وجوههم باللون الأصفر(ربما المقصود به اليرقان)،وهو ما يدعى تشوغانال".أما تشامياباك تشامياهولوم ،وهما حاجبا شيبالبا وكانت هراوتهما من العظم ووظيفتهما:"تنحيف البشر حتى يتحولوا إلى مجرد عظام وجماجم ويموتون".في حين كان شيك وباتان وظيفتهما:"بعث الموت للبشر على الدروب ،وهذا الموت الذي يدعى موت الفجاءة ،وذلك بجعل الدم يصل إلى أفواههم ليتقيئوا دما.لقد كانت وظيفة كل من هذين السيدين حمل البشر ،والضغط على حناجرهم وصدورهم إلى ان يموتوا في الدروب ،جاعلين[الدم] يصل حناجرهم فيما هم يسيرون"[١].وهناك صورة أخرى عن مسببات الأمراض تنسبها إلى شجرتان نبتتا في

[١]) أدريان ريثينوس(ترجمة)،**بوبول فوه(كتاب المجلس):الكتاب المقدس لقبائل الكيتشي-مايا** ،ترجمة:صالح علماني ،(عمان:دار أزمنة ،١٩٩٩)،ص ٥٠-٥١.

بداية الخلق ،إذ تتحدث أسطورة لسكان جزيرة نياس وهي جزيرة تقع في الجنوب الغربي من سومطرة ،انه عندما توفي أول بشر على الأرض ويدعى سيهاي نبتت شجرتان من فمه ،وأينعتا وأزهرتا ،وهز الريح الزهر فتساقط على الأرض ،ومن هذا الزهر نشأت الأمراض[1] .وكانت الاتفاقات التي تبرم بين القبائل قد تسبب المرض إذا ما نكث بها احد الطرفين الموافقين عليها[2] .

[1]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٣٦.

[2]) المصدر نفسه ،ص٢٣٨.

الفصل الثاني

تصورات خاصة عن المرضى في الحضارات القديمة

تباينت نظرة المجتمعات القديمة إلى المرضى ،ولاسيما ذوي العاهات ،ورغم قلة المادة الأولية المتوفرة عن المسألة بيد ان هناك أضواء يمكن ان تسلط لمعرفة أراء بعض المجتمعات القديمة بالمرضى ،وهذه التصورات يمكن ان نقرأ عنها بشكل خاص عند الزرادشتيين في إيران ،والآريين في الهند ،وطائفة البحر الميت اليهودية ،ولم يتم العثور عليها في الحضارات الأخرى.ولعل ليس من الغريب ان نقرأ عن نظرة خاصة تجاه المرضى في هذه الديانات فقط ،فبالنسبة للزرادشتيين ،فإنهم يختلفون عن كل الحضارات القديمة في محاولة تفسير المرض ،ففي الوقت الذي نقرأ في الكثير من الحضارات الكبرى أسباب مختلفة للمرض وان الآلهة والشياطين يعملان سوية في إنزال المرض وهو في اغلب الأحيان عقاب للبشر على عصيانهم كما نقرأ عند العراقيين القدماء أو العبريين أو الإغريق ،فان الديانة الزرادشتية تنفرد بخصيصة مهمة ان الآلهة لا توقع مرضها إلا بالأشرار المعادين للزرادشتيين ،هذا من جهة ،وان المرض هو نتاج مباشر لقوى الشر ،وبالتالي فان المريض بلا شك هو من أتباع هذه القوى ،لذا نظر إلى المرضى بالعاهات على إنهم مدنسين من أتباع قوى الشر لذا فهم منبوذين ،وربما كان النظر إلى المرضى لاسيما المصابين بالعاهات تمثل تراثا هنديا-أوربيا أصيلا ولذا نقرأ عنه في الهند.أما بالنسبة لجماعة البحر الميت فان ظهور ذات النظرة على المرضى نابع من تأثرهم بالديانة الزرادشتية لا أكثر بدليل عدم وجود ذات النظرة في أي من الكتابات اليهودية السابقة واللاحقة لجماعة البحر الميت ،فضلا عدم ظهورها في الكتابات المسيحية.

ان ارتباط مفهوم المرض بروح الشر جعل **الزرادشتيون** ينظرون إلى ذوي العاهات بأنهم مرتبطين بروح الشر انگرامانيو ،لذا عدوا منبوذين اجتماعيا ،فعندما يأمر اهورامزدا ييما ببناء فار (Var) فانه يمنعه من ان يأخذ معه المخلوقات المريضة المرتبطة بـانگرامانيو:"[لا تجلب إليه(أي فار)][مخلوقات] محدبة من الأمام ومحدبة من الخلف ،المشوهة تلك التي تحمل الشامات المريضة ،المنحرفة ذات الأسنان المسوسة ،الجزماء ،الأجساد المرمية ،ولا التي تحمل عيوب أخرى تخدم سمات انگرامانيو والمطبوعة على الموت"[١].وان الربة

[١]) فينديداد ،٢: ٢٩.

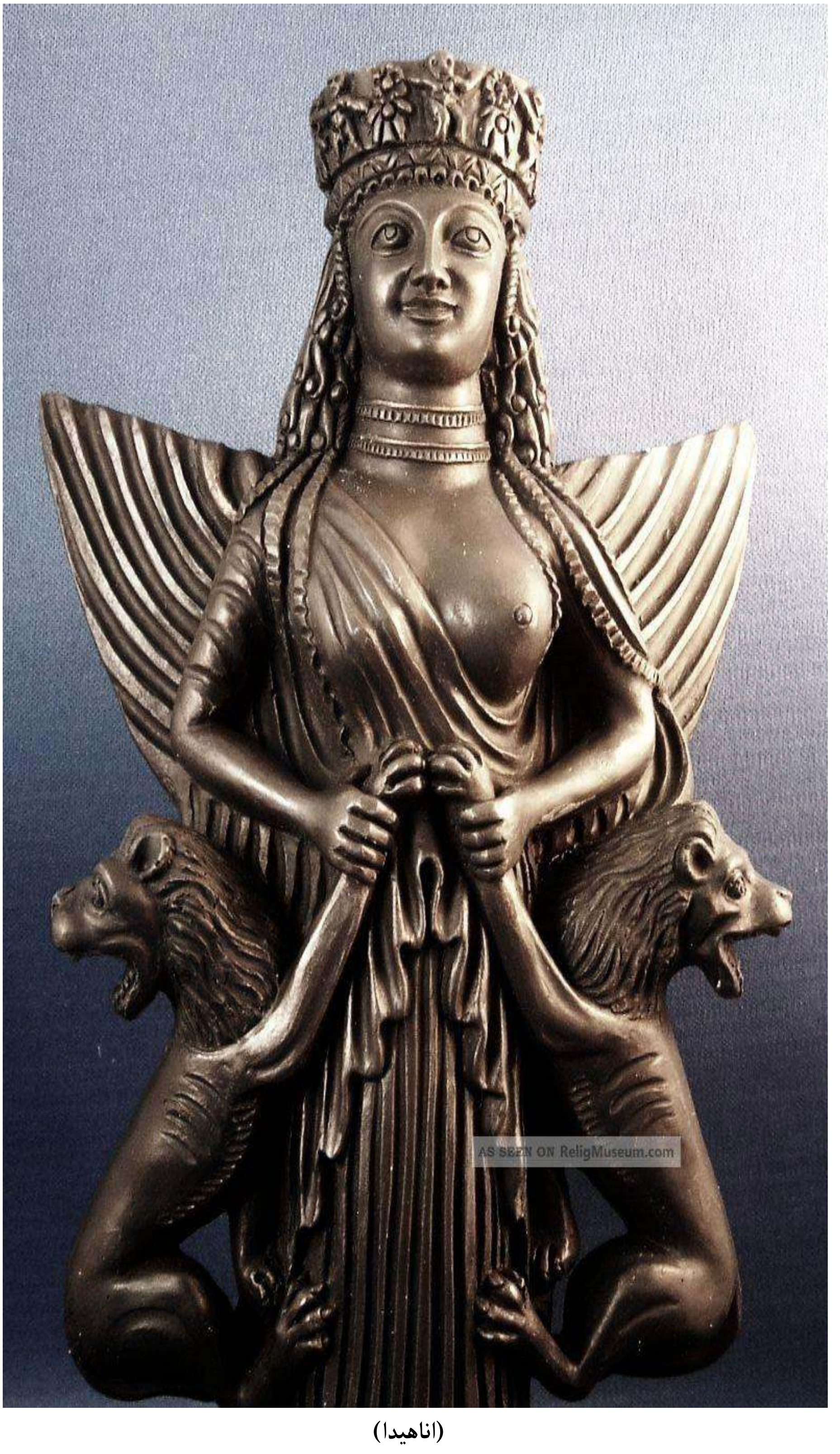
اناهيدا لا تكتفي بنبذهم بل تصر على إنهم يجب إلا يقدموا لها القرابين:"لكن يجب إلا يتمتع بقرباني[...] ،ولا المريض بالحمى ،ولا المرهق بالفتق[...]ولا الأبرص المسلوخ من الجماعة.ولن اقبل القرابين من [يد] العميان ،الطرش ،الأقزام المعتوهين[...] ،أصحاب النوبات(المصروعين)...المجانين.يجب على هؤلاء إلا يقدموا لي القرابين: لا المحدب من الأمام ،لا المحدب من الخلف ،ولا الأقزام الذين لهم أسنان ملتوية!(زرادشت يتساءل):ماذا سيحصل لو قدمه عبدة الأبالسة وخادمو دروج بعد غياب الشمس؟ أجابته أردفيسورا اناهيدا:في الحقيقة يا زرادشت سبيتاما المؤمن بـ أرتا(الصدق)!هم مقرفون ،مغطون بالجرب ،محفورون(ربما مريضون) بالقرحة ،وشنيعون ألف وستمائة مرة..."[١].والربة أشي تتحدث:"لن اقبل القرابين التي يقدمها الرجال المرضى والعقيمون ، النساء العاقرات..."[٢].



(اهريمان)

[١]) ياشت ،٥: ٩٢-٩٥.

[٢]) ياشت ،١٧: ٥٤.



(اناهیدا)

في **الهند** نقرأ عن نظرة مشابهة لما وجدناه في إيران من نظرة للمرض والمرضى ،ففي قانون مانو العائد للقرن السادس قبل الميلاد ،نقرأ ان الرجل عليه ان يمتنع عن الزواج من اسر معينة منها تلك الأسر المصابة بداء البواسير ،أو المصابة بداء السل ،أو المصابة بسوء الهضم ،أو المصابة بداء الصداع ،أو المصابة بالجذام الأبيض ،أو المصابة بالجذام الأسود.وعليه أي الرجل ان يبتعد عن الزواج من المرأة:"زائدة الأعضاء ،والمريضة"[١].وإذا كانت بعض الأمراض معدية وقد لاحظ الهنود القدماء ذلك كما في مرض السل فان بعض الأمراض لم تكن في كل الأحوال معدية ،لذا فان هناك تحريم يرتبط بمفهوم المرض ذاته ليس إلا.ويبدو ان هناك دلائل أكثر تشير إلى موقف الهنود القدماء من المرض فمن الأشخاص الذي لا يقدم إليهم طعام شرداه(Shradeh) وهي إحدى التقدمات الشهرية للأجداد:"من كان مصابا بأمراض جلدية"[٢] ،أو"من كان مصابا بداء السل"[٣] ،أو:"من كان مصابا بداء الصرع ،أو بداء الخنازير(؟) ،أو الجذام"[٤].ونقرأ أيضا عن التقدمات المقدمة للأجداد والآلهة:"ان حضور الأعمى ،على طعام التقدمة ،يخسر صاحب الدعوة ثواب تسعة عشر ضيفا"[٥] ،وحضور المجذوم:"يخسره مئة ضيف"[٦].وهناك نص يحدد بشكل واضح من يجب ان يبتعد عند تقديم تقدمة شرداه:"يجب ان يبتعد عن المكان الذي تقام فيه عبادة شرداه:الأصلع ،والأعور ،وناقص الأعضاء ،وزائدها ،حتى ولو كان خادم الداعي"[٧].وهناك نص يوضح كيف ان على البراهمان وهو أعلى سلطة دينية في الديانة الهندوسية ألا يأكل الطعام المقدم من عدة أشخاص مثل السكران والغضبان أو المريض[٨].وان على الملك في الهند بموجب القانون الهندي الهندي ان يقصي عن حضرته حين يطلب المشورة عدة أصناف من الناس منهم

---

[١]) مانوسمرتي ،٣: ٦-٨.
[٢]) مانوسمرتي ،٣: ١٥١.
[٣]) مانوسمرتي ،٣: ١٥٤.
[٤]) مانوسمرتي ،٣: ١٦١.
[٥]) كان الشخص الذي يقدم التقدمة يستحصل ثواب ضيوفه لأنه دعاهم إلى تقدمة مقدمة للأجداد أو الآلهة.
[٦]) مانوسمرتي ،٣: ١٧٧.
[٧]) مانوسمرتي ،٣: ٢٤٢.
[٨]) مانوسمرتي ،٤: ٢٠٧.

الخرس والعمي ،والصم ،والمرضى ،وناقصي الأعضاء[١] .وبلا شك ان إبعاد هؤلاء وقت طلب المشورة ليس لعدم صلاحيتهم على منحها بل لان وجودهم يمثل أمر محرم يجب على الملك عدم ارتكابه.بل ان القانون الهندي يرى ان على القاضي إلا يأخذ بشهادة الطفل والشيخ والمريض في القضايا ،وعد شهادتهم مثل شهادة المختلين عقليا ،والسبب في ذلك كما يفسره القانون بان هؤلاء عادة:"لا يتكلمون الصدق"[٢] .ويبدو ان بعض المرضى بأمراض معينة لا ينظر إليهم بنظرة سلبية فحسب بل يحرمون حتى من حقوقهم الاجتماعية فممن يحرمون من الإرث كان من ولد أعمى واصم ومجنون والأخرس والمصاب بنقص في أعضائه[٣] .في إيران كان المرض كما رأينا من نتاج عمل روح الشر وبالتالي فان المرضى بلا شك كانوا من أتباع هذه الروح ،ولكن هنا في الهند لا نقرأ عن وجود ثنائية بهذا الشكل فان هناك بلا شك أسباب كامنة وراء تلك النظرة للمرضى ،وتهميشهم اجتماعيا ودينيا.من غير ريب كان لقانوني الكارما والسامسارا الأثر الكبير في هذه النظرة للمرض والمرضى ،فالمرض في الهند ليس بالضرورة نتاج خطيئة أنية بل في كثير من الحالات كانت من نتاج خطيئة قد ارتكبت في حياة سابقة لذا كان هؤلاء المرضى بنظر المجتمع مذنبين بحق الآلهة والشرائع الهندية لذا يستوجب عدم التسامح معهم في كل الأحوال وهناك نص يوضح بجلاء هذه الحقيقة يقول:"ان من يولد سفيها أو اخرس أو أعمى أو أصم أو مصابا بأعضائه أو بغير ذلك من العاهات والأمراض إنما يكون ذلك نتيجة سوء عمله السابق ،لذلك يجب التكفير دوما عن الذنوب بغية الطهارة لان من لا يكفر عن ذنبه يولد ثانية موسوما بعلامات غير مرضية"[٤] .بلا شك كانت الحرية الفردية في ظل الديانتين الزرادشتية والهندوسية سببا مباشرا في مصير الإنسان وإحدى مسببات المرض ،ففي إيران كان الإنسان مخيرا بكامل إرادته بان ينظم إلى قوى الشر أو إلى قوى الخير ،بمعنى أدق كان حرا في يكون من أنصار روح الخير اهورامزدا ،أو من أتباع روح الشر انگراماينيو ،وبالتالي فان اختياره سيتوقف عليه مصيره ،وفي الهند كانت أفعاله(الكارما) هي التي تحدد

[١]) مانوسمرتي ،٧: ١٤٩.
[٢]) مانوسمرتي ،٨: ٧١.
[٣]) مانوسمرتي ،٩: ٢٠٢.
[٤]) مانوسمرتي ،١١: ٥٣-٥٤.

مستقبله إلى الأسوأ أو إلى الأفضل لذا فهو مسئول عما يصيبه من مرض في حياته اللاحقة.

وعند **طائفة البحر الميت** نشاهد الصورة ذاتها فنحن نقرأ:"[لا يجوز لرجل] مجنون أو معتوه أو ساذج...ولا للأعمى ولا للمشوه ولا الأعرج ،ولا الأصم.. ان يدخل الطائفة"[١].أو نقرأ في نص أخر:"لا يجوز لأي رجل وصم بأي نوع من القذارة البشرية ان يدخل جماعة المصلين ،ولا يثبت احد موصوم في منصبه في جماعة المصلين ،ولا احد فيه عيب في لحمه أو به شلل في قدميه ،أو في يديه أو شخص أعرج ،أو أعمى ،أو أبكم ،أو به عيب جسماني ،ولا أي رجل متداع غير قادر على الجلوس هادئا بين جماعة المصلين ،فلا يجوز لأي من هؤلاء تقلد أي وظيفة أو منصب بين رجال الطائفة ذوي السمعة الحسنة لان ملائكة القداسة من [جماعتهم] ،وإذا كان لأي واحد منهم ما يقوله للمجلس المقدس فعليه ان يناقش ذلك لوحده ،ولا يجوز ان يدخل مع الجماعة ،لأنه موصوم وفيه عيب"[٢].وفي قانون الحرب القمراني نقرأ:"لا يسمح لأي رجل أعرج ،أو أعمى ،أو كسيح أو مصاب بعاهة جسمانية دائمة أو بأي آفة ان يذهب مع جيش الحرب"[٣].ان هذا النص لم يمنع هؤلاء المرضى من مصاحبة الجيش لأنهم لا ينفعون في الحرب ،بل لئلا يطال الجيش الدنس إذا ما رافقهم هؤلاء.ولم يكن أولئك من أصحاب المرض والعاهات محرومين من حقوقهم الاجتماعية فحسب ،بل حرموا حتى من دخول الهيكل:"لا يجوز لأي رجل أعمى ان يدخل إليها(أي مكان من مدينة المعبد) في جميع أيامه ،حتى لا يدنس المدينة التي اقطن فيها(الرب)"[٤].

---

[١]) فيرم ،النصوص الكاملة ،ص٢٤١-٢٤٢.
[٢]) المصدر نفسه ،ص٢٥٩-٢٦٠.
[٣]) المصدر نفسه ،ص٢٧٢-٢٧٣.
[٤]) المصدر نفسه ،ص٣١٨.

الفصل الثالث

ارتباط الطب والطب السحري بقوى ما فوق الطبيعة

في الكثير من الحضارات الكبرى ترتبط الآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الأسطوريين بالسحر النافع والطب وهذه القوى يعزى إليها دائما القيام بمساعدة البشر في الحصول على العلاج ،سواء عن طريق تدخلها المباشر أو يعزى إليها أمر اختراع الوصفات الطبية العلاجية ،أو ارتباطها بالساحر المنفذ للطقوس السحرية.

ارتبط الطب والسحر في **وادي الرافدين** بالآلهة فهي المسئولة المباشرة عن كافة الفعاليات العلاجية ، اذ كان الإله اينكي وابنه الإله اسالوخي من الآلهة المرتبطة بالطقوس الخاصة بطرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المرضى ،فالإله اينكي/ايا هو اله الحكمة والحياة ، الذي أوجد أعشاب الشفاء ،وبيده سلطة السحر العليا والمعارف السرية ،ومن ألقابه رب التعاويذ(بيل شبتي) ،ونسب إليه قيامه بحماية الإنسان وتخليصه من العفاريت وقد كان كهنة الاشيبو بشكل خاص يستعينون به في تعاويذهم لطرد الشياطين وعدوه اله السحر الأبيض.ويرتبط الإله اينكي بالماء ،والأخير يقوم بواجب التطهير ،لذا فان اينكي يمثل القدرة على التطهير من كل ما يدنس بما في ذلك الأرواح الشريرة التي تدنس الإنسان وتسبب المرض والدنس.وفي الشعائر يوفر التعويذة الفعالة ويصف الإجراءات التطهيرية والشفائية ،وليس من المبالغة القول انه قد شغل موقع المركز في أعمال السحر الأبيض لمحاربة شياطين المرض ،الذي ويصفه نص:"ذاك الذي يهدئ كل شيء ،ويخمد كل شيء ،ذاك الذي بمحض تعويذته يهدئ كل شيء ،السيد الكبير أيا ،الذي يهدئ كل شيء ،ويخمد كل شيء ،والذي بمحض تعويذته ،يهدئ كل شيء ،هو الذي يهدئ كل شيء" ،في حين كان اسالوخي يستطيع أن يرى تجمعات العفاريت والأرواح الشريرة فيصفها لوالده بدقة[1].

---

[1]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤١ ؛رشيد ،المعتقدات الدينية ،ج١ ،ص١٢٣ ؛لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٧ ؛عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص ١٧٠ ؛السواح ،الأسطورة والمعنى ،ص١٣٢ ؛الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص٣١ ؛ثوركيلد جاكوبسن ، "أديان ما بين النهرين:إطلالة عامة" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧) ،ج٢ ،ص١٦٩ ؛صموئيل هنري هوك ، "ديانة بابل وأشور" ، بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧) ،ج٢ ،ص٢٣٨.



(الاله اينكي)

هذا وقد عد الإله مردوك في وقت لاحق ابنا للإله أيا وان هذا الأخير هو الذي علمه أسرار السحر وفنونه ،والحقيقة إن علاقة الإله مردوك بالسحر قد تعززت من خلال تشابه صفاته مع اله التعاويذ السومري اسالوخي.وقد أشارت النصوص إلى مردوك على انه اله الحكمة ،واله طرد الأرواح الشريرة ،وشافي الأمراض:"مردوك الذي يداوي كل ويلات المرض".وقد كان المرضى يتضرعون للإله مردوك عن طريق الكهنة لان يخلصهم من فعل الأرواح الشريرة التي يعانون منها.ويظهر من النصوص الخاصة بالتعزيم ان الإله مردوك كان يذهب بدوره إلى أبيه الإله اينكي/أيا ليعرض عليه حالة الشخص المستغيث ،سواء الشخص الذي تسكنه الأرواح الشريرة أو الواقع تحت سلطة ساحر شرير يمارس السحر الأسود:

"أبي الذي خلق البشرية بيديه
لقد ذهبت الساحرة لتأخذ روحه".

هنا يخبر مردوك أبيه ان ساحرة ما سببت المرض لرجل ،وان أباه كان يخبره بالإجراءات الواجب انجازها لشفائه:"اذهب ابني مردوك أعطه شرابك الطاهر ،شراب الحياة ،دعه يأكل نبات الحياة ،دعه يدهن نفسه ويغتسل...توصل إلى ساحرته ،بريح فمك دع ريح فمك تصلها ،دع السحر والسم والقذارة تذهب بعيدا عنه ،بتعويذة الحياة الطاهرة دع اللعنة تذهب إلى البرية ،دع شبح الغريب يختفي...دع الرجل يعيش ،دع الرجل يكون صحيحا ،دع الرجل يكون معفى أمامك إلى الأبد ،وليفك مردوك ما عملته الساحرة لقتله ،كما يعطي الحياة لرجاله".ومن الألقاب التي أطلقت على الإله مردوك وهي نفسها ألقاب والده اله الحياة ،وسيد فن التعاويذ ،ورئيس السحر بين الآلهة ،وقيل عنه:"السيد الذي يحيي الموتى"[١] .هذا وكان كيرا وكيبيل ونوسكو من آلهة السحر أيضا[٢] ،الذين ارتبطوا بالطقوس السحرية الشافية.



(الاله مردوك)

[١]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٥٥ ؛روتن ،علوم البابليين ،ص٧٣ ؛رشيد ،المعتقدات الدينية ،ص١٢٩ ؛علي ،العرافة والسحر ،ص١٧٦ ؛سليم ،دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم ،ص٢٨٤ ؛الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١١٥-١١٦.

[٢]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٢.

لم يكن الطب السحري هو الوحيد بيد الآلهة بل كان الطب العلمي كذلك فقد كان الطب تحت حماية الربة گولا(Gula)إلهة الشفاء وقد عرفت بعدة أسماء منهـــــــــــــا: بـــــــــــــــاو ، ونينســـــــــــــو ، ونينتينوگـــا(Nintinuga) ،وميمـــي(Meme)[1] ،ونينكـــاررك(Ninkarrak) ،كمـــا عبدت باسم نينسينا أي سيدة أيسن[2] .ويبدو إن الربة گولا كانت في الأصل ربة الموت ثم تحولت بعد ذلك إلى إلهة للطب والشفاء[3] .

كانت صحة البشر تعتمد بشكل خاص على الإلهة گولا[4] .لذا كان الناس يقصدونها ويلتمسون منها أن تشفيهم من أمراضهم ،ويشعرنا نظام الأروقة في معبد هذه الربة وكذلك الحجرات الجانبية إنها أعدت من اجل خدمة المرضى وقيام الكهان بتقديم يد العون لهم[5] .ووصفتها النصوص المسمارية بأنها:"الأم السماوية لمعبد المدينة الرئيس(في أيسن) ،الملكة التي تعيد الحياة للموتى"[6] .وهي التي تحيي الموتى بلمسة يدها[7] ،وكذلك كانت:"حافظة الحياة لمن يخافها"[8] .والطبيبة يخافهـــــــــــا"[8] .والطبيبـــــــــــة العظيمـــــــــــة لـــــــــــذوي الـــــــــــرؤوس السود(الســـومريين)[9] ،وســـميت:"المنقذة الكبيرة" ،و:"الســـيدة التـــي تشـــفي الأمراض" ،و:"ربـــــة العقـــــاقير والســـــموم" ،و:"العظيمة فــــي الممارســــات الطبية" ،و:"المتميزة بقدراتها ومهاراتها في فن العلاج والشفاء".وهكذا أظهرت الإلهة گولا قدرتها الفائقة في الأمور الطبية وبموجب تلك المهارات التي امتلكتها كانت محط أنظار الإله ايا الذي أمر باستدعائها لممارسة بعض المعالجات الطبية:"إن ايا كلفني أنا گولا بفن العلاج الذي هو من اختصاص الآلهة"[10] .

---

[1]) كريمر ،من ألواح سومر ،ص١٣٥ ؛ساكز ،عظمة بابل ،ص٥٢٩ ؛عباس علي الحسني ،**مملكة أيسن بين الإرث السومري والسيادة الامورية** ،(دمشق:منشورات اتحاد الكتاب العرب ،٢٠٠٤) ،ص١٨.

[2]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١٦٨.

[3]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص٢٧.

[4]) الحسيني ،مملكة أيسن ،ص١٧.

[5]) هوك ،ديانة بابل وأشور ،ص٢٥٦.

[6]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص ١٣٠.

[7]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١٦٧.

[8]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٥٦.

[9]) كريمر ،من ألواح سومر ،ص١٣٥.

[10]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١٦٧.

وتشير النصوص إلى تدخل هذه الإلهة في العمليات الطبية إذ نقرأ:"إذا شرب إنسان ما شرابا قويا جدا ،فدار رأسه ،ونسي كلامه ،وغدا كلامه مضطربا وطاش فكره ،وجحظت عيناه ،فلشفائه خذ...(هنا يذكر اسم احد عشر نوعا من العقاقير) ،واخلطها بزيت وخمر ،على مقربة من الإلهة گولا مساءً ، وليأخذ الوصفة في الصباح ، قبل شروق الشمس ، فيشفى"[1].وتظهر الربة گولا برفقة الإله نينورتا كالهين للطب في بعض الحالات ،فنحن نقرأ في تذييل يخص بعض النصوص الطبية من مكتبة اشوربانيبال تقول:"وصفات شفاء(لكل شيء)من الرأس إلى الأخمص مجموعة ،ما عدا المجموعة المعروفة ،تتضمن خبرة المختصين ،وكل ما يختص بواجبات آلهة الطب العظيمة نينورتا وگولا "[2].وفي رسالة أرسلها كاتب من العصر الأشوري الحديث إلى الملك يذكر فيها:"ليهب نينورتا وگولا الملك الصحة والعافية"[3].

ولم تكن هذه الإلهة آلهة الطب العملي بل الطب السحري أيضا:"أنا الطبيبة ،اعرف كيف اشفي ،إنني احمل كل الأعشاب ،وأنا املك حقيبة ممتلئة بالتعاويذ الفعالة ،واحمل معي نصوص كل الشفاء"[4] ،و:"گولا البارعة في الوصفات الوصفات السحرية وفي العلاج والعظيمة في ممارسة الطب"[5].

ومن آلهة الطب والشفاء الأخرى الإله دامو (Damu) وهو ابن الآلهة گولا ويعرف بالطبيب الإلهي.وهناك الإله المعروف باسم نين-ازو ،ويعني اسمه السيد الطبيب(حرفيا:السيد العارف بالماء) ،وكان شعار ابنه نينكيشزيددا العصا الملفوفة بالأفاعي وهي ما تزال تستخدم رمزا لمهنة الطب[6].ومن المعروف إن الإله نينكيشزيددا قد عرف بقواه السحرية الكبيرة كاله للطب والشفاء[1].

---

[1]) روتن ،علوم البابليين ،ص٧٣.

[2]) ساكز ،قوة أشور ،ص٣٢٥.

[3]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١٦٧-١٦٨.

[4]) الحسيني ،مملكة أيسن ،ص١٨.

[5]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١٦٧.

[6]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٥٢٩ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص ١٩٠ ؛مُحَمَّد أبو المحاسن عصفور ،**معالم حضارات الشرق الأدنى القديم** ،(بيروت:دار النهضة العربية ،١٩٨٧) ،ص٢٥٣ ؛السواح ،لغز عشتار ،ص١٥٣ ؛مُحَمَّد الأسعد بن بو بكر الحفصي ،**الغزو اليوناني لبلاد الرافدين ٣٣١-١٢٦ قبل**

ومن المعروف إن الربة عشتار البابلية كانت من إلهات الولادة وعدت سيدة الانجاب ،تظهر كسيدة للشفاء في التراتيل والصلوات التي وصلتنا من وادي الرافدين:"عندما تنظرين إلى الميت يحيا والى المريض يشفى"[٢]. وخوطبت عشتار بانها عندما تلمع في السماء فان الحياة تبعث في الاموات و:" ينهض الكسحاء ويمشون"[٣]. ونعتت عشتار بإلهة الرحمة لما تقدمه من العون للحوامل أثناء فترة الإنجاب ،وأصبح شائعا عند العراقيين القدماء إن غياب الإلهة اينانا في لحظة الولادة يجعل العملية مستعصية وربما يتعرض الجنين للوفاة[٤]. كذلك الربة صربانيتوم زوجة كبير الالهة البابلية مردوك قد خوطبت في التراتيل: "انت الشفوقة ، تأخذين بيد المريض"[٥].

وكانت الربة مامي من الإلهات التي تساعد الأمهات على الولادة[٦] ،وكذلك الربة نينليل من الإلهات المرتبطة بالولادة وعمل القابلات كما نقرأ عنها في نص:

"عهد إليها(اينليل) كذلك بوظائف الأمومة
وكل ما يرتبط بالمولدات"[٧].

ومن إلهات الولادة أيضا الربة نينتور(Nintur)[قرأ اسمها سابقا نينتو أي السيدة التي تلد أو سيدة الولادة] ويعني اسمها سيدة كوخ الولادة. وقد عرفت كذلك باسم اروررو(Arurru) ويعني اسمها مخرجة الاجنة و(نينخورساك) (Ninḫursag)(أي سيدة الجبل)[٨].وكانت الإلهة نين-اينسينا(Nin-insina) ،من الإلهات المرتبطات بالطب ، وطوبقت مع الربة گولا ،وكانت ابنتها دامو(Damu)(المختلفة عن الإله الصبي في كرسو على نهر الفرات الحامل للاسم

الميلاد ،(رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،٢٠٠٣) ،ص ١٢٠ ؛الحسني ،مملكة أيسن ،ص ٢٢.

[١]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١٧٦.

[٢]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٨٣ ؛السواح ،الأسطورة والمعنى ،ص٢٠٢ ؛حنون ،عقائد الحياة والخصب ،ص١١٧.

[٣]) قاسم الشواف ،**ديوان الاساطير** ،(بيروت:دار الساقي ،١٩٩٩) ،ج٣ ،ص٢٩٣.

[٤]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص٩٥.

[٥]) الشواف ،ديوان الاساطير ،ج٤ ،ص٢٣٦.

[٦]) شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص١٦٥.

[٧]) الشواف ،ديوان الأساطير ،ج١ ،ص ٦٠.

[٨]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٧٢ ، ٨٧٢ ، ٨٧٤ ؛جاكوبسن ،أديان ما بين النهرين ،ص١٥٨.

نفسه) تتبع أمها بوصفها إلهة الشفاء[1] .هذا وكان الإله شمش اله الفأل لذا ارتبط بالعرافة الخاصة بالأمراض وشفاءها ،وهناك نص قصير يتقدم صلاة أو تعويذة لم تصلنا مضمونها يشير إلى تقسيم ادوار الآلهة ونجد الإله شمش يختص بمهمة التنبؤ بالمستقبل فيما يخص المرض والشفاء:"أي شمش ،أنت الذي جميع(أسرار) العرافة(؟) وضعت في يديك[...][أعلمني إذن(؟)] كيف ما يلاءم (للشفاء(؟) من) ،هذا المرض". وعد الإله شمش صاحب القدرة على طرد الشياطين مع إبطال مفعول السحر الذي أصاب المريض وكانت تقام طقوس دينية متعددة تقرأ فيها التعاويذ ويستخدم الماء للتطهير وفي كل هذه الأعمال يبرز الإله شمش في حل القيود ومنح الحياة للمريض لذا عد واهب الحياة والصحة للأفراد [2] .كذلك ارتبط الإله نينورتا بالطب وسمي بالطبيب القوي(A-ZUGALLU)[3] .



(الاله شمش-لوح سيبار)

---

[1]) جاكوبسن ،أديان ما بين النهرين ،ص١٨٢.

[2]) الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢ ،ص٦٧-٦٨ ؛الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص٦٦.

[3]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١٣٩.



(الاله شمش-مسلة حمورابي)



(ختم اسطواني-شمش يشق الجبل بمنشاره)

ونعرف من النصوص ان الطب السحري يمثل الهبة الإلهية للبشر ،وهذا يتضح من أسطورة ادابا عندما يمنح انو إليه قابلية شفاء المرض:

"وقال(انو):بما ان ادابا ،من الجنس البشري

(بوسائله الخاصة) ،انتصر

وحطم جناح ريح-الجنوب

وصعد إلى السموات دون عقاب ،فليكن هكذا:

(كل) ما ستفعله (ريح الجنوب) من الشر للبشر

(وأي مرض) تسببه في جسم الناس

(معه) ستستطيع نينكراك ان تهدئهم

(وإذ ذلك) ليذهب الشر ،ولينطلق المرض

(ولكن دونـ)ـه ،فلتأت الحمى الجليدية(الباردة)

ولا يتمكن (المريض) من الاستراحة بنوم لذيذ"[1].

ويبدو ان المقصود به هنا هو الشفاء السحري وليس الطب العملي ،فهناك رقية تذكر ادابا وكونه الكاهن المطهر في اريدو[1].

[1]) *E. A. Speiser, "Adapa" ,In: ANET,(Princeton,1966),P.P.102-103.*

لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٣٤٨ ؛الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢ ،ص٤٨٥.

في **مصر القديمة** كما كان المرض بيد الآلهة فان فن الطب ومهاراته وابتكار الأدوية كلها مرتبطة بالآلهة أيضا ،إذ نعرف إن المصريين القدماء قد عدو الإله تحوت هو مبدع السحر والطب والجراحة ،فقد كان طبيبا وعرف بـ:"طبيب عيني حورس" ،لأنه شفى عين حورس بعد ان مزقها سيث الشرير إلى أربع وستين قطعة ،ونقرأ في أسطورة إن سيث اتخذ هيئة خنزير بري وأطلق سهما من النار على عين حورس اليسرى وأصابه بالعمى ،لذا استدعي تحوت لعلاجه.والأطباء إذا ما اتبعوا تعاليمه يمنحهم مهارة الشفاء ،وكان الأطباء ولاسيما أطباء الرمد يعبدونه بشكل خاص ،وتحوت هو سيد السحر العظيم ،الذي اخترع الصيغ السحرية الشافية ،وهو الذي علم ايزيس العديد من التعاويذ التي أكسبتها لقب الساحرة العظيمة ،وقد علمها طبقا لأسطورة التعاويذ التي تستطيع بموجبها شفاء جميع الأمراض التي ابتلي بها حورس الصغير عندما نشأ في مستنقعات الدلتا[٢].وتقول الأسطورة على لسان ايزيس:"أنا ايزيس ،حبلت بطفل كان عظيما ،الطفل حورس.أنا إلهة أنجبت حورس ابن ايزيس فوق جزيرة اوعش في اتو في منطقة المستنقعات.ابتهجت كثيرا بولادة حورس ،لأنني اعتبرته هدية ستعوضني عن فقدان أبيه.أخفيته بحرص ،حقا كان مخفيا جيدا.ثم رحلت إلى مدينة آم(Am) فحييت سكانها وعدت لصغيري لأرضعه وأخذه بين ذراعي ثانية ،لكني وجدت رضيعي حورس الذهبي الخالص ،قاب قوسين أو أدنى من الموت.روى الأرض بماء عينيه وزبد شفتيه.كان جسمه متصلبا وقلبه متوقفا وعضلات سيقانه لا تتحرك ،فصرخت بكل قواي من مرارة الحزن.جرى نحوي سكان مستنقعات البردي مباشرة من بيوتهم.وبكوا لمصيبتي العظيمة ،لكن لم يفتح احد منهم فمه ليتكلم.كان كل منهم حزينا جدا من اجلي ،ولم يستطيع إنسان أن يعيد الحياة إلى حورس.أتت امرأة كانت معروفة جدا في المدينة.وكانت من عائلة نبيلة ،وحاولت أن تضيء الحياة مرة أخرى في حورس ومع إن قلبها كان مليئا بالمعرفة ظل ابني بلا حراك".في الوقت نفسه أشار الناس إلى إن ابن الأم المقدسة ايزيس قد حمي من أخيه سيث لان

---

[١]) الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢ ،ص٤٦٥.

[٢]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٢١٩ ؛غليونجي ،الطب ،ص٤٥ ،٤٧ ؛كمال ،الطب المصري ،ص٤٥ ؛**ڤ**ايد ،ديانة مصر القديمة ،ص٣٢-٣٣ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٥٠.

النباتات التي اخفي فيها لا يمكن لأي كائن معاد اختراقها ،وان كلمات قدرة اتوم(قرأ سابقا تيمو) رب الأرباب الذي في السماوات هي التي حمت حورس لكي لا يصله أخوه سيث ،حيث كان في أي الحالات محفوظا من أذاه ،بعد فترة اكتشف إن حورس قد لدغه عقرب وان الزاحف الذي يحطم القلب قد جرحه.في هذه الأثناء جاءت نفتيس وجالت بين المستنقعات وهي تبكي بمرارة بلاء أختها ايزيس ،وجاءت معها أيضا سرقيت(Serqet) إلهة العقارب والتي ظلت تسأل:"ماذا جرى للطفل حورس ؟ثم قالت نفتيس لايزيس:اصرخي بالصلوات للسماء ،واجعلي بحارة مركب رع يتوقفون عن التجديف ،لا تدعي مركبه يتحرك ابعد في مساره من اجل الوليد حورس".صرخت ايزيس في الحال ،ووصلت صرختها إلى السماء وجعلت طلبها يصل إلى مركب ملايين السنين فتوقفت الشمس عن الدوران ولم يتحرك المركب من مكانه تقبلا لتضرع الإلهة.لذا خرج تحوت من المركب محملا بالكلمات السحرية والقوة العظمى لأوامره التي بمجرد أن تلفظ تتحقق فورا ،لذا يخاطب ايزيس قائلا:"أيتها الإلهة ايزيس فمك يعرف كيف يتلو السحر والتعاويذ ،لن يصيب حورس أذى.فصحته وأمانه يعتمدان على مركب رع.لقد أتيت اليوم في المركب المقدس للقرص أتن(Aten) إلى المكان الذي كان فيه بالأمس.وعندما يتحكم الليل سيحطمه الضوء ،لعافية حورس من اجل أمه ايزيس.سيحدث لكل من يوهب ما هو مكتوب هنا".بلا شك إن العبارة الأخيرة تشير إلى منح تحوت القوى السحرية إلى الربة ايزيس.ما حدث بعد ذلك معروف بالطبع ،عاد الصغير حورس للحياة وابتهجت أمه ايزيس[١].ويشير كليمنت السكندري إلى ان الإله تحوت قد ألف كتبا تعدت الاثنين والأربعين كتابا وكانت الكتب من ٣٧-٤٢ قد خصصت للطب[٢].

[١]) بدج ،السحر في مصر القديمة ،ص١٢٥-١٢٦.

[٢]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٥٩ ؛مُحَمَّد أبو رحمة ،**الإسلام والدين المصري القديم:دراسة مقارنة بين الدين القديم والأديان السماوية** ،(القاهرة:حابي للنشر والتوزيع ،٢٠٠٥)،ص ١٨٠.



(الاله تحوت)

ومن آلهة الطب في مصر الربة سخمت إلهة منف ،التي كانت راعية للأطباء ،وكان مجبرو العظام في مصر من أتباع هذه الإلهة الذين يشفون الكسور بشفاعتها.وقد أسست لها مزارات في المعابد في مصر بأجمعها في وقت مبكر ،وقام بطقوسها كهنوت منظم متصل بالمرضى ،له دستوره الخاص ،ويعمل وسيطا بين جمهرة طلاب الشفاء وبين الآلهة.وقد نسب المصريون إلى كهنة سخمت قوى شافية ،فقام الكهنة عندئذ بعلاج المرضى بوحي مباشر من الآلهة.وكذلك نقرأ عن امحوتب(اموتيس باليونانية)واسمه يعني هو الذي يأتي في سعادة أو اقبل في سلام ،وهو احد أطباء مصر ذا شهرة كبيرة ،وكان في الأصل كاهن معبد بتاح ثم وزيرا للملك زوسر من الأسرة الثالثة(حوالي ٢٦٥٠ قبل الميلاد)،وكان طبيبا بارعا وكاتبا ،وبحلول الدولة الحديثة صار راعي الكتبة ،وقد اله فيما بعد ،وصار اله

الحكمة والطب والعمارة والفلك.وعد في العصور المتأخرة لاسيما في عصر النهضة المصرية(٦٥٤-٥٢٥ قبل الميلاد) ابنا لبتاح اله منف من أمه الإلهة نوت فحل بذلك محل اله يدعى نيفرتوم ابن الإله بتاح ،أو ابنا للربة سخمت.ووصلت إلينا دمى برونزية له تمثله جالسا على شكل كاهن حليق الرأس وبثوب طويل ويحمل ورق البردي على ركبت ،وعد سيد المعرفة والتعليم ،وقد طوبق باسكليبيوس عند الإغريق[1].



(امحوتب)

[1]) عصفور ،معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ،ص٦٩ ؛غليونجي ،الطب ،ص٤٦-٤٧ ؛ سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد احمد ،تاريخ الشرق القديم ،(بغداد:مطبعة التعليم العالي ،١٩٨٨) ،ص٦٦ ؛لطفي ألخوري ،معجم الأساطير ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠) ،ج٢ ،ص٩٣ ؛كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٢٦ ؛كمال ،الطب المصري ،ص٤٩-٥١ ؛**ڤايد** ،ديانة مصر القديمة ،ص٥٣ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٠٣ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص١٣١.

ونقرأ كذلك عن رجل مصري يدعى أمنحوتب بن حابو وقد عاش في عهد الفرعون أمنحوتب الثالث(١٤٠٥-١٣٦٧ قبل الميلاد) الذي يخبرنا عن نفسه:"تعمقت في الأقـــوال القدســـية ،وأطلعت علـــى أعمـــال(رب الحكمـــة) تحوتي(تحـــوت) البـاهرة ،وتزودت بكـل أسـرارها وكشـفت عـن فصـولها ،واعتاد النـاس علـى ان يستشيروني في كل أمورها..".وترتب عن حكمته الواسعة ان قدسه المصريون بعد وفاته ،ثم ألهوه في عصورهم المتأخرة وشاركهم الإغريق في تأليهه ،ونسبوا إليه المعرفة بالطب ،وأعادوا بناء مقصورة شعائره في غرب طيبة وأحالوها إلى معبد كبير ،وقد طوبق مع ايمحوتب ،وخصص لهما مقصورتين في الطابق العلوي من معبد حتشبسوت بالدير البحري وشادوا بقدرته في شفاء مرضاهم إذا باتوا في معبده[١].



(أمنحوتب بن حابو)

وكان الإله خونسو(Khonso) قد عد في عصر المملكة الحديثة طارد للعفاريت التي تسكن أجسام البشر ،وشافيا من الأمراض ،ويلتجأ إليه الممسوسون والمرضى من

[١]) عبـد العزيـز صالح ،الشـرق الأدنـى القديم ،(القاهرة:الهيئـة العامـة لشـؤون المطـابع الأميرية ،١٩٦٧)،ج١ ،ص٢٠٤-٢٠٥.

كافة أنحاء مصر ومن خارجها أيضا ،وكان خونسو ينتدب قواه إلى تمثال يجسد فيه نفسه آمرا إياه ،بالذهاب وشفاء المتضرعين إليه.وهكذا نجد ان خونسو نفر حوتب في الكرنك ساعد أمير بختان الذي التمسه نيابة عن ابنته ،وذلك بانتداب خونسو ثانٍ يذهب إلى سوريا الذي كان يسمى:"هو الذي ينفذ الخطط ،وهو الذي يطرد اللصوص" ،وقد تمكن البديل الإلهي من تنفيذ مهمته وطرد من جسم الأميرة العفريت الذي يعذبها(1).هذا وقد ارتبط معبد الربة نيت في سايس(في الدلتا) بمدرسة للطب عرفت باسم دار الحياة يديرها الكهنة ،وقد عدت هذا الربة حامية للوالدات والأطباء ،وكان المصريون يصورونها دائما في صورهم للولادة معينة للنساء في أثنائها(2) .ومن آلهة الطب المتأخرين الإله سرابيس الذي بدأت عبادته في العصر البطلمي(3) .

---

[1]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج٢ ،ص٧ ؛ڤايد ،ديانة مصر القديمة ،ص ٤٠ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٣٤-١٣٥.

[2]) غليونجي ،الطب ،ص٤٨ ؛ألخوري ،معجم الأساطير ،ج٢ ،ص٢١٢ ؛ڤايد ،ديانة مصر القديمة ،ص٤٥ ؛الأحمد واحمد ،تاريخ الشرق القديم ،ص١١٤.

[3]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٤١.



(الاله سيرابيس)

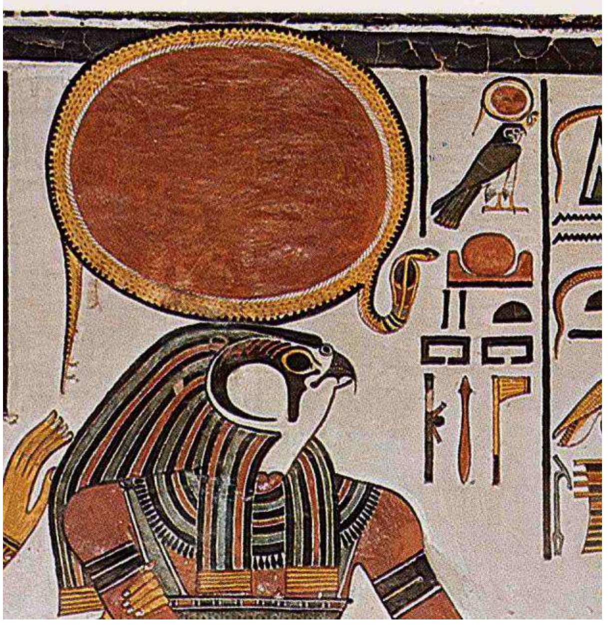
ونعرف ان الإله أمون كبير الآلهة المصرية في عصر المملكة الحديثة قد ارتبط هو أيضا بالطب ،وقد ارتبط به هو كذلك أطباء العيون ،وكان يلقب أحيانا:"الطبيب الذي يشفي العيون بغير دواء" ، أو: "أمون مفتح العيون" ، أو: "شافي الحول".



(الاله امون)

وكان هناك اله أخر اختص هو الأخر بأمراض العيون ويدعى دواو وكان مركز عبادته في عين شمس الحالية(ايونو).وكان أكثر أطباء الرمد من الكهنة المتصلين به.إلا ان حورس انتقل في العصور المتأخرة من مركزه في دمنهور إلى ايونو ،فحل محل دواو وأصبح اله أمراض العيون بدلا منه[1] .

[1]) غليونجي ،الطب ،ص٤٧-٤٨.



(الاله حورس)

ونعرف ان الربة ايزيس ارتبطت بقوى السحر والطب ،وكان المصريون يدعونها لإعادة صحة المرضى ،ومثلت ايزيس بهيئة امرأة ترضع طفلها ،وعدت في هذه الصفة حامية الأطفال وخاصة من المرض[1] ،وهي التي اكتشفت الأدوية الشافية الأولى ،وكانت حاذقة في فنون الطب ،تمد يد العون لكل جسد عليل يطلب رحمتها.وغالبا ما كانت تظهر في أحلام المرضى لتعطيهم الراحة وتدلهم على سبيل الشفاء.ويقال ان الأعمى يبصر والكسيح يشفى بتأثير لمستها الشافية[2].وفي ترتيلة مرفوعة إليها توصف بأنها سيدة حجرة الولادة وسيدة الرقى والتعاويذ[3].ويتحدث بلوتارك عن الربة ايزيس ويقول إنها علمت الرجال فن شفاء الأمراض وكانت لها قدرة على استخدام السحر لشفاء المرض[4]ويمكن أن نلاحظ إن عدد كبير من التعاويذ الخاص بعلاج الأمراض ترتبط بها ،وهي تقول إلى رع الذي لسعته حية:"ما هذا ،ما هذا يا والدي المقدس ؟ماذا-هل بث ثعبان الضعف إليه ؟هل رفع احد

[1]) غليونجي ،الطب ،ص٤٦ ؛سليم ،دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم ،ص١١٧.
[2]) السواح ،لغز عشتار ،ص١٥٢.
[3]) السواح ،الأسطورة والمعنى ،ص١٩٥.
[4]) ڤايد ،ديانة مصر القديمة ،ص٢١.

أطفالك رأسه ضدك ؟عندئذ سأدمرها بالسحر الفعال"[١] .وتشير أسطورة إلى قيام ايزيس بطقس شفاء طفل ملدوغ من عقرب عن طريق السحر ،وتقول الأسطورة إن الربة ايزيس ربت ابنها حورس في مكان خفي في مستنقعات البردي بسبب ملاحقة سيث لها ،وحبسها هي وابنها حورس في منزل كسجينين.رغم هذا هربت ليلا بفضل عون الإله تحوت وصحبها في رحلتها سبعة عقارب تسمى على التوالي تيفين(Tefen)-بيفين(Befen)-مستيت(Mestet)-مستيتيف(Mestetef)-بتيت(Petet)-تحيتيت(Thetet)-ماتيت(Matet).العقارب الثلاثة الأخيرة هي التي قادتها في الطريق ،حتى وصلت مستنقعات بير-سوي(Per-sui)(أي مدينة التماسيح)والى مدينة إلهتي الصندل حيث تبدأ بلدة اتو(Athu) المستنقعية.وبمواصلة الرحلة وصلوا إلى مدينة تب حيث كان لرئيس المقاطعة منزل لنسائه.فلم تسمح سيدة البيت بدخول ايزيس خوفا من العقارب التي معها ،حيث كانت تنظر من الباب ورأتها قادمة.عندئذ اجتمعت العقارب وقرروا لدغها ،فاختاروا لهذه المهمة العقرب تيفين.في هذه اللحظة ،فتحت امرأة فقيرة تعيش في المستنقعات باب كوخها الصغير لايزيس ،فاحتمت الإلهة داخله.في هذه الأثناء زحف العقرب من تحت باب بيت الحاكم ولدغ ابن سيدة المنزل ،وأشعل النار في المكان ،ولم تستطع المياه أن تخمدها ،ولم تكن هناك أمطار ليحدث هذا ،فالفصل لم يكن شتاء.حدث هذا للمرأة التي لم تقم بأذى فعلى لايزيس.فكانت تجري تلك المخلوقة التعسة في شوارع المدينة تصرخ من الأسى على ابنها الذي لا تعرف إن كان سيعيش أو يموت.حزنت ايزيس على الطفل الملدوغ ،فصممت على أن تنقذه.لذا نادت الأم المنكوبة قائلة:"تعالي إلي.تعالي إلي.كلمتي طلسم يحمل الحياة.أنا ابنة معروفة جيدا في المدينة أيضا.سأطرد الشر بكلمات فمي التي علمني أبي إياها ،فانا ابنة جسده هو.ثم وضعت ايزيس يديها على جسم الولد ،لإرجاع الروح إليه قالت:"تعال تيفين.اظهر فوق الأرض.ارحل ألان.لا تقترب ،تعال يا سم بيفين اظهر على الأرض.أنا الإلهة ايزيس سيدة كلمات القوة التي تفعل أفاعيل السحر.الكلمات التي في صوتها السحر.اطعني يا كل زاحف يلدغ ،واسقط مطأطئ الرأس ،يا سم ميستيت ،لا تصعد عاليا.يا سم بيتيت وتحيتيت لا تقطر قريبا ،ماتيت

[1]) *Wilson, The god and his Unknown Name of Power,P.13.*

اسقط مطأطئ الرأس".ثم تلت ايزيس لبعض كلمات السحر التي علمها إياها الإله سيب(Seb) لكي تبعد السم عنها وقالت:"انسحب.اخرج أيها السم" ،ثم أضافت:"سيعيش الولد وسيموت السم ،كما تعيش الشمس يموت السم"[١] .

وكانت الربة سلكت التي صورت بشكل عقرب ،من آلهة السحر ،وقيل إنها مدت السحرة المنتمين لها بقوة سحرية استخدموها في العلاج ،وكانت توفر الحماية من لدغة العقرب المميتة[٢] .هذا وان الربة تاوورت(حرفيا:تا اورت) ومعنى اسمها:العظيمة ،وربما:هي من الأرض العظيمة ،كانت من الربات الحاميات للمرأة الحامل ،وقد صورت في العديد من المواقع المصرية ،منها بيت الولادة الخاص بحورس في فيلة في أسوان ،حيث صورت ممسكة بمديتين بيدها لغرض الحماية ،وكنت تمثل في هيئة أنثى فرس النهر حامل ،وأرجل وبراثن أسد ،وغطاء للرأس من ذيل تمساح ،منتصبة على قدميها الخلفيتين ومرتكزة بإحدى قدميها الأماميتين على علامة هيروغليفية تعني الحماية.وكانت هيئتها في صورة تمثال ،حاضرة دائما خلال عملية الولادة ،حيث يتضرع إليها ،وتسأل العون والنجاح في توليد الطفل.

---

[١]) بدج ،السحر في مصر القديمة ،ص١٢٣-١٢٤ ؛أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص ٤٠-٤١ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٥٢-١٥٣.

[٢]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٤١ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٣٨

الخصوبة والولادة ،تستحتضر لتسهيل الولادة ،ولما كانت الضفادع تظهر خلال موسم الفيضان علامة على الوفرة ،لذا عبدت هذه الربة بهذا الشكل.وهي من



(الربة تاوورت)

وكانت الربة هيكيت(حكت)(Heqet/Heket)الآلهة برأس ضفدع ،إلهة الخصوبة والولادة ،تستحتضر لتسهيل الولادة ،ولما كانت الضفادع تظهر خلال موسم الفيضان علامة على الوفرة ،لذا عبدت هذه الربة بهذا الشكل.وهي من

الإلهات القابلات اللواتي يساعدن الشمس على الولادة الجديدة كل صباح ،وفي دورها هذا تبدو حامية للولادة.



(الربة هيكيت)

وهناك الربة مسخنت(Meskhent) وهي تتدخل في عملية الولادة بنفسها ،فتساعد الحوامل على تسهيل وضعهن ،وتمثل القرميدتين اللتين تجثم عليها النساء المصريات عندما يأتهن المخاض ونراها نفسها على شكل قرميدة تنتهي

برأس إلهة.وتحضر مسخنت عند سرير المخاض في اللحظة نفسها التي يخرج فيها الجنين من رحم أمه.وبهذا الدور يقال بأنها تمضي الوقت وهي تسعى من بيت لأخر لجلب الراحة للنساء من الأم المخاض[1].وهناك أسطورة تقول كيف ان الإلهة مسخنت قد اصطحبت ايزيس ونفتيس وهيكت وخنيمو إلى بيت سيدة تدعى روت تتيت التي كانت توشك ان تلد ثلاثة أطفال.وعندما وصل هؤلاء الأرباب ،وكانوا على هيئة نساء ،وجدوا شخصا يدعى رع-اوسر يقف هناك ،وعندما عزفوا بعض الموسيقى قال لهم:"أيتها السيدات ثمة امرأة تقاسي الآم المخاض هنا".فأجابوا:"دعنا نراها ،إذ نحن نعرف كيف نولد امرأة".عندئذ أخذهم رع-اوسر إلى المنزل ،وقد أغلق الآلهة الباب وانفردوا بالسيدة روت-تتيت وقد جلست ايزيس أمامها ونفتيس ورائها ،أما هيكت فقد عجلت ولادة الطفل ،ولدى ولادة الطفل خطت مسخنت نحوه وهي تقول:"سوف يسود الأرض كلها" ،وكان الإله خنيمو يهب الصحة لأعضائه[2].ومن الإلهات المرتبطات بالطب الإلهة باست/باستيت التي عدت حامية الناس من الأمراض والأرواح الشريرة[3].وهناك الربة مفدت التي ورد ذكرها من أيام السلالة الأولى(٣١١٠-٢٨٨٤قبل الميلاد)في حجر بالرمو وصورت في العصور المتأخرة بشكل امرأة بجلد قطة وعدت الحامية ضد لدغة الأفعى[4].وقد تنامت في عصر الدولة الحديثة الإله بيس الإله القزم المرح ،ونجد صورته في هذا العصر في حجرة الأمومة في المعبد ،أي في بيت الميلاد حيث تحصل ولادة الآلهة.وهذا يعني انه قد صار مشرفا على الحمل.ونراه في معبد بالدير البحري مع الربة تاوورت قرب سرير ولادة إحدى الملكات باعتبارهم حراس الحامل في المخاض[5].

---

[1]) سليم ،دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم ،ص٣٢ ؛أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص١٣٤ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص٣٧ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ؛فايد ،الديانة المصرية القديمة ،ص٤٨ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص١٧٢.

[2]) ولس بدج ،الديانة الفرعونية ،ترجمة:يوسف سامي اليوسف ،(عمان:شركة الشرق الأوسط للطباعة ،١٩٩٩) ،ص١٧٢-١٧٣.

[3]) فايد ، ديانة مصر القديمة ،ص٤٣.

[4]) الأحمد واحمد ،تاريخ الشرق القديم ،ص٥٧.

[5]) فايد ، ديانة مصر القديمة ،ص ٥٠.



(الاله بيس)

وتنسب الأدوية في المعتقدات المصرية القديمة إلى الآلهة:"علاج ثانٍ صنعه الإله شو نفسه..." ،أو:"علاج ثالث صنعته تفنوت لأجل رع..." ،أو:"علاج رابع

صنعه جيب لأجل رع..." ،أو:"علاج خامس صنعته نوت لأجل رع..." ،أو:"علاج سادس صنعته ايزيس لأجل رع نفسه لطرد الصداع من رأسه..."[١].

ومن الآلهة الذي ارتبطوا بابتكار الأدوية أنوبيس(Anubis)وهو يمثل اله الموت ،وقيل انه ابن الربة نفتيس من اوزيريس هجرته أمه بعد ولادته ، فأنقذته ايزيس وتبنته ، وبعد استخراج جثة اوزيريس بعد مقتله على يد أخيه سيت ،قام أنوبيس البارع في الطب والسموم بتحضير المراهم والأدوية النادرة[٢].ونقرأ في بردية برلين:"مبدأ علاج الآلام المسماة اوخدوا التي وجدت في كتاب محفوظ في صندوق تحت أقدام الرب أنوبيس في مدينة أوسيم ، وذلك في عهد اوديمو"[٣].



(الاله انوبيس)

---

[١]) كمال ،الطب المصري ،ص٥٦٤ ؛أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٧٢-٧٣.
[٢]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٧٣.
[٣]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٥٩.

كما ارتبط المرض في أسيا الصغرى بالآلهة فان الطب ارتبط بهم أيضا ،فقد كانت الربة كاتاخزيواري(Katahziwari)إلهة السحر والشفاء ،وكان هناك إلها ثانويا يدعى اوليلياسيس(Uliliyassis)وكانت وظيفته إزالة العجز وعدم الإنجاب(١) .

كانت بعض **الآلهة الكنعانية** مثلها مثل آلهة وادي الرافدين ومصر القديمة مختصة بالشفاء ،وفي نصوص اوغاريت نقرأ عن هذا التصور ،فقد كانت هناك إلهة تدعى شعتقة(أي طاردة المرض) ،واسمها من الجذر عتق الكنعاني أي عتق وحرر ،ووظيفتها شفاء المريض أو إعتاقه وتحريره من الروح الشريرة(٢).وكان الإله بعل زيبوب(Bel Zebob) مثل كثير من الآلهة ذات الطبيعيتين الخيرة والمدمرة الذين نلقاهم ،يحمل صفتين ،فهو اله الأمراض لان اسمه مركب ويعني بعل الذباب ،فهو سيد الذباب الذي يأخذ صفة اله المرض لكون الذباب ناقل للمرض وهذا يشير كأقل تقدير الى معرفة الكنعانيين بالعلاقة بين الذباب والمرض ،هو في نفس الوقت اله الطب والنقاهة والعلاج ،وكانت مدن عكا وعقرون مركز عبادته ،وكان يزوره في الأزمنة القديمة الكثير من ذوي العاهات ولاسيما المستعصية منها(٣).ونقرأ في أسطورة كنعانية كيف يعاشر الإله ايل الإلهة عشتروت (عشتارة) جنسيا فينجب منها التيتانات السبع(العمالقة) وهن إلهات مائيات يذكرن بالتيتانات اليونانية ،وترتبط إحداهن بالإله (صديق) وتلد منه الإله اكلبيوس(وهو الإله اسكليبيوس اليوناني) اله الطب والشفاء(٤) ،وبلا شك تكشف هذه الأسطورة عن مؤثرات إغريقية واضحة.ومن الآلهة المرتبطة بالطب لدى الكنعانيين الإله اشمون اله الطب ويعرف في مدينة صور باسم ياسومونو ،ويشير اسمه إلى المقطع ياسو أو اسو والذي يشير إلى الطب ،مما يشير إلى مؤثرات سومرية ،وكان الإله اشمون في بيروت وصيدا يوازي اسكليبيوس لدى اليونان ،وكان في الأصل إلها للعالم الأسفل ،لكنه كان أيضا يشرف على الصحة والشفاء ،وكان شعاره حية تعض

---

[١]) ألصالحي ،المملكة الحيثية ،ص٦٦٩.

[٢]) أنيس فريحة ،**ملاحم وأساطير من اوغاريت** ،(بيروت:دار النهار للنشر ، ١٩٨٠) ،ص٢٨٩ ؛عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٧١١.

[٣]) الأحمد ،الأصول الأولى ،ص١٦ ؛عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٢٣١ ، ٥٤٤ ؛ألماجدي ،الآلهة الكنعانية ،ص١١٠.

[٤]) ألماجدي ،الآلهة الكنعانية ،ص٦٧.

ذنبها وهي رمز الخلود[1].كذلك الإله شدرافا اله الشفاء ،ويسمى أيضا ساترافة بمعنى(شد الشافي أو العفريت الشافي) ،وكان هذا الإله متخصصا في شفاء لسعات الثعابين والعقارب والحشرات ،لذلك فقد كانت المنحوتات تصوره إلها شابا مع الثعابين والعقارب.وقد عثر على مسلة في عمريت فيها نقش يمكن ارجاعه الى القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد وهبها احد الاشخاص الى:"سيده شدرافا ،لانه اصغى الى صوت كلماته"[2].وبما ان المسلة لا تفصح عن الخدمة التي اداها هذا الاله للرجل فلا يمكن ان نتوقع سوى ان الاله قد شفاه من المرض.

وكانت الإلهة المدعوة باسم سديد من الإلهات المرتبطات بالشفاء والطب[3].وهناك اله يدعى بعل مُرقد وهو احد أشكال الإله الكنعاني بعل ويعني سيد الرقص ،وكان له نبع يشفي من الأمراض[4].ومن الإلهات المرتبطات بالولادة يعرفن لدى الكنعانيين بالكوثرات أو كوثاراتو وهن بنات بعل وكان حضورهن يضمن الحمل والولادة السليمة ،ونحن نقرأ عن دورهن في أسطورة كنعانية تتحدث عن قيام بعل بمضاجعة عناة ألف مرة ،فتحمل بعدها عناة ،وتشرف على ولادتها إلهات الولادة كوثرات[5].هذا وقد ارتبطت الربة عشتار في سوريا بالولادة ،ونعرف ان النساء في القرن الخامس قبل الميلاد ،كن يقدمن النذور ويعلقن ألواحا على جدران المعبد يستعطفن بها الإلهة عشتار لكي تسهل عليهن الولادة[6].

وفي الوقت التي ارتبطت الأمراض في **إيران** بروح الشر ،فان الطب ارتبط بقوى الخير من الآلهة الزرادشتية ،فالإله اهورامزدا هو الذي خلق النباتات الشافية:"أنا اهورامزدا خلقت النباتات الشافية ،التي تنبت بالمئات ،بالآلاف وبإعداد لا تحصى وزرعتها جميعها حول گاوكيران"[7].ونعرف ان لهذا الإله عدة أسماء واسمه

---

[1]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٨٦-٨٧ ؛دونالد هاردن ،"الديانة الفينيقية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ، ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والترجمة والنشر ،٢٠٠٧) ،ج٢ ،ص١١٣.

[2]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٥٢٨ ؛ألماجدي ،الآلهة الكنعانية ،ص٧٥ ، ٩٥-٩٦.

[3]) ألماجدي ،الآلهة الكنعانية ،ص١٠٣.

[4]) المصدر نفسه ،ص١١٨.

[5]) ألماجدي ،الآلهة الكنعانية ،ص٨٧ ، ١٢٠ ؛كوبر وكوكان ،الديانة الكنعانية ،ص٩٣.

[6]) بوكيت ،مقارنة الأديان ،ص ٢٠.

[7]) فينديداد ، ٢٠: ٤.

واسمه الثامن عشر هو الشافي[١].وفي النصوص البهلوية المتأخرة يبقى الرب اهورامزدا مرتبطا بالعلاج ،فعندما أراد اهريمان نشر شروره وأمراضه على الأرض من اجل القضاء على گايومارد الإنسان الأول الذي خلقه اهورامزدا ،والثور الأول يهب الرب لمساعدتهما:"لكن قبل مجيء اهريمان إلى الثور مزج اورمزد(اهورامزدا) عشبا شافيا[يسمى بانغ] مع قليل من الماء ،ودهن به عينيه ،لكي يخفف من الم الضربات والبلايا"[٢].وكانت الربة اناهيدا من الإلهات المرتبطات بالطب وقد وصفت بالشافية[٣].وهي من إلهات الولادة:"هي (التي) تخلق بذور كل الرجال ،وتحضر للولادة ،هي حضن الأمهات لكل الزوجات ،تخفف من الآم الولادة"[٤] ،أو:"فلتسألك الزوجات الشابات الحاملات عن ولادة يسيرة"[٥] ،أو:"تمنح كل النساء ولادة ميسرة"[٦].وكان القمر عند الإيرانيين القدماء إلها يعبد تحت اسم ماه ،وقد عد إلها يجلب الشفاء[٧].وكانت تشتريا وهي ربة تمثل نجمة سيروس قد دعيت بالشافية[٨] ،وبفضلها لن يتعرض وطن الآريين للأوبئة[٩].وكانت الآلهة أشي وهي إلهة السعادة هي التي تهب الصحة للإنسان[١٠].ومن القوى المرتبطة بالصحة ما يعرف في الديانة الزرادشتية بـ الفرڤاشي(Fravashi) ،وهم أرواح الأجداد الموتى ،التي تواصل الحياة في العالم الأخر وتحمي جماعتها وشعبها في العالم الدنيوي[١١] ،ونعرف ان هؤلاء الفرڤاشي هم الذين يمنحون الصحة للمريض[١٢].فضلا عن الآلهة فقد ارتبط الأبطال الأسطوريين بالعلاج ،فقد كان أول الشافين يدعى ثريتا من الأسرة البشدادية ،وهي

١) ياشت ،١: ٨ ، ١٢.
٢) بنداهيشن ،الفصل:٣.
٣) ياشت ،٥: ١ ؛١٣: ٤.
٤) ياشت ،٥: ٢.
٥) ياشت ،٥: ٨٧.
٦) ياشت ،١٣: ٥.
٧) ياشت ،٧: ٥.
٨) ياشت ،٨: ٤٣.
٩) ياشت ،٨: ٥٦.
١٠) ياشت ،١٧: ١.
١١) عبد الرحمن ،افستا ،ص٤٩٣.
١٢) ياشت ،١٣: ٢٤ ، ٤٠.

من الأسر المرتبطة في التاريخ الأسطوري الإيراني:"سأل زرادشت اهورامزدا:أيها الروح الخير ،يا خالق العالم الدنيوي ،أيها المقدس! من كان الأول من بين الشافين والحكماء السعداء والأغنياء الأقوياء والبشداديين ،الذي أوقف المرض ،وأوقف الموت ،وابعد السيف المدبب والحمى المحرقة عن أجساد البشر ؟ أجاب اهورامزدا:ثريتا الأول من بين الشافين الذي أوقف المرض ،وأوقف الموت ،وابعد السيف المدبب والحمى المحرقة عن أجساد البشر.التمس الدواء فحصل عليه من خشاترافايريا لمقاومة المرض والموت"[١].ويتحدث الفردوسي من عصر متأخر عن احد ملوك إيران الأسطوريين وهو جمشيد ويقول عنه بأنه عرف أسرار الصناعة الطبية ،وما يتبعها من علوم كعلم الأدوية[٢].وفي الديانة المانوية نعرف إن مؤسس الديانة ماني قد ارتبط بفكرة الطب والعلاج وهناك قول منسوب إلى ماني بقول:"أنا النطاسي الذي جاء من ارض بابل".وتعبير النطاسي هنا يدل على المهارات الطبية العالية التي تمتع بها ماني ،فقد كان نطاسيا ماهرا قادرا على شفاء الأمراض المستعصية[٣].

في **الديانة المسيحية** ارتبطت شخصية السيد المسيح بالعلاج ،وبقدرته على شفاء كافة المرضى كما تدل على لك الأمثلة الكثيرة في الأناجيل ،وقد ورث هذه الصفة من بعده الرسل والقدسيين.

---

[١]) فينديداد ، ٢٠: ١-٢.

[٢]) الفردوسي ،الشاهنامة ،ص٩.

[٣]) السواح ،الرحمن والشيطان ،ص٢١٥.

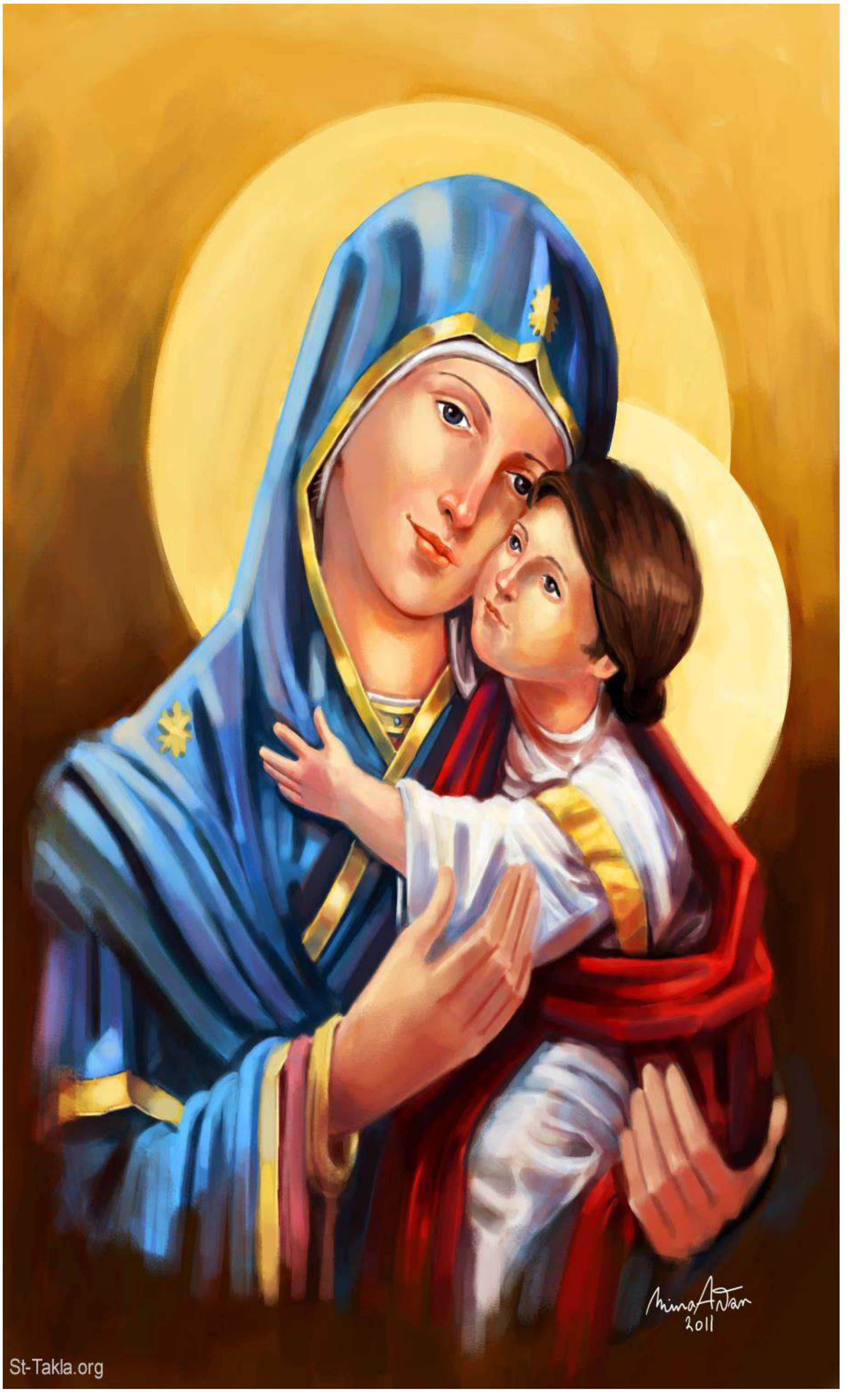


(السيد المسيح راعي الخراف الضالة)

أما السيدة مريم العذراء فقد حافظت على لقب سيدة الصحة ،وهو لقب ارتبط بعدد من إلهات الشرق القديم بشكل فعلي ،وتدعوها الصلوات المريمية بشافية الأسقام وأوجاع الجسد.ويؤمن الناس اليوم بالقدرة الشافية لبعض تماثيل مريم ،كما يروون عن معجزات ظهورها في الحلم لبعض المرضى الميئوس من شفاءهم ،وتحقيق هذا الشفاء عن طريق اللمس[1] .

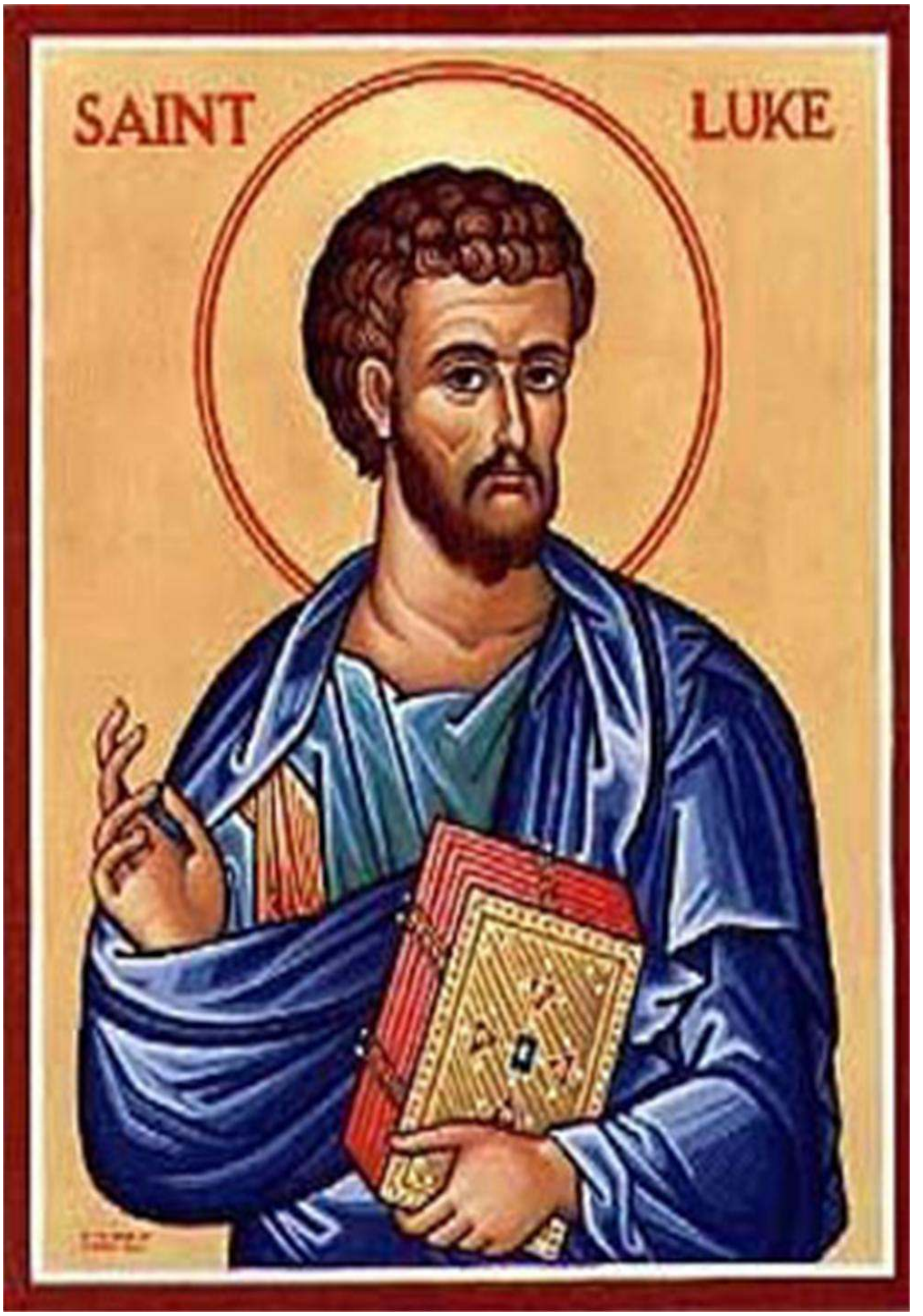
[1]) السواح ،لغز عشتار ،ص١٥٢.

(مريم العذراء)



(مريم العذراء)

وقد حل القديسين في الديانة المسيحية محل الالهة القديمة في تجسيد الصحة ،فالقديس لوقا الانجيلي(توفي عام ٧٠م) عد شفيعا للأطباء[1].



(القديس لوقا)

[1]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٧٤٩.

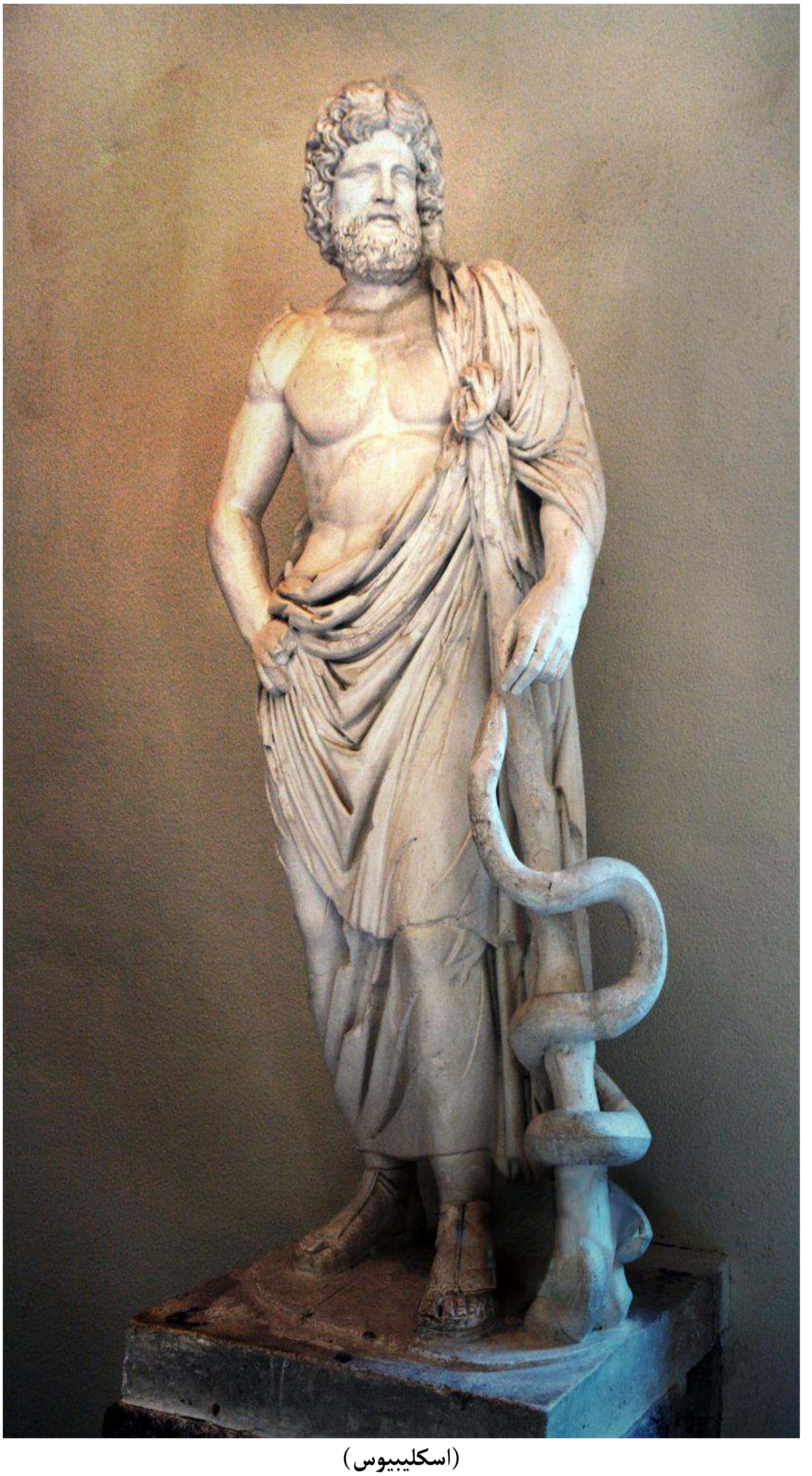
كان **الإغريق** كغيرهم من الشعوب القديمة يعتقدون ان الآلهة تمتلك القدرة على ان تشفي المرضى ،فهي بيدها الصحة مثلما بيدها المرض والموت ،فالمعروف إن الإله أبوللو قد لعب دورا مزدوجا فهو إلها للأوبئة ،وفي نفس الوقت إلها للطب ،والسبب في هذه الازدواجية ان الإله أبوللو كان قبل كل شيء اله النور ،واله الشمس ولما كانت الشمس قاتلة بأشعتها التي تضرب كالسهام ،وهي في الوقت نفسه مفيدة بقوتها الوقائية ،فان أبوللو عد لذلك رامي السهام الذي يطلق سهامه من بعيد باعتباره الموت المفاجئ ولكنه في الوقت نفسه اله الشفاء الذي يشفي الأمراض ،وهو أول من علم الناس فن التطبيب ،ويقول هذا الإله عن نفسه:"أنا الطبيب الآسي ،والطب أنا ابتدعته ،وما من خاصية لعشب تبدو إلا وعندي علمها" ،ويقول الشاعر الروماني فيرجيل ان أبوللو منح يافس الطبيب الطروادي معرفة فضائل الأعشاب وفن الشفاء[1].وكان اسكليبيوس(Asclepius) من آلهة الطب وهو ابن أبوللو من زوجته كورونيس(كوردني) ،وهو في الأصل من البشر ثم صار إلها للطب بعد وفاته ،وتتحدث الأساطير ان والده سلمه إلى خيرون(cheiron) القنطور(كائن نصفه إنسان ونصفه حصان) ،وكان أكثر القناطرة(Centauri) حكمة ،وقد علمه فن الطب ،بعدها بدأت شهرة اسكليبيوس الطبية ،واكتسب سمعة طيبة لأعاجيبه الشفائية حتى انه نجح في إعادة الموتى إلى الحياة ،ويعود الفضل في ذلك إلى استعمال دم الغورغون الذي أعطته إياه أثينا ،والى خواص نبات أخبرته به ذات مرة أفعى ،فشعر هاديس(اله العالم الأسفل) بالغبن ،والظلم ،فذهب إلى زووس شاكيا ،فوافق زووس ان على البشر ان يلاقوا مصيرهم.وهكذا عد اسكليبيوس مذنبا لإعاقة سنن الطبيعة ،فضربه زووس بصاعقة قضت عليه.ويعد اسكليبيوس في التقاليد الإغريقية من سلالة الضوء أو النار لكونه ابن أبوللو ،وكان يعيد الدفء إلى المرضى ،وعلى هذا كان موضع احترام في بلاد

---

[1]) بيبليوس فرجيليوس مارو(فرجيل) ،**الانيادة** ،ترجمة:عنبرة سلامة ألخالدي ،(بيروت:دار العلم للملايين ،١٩٧٨) ،ص ٢٥٠ ؛اوفيد ،مسخ الكائنات ،ص٤٣ ؛علي ،التاريخ اليوناني ،ص٣٠٧ ؛ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص١٦ ؛عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٤٢ ؛كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٩٨ ؛كمال ،الطب المصري ،ص١٥ ؛السواح ،لغز عشتار ،ص١٥٤ ؛غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٥٨ ؛جيسكا كلارج ،الحكايات الفولكلورية ،ص١٧٣ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٤١.

الإغريق ،وكانت الثعابين مقدسة في عبادته لأنها المخلوقات الوحيدة التي تقدر ان تخلع جلدها.وقد استمر تقديس اله الطب الاغريقي حتى العصور المتأخرة فقد عثر في قرية دوما الواقعة شمال لبنان على اثار معبد اسكليبيوس الذي ظل قائما حتى القرن الرابع الميلادي.وقد أحاطت به معبودات مساعدة ،بدء من زوجته ايبيون التي أنجبت له ولدين هما بوداليريوس(Podilirius) ،ومخاوون(Machaon) الذين كانا ماهرين في الطب كمهارة والدهما.ومن بنات اسكليبيوس إلهات هن هيجايا(Hygieia)(ربة الصحة ،وكانت تقوم بتغذية الثعابين المقدسة التي كانت تقوم بمعجزات العلاج) وقد استمر تقديس هذه الالهة حتى العصور المتأخرة ،ففي القرن الخامس الميلادي تم انشاء حمام خارج اسوار مدينة دبسي فرج(قيصرية الجديدة) ورمم القسم البارد من الحمام واعيد تبليطه بفسيفساء تمثل الهة الصحة هيجايا.وياسو(Iaso)(ربة الشفاء ،وربما كان اسمها ذا تأثير سومري) ،وبناكيا(Panacea)(ربة العلاج العام أو الدواء لكل داء) ،وايغل.وقد ارتبط به تيليسفورس الروح الحارسة للنقاهة ،والذي يمثل مرتديا جبة دون أكمام لها غطاء رأس ،وهو زي أولئك الذين استردوا عافيتهم.ويمثل اسكليبيوس أحيانا بشكل أفعوان ،ومن الجدير بالذكر انه قد أُطلق عليه اسم أخر هو بيان(Paean) ،أو بيون(Paeon) ،أو بيانوس ،وهو ذات الاسم الذي أطلق على أبيه أبوللو أي المعالج-الشافي[(١)].

[١]) علي ،التاريخ اليوناني ،ص٣٧٧ ؛ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٣٨-٣٩ ؛عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٣٩٦ ، ٤٠٥ ؛كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص ١٤٠ ؛كمال ،الطب المصري ،ص١٥ ؛ غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٥٨ ، ١٥١-١٥٢ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٤٦ ، ١٢٧ ، ١٩٩ ؛البيديل ،سحر الأساطير ،ص ٢٢٠.



(اسكليبيوس)

ومن الآلهة المرتبطة بالطب اله يدعى اريستوس في منطقة ثيسالي وقيل ان القنطور خيرون رباه ،وقد تعلم فنون الدواء والعرافة[١] .ونعرف ان الإلهة غايا(الأرض) ذات ارتباط بالطب إذ كان المرضى في مدينة باتراس يأتون لاستشارتها[٢] .وكانت أثينا تلعب دورا إلهة الصحة ،ففي أسطورة نقرأ كيف سقط المعماري مينسيكليس أثناء بناء البروبيليا ،وتعرض لخطر الموت ،لولا ان شفته أثينا بإعجاز ،ولهذا سميت بالهايجيا أي الشافية[٣] .وكانت الربة ارتميس(Artemis) من الإلهات المرتبطات بالطب ،وربما اسمها مشتق من أصل يعني سليم ومعافى ،الذي يجعل من ارتميس تلك:"التي تشفي الأمراض".وبسبب ارتباطها بالقمر فقد كانت تشرف على ولادة الأطفال ،فهي تساعد النسوة عندما يأتيهن المخاض ،ويعزى إليها إنها منحت الطب للبشر[٤] .كذلك الربة ايليثيا(Eileithyia) ابنة الإلهين زووس وهيرا وهي من إلهات الولادة ،تساعد النساء عند الوضع.وفي الأزمان البدائية من التاريخ اليوناني كان هناك اثنتان تدعيان بهذا الاسم ،وكانتا ابنتا هيرا وتشرفان على ولادة النساء ،ولا يمكن ان يولد أي طفل إلا إذا كانتا حاضرات ،ولا يمكن لأي أم ان تجد الراحة من دونهن.وأخيرا اندمجتا مع بعضهما في شخصية واحدة هي آلهة الولادة.وكانت تصور غالبا وهي راكعة ،وهو وضع يعتقد انه يساعد على الولادة ،وتحمل مشعلا ،رمز النور ،بينما باليد الأخرى تقوم بإيماءة التشجيع[٥] .واشتهرت الإلهة هيرا مثل ابنتها ايليثيا والربات ارتميس وهيكاتي بمساعدة النساء عند الولادة ،وان هذا التمازج بين وظيفتي الربتين هيرا وابنتها جعلت باحث يفترض إما ان هيرا بوصفها ربة كبرى انتحلت لنفسها اختصاص ابنتها الربة الصغرى فصارت هي ربة الولادة ،أو إنها كانت أصلا صاحبة هذا الاختصاص ثم اصطنعت ربة صغيرة مستقلة وعهد إليها بهذا الاختصاص ،وأيا كان الأمر عدت

---

[١]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص١٤٨.

[٢]) المصدر نفسه ،ص٢٨.

[٣]) المصدر نفسه ،ص٥٧.

[٤]) روز ،الديانة اليونانية ،ص١٩ ؛ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٣١ ؛غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص٧١ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٤٦.

[٥]) روز ،الديانة اليونانية ،ص٣٧ ؛علي ،التاريخ اليوناني ،ص٢١١ ؛ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٣١ ؛ غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص١٥١.

هيرا صنوا لابنتها ايليثيا ،أي مثلها ربة للولادة ،أو ربة قابلة تعين النساء عند الوضع[1].هذا وكانت الربة افروديت من إلهات الانجاب لدى الاغريق[2].

لم تكن الآلهة في بلاد الإغريق هي الوحيدة المالكة لأسرار معرفة الطب ،بل كان هناك أصناف أخرى من القوى المالكة للمعارف الطبية ومنها ما يعرفن في التقاليد الإغريقية بالحوريات ،ومنهن حورية الجبل وتدعى اوينوني(Oenonê) التي كانت ذا معرفة كاملة بجميع الأعشاب الطبية اللازمة لمداواة الجروح[3].ومن الحوريات اللواتي يسكن الكهوف هناك الحورية اليثيا التي تعين الحوامل وقت الوضع[4].وهناك حوريات المياه ،وعدهن البعض آلهة بمرتبة متدنية وكن إلهات طيبات يشفين المرضى[5].وارتبط بعض الأبطال الأسطوريين بالطب ومنهم هرقل الذي كان يتمتع بقوى طبية ،إذ كان يستحضر في حالة الأوبئة ،في حين ان بعض الينابيع الشافية في هيميرا وثرموبيلي كانت مقدسة بالنسبة إليه[6].

لدى **الرومان** أيضا آلهة مختصة بالشفاء ،فقد عد كبير الآلهة الرومانية جوبيتر في القرون المتأخرة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية من آلهة الشفاء ويتحدث الكاتب الروماني اوسانيوس(٣١٠-٣٩٥م) عن الخاصية الشفائية لتمثال الرب جوبيتر:"لقد لمس ألكون(Alcon) تمثال الإله جوف(جوبيتر) البارحة وشعر بتأثير الطبيب..."[7].وقد كانت الربة الايطالية جونو(Juno) زوجة الإله جوبيتر من إلهات ولادة الأطفال ،ومن أسمائها العديدة جونو لوسينا(Juno Lucina) التي تقوم بحماية الزوجة الحامل ،وتقوي من عظام الرضيع ،وعرفت في هذه الصفة الأخيرة باسم جونو اوسيباغو(Juno Ossipago).وباعتبارها إلهة ولادة الأطفال ،كان من الطبيعي ان تتضرع إليها الزوجات العاقرات ،وكانت جونو لوسينا هي التي أنقذت

---

[1]) علي ،التاريخ اليوناني ،ص٢٦٦.

[2]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص١١١.

[3]) علي ،التاريخ اليوناني ،ص٤٣٥ ؛وارنر ،الإغريق ،ص٩.

[4]) جون ريتشارد ثرونهيل بولار ،"الديانة اليونانية:نظرة عامة" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٥) ،ج٣ ،ص١٢.

[5]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص١٣١.

[6]) المصدر نفسه ،ص١٦١.

[7]) الأحمد ،الإله زووس ،ص٢٥٦.

نساء السابيين(إحدى القبائل الايطالية) من كارثة العقم التي أصابتهن بعد اختطافهن من قبل رومولوس.ومن أسمائها أيضا جونو مارتياليس ،وهي إلهة الولادة أيضا ،وجونو سوسبيتا(Juno Sospita) وكانت حامية الولادات وكانت تتلقى ابتهالات حارة عند المخاض والولادة.وتصور جونو لوسينا وهي تحمل طفلا بين ذراعيها ،ويجلس طفلان عند قدميها ،كما تمثل مع طفل بذراعيها ،وبيدها زهرة[(١)] .



(الربة جونو)

ومن معبودات الطب الرومانية اسكليبيوس(سمي في روما اسكولابيوس) الذي دخلت عبادته إلى روما عام ٢٩٣ قبل الميلاد للتخلص من الطاعون[(٢)] .ويبدو

---

[١]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٢٣٥ ؛ف.غيوراند ،"الآلهة والأساطير الرومانية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٥) ،ج٣ ،ص٢١٧.

[٢]) حو حادثة دخول اسكليبيوس اليوناني إلى روما انظر:اوفيد ،مسخ الكائنات ،ص٣٢٨-٣٣٠.

إن الآلهة الإغريقية المختصة بالطب قد دخلت روما بعد ان استولى الرومان على المدن الإغريقية في جنوبي ايطاليا ،لذا أقيمت في روما عبادة أبوللو ،وكان لا يزال يدعى وقتئذ باسم ميديكوس ،وقد جعل الرومان من الإله أبوللو مختصا بالشفاء من الأوبئة ،ثم ابنه اسكليبيوس الذي كان اله الطب ،وقد خصص الرومان له أرضا على جزيرة صغيرة مقابل سوق الثيران ،وصاروا ينقلون العبيد المصابين إلى هناك حيث يعتني بهم الإله اسگولابيوس[١] .وكذلك عبدت الربة ايليثيا اليونانية تحت اسم لوجينا[٢] .وكانت الربة ديانا وهي إلهة ايطالية للغابات عند الرومان تساعد النساء على الولادة السهلة ،ويتضرع إليها النسوة من اجل الحمل[٣] .ومن المعبودات الأخريات ايجيريا(Egeria) التي قدمت لها النسوة القرابين من اجل تسهيل الولادة أيضا[٤] .وكانت الربة سالوس(Salus) تجسد الصحة والرفاهية ،وقد توحد مع الربة اليونانية هيجايا ،وقد شيد لها معبد في روما عام ٣٠٢ قبل الميلاد[٥] .

لدى **السلت** في أوربا الغربية آلهة للشفاء منهم كما يقول يوليوس قيصر الإله أبوللو(طابق الرومان الإله ألسلتي مابونوس بالإله أبوللو) الذي يطرد الأمراض[٦] .

في **الصين** ارتبط الطب بالقوى الإلهية والأبطال الأسطوريين ،وكانت الإلهة بي-هسيا-يوان-تشون(Pi-hsia-yuan-chun) ،وتسمى أيضا شينغ-مو الأم المقدسة تحمي النساء والأطفال وتشرف على الولادة ،ولها عدة معاونات منها سيدة الرؤية الجيدة التي تحافظ على الأطفال من العين الشريرة ،وسيدة أخرى وظيفتها توليد الأطفال.ولهذه الإلهة التي معنى اسمها أميرة الغيوم المرقطة إلهة مناظرة في الديانة البوذية في شخص الإلهة كوان-ني ،وقد أطلق عليها لقب سانغ-تزو-نيانغ-نيانغ ،أي السيدة التي تولد الأطفال ،وتظهر عادة في الفن وهي تجلس على زهرة

---

[١]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص٥٧.

[٢]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص ١٤٠ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٢٩.

[٣]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص٧٤ ؛السواح ،لغز عشتار ،ص١٠٩ ؛ميشيل غرانت ،"الديانة الرومانية:نظرة عامة" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٥) ،ج٣ ،ص٢٠٣.

[٤]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص٧٨.

[٥]) شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٢٢٧ ؛ غرانت ،الديانة الرومانية ،ص٢٠٥.

[٦]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص٦٧-٦٨.

لوتس مرتدية خمارا ابيض اللون وهي تحتضن طفلا بين ذراعيها ،ولإلهة الخصوبة كوان-ني خبرة في معالجة جميع الأمراض[١] .



(بي-هسيا-يوان-تشون)

وتتحدث الأساطير الصينية عن شين-نونغ(٢٨٣٨-٢٦٩٨ قبل الميلاد) وهو حاكم الصين الأسطوري ،وقيل انه علم الصينيين فن الزراعة واكتشف فوائد الأدوية ،وقيل انه اكتشف في يوم واحد سبعين نبتة سامة ،كما اكتشف السموم المضادة لها ،لأنه عن طريق زجاج في جدار معدته استطاع ان يراقب هضم

[١]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص١٨٨-١٨٩.

النباتات.ومن ثم جمع كتاب أدوية لا يزال قيد الاستعمال حتى يومنا هذا.وتتحدث التقاليد الأدبية انه قد مات عند قيامه بإجراء تجارب على نفسه بالأعشاب[1].وفي الهند تشير التقاليد إلى ان رب الشمس سوريا كان يعزى إليه شفاء المرضى[2].وكان الإلهان التوأمان المدعوان اشفيني يؤديان وظيفة المنقذين الكونيين ،إذ يجوبان السماء في مركبة ويمدان يد العون لكل إنسان يقع في حالة صعبة.كما يؤديان أيضا مهمة المداويين الإلهيين اللذين يساعدان المرضى والمشوهين والعاجزين ،فيعيدان البصر لمن فقده بل ان لهما القدرة حتى على درء الموت عن الناس[3].هذا وتنسب التقاليد البوذية إلى بوذا ،كما هو الحال مع ماني في المانوية ،قدرات على شفاء المرض:"وحال تفشي وباء ما ،يظهر(بوذا)بصفته نطاس شاف"[4].وفي **اليابان** كان الإله أو-كوني-نوشي(O-kuni-nushi) إلها للطب والسحر ،وكان يساعده سوكو-نا-بي-كو(Suku-na-bi-ko) هو الإله القزم ،وكان القزم ابن الإلهة المنتجة المقدسة ،وكان ماهرا في فنون الطب ،وهو سيد العارفين ،وكان خبيرا بالأدوية ،وهو يلازم أو-كوني-نوشي ،وقاما سوية بمعالجة الأمراض في منطقة ايزومو[5].

---

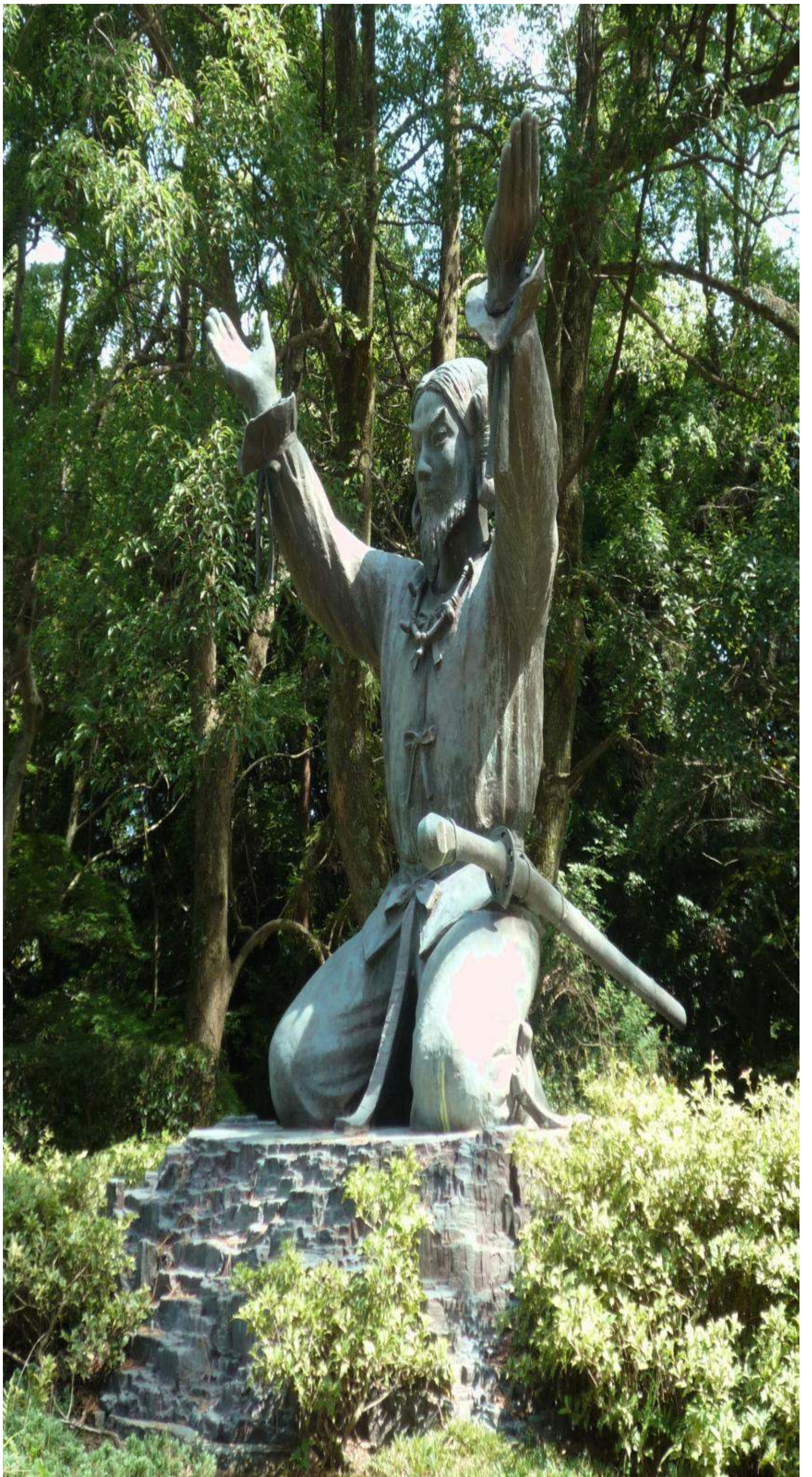
[1]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١١٤ ؛جوزيف كامبل ،**البطل بألف وجه** ،ترجمة:حسن صقر ،(دمشق:دار الكلمة ،٢٠٠٣) ،ص ٣٢٠.

[2]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٨٢.

[3]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص١٠٦.

[4]) بوكيو ديندو كيوكا ،**تعاليم بوذا** ،ترجمة:حازم مالك محسن ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،٢٠٠٨) ،ص٤٤.

[5]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج٢ ،ص٨٥ ؛كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١١٣.



(أو-كوني-نوشي)

ويعد المعبود جيزو بوساتسو(Jizo bosatsu) من المعبودات المهمة وله عدة وظائف أهمها كان يسهل ولادة الأطفال[١].



(جيزو بوساتسو)

وهناك الربة كيشيموجن(Kishimojin) واصلها من الصين ،لكنها عبدت في اليابان ،وعدت حامية النساء عند الولادة ،وتتضرع إليها الأمهات لشفاء أطفالهن

[١]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٢٣٩.

المرضى[١].وهناك اله يدعى ياكوشي-نيوراي(Yakushi-Nyorai) ،وهو معبود واسع الانتشار في اليابان منذ القرن الثامن الميلادي ،وهو الإله الشافي الذي يوقف الأوبئة ،ويستطيع علمه السيطرة على المرض ،ويمثل عادة هيئة بوذا ممسكا بيده قارورة صغيرة تحتوي على أدوية[٢].



(ياكوشي-نيوراي)

---

[١]) المصدر نفسه ،ج١ ،ص١٦٦.

[٢]) المصدر نفسه ،ج٢ ،ص٢٤٦.

وفي بوذية المهايانا التي ظهرت في الهند في القرن الأول أو الثاني الميلادي ثم انتشرت بعد ذلك في الصين وكوريا واليابان في أواخر القرن السادس الميلادي يظهر البوذا فيها ككائن الهي ،وليس البوذا قد قدس هناك فحسب ، بل هناك ما يعرفون بالبودهيساتفات(وهم بوذوات المستقبل).وقد حل هؤلاء محل آلهة الطب في حضارات الشرق الأقصى فهناك من بوذوات المستقبل كشيتيغاربا(Kshitgarbha) في الهند الذي يدعى في الصين تي-تسانغ(Ti-Tsang) وفي اليابان جيزو(Jizo) الذي يهتم بمساعدة النساء وهن في مضض ولادة الطفل.



(كشيتيغاربا)

وهناك في المهايانا البوذوات الدهيانيين(أي بوذوات التأمل) ومنهم بهاسياجياغورو(Bhasiajiaguru) أي بوذا الشفاء ،وله أتباع كثيرون في التبت والصين واليابان[1] .

في **الثقافات البدائية** هناك معتقدات مشابهة لما نقرأه لدى المجتمعات الحضارية الكبرى ،فقبيلة يوربا(Yoruba) الأفريقية تتحدث عن الإله ايفا(Ifa) وان الإله الأعظم أرسله إلى الأرض لمساعدة المرضى والنساء الحوامل وتعليم البشر طريقة استعمال الدواء ،وقيل ان الإله ايفا كان طبيبا ماهرا[2] .

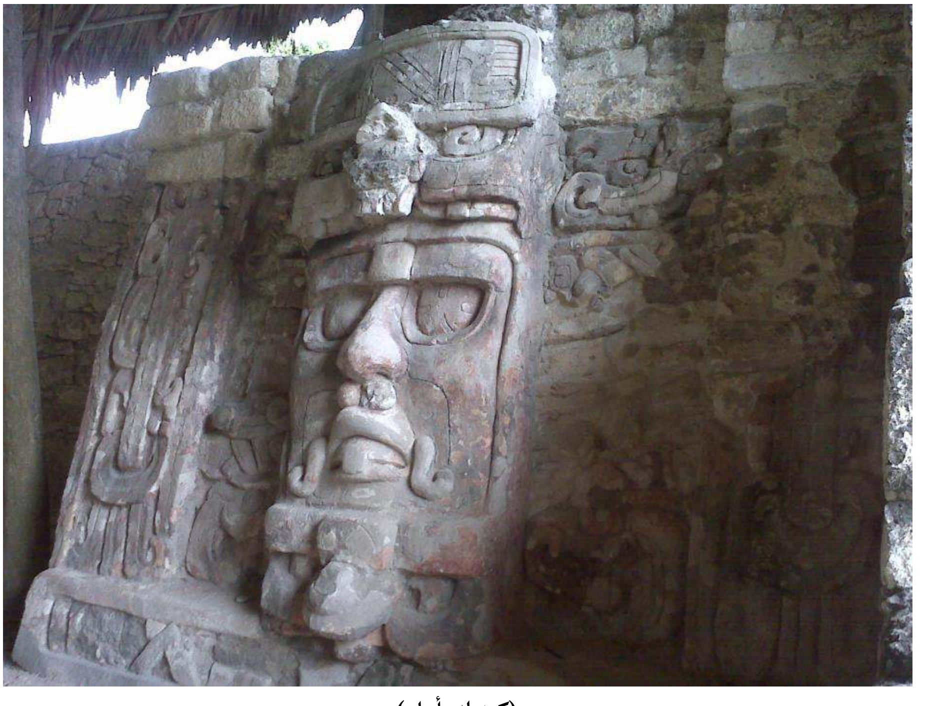


(تمثال رجل من قبيلة يوربا)

[1]) نوس ،الديانة البوذية ،ص١٩٦-١٩٧.

[2]) جيفري بارندر ،الأساطير الأفريقية ،ترجمة:حسن هيثم ألطريحي ،(دمشق:دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ،٢٠٠٧)،ص١٢١-١٢٢.

وفي غينيا في غربي أفريقيا عد الإله ساكارابرو(Sakarabru) هو الذي يشفي من الأمراض[١] .وكانت قبيلة ميندة الأفريقية في سيراليون تقدس الجبال ، وتعدها آلهة ، وتشير أسطورة إلى ان رجلا من القبيلة طلب ذات مرة من الجبل الذي يقدسوه رعاية النساء في ولادتهن وشفاء المرضى[٢] .وكان اله السماء موكورو عند شعب هريو في جنوب غرب أفريقيا إلها عطوفا يعطي الحياة والمطر ويداوي المرضى[٣] .وعند شعب الازتيك كان ايزتييلتون(Iztiilton) ،هو الصحة والطب عندهم ، وكان الأطباء هم كهنته[٤] .في حين كان كينيك-أهاو(kinich-Ahau) هو رب الطب والمداواة عند شعب حضارة المايا[٥] .



(كينيك-أهاو)

وألان بعد أن استعرضنا مفهوم المرض لابد من إجراء مسح شامل لطبيعة العلاج السحري الذي مارسته المجتمعات القديمة.

١) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج ٢ ،ص٦٥.

٢) بارندر ،الأساطير الأفريقية ،ص٩١-٩٢.

٣) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٢٢٧.

٤) شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص١٣٧.

٥) المصدر نفسه ،ص١٤٧.

الفصل الرابع

الوسائل السحرية للعلاج

١.التقوى علاج للمرض: الصلاة-القربان.

كانت الصلاة والقرابين والتقوى الفردية عاملا مهما في العلاج ؛والصلاة تقوم بتكرار بعض كلمات وجمل وضعها المجتمع لأبنائه ينالوا بواسطتها رغباتهم من الآلهة ،أو هي بتعبير أخر دعاء وطلب وشعور بضعف ،وإقرار بوجود كائنات علوية تستطيع ان تقوم بما يعجز عنه الكائن البائد[١].والصلاة ذات قيود وشروط لا يرجى منها نفع إلا إذا تليت على حسب القواعد الموضوعة ،والإنسان يعتقد تمام الاعتقاد انه إذا قام بترديد الكلمات الخاصة بها فانه سيصل إلى غاياته جراء هذا الترديد[٢].وبناء على ذلك يمكن ان نقترح ان الصلاة تمثل تواصل سحري بين الإنسان والقوى الإلهية التي تحكم العالم والكون ،وهي هنا ان جاز لنا التعبير أشبه بسحر الكلمة[٣]التي يستطيع الإنسان عن طريق ترديد كلمات تلك الصلاة ذات المفعول السحري ان يؤثر على القوى الفعالة في الكون.ففي حالة المرض فان الإنسان يرفع يديه ضارعا إلى إلهه ليحميه من أعوان وقوى الشر ،وكانت هذه الصلوات ترافقها طقوس معينة على الشخص المريض ان يقوم بها من اجل ان تستجيب الإلهة لصلاته.وبلا شك كانت الصلاة تقدم الراحة النفسية للمريض ،وفي نفس الوقت كانت أداة فعالة لاستنهاض الهمة الإلهية واستدرار عطف الآلهة لكي تسارع لإنجاد المريض ،وإنقاذه من محنته.أما القربان فيمكن ان يعرف بأنه تقديم شيء نملكه لإرضاء الإله ،وهذا الشيء يدمر أما بالقتل أو بالحرق أو بالإغراق ،أو وهب أو إفناء شيء حي أو جامد من اجل نقله من ملكية البشر إلى ملكية القوى الروحية أو الإلهية.وابسط شكل له هو التقدمات والهدايا من كل نوع على أمل إرضاء الأرواح.فعندما يكشف الإنسان ان القوى تتصرف بشكل غير عادي أو غير منضبط فانه يعمد إلى تقديم القرابين من اجل استرضائها أو استمالتها حيث لا يستطيع إخضاعها ،وهذا ما يسمى بالقربان ألاسترضائي.وهو عندما يعتقد بأنه اغضب القوى الروحية بأفعاله يعمد إلى تقديم القرابين بقصد التكفير أو التعويض

---

[١]) شلحت ،نحو نظرية جديدة ،ص٧٥.

[٢]) المصدر نفسه ،ص٧٧.

[٣]) نقصد بسحر الكلمة هنا كافة أشكال التأثير بالقوى المحيطة بالإنسان من غير استخدام طقوس معينة إنما عن طريق الكلمة المنطلقة من فم قائلها مثل اللعنة والتعاويذ والرقى وغيرها ،وهنا نعد الصلاة جزء من هذا النمط من السحر.

عن سوء أفعاله ،وربما يأمل بان يفتح طريقا تتدفق منه القوى الخارقة إليه ،وهذا ما ندعوه بقربان الأسرار.والشكل العام للقربان المتبع في المعابد:هو ان يحضر المضحي قربانه إلى فناء المعبد حيث يقوم الكاهن بتقديم هذا القربان للإله.وقد اقتراح الباحثون خمسة أسباب لتقديم القربان هي:١.العبادة ٢.التعبير عن الشكر ٣.المقايضة ٤.كفارة عن ذنب ٥.دعم السلام والمصالحة[١].

في **وادي الرافدين** كانت الصلاة موجهة للإله لإزالة غضبه ،وهي تهدف بشكل أساس الاعتراف بالإثم من اجل استئصال المرض وهناك أمثلة كثيرة عن هذه الطريقة.والصلوات التي يقدمها الشخص المريض وتهدف إلى استدرار عطف الآلهة من اجل منحه الشفاء:"لقد طالتني النجاسة ،واني أجثو أمامك لتحاكمني وتصدر قرارك ،حاكمني ،واصدر قرارك على إثمي ،واستأصل المرض الخبيث من جسمي ودمر الشر الذي في لحمي ،وعضلاتي ،حتى إذا ما زال الشر عن جسدي ولحمي وعضلاتي أقوى على رؤية نورك "[٢].وهناك صلاة مرفوعة إلى گلگامش(وهو ملك نسبت إليه أعمال بطولية وأُله بعد وفاته) جاء فيها:" آه گلگامش اقضي بحكمي واصدر القرار ،استأصل البلوى من جسدي وابعد عني أوجاع العضلات ،وليخرج الشر الذي في جسدي وعضلاتي ،كي أرى النور.غضب الإله والناس انصب علي ،أحلامي جائرة ،ورؤياي شريرة ،شؤمي وتفاؤلي مضطربان وليس هناك ،قرارات تطبق العدل والإنصاف ،اطرد الوجع من رأسي وابعد المرض عن جسدي"[٣].وفي صلاة ثانية موجهة الى نفس الملك المؤله:

"اصابني سوء ليتك تصدر حكما بصددي
وتلفظ بقرار من اجلي ان ساجد امامك
اصدر حكما بصددي وتلفظ قرار من اجلي
انتزع المرض الذي هو في جسدي
اطرد كل سوء[.....]"[٤].

---

[١]) بوكيت ،مقارنة الأديان ،ص٢٩ ؛نوس ،أهم الخصائص المميزة للدين ،ص٣١-٣٢.

[٢]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٤٦.

[٣]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٥٧-٥٨ ؛انظر صلوات مشابهة في:السواح ،الرحمن والشيطان ،ص٣٣.

[٤]) الشواف ،ديوان الاساطير ،ج٤ ،ص٤٣٨.

ونقرأ في صلاة لأشوربانيبال: "لماذا يحيط بي المرض وعذاب القلب والشقاء والألم...لقد حنى مرض القلب ومرض الجسد قامتي...ندبت أيها الإله!سلط هذه على الذي لا يخاف الآلهة ودعني أرى نورك! أيها الإله لم قررت كل هذا علي ؟أني أتعذب كمن لا يخاف الآلهة"[١].

كانت الصلاة هي بمثابة تواصل سحري بين الإنسان المريض والخاطئ-المذنب وبين عالم الإلوهية الغاضب الذي لابد من التزلف له لكي يرضى ،فهي أشبه بسحر الكلمة التي يستخدمها الساحر ،ولكن هنا يتم في مضمار من التذلل الواضح للقوى التي تحكم الكون ،وهناك سلسة من الصلوات النموذجية التي تشكل مدخل لفهم أهمية الصلاة في الشفاء ، ومنها:

-صلاة الى مردوك:

"يا مردوك الشجاع الذي غضبه مثل غضب العاصفة
ولكن نعمته هي نعمة أب رءوف
دعائي ،لم يستمع إليه احد وهذا ما يفجعني
صرختي لم يجب عليها احد ،وهذا ما يعذبني
فارقت قلبي كل شجاعتي وأصبحت منطويا على نفسي وعجوزا
سيد القوة مردوك ،اله الرحمة
بين البشر على كثرتهم
كيف يستطيع الوحيد ان يفهم ؟
الذي لم يرتكب أي إثم ؟ الذي لم يزّل أبدا ؟
ومن يستطيع ان يفهم مقاصد الإله ؟
سوف أحافظ على احترامي وتعبدي وسأظل بدون تقرب...
...ضدك ارتكبت جرما
لقد تجاوزت وخالفت حدود حماية الإله
اغفر لي ذنوبي ،أحس بها وهي تثقلني
اغفر لي تلك التي اجهلها أيضا

[١]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٥٢-١٥٣.

وليكن قلبك غير مغتاظ ابد (مني)
امح إثمي ،وخفف ذنبي
نور ترددي ،بدد ارتباكي
ان خطيئة أبي ،وخطيئة والد أبي
وخطيئة أمي ،وأم أمي
وأقربائي المقربين ،وأقربائي البعيدين
وكل من يمت لي بصلة قرابة
سوف لن يتقربوا وليتهم يذهبوا إلى أسوء مصير ؟
إذا كلمني الإله فانه سوف يطهرني وينقيني مثل زرع الكانكال
أعدني بين يدي الهي الحامي النقيتين
وعندها فبالصلاة والدعاء والتوسل
سوف ألزم نفسي السكون أمامك إلى الأبد
ان شعب الوطن الذي لا يحصى عدده والذين يسكنون على كل أطرافه
يسمعون عظمتك...
امح إثمي ،وبدد ألمي
يا مردوك الشجاع ،بدد ألمي
أيتها الملكة الكبيرة أروا ،بددي ألمي
أيها الإله نابو ذو الاسم الساحر بدد ألمي
أيتها الملكة تاشميتو ،بددي ألمي
أيها الشجاع نرگال بدد ألمي
أيتها الآلهة ساكنة السماء امحي إثمي
ان الأخطاء التي لا تحصى والتي جعلتني مذنبا منذ طفولتي
دمريها سبع مرات دمريها
وليكن قلبك مثل أبي الذي ولدني
ومثل قلب أمي التي أخرجتني للحياة خذي مكانها
وألان أيها الشجاع مردوك ،سوف اغني وأنشد عظمتك"[1] .

---

[1]) بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٤٥-١٤٧.

-صلاة الى عشتار:

"حينما تلقين نظرتك ، يحيا الميت ، وينهض المريض
ومن كان تائها يجد سواء السبيل ،إذ يرى وجهك
أنا الذي دعوتك أنا خادمك ،التعب المنهك
انظري إلي يا سيدتي واقبلي طلبي
القي علي نظرتك بأمانة واسمعي صلاتي
امنحيني الرحمة ولتخمد أنفاسك لأجلي
الرحمة لجسدي المرتعد ،المليء بالاضطرابات والفوضى
الرحمة لقلبي المتألم ،المليء بالدموع والتشكيات
الرحمة لفألي القلق ،والغامض والمضطرب
الرحمة لبيتي الذي لا نوم له والمرتجف من التشكيات المتكررة
الرحمة لنفسي السكرى بالدموع والزفرات!
يا ارنينيتو ، ليهدأ علي قلبك هذا الأسد الحانق
ولترمقني عيناك بعطف!
انظري إلي بوجه متلألئ بثقة
اطردي المساوئ من جسدي ،لكي أرى نورك الساطع".

وهذا المريض المعذب لا يطاب الرحمة فقط بل يصف حالته البائسة لعل الآلهة ترق عليه:

"التوي مثل موجة تنفخها الريح العاتية
قلبي يطير ويخفق بجناحيه مثل طائر السموات
أنوح مثل حمامة ليل نهار!
إنني منطرح باكيا بمرارة
في الانتحاب نفسي مليئة بالعذاب
فماذا فعلت أنا ،يا الهي ،ويا إلهتي
ها أنا أعامل وكأني لا احترم الهي وإلهتي!
فعلي (انقض) المرض والصداع والخسارة والدمار
علي استحوذ الهلع والكراهية والغضب الطافح

الغيض والحنق وغضب الآلهة والبشر!
لم اعرف يا سيدتي سوى أيام مظلمة وأشهر قاتمة وسني عذاب
لم اعرف يا سيدتي سوى عقاب واضطراب وفوضى
فالموت يمسك بي والشدة القصوى".

وأمام هذا الألم الذي يعاني منه المريض ورغم انه لا يعرف ذنبه إلا انه يدرك ان لا سبيل أمامه للشفاء إلا ان يحصل على الغفران من الآلهة ،لذا يطلب من الربة عشتار ان تغفر ذنوبه وخطاياه:

"حلي ذنوبي وأخطائي وآثامي ومخالفاتي
انسي آثامي وتقبلي صلواتي
حطمي قيودي وردي علي الحرية".

حتى الإله الشخصي الذي ترك المريض فان الأخير يبتهل إلى الآلهة لكي تعيده إليه:

"مري ،بأمرك ليعد الإله الغاضب فيصبح صديقا
ولتعد إلي الآلهة كانت بغضبها قد ارتدت عني"[1].

-صلاة الملك أشور ناصر بال الأول للربة عشتار:

"يا عشتار السيدة التي حصتها هي ان تمنح الحياة
أمامك أريد ان اعرض كل الأرق الذي اعرفه
أصغي سمعك إلى أقوالي المنهكة
لتغفر نفسك لجسدي المتألم
انظري إلي أيتها السيدة لان قلب عبدك
يتألم لو انك حولت وجهك عنه!".

ثم يستعرض أشور ناصر بال ما قام به من خدمات لهذه الإلهة من صناعة تماثيلها إلى بناء معابدها ولكنه يتساءل

"بماذا أهملتك إذن ،بماذا(نسيتك)
حتى جازيتني بالمرض؟".

وأخيرا فان هذا الملك يشرح آلامه المبتلى بها طالبا من الإلهة الغفران والمساعدة:

[1]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٣٠٦-٣٠٧.

"(ها إني أعامل) كمن لا يخشى إلوهيتك البتة
كيف لا أكون في الخطأ والخطيئة؟
دوما رغم كوني غنيا (ها أنا تعس)
أنا محروم من كل شيء(ولا استطيع ان أجد) الراحة
على عرشي الملوكي ليس لي سوى الحرمان
لا اقرب الطعام الذي بودي تناوله...
الشراب النفيس الضروري للحياة(قد تغير عندي) إلى شراب مر
بت لا أبالي بالقيثارة والأناشيد التي تناسب (الملوك)
ومن الفرح الذي هو شأن الإحياء ،ها إني محروم كليا (منه)!
عيناي ،رغم كونهما مليئتين بالألوان ،لكنهما لا تريان بعيدا
ولا يسعني من بعد ان ارفعهما من الأرض نحو العلى!
إلى متى أيتها السيدة ،ستتركين هذا الألم المتواصل يلازمني!
أنا أشور ناصر بال المبتلى بالأرق ،أنا الذي أخافك
الذي امسك حاشية ثوب إلوهيتك ،الذي توسل إليك بوصفك سيدتي
انظر إلي يا سيدتي أتضرع إلى إلوهيتك!
أنت المغتاظة كوني رحيمة ولتهدأ أنفاسك
ليمل قلبك إلى المغفرة ،ان كان غاضبا علي!
اطردي مرضي ،لتكن خطيئتي في نظرك طفيفة!
لينزل من فمك ،يا سيدتي الهدوء إلي!
على أميرك المفضل الذي كان أمينا دوما
أشفقي واطردي ارقه"[١].

-صلاة إلى جميع الآلهة:

عثر عليها في مكتبة اشوربانيبال ،وهي عبارة عن صلاة مرفوعة إلى كل الآلهة المعروف منها لدى كاتب النص ،وغير المعروف ،يطلب منها غفران خطاياه التي ارتكبها دون قصد وعن غير علم بها:

[١]) المصدر نفسه ،ص٣٠١-٣٠٢.

"ليهدأ قلب الهي الغاضب علي
وليرض عني الإله الذي لا اعرفه
ولترض عني الإلهة التي لا اعرفها
ليرض عني من اعرف من الإله ومن لا اعرف
ليرض عني من اعرف من الإلهات ومن لا اعرف
بجهل مني أكلت طعاما حرمه الهي
بجهل مني وطئت مكانا حرمته إلهتي
فيا الهي ان آثامي عديدة وخطاياي عظيمة
إني جاهل حقا بما اقترفته من ذنوب
إني جاهل حقا بما ارتكبته من خطايا
ولكن الإله نظر إلي بقلب غاضب
وإلهتي في غضبها تسببت في مرضي
لقد نال مني الإله الذي اعرفه والإله الذي لا اعرفه
وقضت بعذابي الإلهة التي اعرفها والإلهة التي لا اعرفها
اطلب العون وما من احد يمد إلي اليد
ابكي وما من احد يقوم لي سندا
اندب ولا يسمع عويلي أحدا
مغلوب على أمري ،ومعتل وعيناي لا تبصر
فيا الهي ،أيها الإله الرحيم ،هذه ضراعتي فالي انظر
الإنسان مخلوق قاصر التفكير لا يعرف شيئا
لا يدري متى يجني حسنة ولا متى يصنع إثما
فلا تطرح يا ربي عبدك هذا أرضا
ها هو يغرق في ماء المستنقع فخذ بيده
وحول سيئاته إلى حسنات
دع الآثام التي ارتكبها تذروها الرياح

واذهب بإعمالي السيئة ،انتزعها كما تنتزع العباءات"[١] .

ان هذه الصلوات تمثل صورة نموذجية لتضرع الإنسان إلى القوى العليا التي تحكم الكون ،فهي تعطي كل التعليل الذي يمكن ان نسوقه من اجل فهم لماذا تمثل الصلاة والتذلل للآلهة المدخل للعلاج ،فهذه الصلوات التي يمكن ان نقسم موضوعها إلى ثلاثة أقسام تعطينا تصورات غنية عن عقلية سكان وادي الرافدين ،ففي القسم الأول يلجأ المريض المذنب إلى إلهه يخاطبه بتذلل مادحا قوته ، وجبروته موضحا انه قد استصرخ الآلهة لإنقاذه التي تركته وأهملته لأنها بلا شك غاضبة منه حتى لو انه لم يرتكب أي إثم تجاه الإلوهية ،ثم ينتقل في القسم الثاني ليعترف بأنه أذنب بحق الآلهة متجاوزا كل الحدود ، نادما على كل الذنوب التي ارتكبها حتى تلك غير المقصودة ،وهو هنا يمهد للانتقال إلى القسم الثالث من الصلاة وهي لب الموضوع المطروح ليطلب من الآلهة كلها ان تغفر الذنوب ،ليتبدد الألم ،ولن يتم ذلك إلا بان تدمر الآلهة كل خطايا ذلك الشخص المذنب وبالتالي المريض ،وليتمكن من العودة إلى حماية إلهه الحامي.

ولكن لم تكن هذه النصوص هي كل تصورات البابليين عن التقوى كسلاح موجه ضد المرض ،ففي بعض الأحيان قد يتجاوز الأمر إلى امتناع البشر عن تقديس الآلهة كلها باستثناء مسبب المرض ،وهذا يتضح من مقطع ذا طبيعة خاصة يردنا من ملحمة اتراخاسيس:

"كان اتراخاسيس يبلغ إلهه اينكي ويخاطبه:
فتح اتراخاسيس وخاطب سيده:
هل سيواصلون(أي الآلهة) تسليط الأمراض والوباء علينا إلى الأبد
ففتح اينكي فاه وكلم خادمه اتراخاسيس
لتأمر ان يعلن المنادون في البلاد بأصوات عالية:
لا تبجلوا ألهتكم
لا تصلوا لإلهاتكم
بل اقصدوا باب نمتار

---

[1] *S.Langdon, Babylonian Penitential Psalms,(Paris,1927),PP.39-44; Ferris J.Stephens,"Prayer to Every Gods",In:ANET,(Princeton,1966),PP.391-392.*

واحضروا معكم رغيف من الخبز
ولعله سيسر بقرابين من طعام السمسم
فيستحي من هداياكم ويرفع يده عنكم".

وبالفعل ينفذ اتراخاسيس ما أمره به إلهه اينكي لذا نجد نمتار:

"يستحي من قرابينهم
ورفع عنهم الوباء"[1].

اتضح لنا بشكل جيد ان ليس الصلاة وحدها هي القادرة ان توقف السخط الإلهي ، بل القربان أيضا ، الذي كان له الأثر الفاعل في إنهاء المرض بشكل جذري ،وتتحدث نصوص أخرى عن تقديم أضحية كفدية أو كفارة عن ذنب لكي يتم تخلص المريض من آلامه:

"اشفِ خادمك ليستطيع تمجيد قدرتك
لتستطيع كل البلدان ان تخشع أمام عظمتك
اقبل تقدمته ،وتقبل كفارته
اقبل فديتي ،وامنحني الحياة"[2].

وكان الكاهن الذي يقوم بعلاج المرضى وطرد الأرواح الشريرة منهم يعمل أيضا على تقديم القرابين مقرونة بالابتهالات ،من اجل المريض ،وكان هناك قرابين غذائية بسيطة مقدمة وجبات للآلهة تتألف من مواد بسيطة أو من ذبيحة.فهناك قبل كل شيء القربان الذي يقدم عن الخطيئة ،فالقربان يخدم فكرة البديل ،وهناك نص يوضح هذه الفكرة:"الحمل هو البديل عن البشرية ،لقد قدم الحمل بدلا عن حياته ،وقدم رأس الحمل بدلا عن رأس الرجل ،وقدم رقبة الحمل بدلا عن رقبة الرجل ،وقدم صدر الحمل بدلا عن صدر الرجل".وفي نص أخر نقرأ:

"أعط خنزيرا بدلا عنك
أعط لحمه بدلا عن لحمك
ودمه بدلا عن دمك ولتقبلها الآلهة

---

[1]) علي ،ثم جاء الطوفان ،ص٢٤ ؛علي ،الطوفان ،ص١٣٩-١٤١ ؛باقر ،ملحمة كلكامش ،ص٢٢٨-٢٢٩ ؛الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢ ،ص٢٥٠-٢٥٢ ؛الغانمي ،اتراحسيس ،ص٨٧-٨٨.

[2]) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٢٠٣.

والقلب الذي ستضعه على رأس سريره
أعطه بدلا عن قلبه ولتقبله الآلهة"[١].

فالبابلي يستطيع ان يتخلص من الشر بتقديم حيوان يذبح عند مكان المريض كذبيحة.والواقع ان ذبيحة الكفارة لا هدف لها إلا تجنب الإنسان نتائج الغضب الإلهي.وهذه النتائج هي المرض والألم ،والأضحية تعني استبدال الإنسان الخاطئ بالحيوان.وكان دور الكاهن هو تعديل طبيعة الضحية ونقل الدنس إليها بعد ان يتحرر منها المريض[٢].

لم يكن القربان المقدم للتخلص من المرض أو الوباء حسب بل نعرف انه يهدف إلى إزالة العقم ، فالنساء يمكن أن يقدمن قربانا من اجل الإنجاب وقد عثر على اثر فريد من نوعه مصنوع من البرنز وهو بشكل هلال نقش عليه سطرين من الكتابة المسمارية ويشير إلى إن إحدى النساء لا تنجب أهدت هذا الأثر إلى إلهة الحمل ايروا(Erua) المعروفة باسم شيروا(Šerua) أيضا بهدف مساعدتها على الحمل[٣].

ومن الجدير ذكره هنا في بعض الأحيان لم يكن القربان المقدم للآلهة يتم بشكل فعلى ،إنما بشكل رمزي فقط وهذا يتضح من احد النصوص التنبؤية الذي يقول صراحة:"إذا رأى النائم في الحلم كان يحمل سلة بها هدية إلى الآلهة ،فسيزول عنه استحواذ الأشرار"[٤].فهل كان تقديم الهدية إلى الآلهة في الحلم كفيلا بإنقاذ المريض من العفاريت الشريرة ،أم ان التفسير كان تنبيه المريض بضرورة تقديم الهدية للآلهة في الواقع ؟.

لم يكن الشخص الذي تهاجمه الأرواح الشريرة ويقع فريسة المرض يتضرع إلى الآلهة فحسب ، بل كان يتضرع أيضا إلى أرواح الموتى من عائلته التي تستطيع إنقاذه ،إذ ترد في إحدى التعاويذ:"يا أرواح عائلتي ،يا أرواح أبي وأمي وأجدادي وأخي وأختي وكل أهلي وأقاربي ،طالما أنت مستقرة في العالم الأسفل كنت أقدم

---

[١]) المصدر نفسه ،ص٢٠٢.
[٢]) المصدر نفسه ،ص٢٠٢-٢٠٣.
[٣]) بهيجة خليل إسماعيل ،"الكتابة" ،بحث ضمن موسوعة:**حضارة العراق** ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٤) ،ج١ ،ص٢٣٤.
[٤]) ألبدري ،الطب ،ص٤٧.

إليك القرابين الجنائزية واسكب لك الماء ،وكنت ابذل العناية لك وأبجلك ،ففي الآن أمام شمش وگلگامش واعرضي قضيتي واحصلي على قرار رأفة بحقي ،ليتسلم نمتار وزير العالم الأسفل الروح الشريرة التي في جسدي ،وأعصابي وليحرسها نينكشزيدا منادي العالم الأسفل حراسة قوية وليمنعها نيدو رئيس بوابي العالم الأسفل من العودة ثانية ،خذي هذه الروح إلى ارض اللاعودة ودعيني أنا خادمك حيا مرفها لأتطهر باسمك في المناسك ،سأقدم الماء البارد لشربك فامنحيني الحياة لاغني بمديحك"[١].

ولكن يمكن ان نتساءل لماذا هذه الصلاة أو ذلك القربان الذي يقدمه المريض ؟ان القاعدة التي تقول ان كل مرض يعني وجود إثم ،فان كل شفاء يعني بالتأكيد إن الآلهة ستغفر الإثم:"خطيئة(المريض) ستغفر وسينهض"[٢].

في **مصر القديمة** عدت الصلاة من اجل غفران الذنوب ، التي بسببها تبتلي الآلهة الإنسان بالمرض ، وسيلة للشفاء ، وهناك عدد من الصلوات تعطينا تصورات جيدة عن دورها في الشفاء ، وان كانت تلك الصلوات اقل حرارة ، وجاذبية من الصلوات البابلية ، فرجل يدعى نب-رع اصيب ابنه بمرض بسبب خطيئة ما ارتكبها لذا يتجه الى الاله امون-رع بصلاة مؤثرة: "عندما كان مريضا(اي ابن نب-رع) ، وفي حالة الموت ، وعندما كان في قبضة امون بسبب بقرته ، رأيت سيد الاله يأتي كريح الشمال يسبقه نسيمه العليل" ، وهنا يقوم الاله بإنقاذ ابن نب-رع من مرضه: "بالرغم من انه من شأن الخادم ان يخطئ ، فمن شأن السيد ان يكون رحيما. ان رب طيبة لا يقضي يوما بأكمله غاضبا ، ففي غمضة عين يزول غضبه...فبحق خلود(كا)ئك ، كن رحيما ، ولا تكرر ما حدث"[٣]. ورجل اخر اصيب بالعمى من جراء يمين كاذب ، فيتجه الى الاله بتاح تائبا ، نادما ، معترفا بخطيئته ، يطلب الرحمة: "انني رجل حلف كاذبا بالإله بتاح رب الحق ، فانظر كيف لا يغفل عما يفعله اي انسان. احذر لنفسك ، وحاذر ان تذكر اسم بتاح كذبا. وانظر كيف يكب على وجهه من يقول الكذب! لقد جعلني مثل كلب في الطريق ، وانا بين يديه. انه

[١]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٢٧ ؛ساكز ،الحياة اليومية ،ص ٢٢٠.
[٢]) لابات ،التشخيص والإنذار ،ص١٥.
[٣]) ولسون ،الحضارة المصرية ،ص٤٧٤.

جعل الناس والالهة ينظرون الي كرجل اقترف الاثم ضد ربه. انه بتاح رب الحق ، كان محقا في معاقبته لي. ارفق بي ، وانظر الي ، وكن رحيما"[١] .وفي نص اخر نقرأ ان شخصا ارتكب خطيئة عاقبته عليها الربة ميرتسيجر (ميرسيجر) بالمرض ،وانه شفي بعد ان طلب الصفح والغفران من قمة الغرب ،ويقصد بقمة الغرب العالم الأسفل ،وكلمة قمة احد أسماء الربة وهو تا-ديهنت أي القمة[٢] .

في **أسيا الصغرى** كانت التقوى الشخصية ،من صلاة وتقديم القرابين عاملا مهما في العلاج ونقرأ في نص صلاة للملكة بودوخيبا زوجة الملك حاتوسيلي الثالث للربة ليلوانيس بعد ان اشتد المرض بزوجها فهي تناشد الآلهة لشفائه ومنحه حياة طويلة:"حاتوسيلي خادمك مريض...إذا حاتوسيلي ملعون ،وإذا حاتوسيلي زوجي أصبح بغيضا في عيون الآلهة ،أو أي اله فوق أو تحت إذا بغير قصد أو إذا شخص ما قدم شيء إلى الإله ليجلب الشر على حاتوسيلي...الإلهة سيدتي ،لا تدعي الشر يمس حاتوسيلي خادمك....إذا أنت الإلهة سيدتي ستمنحينه الحياة...وإذا أنت وطأت الشر بقدميك...سيدتي حياة حاتوسيلي خادمك وبودخيبا خادمتك امنحي الشهور والسنوات الطويلة..."[٣] . وعندما مرض الملك مورسيلس الثاني فانه قد استعان بآلهة اخخياوا لكي تشفيه[٤] .هذا وان القرابين كانت تقدم لاستعطاف الآلهة ،ويمكن ان يقدمها أي شخص في أي وقت ،وتكون عادة جزءا من الطقس السحري للعلاج[٥] .هذا وان طقوس التكفير تعد من وسائل العلاج ،ونقرأ انه أثناء الحرب التي اندلعت بين الياتتيس ملك ليديا وإقليم ميليسيا في أسيا الصغرى ،اندلع حريق في معبد أثينا في أيسوس ولم يبق منه سوى الرماد.ورغم ان هذه الحادثة لم يأبه بها الناس إلا ان الياتتيس أصيب بمرض بعد عودة الجيش إلى سارديس عاصمة مملكة ليديا ،ثم اشتدت عليه الأزمة ،وظل على هذه الحالة ردحا طويلا دون ان يشفى ،عندما بعث وفدا يسأل العرافات في دلفي ،عما ينبغي عمله ليشفى من

---

[١]) المصدر نفسه ،ص٤٧٤.

[٢]) قايد ،ديانة مصر القديمة ،ص٥٢.

[3])*Goetze, Prayer To Lelwanis,P.392-394.*

ألصالحي ،المملكة الحيثية ،ص٤٠٦.

[٤]) علي ،التاريخ اليوناني:العصر الهيلادي ،ص٨١١.

[٥]) كرني ،الحيثيون ،ص٢٠٥.

مرضه ،فلما طرح السؤال على عرافة الإله أبوللو في دلفي أخبرته انه يجب ان يقوم الليديين بتجديد معبد أثينا الذي احرقوه في أيسوس لكي يشفى[1] .ويبدو ان الياتتيس لم يكتف بذلك بل قام بتقديم الهدايا إلى معبد دلفي ،فقد قدم دناً كبيراً من الفضة وطبقا من الحديد المعشق ،من اجل ان تمن الآلهة عليه بالصحة[2] .

لا نعرف ان كان **الكنعانيون** استخدموا الصلاة وطقوس التكفيرية والقرابين كوسيلة للعلاج ،لقلة الشواهد النصية الكنعانية ،ولكن لا يمكن استبعادها من تفكير الإنسان كوسيلة للعلاج ،وتقدم لنا أسطورة اقهات دلالات جيدة حول الامر ،فالملك دان ايل في الاسطورة لم يكن له ولد لذا فانه ينقطع في المعبد اسبوعا يتضرع للالهة.وفي اليوم السابع يظهر بعل ويتوسل الى ايل ان يستجيب لرجاء دان ايل.وبالفعل يستجيب ايل لشفاعة بعل ويبشر دان ايل بولادة ابن له[3] .ونحن في اقل تقدير نقرأ عن هذه الحالة بشكل جيد ولدى العبريين. ويشير العهد القديم إلى ان الصلاة تمثل إحدى أهم وسائل الشفاء ،فهي بمثابة تواصل سحري بين المريض المعذب والله ،فهي تمثل تكفيرا ناجعا ضد الذنوب المقترفة المسببة للمرض[4] .فعندما مرض ابيمالك بسبب أخذه سارة من زوجها إبراهيم وعاقبه الرب بكارثة العقم على ذلك ،لم يكن أمامه إلا إعادة سارة وتعويض إبراهيم بالأموال:"فصلى إبراهيم إلى الله ،فشفى الله ابيمالك وامرأته وجواريه فولدن"[5] .وحزقيا ملك دويلة يهوذا يتعرض لمرض ويشرف على الموت لذا يتجه إلى إلى الرب يهوه داعيا إياه لتخليصه من مرضه:"فأشاح بوجهه نحو الحائط وصلى قائلا:آه يا رب اذكر كيف سلكت أمامك بأمانة وإخلاص قلب وصنعت ما يرضيك.وبكى حزقيا بكاء مرا ،وقبل ان يبلغ اشعيا فناء القصر الأوسط خاطبه الرب قائلا:ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي ،وهذا ما يقوله الرب اله داوود ،قد سمعت

---

[1]) هيرودوت ،تاريخ ،ص٣٦.

[2]) المصدر نفسه ،ص٣٨.

[3]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص١١٢.

[4]) نوقش اثر الصلاة في الشفاء في الكتابات اليهودية من قبل الباحث في:يحيى ،علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة ،ص٩٢.

[5]) تكوين ، ٢٠: ١٤-١٧.

صلاتك ،ورأيت دموعك وها أنا أبرئك..."[١] .ونعرف ان طائفة البحر الميت كانوا يداوون مرضاهم بالصلاة والأدعية[٢] .وفي حالة الأوبئة كانت هناك طقوس تكفيرية تقام من اجل التخلص منها ،أو بتعبير أدق إيقاف غضب الرب ،ونحن نقرأ عن إحدى هذه الطقوس في نص:"تذمر جميع بني إسرائيل على موسى وهارون قائلين:لقد قتلتما شعب الرب ،فلما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون مضيا إلى خيمة الاجتماع ،وإذا بالسحابة قد غطتها ومجد الرب قد تراءى.فاقبل موسى وهارون إلى أمام خيمة الاجتماع.فقال الرب لموسى:اخرجا من بين هذه الجماعة لأنني سأفنيهم في لحظة.فخرا على وجهيهما ،ثم قال موسى لهارون:خذ المجمرة وضع فيها نارا من على المذبح ،وأيضا بخورا ،وأسرع إلى الجماعة لتكفر عنهم ،لان الغضب المحتدم قد صدر من الرب وتفشى فيهم الوباء.فنفذ هارون أمر موسى ،وأسرع إلى وسط الجماعة ،وإذا بالوباء قد ابتدأ يتفشى فيهم ،فوضع البخور وكفر عن الشعب.ووقف هارون بين الموتى والأحياء فتوقف الوباء"[٣] .

كان **الزرادشتيون** في إيران يجعلون من الصلاة والقربان سببا للشفاء من الأمراض فـ:"الكلمات المقدسة تبعد الشر وتزيل فعل الوجع منك[أيها الطفل]"[٤] ،وفي صلوات مختلفة يمكن ان نرى هذه الحقيقة بشكل مؤكد:"نقدم القرابين للصحة والشفاء ،من اجل التقدم والنمو ،من اجل إعاقة النجاسة وأمراض الجلد"[٥] ،أو:"نقدم القرابين لأفكار العقل ،للحكمة الخيرة للطهارة الجيدة المباركة ،للمعرفة الدينية الطيبة ،للصحة الجيدة[للروح والجسد]"[٦] .وهناك نص يتحدث عن الصلاة لإله الحرب الإيراني ڤرتراگنا بأنها تمنع الأمراض:"أذن صلوا لـ ڤرتراگنا مخلوق الإله (اهورامزدا) الذي يستحق أكثر الكل الصلوات الفضلى والقرابين الصادقة.عندئذ لن تهاجم الجيوش الغازية المعادية بلدان الآريين ،ولن

---

[١] الملوك الثاني ،٢٠: ١-٥ ؛أخبار الأيام الثاني ،٣٢: ٢٤ ؛اشعيا ،٣٨: ١-٤.
[٢] مُحَّد عمر حمادة ،تاريخ الصابئة المندائيين ،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٩٢) ،ص٥٢.
[٣] العدد ،١٦: ٤١-٤٨.
[٤] فينديداد ،٢١: ٦.
[٥] ياسنا ،٧١: ٤ ،١٧.
[٦] فيسبرد ،٤: ١.

تهاجمها القرحة والطاعون..."[1].ومن الجدير ملاحظته ان الصلوات المقدمة في إيران من اجل الشفاء ،لا تتضمن تلك التصورات كما اعتدنا ان نقرأ في الصلوات التي ألفناها في الشرق الأدنى القديم ،فعلى خلاف بابل مثلا التي كان الاعتراف بالإثم الجزء المركزي في الصلاة من اجل الحصول على الشفاء لا نجده في الصلوات الزرادشتية ،فالزرادشتيين لا يعترفون بأي إثم كمسبب للمرض ،فالمرض عندهم بسبب قوى الشر بالأصل ،لذا يتم هنا مناداة القوى الإلهية لمساعدة المريض لتخليصه من الشر ،في حين تضمنت الصلاة النموذجية في بابل ،دعوة الإله ذاته الذي تسبب المرض لكي يغفر الخطيئة ،وبالتالي التخلص من المرض.

تعد صلاة **ايريما-ايشو** الزرادشتية من الصلوات المهمة التي تتلى عند المرض ،ويبدو ان الصلاة تستهدف استنهاض القوى الإلهية بدء من الإله اهورامزدا ،ثم اله الشفاء ايريمان ،من اجل ضرب شياطين الإمراض اتباع انگراماينيو ،وكذلك السحرة المسببين للمرض ونظرا لأهمية الصلاة في الشفاء فإننا سننقل هنا بعض الصلوات الزرادشتية كاملة:"كل هذا ننجزه ،وننظمه ،جميع هذه الصلوات نتلوها لخير أجساد الناس ،وندعو بكل هذه الأدعية لأجل أجساد الناس ،لمقاومة المرض والموت والحمى سارانا ،ساراستي ،أزانا ،ازاڤاكا ،دوروكا ،استايريا ،لمقاومة العين الشريرة ،النتانة ،والإصابات التي خلقها انگراماينيو ضد أجساد البشر.اطرد المرض ،اطرد الموت والألم ،العين الشريرة ،سارانا ،ساراستي ،أزانا ،كاروگا ،ازيڤاكا ،واطرد استاريريا.امنحنا يا اهورا تلك القدرة الإلهية لنستطيع بقوتها من طرح الدروج أرضا! لنستطيع بعظمتها من ضرب الدروج ضربا مبرحا! اطرد ايشير ،اگوير ،اگرا ،المرض ،الموت ،الألم ،الحمى ،العين الشريرة ،سارانا ،ساراستي ،أزانا ، كاروگا ،ازيڤاكا ،واطرد استايريا ،النتانة ،واطرد الإصابات التي خلقها انگراماينيو ضد أجسام البشر.اطرد كافة أنماط المرض والموت ،جميع الياتوسيين(السحرة) ،الباريكيين وژاهي(Jahi)(شيطانة) الأشرار.[صلاة ايريما-ايشو] ،فليأت إلى هنا ايريمان الموفي بوعده ليسعد رجال ونساء زرادشت ليسعد ڤاهومانو ،بالمكافآت المرغوب فيها ،التي يستحقها

[1]) ياشت ،١٤: ٤٨.

الدين.التمس القداسة التي تغدق علينا بالنعم التي يمنحها اهورا!فليضرب ايريمان الموفي بوعده جميع أنماط المرض ،والموت ،وجميع الياتوسيين ،والباريكيين ،وژاهي الأشرار"[١].

وفي صلاة ثانية تتلى لنفس الغرض ،توضح القرابين المقدمة من الشخص المريض إلى الآلهة من اجل ان تقوم بشفائه:"أ يمكنك يا كلام الرب المجيد المقدس ان تشفيني ؟سأعطيك مقابل ذلك ألف حصان سريع ،عجيب الجري.أقدم لك قربانا يا ساوكا[قرين العين الصالحة] الخير ،مخلوق مزدا ،أعطيك مقابل ذلك ألف جمل سريع قوي السنام.أقدم لك قربانا يا ساوكا الخير ،مخلوق مزدا ،أعطيك مقابل ذلك ألف أنثى مع صغارها من جميع أنواع الماشية الصغيرة.أقدم لك قربانا يا ساوكا الخير ،مخلوق مزدا ،وأباركك بركة تقية ودودة ،(أنت) تبدل العسر يسرا ،وتزيد اليسر ،تسعف الإنسان في مرضه وتعيد المرضى إلى الصحة.أجابني ميثرا المقدس المجيد:كيف أشفيك ؟ كيف ابعد عنك هذه الأمراض الـ ٩٩,٩٩٩ ؟ دعا الخالق اهورامزدا المقدس:أنا اهورامزدا خالق جميع الأشياء الخيرة...امتثالا وطاعة لكلام اهورامزدا ذهب البشير نايرو-سانگاها إلى دار ايريمان وقال له...نفذ ايريمان الوفي بعهده[هذا الطلب] بسرعة وانطلق بشوق نحو جبل المكالمة المقدسة ،نحو غابة المكالمة المقدسة.جلب معه ايريمان الموفي بوعده تسعة أنواع من الخيول ،جلب معه ايريمان الموفي بوعده تسعة أنواع من الجمال.جلب معه ايريمان الموفي بوعده تسعة أنواع من الثيران.جلب معه ايريمان الموفي بوعده تسعة أنواع من الغنم الصغيرة.جلب معه العصا ذات العقد التسع وحفر تسع أخاديد.اطرد ايشير ، اگوير ،اگرا ،أوگرا ، ازيڤاكا ،واطرد استايريا ،النتانة ،اطرد الإصابات التي خلقها انگرامانيو ضد أجسام البشر ،اطرد كافة أنماط المرض والموت ،جميع الياتوسيين ،الباريكيين ، وژاهي الأشرار.صلاة ايريما-ايشو ،فليأتي إلى هنا ايريمان الموفي بوعده ليسعد رجال ونساء زرادشت ،ليسعد ڤاهومانو ،مع المكافآت المرغوب فيها ،التي يستحقها الدين.التمس القداسة التي تغدق علينا بالنعم التي يمنحها اهورا!فليضرب ايريمان الموفي بوعده جميع أنماط المرض والموت ،جميع الياتوسيين ،والباريكيين وژاهي الأشرار.فلتتلو هذه الكلمات التي هي أكثر نصرا

---

[١]) فينديداد ، ٢٠: ٥-١٣.

وشفاءً!...ان مشيئة الرب هي قانون الاستقامة...وخيرات ڤاهومانو في الأعمال الجارية ،في هذه الدنيا لأجل مزدا.من ساعد الفقير يجعل اهورا يحكم...أي مدافع قدمه لي يا مزدا! بينما يطوقني كره الأشرار؟ من غير نارك وڤاهومانو اللذين بفعلهما أصون الخير ،يا اهورامزدا ألهمني إذن ان اتخذ الدين قاعدة...من هو الناصر الذي سيحمي تعاليمك؟ اجعلها جليا ، وبأن أكون مرشدا للعالمين. فليأت سراوش مع ڤاهومانو لمساعدتي ومساعدة من تشاء يا مزدا! احمنا من مبغضينا يا مزدا ويا سبينتا أرمايتي!إلى الهلاك أيتها الشيطانة دروج! إلى الهلاك يا نسل إبليس! إلى الهلاك يا عالم الإبليس! اهلكي بعيدا يا دروچ! اذهبي بعيدا إلى مناطق الشمال كي لا تمنحي أبدا الموت لعالم الأحياء والاستقامة"[١].

وهناك صلاة طويلة تعرف باسم صلاة **ايريمان** تتلى لإبعاد الشر عن الإنسان ومنه المرض:"ان المرض هرب بعيدا ،الموت...عمل الشيطان العكسي...ايشما الكافر(نوع من الشياطين)...ظالم البشر...صغار الأفعى...صغار الذئب...ثنائي الأرجل(ربما نوع من الشياطين)...الغرور...الاحتقار...الحمى الساخنة....الافتراء...الخلاف...العين الشريرة...الكلمات الكاذبة... ژاهي التي تجعل الإنسان هزيلا...الريح التي تهب من الشمال...الريح التي تهب من الشمال تلاشت ،هي التي(أي صلاة ايريمان) تهزم لي صغير تلك الأفعى ،وهي التي تهزم تلك الشياطين...هي التي تهزم المرض ،الموت ،والشياطين ،وهي التي تهزم أعمال الشيطان ،ايشما الكافر ،وظالم البشر.هي التي تهزم صغير الأفعى ،وصغير الذئب ،صغير ثنائي الأرجل ،الغرور ،الاحتقار ،والحمى الساخنة ،الافتراء ،الخلاف ،وتهزم العين الشريرة[الحاسدة].إنها التي تهزم لي صغير ثنائي الأرجل ذاك ،والتي تهزم تلك الأبالسة....اندفع أمامها انگرامابنيو الذي كله موت ،والأسوأ كذبا من بين كل الأبالسة.فقال انگرامابنيو :الويل لي! ها هي الإلهة اشا-ڤاهيشتا ،التي تهزم الأكثر سقما من بين كل الأمراض ،التي ستوجع الاسقم من كل الأمراض ،ستهزم الأكثر هلاكا من بين كل حالات الموت ،ستهزم الشيطان الأكثر شيطنة ،ستوجع الشيطان الأكثر شيطنة من كل الشياطين ،ستهزم وتوجع الأعمال الشريرة الأكثر شرا ،ستهزم الكافر ايشما وستوجعه ،ستهزم أكثر الظالمين

[١]) فينديداد:٢٢: ٢-٢٥.

ظلما للبشر ...صغير الثعبان الأكثر غدرا...صغير الذئب الأكثر ضراوة ...ثنائي الأرجل الأسوأ...الغرور...الاحتقار...الحمى الأشد من بين الحمى الساخنة...الأكثر افتراء من المفترين...الأكثر حبا للخصام...العين الشريرة الأسوأ...ستهلك دروج ،ستندفع دروج وستختفي وستهلك بعيدا في مناطق الشمال ،ولن تعطي العالم الحي للموت أبدا.من اجل القه ومجده(أي اهورامزدا) سأقدم إليه قربانا جديرا بان يُسمع به ،ولاشا- ڤاهيشتا الأجمل نقدم البارسمان ،حكمة اللسان ،الرقى المقدسة ،الكلام ،الأعمال ،الشراب ،الكلمات الصادقة...ان مشيئة الرب(اهورامزدا) هي قانون القداسة...سأبارك القربان والصلاة وسأبارك قوة ونشاط اشا- ڤاهيشتا ،الأجمل ،وقوة ونشاط ايريمان الأكثر رغبة الذي خلقه مزدا ،وقوة ونشاط ساوكا الطيب...الذي خلقه مزدا المقدس...القداسة أفضل من كل خير...[امنح] ذلك الإنسان التألق والمجد ،امنحه صحة الجسد ،امنحه المقام الساطع السعيد والمبارك من بين المقامات المقدسة"[١] .

من الصلوات الزرادشتية نخلص الى مفاهيم مغايرة عن تلك التي سادت الشرق الادنى القديم ، فالصلوات الزرادشتية تعدد كافة انواع الامراض التي يمكن ان يصاب بها البشر تلك الامراض التي خلقها انگرامانيو(روح الشر) ، والتي تبلغ ٩٩٩٩٩ ، كذلك تشير الصلوات الى كافة اولئك المسببين للمرض من اتباع انگرامانيو من قوى الشياطين أو السحرة وغيرهم. ولكن لماذا هذا السرد المطول للأمراض والمسببين لها ؟ ان هذا التعداد مهم بالنسبة للزرادشتي المؤمن لأنه بمثابة تشخيص للمرض ومسببيه وبالتالي لن يتم الشفاء الا بحصر الخطر لكي يتمكن الهة الخير من تدميره نهائيا. وهو امر لافت للانتباه ويكشف عن اختلاف عميق مع فهم البابليين لمفهوم الشفاء ، ففي الوقت الذي كان البابلي يعمل جاهدا على سرد مطول لكافة الذنوب المحتملة التي من الممكن ان يكون المريض قد ارتكبها عن عمد أو سهو ، فان الزرادشتي يعمل على محاصرة المرض بالكلمات المقدسة ذات الاثر السحري لكي يتمكن من تحطيمها. فالبابلي يريد ان يتخلص من عبء الخطيئة التي اثقلت كاهله ، وادت الى الغضب الالهي ، ولكن الزرادشتي الذي كان على ثقة تامة بان الهة الخير لن تتركه كان يجب عليه ان يساعدها في حصر

[١]) ياشت ،٣: ٧-١٩.

ذلك الخطر الذي يواجهه ، وبالتالي يتخلص من المرض. فالمريض بعد ان يحصر كافة الامراض وقوى الشر لابد من ان ينادي اهورامزدا(روح الخير) ومعاونيه لكي تعمل على طرد تلك القوى الشريرة ، ولم يكن الامر كذلك حسب ، بل ان اهورامزدا وقوى الخير ستمنح المريض القدرة على مقاومة الشر والمرض. وان هذا الفعل الذي تقوم به قوى الخير يظهر كحرب معلنة على المرض ومسببيه ، ولكن هذه الحرب ليست مجازية بل واقعية لان الصلاة تتحدث عن طرح قوى الشر ارضا ، وهذا كله لان قانون اهورامزدا يمثل الاستقامة التي ستعمل على شن الحرب على قوى الشر. تلك الحرب التي ستنتهي بنفي المرض ومسببيه الى مناطق الشمال ، واخيرا فان الصلاة تظهر رجاء من الزرادشتي المؤمن موجه لاهورامزدا ليمنح المريض الصحة والمجد والمقام الرفيع.

رأينا سابقا كيف ان فعلا محرما قد يجلب الشقاء والمرض على الإنسان ،لذا فان استعادة الصحة لابد من ان يتم تقديم كفارة مناسبة ،فعند قيام شخص بقتل كلب الماء هو حيوان مقدس عند الزرادشتيين كما رأينا ،فان إصابته بالمرض تعد نتيجة مباشرة للفعل المحرم ،لذا لن تعود السعادة والصحة للمريض إلا اذا امتنع المريض عن ذلك الفعل المشين ومن ثم كان على المريض ان يقدم القرابين والهدايا لروح كلب الماء المقتول:"إذا امتنعوا(أي البشر) عن قتل كلب الماء ،قدموا القرابين لروح كلب الماء لمدة ثلاثة أيام ،بلياليها مع النيران المشتعلة ،وأحزمة البارسمان(وهو نبات يقدم دائما في القرابين) ،وتقديم الهدايا ،بعد هذا ستعود السعادة ،الخير ،الصحة ،الشفاء"[١].

كان **الإغريق القدماء** بلا شك كغيرهم من الأقوام القديمة في حالة المرض يتضرعون إلى الآلهة من اجل ان تشفيهم ،رغم عدم وجود أدلة من صلوات يمكن ان تؤيد ذلك ،إلا إننا نمتلك دلائل إلى ان التكفير عن الذنوب تساعد على التخلص من المرض ،فكما رأينا ان الإغريق القدماء عدوا ان الخطيئة تجلب المرض ،وان التكفير عنها يعد طريقا صحيحا للتخلص من الغضب الإلهي ،وبالتالي التخلص من المرض ذاته ،فالاخيين الذين أذنبوا بحق الإله أبوللو عندما أهانوا كاهنه ،قد تعرضوا للوباء ،فكان لابد من اجل التخلص من الأخير ،التكفير عن الخطيئة ،ولما

[١]) فينديداد ،١٣: ٥٤-٥٥.

كان الإغريق يجهلون خطيئتهم ،إذ لم يتصوروا ان الإله ينزل غضبه وسخطه عليهم بسبب اهانة كاهنه ،لذا يقترح أخيل ان يتم اللجوء إلى العرافة من اجل معرفة سبب الطاعون وغضب الإله:

"فلنتوجه بالسؤال إلى احد التقاة أو الأنبياء
أو حتى مفسر أحلام ،حيث ان حلما ورد من زووس أيضا
يمكن ان يوضح لنا سبب غضب أبوللو
أ كان ذلك من اجل نذر ما ،أو بسبب الأضحية يلومنا
فلعله ان وصله شذى دخان الخراف والتيوس
سيقبل ان يحول لعنته عنا"[١].

ولكن العراف كالخاس يوضح للاخيين سبب حنق الإله عليهم ،وهو يقول لهم ان رفع غضبه عنهم لا يقتصر فقط على إعادة الفتاة إلى أبيها كاهن أبوللو دون مقابل ،بل يتم إرسال كفارة مناسبة للإله:

"لا ، ليس من اجل نذر أو أضحية يلومنا
بل يلومنا من اجل كاهنه الذي أذله اغاممنون
ولم يقبل بإرجاع ابنته له ،ولم يقبل فديته
ولهذا بدأ الرامي يطلق علينا مصائبه ،وسيتابع
إطلاقها ،ولن يحجب طاعونه المذل على الدانانيين
ما لم نعد الفتاة ذات الطرف اللماح إلى أبيها
دون مقابل ،ودون فدية ،مع تقديم أضحية مباركة
إلى خروسي.بهذا يمكن ان نسترضيه ونقنعه"[٢].

ولم يكن أمام الاخيين إلا ان ينصاعوا لمشيئة الإله من اجل إنهاء الوباء ،أي استرضاء الإله من اجل التخلص من الخطيئة التي لحقهم دنسها:

"جروا الأضحية إلى الرامي أبوللو
ونزلت خروسيس نفسها من عابرة البحار
وقادها اوديسيوس ذو الحيل العديدة إلى المذبح

---

[١]) هوميروس ،الإلياذة ،١: ٦٢-٦٧.

[٢]) هوميروس ،الإلياذة ،١: ٩٣-١٠٠.

وأسلمها إلى ذراعي والدها وقال له:
لقد أرسلني إلى هنا يا خروسيس اغاممنون سيد الرجال
لأعيد ابنتك وأقدم أضحية مقدسة
لأبوللو باسم الدانانيين لعلنا نسترضي
الإله الذي كوم التعاسة والدموع لدى الارجيفيين(اسم أخر للاخيين)
أنهى كلامه وتركها بين ذراعيه ،وتلقى الرجل
ابنته الحبيبة بفرح ،هيأ الرجال الأضحية
للإله بالشكل اللائق حول المذبح المتين
وبعدما غسلوا أيديهم ،ولموا الشعير المبعثر
رفع خروسيس يديه ،وهو يقف بينهم ،وراح يصلي بصوت جهوري:
اسمعني يا رب القوس الفضية ،يا من تنشر سلطانك
على خروسي وكيلا المقدسة ،ويا من أنت رب القوة
على تينيدوس.ان كنت قد أصغيت إلى صلواتي ذات مرة
وشرفتني وضربت جميع الاخيين
لب رغبتي التي أتضرع بها إليك ألان مرة أخرى
وابعد الطاعون المخزي عن الدانانيين
وهكذا رفع عقيرته في صلاته وسمعه أبوللو"[١].

وهكذا رفع أبوللو الطاعون عن الاخيين.وربما كانت القرابين البشرية تقدم لاتقاء الأوبئة في الأزمان المبكرة من تاريخ الإغريق ،وتقدم أسطورة ضوء عن ذلك إذ تقول ان هرقل وصل طروادة في وقت كان يتم التضحية بهزيون ابنة لاميدون ملك المدينة كقربان لتهدئة غضب وباء انتشر في المنطقة[٢].وعندما فرض زووس وباء على مدينة أثينا لمساعدة مينوس ملك كريت ،ولكي يتخلص الأثينيون من الوباء وافقوا على إرسال إتاوة سنوية إلى مينوس على شكل سبعة شبان وسبع فتيات يقدمون طعاما إلى المينوتور وهو وحش خرافي نصفه إنسان ونصفه ثور[٣].وكان

[١]) هوميروس ،الإلياذة ،١: ٤٣٠-٤٥٧.
[٢]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص١٦٧.
[٣]) المصدر نفسه ،ص١٨٧.

الرومان القدماء في حالة إصابتهم بالحمى فإنهم يعملون على تقديم القرابين للآلهة التي حملت الاسم عينه الحمى[1].

تتحدث **الأساطير الصينية** عن مؤسس أسرة تشو الحاكمة(١١٢٢-٢٥٦ قبل الميلاد) ولادته العجيبة بعد ان قدمت أمه القرابين للإله:

"عندما قدمت أمه القربان

طلبت ان يكون لها ذرية

وعندما وقفت بخشوع أمام أقدام تيان(الرب بشكل مطلق)،حبلت

وبعد إتمامها لشهور حملها ولدت طفلا كالحمل

أثناء ولادتها لم تصب بالأذى ولم تشعر بألم"[2].

وتكشف **التواريخ اليابانية** كيف ان التقوى علاجا فعالا ضد الأمراض التي تسلطها الآلهة ،ففي عهد الإمبراطور الياباني سوجين(٩٧-٣٠ قبل الميلاد) انتشرت الأوبئة الكثيرة في اليابان ،فهلك الناس لحد الاقتراب من الانقراض ،فتألم الإمبراطور لهذا الوضع تألما شديدا.وفي ليلة وبينما كان ممدا فوق سرير خاص بالاستشارة الإلهية ،بدا له في الحلم الإله الكبير الروح العظيم المولى ،ويقال له:"أنا مسبب هذه الأشياء ،فإذا عبدتموني مثل أوتا تانيكو فان لعنة الآلهة سوف تزول وتعود السكينة والوداعة إلى البلاد من جديد".وبناء عليه أرسل الإمبراطور فرسانا سريعين ،في الاتجاهات الأربعة بحثا عن رجل يدعى أوتا تانيكو ،فوجدوه في قرية مينو في منطقة كوتشي(الاسم القديم لمنطقة اوساكا)،فاصطحبوه إلى الإمبراطور.عندئذ جعله الاخير منه كاهنا ،وأقام حفلا طقوسيا من اجل الإله الكبير اومي-وا في جبل ميمورو.وزيادة على ذلك ،طلب من جلالة ايكاغا-شيكوؤ ان يصنع عدة أطباق سماوية ،كما حدد معابد الآلهة السماويين والأرضيين ،ونذر الدرع والفأس الحمراويين لإله سومي-ساكا في أودا(تقع هاتين المنطقتين في محافظة نارا الحالية).فضلا عن ذلك ،قدم أعطيات من الميتغيرا(قطعة من الورق أو من الحديد تعلق قربانا أمام مذبح المعبد)،دون ان ينسى أي اله من آلهة القمم والسفوح

[1]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص٥٧.

[2]) بوكيت ،مقارنة الأديان ،ص١١٤.

والأعماق ،ونتيجة لذلك توقفت الأوبئة تماما[١].وفي رواية أخرى يقول انه ولد للإمبراطور سوئنين(٢٩ق.م-٧٠م)[٢] ابنا هو متشي-واكيه ،ولكنه كان أبكم ،وذات مرة خلد الإمبراطور للنوم قلقا فجاءه الوحي في الحلم ،وعلى لسان احد الآلهة:"إذا أقمت لي قصر كالقصر الإمبراطوري فلسوف ينطق ولدك".وبعد رؤية هذا الحلم حاول ان يعرف عبر طقوس التنجيم من هو الإله الذي تجلى له.فاكتشف ان روح اله ايزومو الكبير هو مصدر اللعنة.لذا قرر ان يرسل الطفل لزيارة الإله الكبير في معبده ،وبالفعل يزور الأمير الطفل مع مرافقيه وهما اكيه تاتس ،واوناكامي معبد الإله الكبير في ايزومو فينطق الطفل.وقد رفع المرافقين للأمير تقريرهما إلى الإمبراطور قائلين فيه:"لقد تكلم ولي العهد بفضل تقديسه للإله الكبير"[٣].

كما هو الحال في الحضارات الكبرى فان من وسائل العلاج في **الثقافات البدائية** تشير إلى ان التقوى والصلاة والقرابين مهمة في العلاج ،إذ تتحدث أسطورة افريقية حول احد ملوك قبيلة بوغندا ويدعى تيمبو وتقول انه أصيب بالجنون ،وشفي من المرض بعد ان تم تقديم قرابين بشرية[٤].وفي أرض النار(أرخبيل في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية يطلق على سكانه اسم الفويجيين) ،وعند قبائل السلكنام يسمى الإله الأعلى عندهم الساكن في السماء ،أو الذي يقيم في السماء.وهذا الإله بمعزل عن البشر ،ليس له صور تعكس ملامحه ،وليس له كاهن يضرع إليه ،وفي حالة مرض طفل احد من السكان مثلا يتجهون إليه بالدعاء:"أنت في عليائك ،لا تأخذ ولدي مني ،فهو ما زال بالغ الصغر"[٥].وعندما يقع احد الأولاد مريضا لدى قبائل اليانان الأفريقية يتوجهون بالدعاء إلى الآلهة والأجداد مؤكدين ومعددين الأعمال الخيرة التي قام بها

---

[١]) شيباتا ،كوجيكي ،ص٢٠٧-٢٠٨.

[٢] حول تواريخ حكم الأباطرة اليابانيين انظر:

http://ar.wikipedia.org.

[٣]) شيباتا ،كوجيكي ،ص ٢٢٠-٢٢٤.

[٤]) بارندر ،الأساطير الأفريقية ،ص١٦٢.

[٥]) ميرسيا الياد ،**مظاهر الأسطورة** ،ترجمة:نهاد خياطة ،(دمشق:دار كنعان للدراسات والنشر ،١٩٩١) ،ص٩١ ؛الياد ،الأساطير ،ص٢١٢ ؛مرسيا الياد ،**المقدس والعادي** ،ترجمة:عادل العوا ،(بيروت:دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٩) ،ص١٥٣.

الشخص[1] .وفي الديانة الفولتاوية الخاصة بشعوب الباليونيغريتيك الغربية يتم الابتهال إلى ليتينغبل(Litingbel) أي الروح الحامية للقرية ليجعل النساء مخصبات[2] .

---

[1]) فروليش ،الديانات الأفريقية ،ص٢٣٦.

[2]) المصدر نفسه ،ص٢٣٩.

٢.التدخل الإلهي والحصول على الشفاء:

ان نمطا أخر من العلاج يمكن ان نقرأ عنه في مصادرنا المتوفرة ،وهذا النوع من العلاج يظهر فيه الإله كشافٍ للأمراض بشكل مباشر ،وتقدم الأدبيات المختلفة للحضارات القديمة أدلة عن هذا النمط من العلاج ،وربما يكمن السبب إلى اعتقاد القدماء بهكذا نمط من العلاج هو الإيمان بان الإله سيهب لإنقاذ المريض أجلا أم عاجلا.وان تحقق العلاج للمريض سيدفع إلى الإيمان بان الإله بنفسه ساهم في العلاج.

في **بلاد الرافدين** نقرأ عن هذا النمط من العلاج ،وان وابرز مثال يمكن الاستعانة به وان كان يخص عالم الآلهة ،بيد انه يعطي تصورات غنية ،هو أسطورة دلمون فالرب اينكي يصاب بثمان أمراض من جراء لعنة تلقاها من الربة نينخورساك ،ولم يكن هناك مجال لشفائه إلا بتدخل مباشر من الربة نينخورساك بعد تدخل الثعلب وفشل الانوناكي:

"لبس الانوننا(Anunna) عند ذلك التراب حزنا

لكن الثعلب الذي كان حاضرا ،قال لاينليل

ماذا ستكون مكافأتي إذا ما أعدت نينخورساك ؟

فأجابه اينليل

إذا ما أعدت نينخورساك

إلى مدينتي[...] سوف ازرع شجرة كيشكانو

وسوف تصبح مشهورا

لمع الثعلب وبره استعدادا

و[....]

وزين بالكحل عينيه".

يبدو ان الثعلب يوفق في مسعاه وتعود نينخورساك للعمل على شفاء اينكي وتخلق ثمانية الهة من اجل شفاء اعضاء اينكي الثمانية وهي الإله أبا-أو(Aba-u) للرأس ،والإلهة نينسكيلا(Ninsikila) للشعر ،والإلهة نينكيري-اوتو(Ninkiri-Utu) للانف ،والإلهة نينكاسي(Ninkasi) للفم ،والإلهة نازي(Nazi)

للحنجرة ،والإلهة ازيموا(Azimua) للذراع ،والإلهة نينتي(Ninti) للضلوع ،والإله انشا-اگ (En-Ša-ag) للمتن[1].

ونقرأ عن هذا النوع من العلاج أيضا في أسطورة سومرية خاصة بخلق الإنسان التي تقول ان الربة نينخورساك قامت بخلق صنف من البشر:"لم يكن بمقدوره الاحتفاظ بمنيه(كما ينبغي)" ،ولكن الرب اينكي:"شفاه باغتسال مع تعويذة خاصة"[2].وفي قصيدة المعذب السومري نقرأ كيف ان هذا الرجل قد أصيب بالمرض لكن إلهه الشخصي يتولى بنفسه معالجته:

"[ذلك الرجل] قد استمع[إلهه إلى دموعه ونحيبه المرير]
[ذلك الشاب] قد لطف بكاؤه ونحيبه قلب إلهه
والكلمات الحقة ،الكلمات الطاهرة التي تفوه بها ،قد تقبلها إلهه منه
الكلمات التي اعترف بها الشاب في صلاته
أرضت(؟)...وكم(؟) إلهه ،وسحب إلهه يده من كلمة الشر
التي تحزن القلب...واحتضن
وطرد شيطان المرض المحدق ،الذي بسط عليه جناحيه
والمرض الذي أصابه مثل... بدده
والمصير المشئوم الذي قدر له(أي أمر الإله) قد أزاله
وبدل معاناة الرجل(؟) إلى فرح"[3].

وفي قصيدة المعذب البابلي وهي نسخة معدلة بشكل متقن ورائع عن الأصل السومري نقرأ عن حالة مماثلة ،فبعد القيام بطقوس التعزيم التي أجرها كاهن مختص يتولى الإله ذاته إرجاع الصحة للمريض ،وهي نتيجة منطقية إلى تضرع المريض للقوى الإلهية التي تستجيب له:

"في الحلم ظهر أور-نين-دين-لوكا البابلي

---

[1]) *Kramer, "Enki & Ninhursag:a Paradise Myth,P.40-41.*
صموئيل نوح كريمر ،**الأساطير السومرية:دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد** ،ترجمة:يوسف داوود عبد القادر ،(بغداد:مطبعة المعارف ،١٩٧١) ،ص٩٩-١٠٠ ؛الشواف ،ديوان الأساطير ،ج١ ،ص٣٥-٣٧.

[2]) الشواف ،ديوان الأساطير ،ج١ ،ص٦٨.

[3]) كريمر ،السومريون ،ص١٧٢.

رجل شاب ذو لحية لابس تاجه
معزما في شكله يبدو ،وهو يحمل لوحا
وقال ان مردوك ذاته هو الذي أرسلني لأقول لك
إلى شوبشي-مشري-شاكان اجلب الازدهار
هكذا سلمني مردوك إلى يدي شافيّ
(في) حالة اليقظة أرسل إلي رسالة
اظهر لذويّ علامة منظورة على إنعامه
من الألم الذي كان يطول(أخرجني بسرعة)
انتهى مرضي فجأة وتحطمت قيودي
بعد ان (يهدأ) قلب سيدي
وخمدت نفس مردوك الرحيم
وتقبل تضرعاتي(وتلقى صلواتي)
(واظهر تجاهي) قلبه العطوف
ونطق بالرأفة تجاهي أنا الذي كنت أتألم إلى هذا الحد...
(ابعد) القصاص الإلهي الذي احتملته
(غفر) المخالفات التي (بها صرت مذنبا...)
وأطلق بالريح جميع اهمالاتي!".

هناك كسرة أخرى تبدو وكأنها تتمة لهذا النص وتروي كيف ان مردوك أعاد الصحة إلى المعذب البابلي:

"(انه طرد) الريح الرديئة إلى عمق الأفق
على سطح العالم الأسفل لاشى الحمى ديئو
انزل السعال الرديء إلى ابسو مقاماه
أرسل إلى أيكور اوتوككو الذي لا يقاوم
طرد لماشتو وأرسلها إلى الجبل
اسلم الرجفة الباردة إلى النهر الفائض والى البحر
انتزع جذور النتانة مثل العشب
والثقل المسيء الذي يملأ نومي

أرغمه على التشتت مثل دخان يملأ السماء
ويلاتي وآهاتي...
جعلها مثل ضباب ترتفع ثم (تختفي في) الأرض
والصداع العنيد الذي كان(يثقل علي) مثل سحاب
أزاله مثل الندى الليلي وطرده من فوقي
عيناي الغائرتان اللتان كان ترسب الموت قد غطاهما
أبعده ٣٦٠٠ فرسخا وأعاد إلى بصري صفائه
إذناي اللتان كانتا مسدودتين ومغلقتين مثل إذني أصم أبكم
نزع عنهما صملاخهما وفتح سمعي من جديد
انفي الذي من جراء مدة الحمى كان التنفس فيه قد اختنق
هدأ التهابه لكي استنشق(بحرية)
من شفتي اللتين كانتا قد جفتا وأخذتا(...)
مسح الهلع وحل التشنج
فمي الذي كان مغلقا وغير ماهر للحديث
صقله كالنحاس وجعل غبرته تلمع
أسناني التي كانت مصطكة ومتحجرة في كتلة واحدة
فتحها إذ فرقها(وحرر) جذورها
لساني الذي كان متشنجا لا يستطيع التحرك
مسح ما كان يلوثه فعاد نطقي سيالا
حنجرتي التي كانت مسدودة وتختنق لكونها مغلقة
أعاد إلى وضعها وصدرها انشد كالمزمار
جذور لساني المنتفخة والتي لم تكن تتلقى(هواء)
رأيتها تعود إلى النظام وينفتح انسدادها"[١].

---

[١]) لابات ،المعتقـــــدات الدينيـــــة ،ص٤٠٦-٤٠٨ ؛الشـــــواف ،ديوان الأســـــاطير ،ج٢ ،ص٤٤٢-٤٤٦ ؛ج٤ ،ص٤٨٠.

ونقرأ في أسطورة خاصة بحاكم أوروك لوكال باندا كيف انه يمرض عند جبل يدعى خورروم ،لذا يتجه إلى الإله اوتو بابتهال حار طالبا منه إعانته.ويستجيب اوتو ويقدم له طعام وشراب الحياة ويشفيه من مرضه(١) .

في **مصر القديمة** تشير المادة المتوفرة إلى اعتقاد المصريين بان الآلهة قد تتدخل بنفسها من اجل تحقيق الشفاء ،ففي أسطورة نعرف إن الربة ايزيس تذهب إلى مدينة بيبلوس وتعمل متخفية عند ملكتها عشتار ،وقد كلفتها الأخيرة بإرضاع ابنها الصغير ،وكان الطفل متوعك الصحة فردت إليه ايزيس صحته بإرضاعه من إصبعها(٢).وفي أسطورة أخرى تعرف باسم الصدق والكذب أو ماعت وجيريج نعرف بشكل جيد قدرة الآلهة على تحقيق الشفاء ،وتشير أن الكذب اشتكى على أخيه الصدق أمام تاسوع آلهة اونو لان الأخير أضاع سكين كانت عائدة للكذب الذي ادعى إنها سكين غير عادية ،لذا حكم التاسوع لصالح الكذب وعندما سئل عن العقوبة التي ينبغي أن تطبق على شقيقه ،أجاب بان تؤول جميع ممتلكات شقيقه إليه ،وان يصبح الصدق خادما له ،وان تقتلع عينيه.وبعد أعوام أصبح للصدق ولد تمكن من خداع عمه الكذب بنفس أسلوبه عندما ادعى إن الأخير سلبه ثور فريد ولا يوجد بديل له ،وعندما أدان التاسوع الكذب ،وأدركوا زيف ادعاءاته السابقة تجاه أخيه قرروا إعادة البصر إلى ماعت(٣) .

وتشير **الكتابات اليهودية** الى التدخل المباشر لله في الشفاء من الامراض فطوبيا اليهودي قد اصيب بالعمى ولكن الله شفاه بواسطة شخص يدعى عزريا اتضح انه الملاك رفائيل(٤) .

تتحدث **الأدبيات الإغريقية** عن حالات شفاء لم تنفذ من قبل احد من البشر بل ان الإلهة تتدخل بنفسها وتعمل على تنفيذ العلاج ،وربما هذه تعكس اعتقاد يقول ان الآلهة هي التي بيدها الشفاء ،وقد فهم هذا الاعتقاد بشكل واقعي

---

(١) كريمر ،السومريون ،ص٣٩٧ ؛سامي سعيد الأحمد ،**العراق القديم** ،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد ،١٩٧٨) ،ج١ ،ص ٣٩٠-٣٩١ ؛الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٤ ،ص ٤٨٠ ؛الشاكر ،رموز أهم الالهة ،ص٦٨.

(٢) رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٤٦.

(٣) حول التفاصيل الكاملة للأسطورة انظر:المصدر نفسه ،ص ٢٧٠-٢٧٣.

(٤) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٥٦٥.

يظهر الإله بنفسه وهو يمارس فن الطب ،وهناك أمثلة عن هذا الاعتقاد ،فعندما جرح اينياس في الحرب الطروادية لم يعالجه احد من البشر بل:"قامت ارتميس ،راشقة السهام ،وليتو ،بمعالجة جرحه والعناية به في الغرفة الكبيرة والسرية"[1].وعندما جرح غلاوكوس ملك دولة ليكيا في أسيا الصغرى في نزال مع تيوكروس احد الأبطال الاخيين ،لم يلجأ إلى علاج جرحه عن طريق الأدوية بل اتجه بالدعاء إلى الإله أبوللو الذي سارع إلى شفائه:

"امسك بيده ذراعه الذي كان الجرح يؤلمه
حيث كان قد أصابه تيوكروس بسهم حين كان
فوق السور العالي ،وابتعد عن المحيط بمرافقيه
ووجه صلاته إلى أبوللو الذي يضرب عن بعد:
اسمعني يا مولاي ،فأنت في مكان ما في البلاد اللوكية الثرية
أو هنا في طروادة ،وأينما كنت تستطيع ان تسمع
رجلا يتألم ؛وأنا قد نزل بي هذا الألم
انظر ان بي جرحا عميقا ،وذراعي من جانبيه
يمضي به الألم المبرح ،ودمي لا يجف
ولا يتوقف عن النزف ،وكتفي تؤلمني
لا استطيع الإمساك برمحي بثبات ،ولا استطيع التقدم
لقتال العدو ،وقد سقط خير الرجال
ساربيدون(وهو شريكه في الحكم)ابن زووس ،الذي يحمي أولاده
على الأقل يا مولاي خفف عني هذا الجرح ؛
ودع الألم ينام ،وامنحني القوة لكي استطيع
مناداة رفاقي اللوكيين ودفعهم إلى القتال
وأنا نفسي سأقاتل دفاعا عن الجسد المرتمي
هذا ما قاله في صلاته.وقد سمعه فويبوس أبوللو
وسرعان ما أوقف الألم ،وجفف من الجرح العميق
الدم الأسود النازف ،وبث في روحه القوة

[1]) هوميروس ،الإلياذة ،٥: ٤٤٧-٤٤٨.

وأدرك غلاوكوس في أعماقه ما يجري.وكان سعيدا
لان الإله العظيم قد استجاب لصلاته..."[١].

ونقرأ كيف ان تديوس احد أبطال السبعة ضد طيبة قد جرح في منازلة له مع ميلانيبوس الطيبي ،إلا ان أثينا جلبت له إكسير كان يمكن ان يشفيه ويجعله خالدا ،وكادت ان تقدمه له حين جاءه العراف امفياروس ،وقدم له رأس ميلانيبوس.وفي غمرة الغضب شق تديوس جمجمة عدوه والتهم مخه.ثار غضب أثينا من ذلك الفعل البربري فتركته يلقى حتفه ومات تديوس بعد ذلك بقليل[٢].

في **الهند** نقرأ عن حالة تدخل الهي في شفاء المرضى ،ونقرأ وصفا رائعا عن هذه الحالة ، اذ تتحدث أسطورة عن امرأة تدعى ماليني ،كان النساء ينادونها تريفاكرا(الحدباء) ،وكانت تشكو من التواء في عنقها ،وحدبة في ظهرها وتيبس في ركبتها ،لذا تتوجه هذه المرأة إلى كريشنا(وهو تجسيد ارضي للإله فيشنو) وقد أخذت بيدها عطورا ، وراحت ترشها على يد كريشنا ، ومسحت بدهن العود جبهته ،ومن ثم مسحت على جبهة بالارما أخ كريشنا ،بعد ذلك ارتمت على قدمي كريشنا ودفنت رأسها بين رجليه وراحت تبكي بمرارة قائلة:"يا الهي ،الهي ،إني قبيحة جدا" ،لكن كريشنا أجابها:"أنت لست قبيحة" ،ثم انحنى ورفع تريفاكرا من على الأرض قائلا:"يا أختي من قال انك لست جميلة.انك جميلة ؟وتكلم بقدرة".نهضت تريفاكرا من على الأرض ،وحاولت ان تقف بالطريقة التي اعتادت عليها ،غير إنها شعرت ان هناك شيئا غريبا ،طاقة مفاجئة ،حاولت ان تقف واستطاعت ،وضمت أرجلها سوية وكانتا مستقيمتين ،ومدت قامتها لأقصاها ووقفت منتصبة ،وبشعور يشبه الصدمة أدركت ما الذي حصل لها ،ونسيت ما يتوجب على المرأة ان تراعيه من سلوك فقفزت فرحا.وكان الناس الذين تجمعوا ينظروا إليها وقد أصابتهم الدهشة.لذا قالت لكريشنا:"يا الهي...يا الهي لقد أزلت عاهتي ،قالت ذلك وارتمت على رجلي كريشنا مغطية رجليه بشعرها الطويل بعرفان لا ينطق به لأنه أقدس من ان يذكر[٣].وفي رواية ثانية للأسطورة تقول ان المرأة الحدباء ذهبت إلى كريشنا وتوسلت إليه بان

---

[١]) هوميروس ،الإلياذة ،١٦: ٥١٠-٥٣١.

[٢]) غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص١٨٢.

[٣]) ك.م.مونشي ،**كريشنا** ،ترجمة:رعد عبد الجليل جواد ،(اللاذقية:دار الحوار للنشر والتوزيع ،٢٠٠٧) ،ص٢١٠-٢١٥.

يسمح لها بان تفرك جسده بمرهم الصندل.فذهب إليها ووضع قدميه على قدميها وثبتهما ،ثم وضع إصبعين تحت ذقنها ورفعها إلى الأعلى إلى ان أصبح جسدها مستقيما وطبيعيا[1] .وفي ملحمة المهابهاراتا نقرأ عن الملك ذريتاراشترا ملك مدينة هاستينابورا الذي كان أعمى ، وبفضل كريشنا الذي تجلى إليه بصورته الإلهية استعاد بصره وأصبح قادرا على رؤية كريشنا بجميع الأشكال وهنا نطق ذريتاراشترا:"لقد شاهدتك ولا أريد مشاهدة أي شيء أخر وأريد ان أعود كفيفا مرة أخرى" ،فما ان قال ذلك حتى عاد كفيفا[2] .

---

[1]) كامبل ،البطل بألف وجه ،ص٣٥٤.

[2]) شاكرا راجا جوبال أشاري ،**ملحمة مهابهاراتا** ،ترجمة:رعد عبد الجليل جواد ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٩٢) ،ص٢٩٩.



(كريشنا)

٣.زيارة معابد الآلهة:

تشير المصادر إلى وجود طريقة أخرى غير التقوى في علاج الأمراض التي تصيب الإنسان ،ويمكن ان نطلق على هذا العلاج صيغة زيارة معابد الآلهة.وبلا شك كانت زيارة معابد الآلهة توفر الراحة النفسية للمريض ،ولكن الأقدمين اعتقدوا ان هذه الزيارة تهدف إلى الشفاء ،وبلا شك نحن أمام اعتقاد لا يزال راسخا إلى ألان في العديد من بلدان العالم الشرقية والغربية هو اعتقاد يقول ان زيارة الأماكن المقدسة يجلب الشفاء للمريض.

في **مصر القديمة** نعرف ان المرضى كانوا يزورون معابد الآلهة طلبا للعلاج ،فكثيرا ما كان المصريون يزورون المعابد الخاصة بامحوتب ،ويطلبون من روحه ان يتدخل هو في شفاء مرضاهم ،وقد زار معابده آلاف المرضى حيث دونوا نصوصا تشهد بهذه الزيارة وتعترف بجزيل الشكر على عناية امحوتب بهم وعلى شفائهم لمرضاهم.فضلا عن ذلك كان المصريون يضعون نماذج من الطين للعضو المريض من جسد الشخص في معبد امحوتب حتى يشفيها.ويظن إن اغلب زائري امحوتب كانوا من المصابين بالعاهات ،وقد أقيمت في معابده الصلوات وقدمت فيها القرابين طلبا للشفاء من مرض مستعصٍ ،أو غير قابل للشفاء.وقد وردت في بردية قديمة تعرف باسم بردية بهنسة حكاية عن نخوتيس تتلخص في انه أصيب مرة بحمى وألم في الجانب الأيمن وعسر في التنفس مع سعال(ربما حالة التهاب رئوي أيمن) ،فأرسل إلى معبد امحوتب مع والدته.وفي الليل رأت الوالدة رأى العين شبح امحوتب يفحص ابنها من رأسه حتى قدميه ثم اختفى.وتنبه المصاب بعد ذلك من نومه وقص على والدته انه رأى المعبود ذاته بالكيفية التي شاهدتها هي ،وانه شفي تماما مما أصابه فحمداه على ذلك وانصرفا.وقد جاء في بعض الروايات اليونانية ان مدينة ارسنوي بالفيوم تحوي معبدا خاصا لامحوتب يعود لعهد البطالمة يزوره الناس للعلاج والتبرك[(١)].ومن المعابد التي اشتهرت بزيارة المرضى لها معبد دندرة ،فقد كان يوجد في هذا المعبد ممر طويل نصبت على جدرانه تماثيل وتعاويذ سحرية ذات قدرة على شفاء المرضى.وكانت طريقة العلاج تتم كالآتي:يصب ماء على هذه التماثيل ثم يجمع في أحواض.وبهذه المياه التي اكتسبت

---

[١]) كمال ،الطب المصري ،ص٤٩-٥١ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص ٢٩٠.

قوة سحرية يستحم المريض.وكان في الطابق العلوي في معبد حتشبسوت بالدير البحري قد عثر على كتابات نقشها بعض المرضى على جدران هذا المعبد يدعون فيها الإلهة بالإنعام عليهم بالشفاء.وقد سجل احدهم ويدعى اندروماخوس المقدوني انه بالفعل تم شفاءه:"كان مريضا وقد شفاه الإله في نفس اليوم"[١].هذا وان معبد السرابيوم للإله سرابيس الذي بدأت عبادته في العصر البطلمي ،كان مركزا مهما يأتيه المرضى من كل مكان للشفاء[٢].وتقدم لنا قصة مصرية تفاصيل جيدة تخص العلاج عن طريق زيارة معابد الآلهة ،وتعرف القصة باسم قصة سي-أوزير ،والقصة مدونة على بردية يحتفظ بها ألان المتحف البريطاني ،وبالرغم من ان بداية هذه القصة مفقودة ،ألا إننا نستطيع بسهولة تخيل هذه البداية ،وهي ان زوجة ولي العهد المصري المدعو سي توم ،ظلت لفترة طويلة لا تنجب.وكان من طبيعة الحال ان يؤرقها الأمر ،وفي النهاية لجأت إلى احد المعابد حيث تطهرت وأدت الصلاة ،ثم نامت هناك تنتظر.وكان للسيدة ما أرادت ،فقد حلمت بمن يقول لها:"ألست مح اوزشت ،زوجة سي توم ،الراقدة في المعبد من اجل الحصول على البركة".ونعرف من نصوص أخرى ان من رأته زوجة ولي العهد في حلمها ليس سوى طيف احد الأرباب.وقد نصحها الرب في الحلم بشرب مسحوق نباتي يساعد على الحمل:"امض إلى بيت زوجك ،وهناك ستجدين كرمة قد نمت فاكسري منها فرعا ،بثماره التي يحملها ،واصنعي منها مسحوقا تضعينه في الماء وتشربينه فتحصلي في نفس الليلة على الطفل".وبالفعل تحمل المرأة بطفل[٣].

اعتقد **الإغريق** كالمصريين القدماء ان زيارة معابد الآلهة تجلب الشفاء ،وهو اعتقاد ما زال شائعا في العديد من دول العالم عن طريق زيارة مزارات الأولياء والصالحين والقديسين.ولعل الدارس لمعتقدات الإغريق الخاصة بزيارة معبد الإله اسكليبيوس ،يلاحظ التشابه الكبير بينها وبين زيارة معابد ايمحوتب لدى المصريين ،وان كان الحديث عن وجود مؤثرات مصرية أو بالعكس يونانية ما زالت مبكرة.ففي أواخر القرن الخامس قبل الميلاد انتشرت عقيدة الإله اسكليبيوس

---

[١]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٦٥-٦٦.

[٢]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٤١.

[٣]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص١٣٣-١٣٤ ؛أبو رحمة ،الإسلام والدين المصري ،ص ٤٠.

على نحو مفاجئ في عدة أصقاع في بلاد اليونان ،ولكن أجدرها بالذكر ابيداوروس التي تقع في شبه جزيرة ناتئة من الساحل الشرقي لارغوليس ،ومطلة على الخليج الساروني.ففي داخل هذه المدينة أقيم على رقعة واسعة معبدا ضخم للإله يضم أماكن ينام فيها المرضى الذين يقصدون اسكليبيوس ،لكي يشير عليهم فيما يخص حالتهم الصحية ،وقد شيد في القرن الرابع قبل الميلاد ،وكانت طقوس اسكليبيوس تعرف باسم اسكليبيا(Asclepia) وكان المرضى يأتون إلى حرم المعبد ويتطهرون ويصومون ويمسكون عن أكل أطعمة معينة ،ثم يضحون بحيوانات ويرقدون على جلودها أو فرواتها ،في رواق طويل ملحق بالمعبد ،أو على سرير موضوع قرب تمثال الإله.وينامون الليل ومن المفترض إنهم يرون رؤى وأحلاما تتضمن وصفات لشفائهم من المرض ويسمى هذا بالرقود ،فقد كانت الطريقة المعهودة لدى الإله ،هي ان يرسل حلما يوصي فيه بعلاج معين ،أو يشفي المريض على الفور رجلا كان أم امرأة ،ويقوم الكهنة في الصباح بتفسير الحلم ،ويوضحون توجيهات الإله.بلا شك كان الشفاء يتم عن طريق الإيمان بقدرة الإله على الشفاء حيث ان العلاج الطبي لا يذكر كثيرا ،أو لعل الشفاء كان يتحقق بمزيج من هذا الإيمان والأدوية.وتؤيد الاهداءات والنذور اعتقاد بعض المرضى بان الشفاء تم بعد ان تجلى لهم الإله في الحلم.وعثر على نقوش مطولة فوق ألواح حجرية في حرم المعبد دون عليها المرضى بالتفاصيل كيف تم شفائهم بمعجزة من الإله ،منهم مكفوفي البصر الذين نالوا الشفاء تماما.ففي احد الألواح نقرأ كيف ان رجلا كان قد شلت أصابعه جميعا عدا إصبعا واحدا ،جاء لمعبد اسكليبيوس ليتضرع للإله ليشفيه.فلما وقع بصره على الألواح الموضوعة داخل المعبد وقرأ أخبار الشفاء العجيبة المدونة عليها ،بدأ الشك يساوره.على انه نام في مهجع المعبد ،فرأى في منامه كأنه يلعب النرد في المعبد ،وبينما كان يرمي الزهر ظهر له الإله ووضع يده على يد هذا الشخص وبسط له أصابعه إصبعا بعد أخر ثم سأله ما إذا كان لا يزال يشك في الكتابات المقدسة على ألواح هذا المعبد ،فأجاب الرجل بأنه حقا لم يعد يشك فيها.عند ذاك قال له الإله:"ولكن لأنك قد شككت فيها من قبل ،فانك ستدعى باسم الكافر من ألان فصاعدا".ثم برح الرجل في صباح اليوم التالي المعبد وقد برئ من مرضه.ومرة أخرى زارت هذا المكان امرأة أثينية عوراء تدعى امبروزيا لتلتمس النصيحة من الإله

في مرضها ،وبينما كانت تسير في أرجاء المعبد ،قرأت أخبار الشفاء المدونة على ألواح المعبد وسخرت من بعضها إذ وجدتها مستحيلة بعيدة عن العقل ،وقالت في نفسها:"كيف يمكن للأعرج ان يصبح سليم الساقين ،وللأعمى ان يسترد بصره لمجرد رؤيتهما رؤيا ؟".ثم نامت في المهجع وهي على هذا النحو من الشك ورأت في منامها رؤيا بدا فيها الإله يقف بجانبها ووعدها بأنها سوف تسترد بصر عينها المفقودة ،على شرط ان تقدم للمعبد خنزيرا من الفضة كذكرى لكفرها البالغ.وبعد ان وعدت الإله ان تفي بذلك ،فتح الإله عينها وصب فيها البلسم ،فرجعت في اليوم التالي إلى بيتها وقد ارتد إليها بصرها.ويقدم المرضى إلى اسكليبيوس هداياهم وذلك برمي الذهب في النافورة المقدسة وبتعليق النذور على جدران المعبد.وكان بعض الإغريق يذهبون إلى معبد اسكليبيوس ويؤمنون بكل معجزة سجلتها نقوش المعبد ،وينتظرون عن ثقة ان يأتيه الإله في شخصه في أثناء الليل ،ويشفيه بعملية جراحية عجيبة أو بعقار سحري المفعول.ونجد هناك حالة مشابهة لهذا في معبد الإله المصري سرابيس في جزيرة ديلوس ،الذي يوجد فيه مفسرون رسميون لتأويل الأحلام ،ومداحون يسبحون بنعم الإله ،وبلا شك في ان بعض الوصفات الطبية التي وجدت منقوشة على الحجر في حرم المعبد كانت من تحضير الكهنة[1].ونعرف انه كان في مدينة اوروبوس تلك المدينة التي تقع في اتيكا محراب للعراف الذي يدعى امغياراوس حيث تعود المستفسرون عن مسائل تخصهم ان يذبحوا الكباش ضحية له وللأشخاص المؤلهين الآخرين الذين كانت قد نقشت أسماءهم في المحراب.وبعد ذلك كان يفترش هؤلاء جلود الكباش وينامون عليها ،وهم يتوقعون ان يتمثل لهم هؤلاء الأشخاص في رؤياهم.ويبدو ان أماكن النبوءة هذه كان يزورها أساسا وبصفة دائمة المرضى الذين كانوا يبحثون عن وسيلة لتخفيف آلامهم.فإذا توصلوا إلى هذه الوسيلة من خلال رؤياهم التي يرونها في تلك الأماكن المقدسة ،فإنهم يعبرون عن شكرهم برمي قطع من النقود الذهبية أو الفضية في النبع المقدس لهذا المكان.ومن المؤكد ان مكان النبوءة هذا لم يكن يفتح أبوابه

[1]) روز ،الديانة اليونانية ،ص١٤٤-١٤٥ ؛فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٣٢٩-٣٣٠ ؛علي ،التاريخ اليوناني ،ص١٣٤-١٣٥ ؛ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٣٩ ؛بولار ،الديانة اليونانية ،ص١٧ ؛غيوراند ،الآلهة والأساطير اليونانية ،ص١٥٢.

للزائرين إلا في أشهر الصيف ،ذلك لان الكاهن كان ملزما بان يكون موجودا في هذا المكان مدة عشرة أيام على الأقل من كل شهر ،ابتداء من نهاية الشتاء حتى يبدأ موسم الحرث الذي يتفق مع ظهور نجم الثريا.وفي هذه الفترة لم يكن يسمح للكاهن ان يتغيب أكثر من ثلاثة أيام دفعة واحدة.وكان على المريض الذي يجيء لهذا المكان يلتمس النصيحة من الإله ،ان يقوم قبل كل شيء بدفع رسم قدره تسعة اوبولات على الأقل من الفضة الخالصة لخزينة المعبد في حضرة حافظ غرفة المقدسات ،الذي يقوم بتدوين اسم هذا الشخص ،واسم بلده في السجل العام.فإذا كان الكاهن موجودا ،فان من واجبه ان يصلي فوق الحيوان الذي قدم أضحية وان يضع لحمه فوق المذبح.أما إذا كان الكاهن متغيبا ففي وسع الشخص الذي قام بتقديم الأضحية ان يؤدي هذه الطقوس بنفسه.ويحصل الكاهن على جلد كل حيوان يقدم أضحية كما يحصل على كتف من كتفيه ،وبوصفهما منحة له ،ولكنه لا يسمح بان ينقل أي جزء من لحم الحيوان خارج المكان.فإذا قام الشخص بهذه الإجراءات يسمح له بعد ذلك بالمبيت في هذا المكان حتى يستقبل النبوءة.وفي المهجع ينام الرجال والنساء منفصلين بحيث يفصل بينهما المذبح ،إذ ترقد النساء جهة الشرق في حين يرقد الرجال جهة الغرب[1] .

وفي **الصين القديمة** كان المرضى يزورون معبد الآلهة بي-هسيا-يوان-تشون ،من اجل الشفاء ،الواقع في مياوفينغ-شان(جبل القمة العجيبة) ،على بعد ٤٠ ميلا من بكين ،وكان يأتي المرضى إليه من كل نوع متضرعين إلى الآلهة لتشفيهم من خلال دخان عيدان الأصنام وصراخ المجانين والأصوات الهائجة واللغط العالي الذي يسود المكان ،إذ يفترض ان ذلك يكسب عطف بي-هسيا-يوان-تشون وشفقتها[2] .

[1]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٣٢٧-٣٢٨.

[2]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص١٨٩.

٤.التعاويذ والرقى والتمائم.

إن الوسيلة الأخرى التي تستخدم في علاج الأمراض لاسيما تلك التي تسببها القوى الشريرة من الأرواح الشريرة والعفاريت والشياطين هي: الرقى والتعاويذ والتمائم. ويعرف غليونجي التعاويذ بأنها الصيغة اللفظية التي يتلوها سادن السحر عند القيام بخدمته.وإنها بشكل عام تتصف بالجمود وعدم القابلية على التغير.وقد عدت أهم أركان السحر ومركز القوة الفعالة فيه ،وتلك القوة منحصرة في صيغتها اللفظية ،تنطلق معها من فم المتكلم غير مبالية بشخصيته ولا بالمعوذ له ،سالكة طريقا ذاتية لا عودة منها حتى بإرادة قائلها.والغالب ان إسناد قوة ذاتية للألفاظ نشأ عندما بدأ الإنسان يتكلم ،ففطن إلى قوة الأصوات الجديدة وقيمة نغمة النطق ،وهابها في غيره.وقد عم الاعتقاد لدى القدماء بان الكلمة لها حياة خاصة.وأصبحت الكلمة التي تصور المدلول في الفكر البدائي هي المدلول ذاته.هذا الأمر الذي جعل لمنطوق التعاويذ والصلوات قيمة تعلو مدلولها ،والذي اوجب الالتزام بشكلها وبطريقة ترتيلها ،الموروثين ،دون أي انحراف ،إذ ان اقل تعديل فيهما كان يغير من طبيعتها ويفقدها فاعليتها ،بل كان يؤدي تبعا لتقاليد بعض القبائل البدائية بحياة من اخطأ إلقاءها.بل ان بعضها في مصر القديمة مثلا ،كان ما يزال يلقى بلغة أجنبية مثل بردية لندن لأنها كانت دخيلة ،أو إنها كانت تستخدم ضد أرواح أجنبية.وللسبب نفسه فان التعاويذ عموما احتفظت بتراكيب لفظية عتيقة وبألفاظ مهجورة.وذلك لان القدم في التركيب ،والغرابة في التعبير ،يكسوان التعاويذ ثوبا من الشاعرية والغموض ،ويزيد من روعتها ،وفي قوة تأثيرها.وكان مدلول التعويذة يشير دائما إلى الغاية المطلوبة ،أما بالتشبيه أو بالاستعارة ،أو بتوافق الأصوات ،أو بسرد حوادث مماثلة من تواريخ الآلهة.وكثيرا ما كانت تخضع تلاوتها لتقاليد مستمدة من خواص الأرقام السحرية(٣-٤-٧) ،أو كانت تقرن بالتراتيل على العقد المربوطة على الحبال والأقمشة ،أو باستعمال النبيذ أو الزيوت أو الماء المقدس[١].

كانت التعاويذ والرقى(Šiptu)من وسائل العلاج الناجعة في **وادي الرافدين** ، وكانت توضع لطرد الأرواح الشريرة المؤذية والشياطين التي تسبب

[١]) غليونجي ،الطب ص٣٦-٣٨.

الأمراض الجسدية ،والعقلية للأفراد ،كما كان يقصد منها إبطال اثر السحر الذي يمارسه السحرة.والغالب منها تكون عن طريق الاستعاذة بأسماء مشاهير الآلهة المعروفة بالتزامها جانب الإنسان منهم شمش ،وايا ،وابنه مردوك.وجرت العادة في التعاويذ إنها كانت تتلى في أثناء إجراء بعض العمليات السحرية أي مصاحبة لمثل هذه العمليات مثل التبخير وسكب الماء ورشه.هذا وان نصوص الكثير من التعاويذ كان ينقش بهيئة عوذ أو حروز من الحجر تعلق بهيئة دلايات في رقاب الأفراد ،وخصصت طائفة منها للأطفال درءا لخطر أضرار الشياطين[1].ويبدو إن استخدام الرقى والتعاويذ في العلاج راجع إلى الاعتقاد إنها تتسم بقوتها الفائقة:"حتى إذا كان بوسع ما في جسم المريض ان يهدم المعابد ،فبهذه التعويذة ،كلام أيا ،ليكن الأشرار منتزعين"[2] ،لذا فإنها استخدمت مع الطقوس السحرية كما سنرى لاحقا.هذا وتتحدث النصوص على إجراءات يقوم بها الشخص المريض نفسه قبل تلاوة التعويذة من اجل الشفاء ،إذ تذكر صلاة موجهة إلى عشتار:"في موضع لم يذهب إليه احد ،تكنس سطحه ،وتنضحه بماء نقي ،وترتب بما يشبه الزاوية بأربع طابوقات ،تكدس فيها نشارة الحور ،وتضرم فيها النار ،وتسكب فيها عطورا ودقيقا ناعما وسرو ،وتعمل سكيبة دون ان تركع.وتتلو هذه التعويذة ثلاث مرات ،وتركع تجاه(نجمة) عشتار ،ثم تنطلق دون ان تنظر إلى ورائك"[3].ولكن في كثير من الحالات كان المعزم هو الذي يتلو التعويذة على الشخص المريض:"يمسك الاشيبو بيد المريض ويتلو التعويذة ثلاث مرات"[4].وفي حالات كانت التعاويذ تستخدم في العمليات الطبية أيضا ،لزيادة فاعلية العلاج.فهناك علاج يخص لدغة العقرب تدخل تلاوة التعاويذ من ضمنه ،فالعلاج يبدأ بتلاوة الرقى فوق الجزء المصاب ،ثم يأخذ المريض في فمه سبع حبات من القمح الخالص مع بعض الأعشاب الجبلية ،ويمضغ هذا كله ؛وبعد ذلك يذهب إلى النهر ويغطس فيه سبع مرات ،وفي المرة السابعة يبصق ما في فمه في الماء[5].ونقرأ

[1]) طه باقر ،**مقدمة في أدب العراق القديم** ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٧٦) ،ص٢٠٨.
[2]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٥.
[3]) المصدر نفسه ،ص٣٠٣.
[4]) ألبدري ،الطب ،ص٦٢.
[5]) موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة ،ص٧٨.

عن وصفة لعلاج العين المريضة تقول ان يغزل الشخص المريض خيطا يعقده سبع عقد ،وكلما يعقد عقدة يتلو عليها رقية ،وفي النهاية يربط الخيط على العين المريضة[1].وفي نص أخر نقرأ:"إذا مست يد الشبح رجلا وطنت إذناه ،فخذ مسحوق الزرنيخ في دم الأرز(؟) ولفه في قطن تضعها في الأذن(و) تتلو التعويذة الآتية ثلاث مرات:رجائي ان تحفظ ،رجائي ان تحفظ ،رجائي ان تحفظ ،ولا تدع ان يقترب منهم"[2].

ومن المعروف ان الطبيب(الاسو) كان يستخدم التعاويذ إلى جانب الأدوية.ففي نص نجد الاسو يصف دواء للرعاف ،ولكن في الوقت نفسه يوجه انه لابد من تلاوة تعويذة.وهناك مريض طبقا لنص يشكو من انتفاخ البطن ،نجد ان الاسو يجعله يشرب دواء معينة للتخفيف عنه ويرافق ذلك تعويذة.ويصف آسو كان يعالج احد الملوك ،ضمادا يثبت بطريقة معينة ،وفي الوقت نفسه يزوده برقية لتعلق حول رقبة الملك[3].وهناك تعاويذ تتلى على المرأة الحامل لتسهيل عملية الولادة يرافقها طقس يتضمن زيارة المرأة الحامل التي لديها عسر في ولادتها مدفنا ويذكر نص:"المرأة التي عندها عسر في الولادة...إنها في حالة صعبة.لقد مسك الطفل بقوة..." ،وهنا يتجه النص بالخطاب إلى احدهم لا يمكن أن نعرف من هو لغموض النص:"هي التي خلقت طفلا مغطى بغبار الموت.ودهنت عيناه ،لا تقدر أن ترى ،ختمت شفتاها ،لا تقدر أن تفتحهما...لا تلبس حجابا ،لا تخجل".وهناك يظهر النص إن المرأة تتحدث وتخاطب الإله مردوك:"قف إلى جانبي...آه مردوك الرحيم!ألان أنا محاطة بالمشاكل.تقرب مني!أطلق ذلك الذي ختم عليه مخلوق الآلهة ،كمخلوق بشري دعه يأتي!دعه يرى النور".ثم يتبع ذلك تلاوة أسطورة حول فتاة اله القمر واسم زوجة الإله القمر ورد بهيئة بقرة كان عندها صعوبة في الولادة حيث نزلتا ابنتا انو من السماء لمساعدتها والأسطورة تقول

"تعويذة: كانت لسين بقرة ، اسمها گيمة-سين

كانت مزدانة بكل المفاتن

---

[1]) كمال ،الطب المصري القديم ،ص١٤.

[2]) ألبدري ،الطب ،ص١٠٩.

[3]) ساكز ،قوة أشور ،ص٣٢٣.

كانت مغرية الشكل ،وإذ رآها سين اغرم بها
ووضع عليها علامة سين الخاصة البديعة
وجعلها تسير في مقدمة القطيع
ووراءها كان جميع الرعاة يسيرون
وكانوا يرعونها من العشب الأكثر نضارة
ويسقونها الماء من أغزر مورد
بدون علم الرعاة الشبان ،ودون ان يراه الرعاة
سين الثور الفتي الوثاب ،واهم البقرة ونزا على بكارتها
وحينما بلغت الأيام مدتها وكملت الأشهر
أصبحت البقرة عصبية أكثر فأكثر
وكان راعيها قلقا ،وجميع الرعاة الشبان غاضبين
وعند أنينها وصرخة مناجاتها ارتاع نانار
سين في السموات سمع صراخها ،ورفع يده نحو السماء
نزل ملاكان سماويان ،كان الواحد يحمل زيت القارورة
والأخر انزل مياه النجاة
لمس الأول جبهتها بزيت القارورة
ونضح الأخر جسدها كله بمياه النجاة
مرة ثانية ،لمس جبهتها بزيت القارورة
ونضح الأخر جسدها كله بمياه النجاة
حينما لمس للمرة الثالثة
سقط العجل من رشا الغزال على الأرض
وأعطت البقرة العجل اسم أمار-كا
فكما ولدت گيمة-سين هكذا بصورة طبيعية
لتلد أيضا هذه المرأة الشابة المتألمة
ولا يقف مانع أمام القابلة ولتنج المرأة التي في المخاض بيسر
ناروندي ناخوندي...
كانت لسين بقرة اسمها گيمة-سين

عند الأنين الذي أطلقته ،وعند صرخة نجاتها
سمع ننار-سين
صرختها
من هذا ،يا نارون‌دي ؟ من هذا يا ناخوندي ؟
إنها البقرة يا سيدي ،وهي في عسر المخاض
اسكب عليها ،سيدي مياه صفيحتك
لكي ينفتح تويج البقرة گيمة-سين
ويخرج صغيرها مثل حية وينساب مثل فرخ حية
ولا يترك مثل جدار ينهار ،خده يسقط نحو ظهره"[١] .

بلا شك كانت هذه التعويذة تتلوها القابلة أثناء الولادة ،وربما كانت تنفذ تلك الطقوس نفسها التي تذكرها التعويذة ،ومن المحتمل ان القابلة تعمل ومعها مساعدات الأولى تحمل قارورة زيت ،والثانية قارورة ماء ،تعمل الأولى على مسح جبهتها بالزيت ،والثانية تنضح عليها الماء.

هذا وقد ابتدع الكهنة ما يعرف بالتميمة ،وكانت هذه التمائم تحتوي على تعويذة مكتوب فيها دعوة للآلهة العظام لحماية صاحب التميمة ،كما تحتوي أحيانا على صورة للشيطان المقصود الذي يراد تخليص المريض منه.وقد وصلتنا عدة أشكال لهذه التمائم ،منها معمول ضد الشيطان بازوزو ابن خانبي الموكل برياح الصيف اللافحة ويمثل شيطان الحمى.وكان الاشوريون يستعينون به لطرد الارواح الشريرة التي تتعرض للمرضى وتعذبهم.ويحمل احد تلك التمائم المصنوعة من الحجر صورة بالنحت البارز تمثل هذا الشيطان:وجه مخيف يكشر عن أنياب حادة ،له صدر كصدر طائر ويدان تشبهان يدي إنسان ،لكنهما تنتهيان بمخالب ،وله ذيل طويل معقوف ،وأربعة أجنحة.ويظهر فوق صورة الشيطان بازوزو صف من الكهنة المعزمين وهم يلبسون في رؤوسهم أقنعة الحيوانات المختلفة.ويسبب هذا العفريت التهاب الجيوب المؤلم ،لذا كان الإنسان في وادي الرافدين يحمل تميمة للوقاية من خطره التي نقرأ في إحداها:"تعويذة:أنا الإله بازوزو ابن خانبي ،ملك عفاريت الريح الشريرة.أنا الذي يثور بقوة في جبل(العالم

[١]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٣٣٩-٣٤٠ ؛ساكز ،قوة أشور ،ص١٩٧-١٩٨.

الأسفل)حتى يرتفعوا(أي العفاريت المسببة للرياح) ،أما بالنسبة للرياح التي ترافقهم ،فقد وضعت الرياح الغربية أمامهم-الرياح ،كُسرت أجنحتها" ،ويبدو ان الجملة الأخيرة هي الجملة السحرية هنا ،التي تجعل تلاوتها الرياح ،ليست فعالة ضد من يحمل التميمة ،وعلى الرغم من عدم ملائمة النص تماما ،فقد أصبحت هذه التميمة تستخدم أخيرا لحماية النساء وقت الولادة ،ولعله بسبب التشابه العام لتميمة لماشتو التي كانت تتعلق بصورة مباشرة بالمخلوقات التي كانت تهدد النساء وقت الولادة والأمهات المرضعات ،وقد صورت لماشتو على التميمة الأخيرة برأس أسد وجسم امرأة وهي تقف على حمار وترضع حيوانين[(١)] .ونعرف إن العناية بالمرأة الحامل عن طريق التمائم تبدأ حتى قبل الولادة فنجد مثلا ذكر:"أحجار توضع حول خصر المرأة التي لا تلد بسهولة" .ولدينا نصا يختص بمعالجة امرأة مريضة في فترة الحمل ،إذ كانت تركب على النار عددا من الأعشاب ذات الأصل النباتي ومن ثم تخلط مع الزيت والجعة.وتنقع فيها قطعة صوف وتوضع عند مهبل المرأة تحميلة ،وكان ذلك يكرر مرتين في اليوم ،وقد ذكرت التزييت والتضميد كإجراءات متممة[(٢)] .

وهناك رقم طينية تصور لماشتو وهي تحمل أدوات الغزل ،ففي رقيم مصنوع من الحجر الأخضر والأسود نشاهد لماشتو وهي تمسك بخيط غزل مربوط بمغزل من جهة ومن الجهة الأخرى يبدو كأنها تمسك مشطا.ويوجد نموذج أخر هو عبارة عن لوح نقش عليه شكل لماشتو وتبدو وهي ممسكة بمغزل ومشط.ومن المعروف إن المشط والمغزل كانا من جملة الآلات التي اعتقد سكان بلاد الرافدين إنها تطرد لماشتو والتخلص من شرورها ،ولقد نقشت هذه الأدوات الخاصة بالنسيج والغزل تمسكها لماشتو بيدها كما في اللوحين السالفين من اجل أن تترك بيت المريض بسرعة[(٣)] .ومن الجدير بالذكر إن الأختام في بلاد الرافدين سواء كانت منبسطة أو اسطوانية قد استخدمت كتمائم للعلاج إذ إن مادة الختم ولون حجره

---

[١]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٣٩-٣٤٠ ؛ علي ،العرافة والسحر ،ص١٧٤-١٧٥ ؛الأحمد ،المعتقدات الدينيةص٦٧ ؛عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٢٢٥-٢٢٦.

[٢]) ساكز ،قوة أشور ،ص١٩٧.

[٣]) الجادر ،الحرف والصناعات اليدوية ،ص ٨٠-٨١.

تأثير مباشر في طرد الأرواح الشريرة وطلب الشفاء[1].فقد استعمل الختم المنبسط في العصر العبيد(٤٠٠٠-٣٥٠٠)على نطاق محدود كحروز وتمائم[2].ويبدو إن الرموز المنقوشة على الأختام وكذلك على الآنية الفخارية خلال عصور ما قبل التاريخ كانت ذات دلالات سحرية تستخدم للحصول على الخصب والتكاثر والشفاء واتقاء الشر وأضراره والمرض والأرواح الخبيثة[3].

في **مصر القديمة** استخدمت التعاويذ والرقى والتمائم في العلاج ،وتتخذ التعاويذ في مصر القديمة الأشكال الآتية:

١.قد تنظر إلى المرض على انه من فعل روح شريرة ،وفي هذه الحال يركز السحر عليها أما بالأمر ،حين يقال لها مثلا:"اخرجي يا كاسرة العظم ،يا متسللة إلى الشرايين".أو حين يقال للمرض:"اخرج من البصاق ،اخرج من القيء...".

٢.كانت هناك وسيلة أخرى وهي الادعاء بعدم الإذعان إلى الروح الشريرة:"أ حضرت لتقبيل هذا الطفل ؟...لا... فلن اسمح لك بتقبيله..." ،أو:"أ أتيت لإصابته بضرر ؟...لا لن أبيح لك ان تنزل به ضررا...".أو:"أ قبلت لتأخذه معك ؟...لا لن آذن لك باصطحابه...".أو:"إني احضر تلك دواء العسل ،وهذا ما يأتي بك شرا ،ومن البصل ،وهذا ما يأتي بك ضررا...عسل حلو المذاق للإحياء ولكنه مر للأموات".

٣.كان السحر يعتمد دائما على قوة اللفظ ،وعلى العنف في إلقائه ،وكذلك على خواص الأسماء ،من هنا كان الساحر يهتم بمعرفة اسم عدوه ،وهو في نظره اسم المرض ،لان معرفة هذا الاسم كانت تمنحه قوة وتعينه على التركيز ضده.مثلا يقول:"إني اعرف اسمك.. ألا اعرف اسمك ؟".بل انه كان يلجأ إلى التحايل عندما يشك في هذه المعرفة ،بان يصيح:"أ أنت خادم ؟...فلتخرج من القيء...أ أنت نبيل ؟ فلتتسرب في البول".

٤.لقد كان التهديد من أساليب السحر ،ومن مظاهر هذا التهديد بتناول الفضلات ،ثم إطلاق هذه الصيحة:"أيتها الروح ،ذكر أنت أم أنثى ،اختفي يا ساكنة

---

[1]) فرج بصمه جي ،**الأختام الاسطوانية في المتحف العراقي:أوروك وجمدة نصر** ،(لندن:منشورات نابو ،١٩٩٤) ،ص١٤.

[2]) المصدر نفسه ،ص٣٧.

[3]) المصدر نفسه ،ص٣٩.

لحمي هذا...اخرجي من لحمي هذا...اخرجي من أعضائي هذه...لقد احضر تلك هذه الفضلات لتأكليها...فاحترسي يا خفية واهربي".

٥.محاولة ربط مصير المريض بمظاهر الكون:"إذا لم يشف هذا المريض فان السماء سوف تطبق على الأرض وتتوقف الشمس عن الشروق".

٦.هناك شكل أخر للتعاويذ وهو ادعاء الصحة للتأثير على الروح وإبعادها بالإيحاء.وكان هذا الأسلوب يتبع على الأخص في الأوقات التي لتنتشر فيها الأوبئة كأن يقال:"إني سليم الجسم...أنى لي ان أصاب وأنا صحيح البدن ؟...إني أنا الذي خرجت من هذه الكارثة سليما معافى"[١].

نقرأ في أسطورة عن استخدام الآلهة للتعاويذ للتخلص من الأمراض والآلام ،إذ تقول إن ايزيس أخذت ابنها حورس وربته سرا في جزيرة الشمس العائمة في المستنقعات قرب بوتو.وكان الطفل حورس ضعيفا عند ولادته وضحية دائما لمكائد عمه سيت الشرير ،الذي أرسل جميع الأفاعي والأمراض لمهاجمته وقد استطاعت والدته الساحرة العظيمة حمايته من هذه العناصر الشريرة بواسطة تعاويذها ضد المخلوقات التي تعض بأفواهها وتخز بذيولها وهكذا نجا حور[٢].وتظهر التعاويذ ليس فقط في النصوص السحرية بل الطبية ،التي زخرت بعدد كبير من التعاويذ الأمر الذي يشير إلى امتزاج الطب العملي والسحري في العلاج ،ويمكن ان نورد مثالا جيدا على ذلك هي بردية لندن الطبية التي كانت مليئة بالرقى والتعاويذ ،فهناك رقى ضد الصرع ،وأخرى ضد مرض دعي باسم تميت ،ورقية للعينين ،وأخرى للعين اليمنى فقط ،وواحدة ضد مرض عاخو ،وهناك رقى ضد مرض حوم كوت ،ومرض ستا ،والدودة الشريطية ،ومرض تنتعمو ،ومرض سمن ،وضد عمى الليل.فضلا عن رقى لإبعاد الدم وضد البلهارسيا(ربما نفسها مرض عاع)،وأخرى لسحب الدم ،وإبعاد السحر ،ورقية للجرح ،وضد الحرق ،وضد تقيح الحرق[٣].ويتم استخدام التعاويذ والرقى في العلاج المباشر ،وأحيانا من اجل تقوية فاعلية الدواء المقدم ،ويمكن تصنيف أنواع التعاويذ المصرية إلى عدة أقسام:

---

[١]) غليونجي ،الطب ،ص٣٩-٤٠ ؛الأحمد ،الأصول الأولى ،ص٢٩.

[٢]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٢٦٧.

[٣]) كمال ،الطب المصري ،ص٥٧٦-٥٧٧.

١.تعاويذ تستخدم ضد المرض مباشرة:

هذه التعاويذ تتلى من اجل شفاء العضو المصاب ومن اجل فهم افضل لابد من تصنيفها وفق ما يلي مع اعطاء امثلة على هذا النوع من التعاويذ:

أ. تعاويذ تتلى ضد الحروق: وترتبط هذه التعاويذ بالإله حورس الذي يظهر وهو مصاب بحروق في الصحراء وليس هناك ماء ، ومن اجل انهاء الالم فان التعاويذ تشير الى جلب الماء من النهر.ويمكن ان نقدم امثلة عن هذا الصنف من التعاويذ:

-**التعويذة الاولى**:" رقية النار-في المرة الأولى ابنك حورس مصاب بحرق في الصحراء.هل هناك ماء ؟ليس هناك ماء ؟هناك ماء في فمي.وهناك نيل بين فخذي.ها قد حضرت لأطفئ النار.تتلى هذه على لبن امرأة وضعت ذكرا ،يوضع عليه صمغ وشعر خروف ويوضع على الحرق"[١].

-**التعويذة الثانية**: "ابني حورس أصيب بحروق في الصحراء ،ليس هناك ماء.ولست هناك(أي ايزيس) احضري أيتها المرأة ماء من الشاطئ ، وسائلا لإطفاء النار"[٢].

بلا شك ان العبارة الأخيرة في كلا التعويذتين التي تخاطب الربة ايزيس بجلب الماء من اجل إطفاء الحروق هي الكلمة السحرية المطلوبة للعلاج.

ب. تعاويذ تتلى ضد سم العقرب: فقد كان الاخير من المسائل الخطيرة التي تواجه المصري القديم ،وكان الأحياء يتجنبون أذى هذه العقارب بتلاوة التعاويذ السحرية. وتصف هذه التعاويذ كيف ان اله ما قد لدغه عقرب وسرى السم في جسده ومن ثم يخاطب السم بالخروج من جسد الاله لكي يحيا. ويمكن ان نقدم نماذج من هذه التعاويذ.

-**التعويذة الاولى**: "رع ، تعال إلى ابنتك ، القطة المقدسة ، فقد لسعها عقرب في طريق موحش ،وصار صراخها يصل إلى عنان السماء ، تعال إلى ابنتك ، فقد دخل

[١]) غليونجي ،الطب ،ص٥١ ؛كمال ،الطب المصري ،ص٤٢١ ؛أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٦٩.

[٢]) كمال ،الطب المصري ،ص٤٢١.

السم جسدها ، واخذ يسري في لحمها"[١]. يكمن الهدف من هذه التعويذة استنهاض القوى الإلهية المتمثلة بكبير الآلهة المصرية رع من اجل إنقاذ المصاب.

-**التعويذة الثانية**: "تدفق يا سم العقرب! اخرج من رع ، يا عين حورس! اخرجي من الإله المحترق عند تعويذتي!أنني أنا الذي يتصرف ،أنني أنا الذي يرسل(الرسالة).اخرج على الأرض أيها السم القوي!انظر ،يذيع الإله العظيم اسمه ،ويحيا رع ويموت السم.يحيا كذا وكذا ابن كذا وكذا.ويموت السم خلال حديث ايزيس العظيمة سيدة الآلهة ،والتي تعرف رع باسمه الشخصي"[٢]. التعويذة هنا تخاطب سم العقرب وتأمره بالخروج ، ولكي يتم الشفاء ، فإن على من يلقي التعويذة ان يعلن اسم الاله رع من اجل ان يشفى المريض.

ج. تعاويذ تخاطب المرض: هذا النمط من التعاويذ يخاطب المرض مباشرة من اجل ان يخرج من جسد المريض ، وقد يتضمن الخطاب ذكر قرابين تقدم الى الالهة ، ومن الامثلة على ذلك:

-**التعويذة الاولى**: موجهة ضد مرض دعي باسم شرتيو ربما المقصود به مرض انفريزما شريانية وريدية ،أو كما وصفته بردية أبريس ورم الأوعية. تعويذة:"اخرج يا وعاء شرتيو الذي يفعل حالة شرتيو ، والذي يحدث النبض في وسط هذه الأعضاء ،لأنك متصل باتصالات خونس(؟) ،وإذا فحصت ورم خونس(عبارة غير مفهومة) اجعلني احضر هدايا قربانية إلى رع (أي في الصبح).تتلى هذه أربع مرات"[٣].لا تختلف هذه التعويذة عن تلك المستخدمة ضد سم العقرب في كونها تخاطب المرض مباشرة ، وتأمره بالخروج مع فارق ان التعويذة هذه تشير الى القرابين التي تقدم الى الالهة من اجل الشفاء ، وبلا شك العبارة الاخيرة المتضمنة ذكر القرابين هي الكلمة الفعالة ضد المرض.

---

[١]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص ٤٠.

[2]) *Wilson, "The god and his Unknown Name of Power,P.13.*

[٣]) كمال ،الطب المصري ،ص ٤٥٠.

-**التعويـذة الثانيـة**: تصـف التعويـذة المـرض ، وكيـف يشـكل خطـرا علـى جسـد المـريض ، ويـتم توجيـه امـر اليـه بـالخروج كمـا هـو الحـال فـي تعويـذة موجهـة ضـد الزكام:"اخرج أيها البرد ،يا ابن البرد ،يا من تهشم العظام ،وتتلف الجمجمة ،اخرج على الأرض"[1].

-**التعويذة الثالثة**: تصف التعويذة اله ما قد اصيب بالمرض ، وهو متألم ويُطلب من المرض ان لا يستمر في اصابة الاله:"أيها الزكام ،الزكام ،اوزيريس متألم في انفه ،فلا تصبه ولا ترتفع إلى ذراعه".ومن الجدير بالذكر ان هذه التعويذة ذاتها تستخدم ضد العمى!.أما كيفية استخدام هذه التعويذة ضد المرض الأخير فنقرأ:"هذه الرقية تقال وتكتب في بردية ، وتعمل سبع عقد ، وتوضع كل منها في النار ،ويعصر ماءها ويقطر في العيون ،وتوضع إحداها على سطح العين اليمنى ،والأخرى على سطح العين اليسرى ،وتوضع واحدة منها في...ويقال ذلك أربع مرات"[2].

-**التعويذة الرابعة**: تعويذة خاصة بأمراض العيون يشار الى عين الاله حورس لصد المرض:"هذه عين حورس أوجدتها معبودات عين شمس ،واحضرها المعبود تحوت من الاشمونين ومن الفناء الكبير الموجود في عين شمس ومن مدينة(ب)،ومن مدينة(دب) يقال لها تعالي يا عين المعبود حورس.تعالي لصد الألم الإلهي والصداع الشـديد الصـارم المميـت موتـا والمعـادي عـداوة والـذي يضـر... عـين تحـت أصابعي.أحفظي خلفي ،أحفظي.تعالي ،أحفظي.هذا الكلام يقال أربع مرات لما يؤخذ العلاج"[3].

-**التعويذة الخامسة**: تتحدث الى المرض وتصفه بالدخيل والتعويذة بصيغة المتكلم على لسان احد الالهة وعلى الاخص الاله حورس ابن اوزيريس ، الذي يتحدث عن سحر والدته ايزيس وكيف يحمي جسده ، ولا يفوت التعويذة ان تذكر ان أي ضرر لن

---

[1]) مُحَمَّد الخطيب ،**معالم حضارة مصر القديمة** ،(دمشق:منشورات اتحاد الكتاب العرب ،١٩٩٣)،ص٢١٧.

[2]) ابو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٦٨-٦٩.

[3]) المصدر نفسه ،ص٦٩.

يصيب جسد الاله المتوحد الان مع المريض:"اخرج أيها الدخيل بلا رجعة ،أيها المهاجم لي ،دون ان تكون يداك علي ،ابعد عني راجعا ،أنا حورس ،ابعد عني ،فانا ابـن اوزيـريس ،ان سـحر والـدتي يحمـي جسـمي ،فلا ضـرر يـدخل جسـمي ولا مشبنت(اسم مرض)(؟)(يدخل ؟) في جسمي ،ابعد عني(تكرر هذه العبارة ست مرات)"[1].

-**التعويذة السادسة**: يعمد قائل هذه التعويذة الى تهديد المرض بأحد الالهة الذين يستخدمون السحر للتخلص منه:"من الذي يعرف مثل المعبود رع.من الذي يعرف مثله ؟هذا المعبود الذي يملا الجسم بالفحم إلى ان يمتلئ بعد المعبود.وكما ان المعبود سيت سحر البحر كذلك المعبود سيت سوف يسحرك ،أيها المرض الأسيوي ،لا تدخل ،لا تدخل جسم فلان ابن فلان.تتلى هذه الرقية أربع مرات على زيت طازج وعلى خبز القدح(ربما الخبز الناتج من وضع العجين في القدح ثم وضعه على النار)،سوف تطرده بذلك ،ويعمل حجاب من شتتوت"[2].

-**التعويذة السابعة**: تشبه التعويذة نزيف الدم بالنيل ، وكيف ان الالهة تمنع دخول فيضان النهر الى المعبد بمعنى مماثلة الجسد بالمعبد ، كما نقرأ في تعويذة تتلى لإيقاف نزف الحيض:"أتى أنوبيس ليمنع النيل من دخول المعبد حتى يحمي من كان بداخله" ،وفي ذلك تشبيه الحيض بفيضانات النيل[3].

ان هذا النوع من الرقى تعامل المرض كقوة عاقلة فهو يخاطب مباشرة مطالبا بان يخرج من جسد المريض ،وهو يذكرنا بخطاب الطبيب الساحر في وادي الرافدين للعفريت المسبب للمرض.

٢.تعاويذ تستخدم لزيادة فاعلية الأدوية المعطاة للمريض:

هذا النوع من التعاويذ ليس موجها إلى المرض مباشرة أو إلى القوى الشريرة بل توجه إلى العلاج المعطى.والحقيقة ان كثير من الوصفات المصرية

---

[1]) كمال ،الطب المصري ،ص ٥٧٠.

[2]) المصدر نفسه ،ص ٥٧١.

[3]) غليونجي ،الطب ،ص ٥١.

كانت ذات جدوى علاجية ولكن كان الأطباء عادة يرفقونها برقية من اجل تقوية مفعولها ،ويمكن ان نصنف هذه التعاويذ الى اصناف هي:

أ. تعاويذ موجهة للدواء ذاته اما عن طريق زيادة فعاليته أو عند وضع ورفع الضمادات:مثال على ذلك التعاويذ التالية:

-**التعويذة الاولى**": رقية تتلى عند وضع علاج لأي عضو في الإنسان.لقد خرجت من مدينة (عين شمس) مع الأقدمين في المعبد أصحاب الوقاية وحكام الأبدية حقا.لقد خرجت من صا الحجر مع أم الآلهة.لقد وهبوني حمايتهم.لدي وصفات وضعها سيد الكون لطرد الأمراض التي يحدثها معبود أو معبودة أو رجل ميت أو امرأة ميتة ،في رأسي هذا وفي ظهري هذا ،وفي كتفي هذين ،وفي لحمي هذا ،وفي أعضائي هذه ،ولعقاب رئيسهم المدعي الذي يدخل الفساد في لحمي والضعف في أعضائي ،كشيء يصيب لحمي هذا ،ورأسي هذا وكتفي وجسمي هذا ،وأعضائي هذه.أنا انتمي إلى رع.لقد قال:أنا سأنقذه من أعدائه ،وسيكون (تحوت دليله).تحوت الذي جعل الخط يتكلم.ووضع الكتب ووهب مهارة الشفاء للماهر وللأطباء المرافقين له.أنا محبوب الإله الذي سيبقيه حيا.تتلى هذه الرقية عند وضع العلاجات في أي عضو في الإنسان المريض". تتضمن هذه التعويذة قضايا هامة ، فالتعويذة تذكر ان المريض هنا تحت حماية الالهة سواء تلك الموجودة في عين شمس ، او في صا الحجر. ثم تتحدث التعويذة ، وهي بصيغة المتكلم ان المريض لديه عدة وصفات سحرية ضد الامراض التي تصيب جسده ، وبما انه اي المريض ينتمي الى رع ، فإن الاخير سيتولى مسألة انقاذه من الامراض ومسببيها ، ولكن رع الذي لا يتدخل مباشرة في العلاج سيكلف تحوت سيد المهارة الطبية بإنقاذ المريض. ولكي يضمن المريض الشفاء عليه ان يؤكد دوما انه محبوب الاله الذي سيبقيه حيا.

-**التعويذة الثانية**:"تتلى عند رفع أي ضماد.لقد فكت ايزيس المفكوك.لقد حررت حورس من الأضرار التي ألحقها به أخوه سيت الذي قتل أباه أوزوريس.يا ايزيس يا كبيرة السحرة ،حرريني ،أنقذيني من كل ضرر وشر خبيث ،ومن المحن التي يجلبها اله أو إلهة أو رجل ميت أو امرأة ميتة من عدو يعترضني ذكر كان أو أنثى ،كما فككت وحررت ابنك حورس لأنني دخلت النار وخرجت من الماء.لن أقع في شرك

هذا اليوم.ها قد تكلمت أنا شاب وأنا (حا).يا رع نادي صلك ،يا اوزيريس نادي من خرج منك(أي من خرج من عالم الأموات).لقد أنقذتني من كل رديء وخبيث ،وشرير ،ومن المحن التي يجلبها اله أو إلهة أو رجل ميت أو امرأة ميتة.إنها رقية عظيمة حقا(تأكدت) مرات عديدة". التعويذة هنا تربط شفاء المريض بالإله حورس ، فكما قامت ايزيس كبيرة السحرة بإنقاذ حورس ابنها من خطر سيت فإنها ستساعد المريض من اجل الشفاء.

-**التعويذة الثالثة**: "رقية (تتلى) عند شرب الدواء:تعال أيها العلاج ،تعال أيها الطارد (للأشياء) الخبيثة من معدتي هذه ،ومن أعضائي هذه.ان الرقية تؤثر بقوة على العلاج.كررها عكسيا ،إلا تعلم ان حورس وسيت ادخلا المستشفى الكبرى في مدينة عين شمس ، وقتما حصلت المفاوضات مع حورس بشأن خصيتي(سيت).وانه سيشفى مثل أي واحد على الأرض ؟هو يفعل كل ما يشاء مثل الآلهة هناك. تتلى عند شرب الدواء. عظيمة ، حقيقة (مؤكدة) مرات عديدة"[1]. هذه التعويذة ، على عكس تلك التعاويذ التي تخاطب المرض ، وتأمره بالخروج من جسد المريض ، فإنها تخاطب العلاج الذي يطرد القوى الخبيثة من جسد المريض. ويبدو ان التعويذة هنا لا تقوم بشفاء المريض انما تؤثر في قوة العلاج الذي سيعمل على شفائه.

-**التعويذة الرابعة**: وهي تخص العسل الذي عرف المصريون قيمته العظيمة كعنصر من عناصر تراكيب الأدوية ،واستخدموه كثيرا في العلاجات:"أنت أيها العسل سر إلى الجراد سير السفينة.فالعسل سليم.قولوا للأرباب التي تندحر فيما بينها القرن اليمين لليمين(؟) ،والشمال للشمال(؟) ،أو للضعفاء والخاملين في محاريبهم ، أيها الحافظين للسماء وأبوابها ، أيها الحافظين للأرض والأرباب ، أيها الحافظين للأمطار الغزيرة ، أيها الحافظين للسماء ، والضعفاء والحمقى في محاريبهم ، الحفظ وراء الحفظ...ليأت الحفظ"[2].تتضمن التعويذة مفاهيم غامضة ، ومعقدة الى حد كبير ، فالخطاب موجه بشكل رئيس للأرباب المهزومة: "الارباب التي تندحر"؟!

---

[1]) كمال ،الطب المصري ،ص٣٨٥-٣٨٦.

[2]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٧١-٧٢.

فهل المقصود بها الالهة التي هزمت امام المرض ، أو بتعبير ادق فشلت في طرد المرض ، لذا اتجه المريض الى العسل يخاطبه لإنقاذه ؟. ام تصف التعويذة الى اسطورة غامضة تتعرض فيها الالهة للهزيمة من قبل قوى شريرة ؟!.ثم تتحدث التعويذة عن الضعفاء الخاملين ؟ الذين لا نعرف من هم ، ولكن بما ان التعويذة تصف اولئك الخاملين بانهم يمكثون في محاريبهم ، فربما يقصد بهم الالهة ؟ ولكن لماذا يوصفون في هذه التعويذة بالضعفاء الخاملين ؟!. ان الاجابة عن هذا التساؤل غير ممكن في اغلب الاحوال لعدم معرفتنا اي شيء عن الهة خاملة ضعيفة في الاساطير المصرية. ثم يتجه الخطاب الى الالهة التي تحفظ السماء ، والارض ، والضعفاء الحمقى اي الالهة الضعيفة ، واخيرا ينادي المريض بعبارة: "ليأت الحفظ" ، وهي والعبارة المهمة من اجل الشفاء.

-**التعويذة الخامسة**: وتتلى عند تناول الدواء:"أنا متيقظ جيدا ،وثابت إلى الأزل ،ادرأ كل مرض يكون في وجهك ،المعبود بتاح يفتح فمك ،والمعبود سوكر يفتح فمك ،بمبسره ،هذا المصنوع من الحديد ،أيها العلاج هنا قد رجع الخبز ،تباعد الضعف..من جوفه بفعل المعبودة(ايزيس ؟) سوف يزول مرض عاع الإلهي الأتي من ميت أو ميتة أو فلان ابن فلانة.هذه أقوال المعبودة نفتيس وهي ناجعة له ،كما يضرب الباشق الطائر المستأنس ،ويسمع البحر صوت المعبود سيت"[1]. ان المريض هنا سيحقق الشفاء عن طريق تدخل الالهة الكبرى بتاح ، سوكر ، ايزيس ، نفتيس.

-**التعويذة السادسة**: تتلى على الجعة التي استخدمها المصريون كثيرا في تركيب بعض الأدوية ،وتقول:"هذا نبيذ الذرة يا حورس الذي اختمر ،وهو مصفى في مدينة(ب) ومخلوط في مدينة(دب) اشربه ،فالكاهن الكبير واقف مع حفظته ،ومهيأ الشبكة للقنص".ويبدو ان العبارة الأخيرة مهمة في التعويذة ،وربما يقصد بالقنص هنا هو اقتناص الأرواح الشريرة التي تطرد من جسم المريض من جراء العلاج

[1]) كمال ،الطب المصري ،ص٥٥٠.

والتعويذة ،ونحن نعرف من خلال النصوص وجداريات المقابر والمعابد المصرية القديمة ،ان الشباك كانت تستخدم لصيد الطيور والأسماك ذات الروح الشريرة[١] .

ب. تعاويذ موجهة للكيل المستخدم لتحضير الدواء:

لم يكتف المصريون في تلاوة التعاويذ من على الدواء لزيادة فاعليته بل إنهم تعدوا الأمر إلى إلقاء تعويذة على الكيل الذي يستخدم في خلط الأدوية والامثلة على ذلك عديدة:

-**التعويذة الاولى**:"رقية تتلى على الكيل إذا أخذه الإنسان ليكيل به:أيها الكيل الذي أكيل به الدواء ،أنت الكيل الذي كال به حورس فضيلته(؟) ،كان مقياسا سليما ،عاش بصحة وسلامة ،سيكال هذا الدواء بهذا الكيل ليطرد جميع الأمراض التي في الجسم". هذه التعويذة تخاطب الكيل المستخدم لتحضير الدواء وتقرنه بكيل الهي يخص الاله حورس وبالتالي ستنتقل القوى الالهية عن طريق التعويذة الى الدواء المستخدم في العلاج.

-**التعويذة الثانية**: "رقية تتلى عند كيل الدواء: هذا المقدار يا حورس ، هو الذي فعله حورس ، لإسهال الجسم ، وإنزال المرض من الجسم".

ج. تعاويذ موجهة لعملية تحضير الدواء:

ولم تقتصر الرقى عند الصنفين السابقين وإنما كانت عملية تحضير الدواء ذاته يرافقها تلاوة رقية ،فهناك رقية تتلى على الزيت عند وضعه في جميع الأدوية:"السلام على عين حورس ،ورننوت ،ورأس حرحوتب ،ليظهر رع أمام المعبودات التسعة ، لتخرج المعبودة ايزيس ، ولتعط الفرح أمام المعبود جيب ،وليقاتل المرض ويحمي الشخص من الشبح القاتل ،القاتل ،القاتل ،أنا المعبود تحوت ،هذا الحكيم ،هذا لعين المعبود حورس المناضل من اجل أبيه أوزوريس ،أمام المعبودة نايت صاحبة الحياة...لأننا حفظنا التعازيم..."[٢]. الرقية

[١]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٧٢.
[٢]) كمال ،الطب المصري ،ص٥٧٣.

تتحدث عن محاربة المرض عن طريق القوى الالهية ، وان ذكر عين حورس فيها جاء من اجل ربط شفاء العين من قبل تحوت بشفاء المريض.

٣.التعاويذ المستخدمة للاتقاء من الأوبئة:

هذه التعاويذ تتلى في حالة حدوث وباء وهذه التعاويذ متنوعة وسندرج عدد منها:

-**التعويذة الاولى:** " أيها اللهب الذي في وجهه!المشرف على الأفق!تكلم مع رئيس منزل همسوت ،الذي يجعل سيد الأرض اوزيريس يزدهر.يا نخبت يا رافعة الأرض إلى السماء لأجل والدها!تعالي واربطي الريشتين حولي حتى أعيش وازدهر لأنني احتفظ بالواحد الأبيض هذا ،ان الأول هو الواحد الكبير الساكن في مدينة عين شمس ،وان الثاني هو ايزيس ،وان الثالث هو نفتيس ،وأنا من محاسيبك!أيها القابض على الواحد الكبير ابن سخمت أقوى الأقوياء ،ابن شيطان المرض دند ابن حاتحور سيدة التاج ،ومحدثة فيضان الأنهر.إذا سافرت في المحيط السماوي وأقلعت في سفينة النهار فقد انجيتني من كل مرض.رقية ضد وباء هذا العام ،إذا ما هب كل ريح سيء(أي حامل للوباء) يا حورس ،يا حورس كن حول كل لحمي طول حياتي رغم إرادة سخمت.تتلى هذه العبارة على ريشتي نسر تغطيان الإنسان نفسه لحمايته حيثما ذهب ،هذه حماية ضد وباء العام تطرد المرض في سنة الوباء". التعويذة كما هو معتاد تخاطب القوى الالهية لكي تساعد المريض ، الذي يطلب من الالهة نخبت ربط ريشتين حوله من اجل حمايته من الوباء ، وان كنا لا نعرف الى الان مغزى الريشتين.

-**التعويذة الثانية:** "رقية لطرد الهواء الموبوء ، ولطرد شيطان المرض ، والأرواح الشريرة ، ورسل سخمت:انسحبوا يا شياطين المرض ،فالهواء(الموبوء) ،سوف لا يصلني ،كل من يمر بي سيمر بي دون ان يضربني ،فانا حورس الذي يمر بمرضى سخمت ،أنا حورس سليم رغم إرادة سخمت.أنا الوحيد ابن باستت ،سوف لا تميتني.يتلو هذه العبارة رجل في يده عصا من خشب(دس)يخرج بها إلى الخارج ويدور حول منزله ،سوف لا يموت من وباء العام". الرقية تهدف الى طرد الهواء الموبوء ، وشياطين المرض ، ورسل الربة سخمت الهة المرض في مصر ، ومن اجل

ان تتوفر الحماية الكافية للشخص الذي يريد عدم الاصابة بالوباء فانه يطابق نفسه مع حورس ، فعبارة: "انا حورس" ، واضحة تهدف الى ابعاد الشر عن الشخص رغم ارادة سخمت ، وهو ليس حورس فقط ، بل هو ابن باستت.

-**التعويذة الثالثة**: "انا البغض الخارج من مدينة بوتو ،يا سخمت الخارجة من مدينة عـين شـمس!أيها الرجال!أيهـا الآلهـة!أيها الأرواح!أيهـا الموتى!ابعـدوا عني.أنـا البغض".يبدو ان الغرض من البغض هو إظهار قارئ الرقية بمظهر البغيض الذي لا يقترب منه فينجو.

-**التعويذة الرابعة**: "أنا الواحد السليم في طريق كل من يمر بي ،هل اصعق ، وان سليم ؟لقد شاهدت الكارثة الكبرى ،أيتها الحمى لا تهاجميني!فانا الواحد الذي خرج من الكارثة ، ابعد عنى(أي الوباء)!".

-**التعويذة الخامسة**: "ابشر ، ابشر ، لا تأخذ قلبي هذا ،ولا تأخذ صدري هذا إلى سخمت ،لا تأخذ كبدي لأوزوريس ،حتى لا تتمكن الأشياء الخافية التي في مدينة بوتو من الوصول إلى مكاني في صباح حساب عين حورس ،حتى ولو كانت روح أي ذكر ،وأية أنثى ،وأي ميت ،وأي ميتة ،وأي حيوان بأي شكل وأية حاجة أخذها التمساح ،وأي شيء لدغه الثعبان وأي واحد قتل بمدية ،وأي ميت في فراشه ،يا شياطين المرض ،ويا شياطين المرض أتباع السنة ،وما تحدثه ،ان حورس ،حتى حورس المعافى رغم إرادة سخمت(يحمي) كل لحمي طيلة حياتي ،اتل هذه الكلمات على تماثيل سخمت وباستت واوزيريس ونهب كاو ،وتكتب بالبخور على شريط من الكتان الرقيق ،وتوضع على مريء الشخص ستمنع دخول الحمير(ربما المقصود قوى الشر)......ان حماية نيت حولي.....لقد طردت باستت من منزل الرجل يتلوها الشخص طيلة السنة"[(١)] . لا تختلف هذه التعويذة عما سبقها ، فالشخص الذي يريد ان يحمي نفسه من الوباء عليه ان يخاطب الهين هما سخمت وهي ربة المرض ،

[١]) غليونجي ،الطب ،ص ٥٠ ؛كمال ،الطب المصري ،ص ٥٣٠-٥٣٢.

واوزيريس وهو اله العالم الاسفل ، والخطاب يهدف الى ابقائه حيا رغم الوباء ، وشياطين المرض ، لأنه حورس الذي سيبقى حيا رغم ارادة سخمت.

٤.تعاويذ تستخدم في تطهير الأشياء في حالة الأوبئة:

هناك أمثلة عديدة من هذا النوع من التعاويذ التي تهدف إلى تطهير الأشياء التي يستخدمها الشخص حتى لا تنقل إليه عدوى الوباء:

-**التعويذة الاولى**: "ان رسلك قد افنوا يا سخمت ،ان شياطين المرض التابعين لك قد تقهقروا يا باستت ،العام سوف لا يمر علي بأية كارثة.ان نفسك سوف لا يصلني ،أنا حورس فوق مرضى سخمت.أنا حورس التابع لك يا سخمت ،أنا وحيدك يا بوتو سوف لا تميتني ،أنا المرح ،أنا المهلل ،يا ابن باستت ،لا تنزل علي ،يا ساكن سبسبو لا تقربني ،لا تقربني ،أنا الملك وسط ملجئه.يتلو الرجل هذه الرقية على زهرة نفرت ،مربوطة مع قطعة خشب دس بشريط من الكتان ،مررها على الأشياء فان الوباء سيبعد وسيمنع دخول المرض ،إلى كل غذاء وأيضا إلى فراش النوم". التعويذة تتحدث عن فشل قوى الشر في اصابة الشخص بالمرض ، لأنه حورس ، ورغم التحدي الواضح من الشخص الذي يريد حماية نفسه من المرض لشخص سخمت ، فانه يعود يتملقها بقوله انه حورس التابع الى سخمت.

-**التعويذة الثانية**: "ان زهرة شمس فوقي ، هي بعض أتباعك ، المرضى يتجنبونني ، وشركك المنصوب يتجنبني ، أنا هارب من بين طيورك ،يا حورس ،يا حورس أنت معافى على الرغم من سخمت ،انه حول كل لحمي مدى الحياة.يتلو الشخص هذه الرقية عندما يعطى زهرة شمس في يده"[١] .

٥.تعاويذ تستخدم من اجل اتقاء المرض الناجم من ابتلاع حشرة:

هذه التعاويذ تعمل على حماية انسان ابتلع حشرة وخوفا من اثارها السلبية عليه ، ومن أمثلة هذا النوع من التعاويذ:"ان فم هذا الرجل الذي هو تحت أصابعي ،هو فم عجل جائع ،عندما يخرج من رحم أمه ،ان الحشرة التي دخلت

[١]) كمال ،الطب المصري ،ص٥٣٢.

بطنـه هـذه ،ولو إنهـا دخلـت ،إلا إنهـا سـتخرج علـى قيـد الحيـاة ،تخرج إلـى الأرض كطين ،أو براز دون ان تؤذي بطنه ،سوف تخرج منه كبراز منسوب إلى اكرو [هو اله ارضي نسب إليه البراز]"[1].

٦.تعاويذ الاستنجاد بالآلهة لطرد الأرواح الشريرة:

مـن أنـواع التعاويـذ المصـرية تعاويـذ مبنيـة علـى الالتجـاء للآلهـة ،لطلب تـدخلها فـي الأمر ،فهي تطالـب صـراحة بطـرد الأرواح الشـريرة مثـال ذلـك تعويـذة تقول:السلام عليك يا حورس يا أيها الموجود في بلد المئات ،يا حاد القرنين ،يا بالغ الهـدف ،إني قصـدتك لأمـدح جمالـك...ألا فلتعنـي علـى الشـيطان الـذي يمتلـك جسدي"[2].

نعـرف ان المصـريين القـدماء اسـتخدموا التمـائم بعضـها لحمايـة المـرأة الحامـل وجنينهـا ،بلا شـك مـن القـوى الشـريرة ،أو لتسـهيل الولادة ،فقد اسـتعانت النساء بتمائم خاصة لنجاح الحمل ،كان يصنع بعضها على هيئة إناث الحيوانات والزواحف التي تتميز بكثرة الإنجاب مثل الضفادع والقطط ،ويشكل بعضها على هيئة إناث الحيوانات التي تتصف بضخامة البطن والثديين ،مثل أفراس النهر ،ومن الوسائل الأخرى التي استخدمت لحماية النساء ما استخدمه السحرة ،بشكل صحن كبير نقش في باطنه وما حوله بصور ضفادع كثيرة ،وتقوم النساء بالشرب منه[3].هذا وان النساء هناك عملن تمائم صغيرة في شكل تماثيل اله الطب امحوتب حملنها أثنـاء الحمـل لتيسـر الوضـع[4].وهنـاك تمـائم تعـرف بعيـن حـورس أو كمـا تسـمى فـي المصـرية القديمـة واجـت(قرأت سـابقا اوتشـات/Utchat) ،وهـي مـن أكثـر التمـائم شـيوعا ،وكان اسـتخدامها سـائدا فـي كـل العصـور ، وكانـت تصـنع مـن الـذهب ، والفضة ، والغرانيت ، والعقيق ، واللازورد ، والخزف ، والخشب ، على الرغم من إن كتب الموتى يشير إلى هذه التميمة بأنها يجب أن تصنع أما من اللازورد أو من حجر يـدعى مـاك(Mâk).وكانـت واجـت مـن نوعين:واحـدة تواجـه اليسـار والأخـرى

[1]) المصدر نفسه ،ص ٥٣١-٥٣٢.

[2]) غليونجي ،الطب ،ص ٥٠.

[3]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص١٣٤-١٣٥.

[4]) كمال ،الطب المصري ،ص ٥١.

اليمين ،وهما سوية يمثلان عيني حورس ،أو تمثل أحداهما الشمس وتمثل الأخرى القمـر ،أو رع وأوزوريس ،إحـداهما طبقـا لـنص مصـري كانـت بيضـاء والأخـرى سوداء.وبشكل عام عندما كان المصريون يلبسون العين كتميمة فإنهم قصدوا بها أن تجلب لهم القـوة والعزيمـة والحمايـة والأمـان والصـحة والعافيـة.وفيما يتعلـق بمفهوم الصحة يبدو إن التميمة تمنح لابسها القوة والصحة كما الشمس في أعظم قوتها الفصلية[١] .



(واجت)

وهنـاك تمـائم تعـرف باسـم تمـائم مينـات(Menat) اسـتخدمت فـي مصـر خلال عصر الأسرة السادسة ،وكان المصريون يلبسونها أو يحملونها لكن العادة ما تمسـك فـي اليـد وغالبـا تتقلـد فـي العنق.وتهـدف إلـى جلـب المسـرة والصـحة للابسها[٢].كذلك استخدم المصريون القدماء ما يعرف حاليا بالحجاب ،المكون من قماش أو خيط معقود أو ريش ،أو شعر حيوان ،وهذا الحجاب هو الذي كان يحمل قوة التعويذة فينقلها الساحر إلى المريض دون استخدام دواء ما[٣] .

---

[١]) بدج ،السحر في مصر القديمة ،ص٦٩ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٥٨.

[٢]) بدج ،السحر في مصر القديمة ،ص٧٣.

[٣]) غليونجي ،الطب ،ص٥١-٥٢.



(مينات)

لا نمتلك معلومات مؤكدة عن العلاج عن طريق التعاويذ والرقى في **إيران** القديمة ،وهناك إشارة حول الصلاة الزرادشتية المعروفة بصلاة ايريمان كانت تعامل كرقية للعلاج. توصف هذه الصلاة كيف ان لها القدرة على هزيمة قوى الشر:"ان صلاة ايريمان تهزم قوة كل مخلوقات انگرامايني‍و ومخلوقات الياتوسيين ، والباريكيين...". ثم توصف بانها الرقية الاجمل والافضل والاقوى بين كل الرقى فهي المرعبة ، والقوية والمنتصرة ، والشافية لأنها: "تشفي بقداسة ،... تشفي بالقانون ،... تشفي بالسكين ،... تشفي بالأعشاب ،... تشفي بالكلمة المقدسة" ، فهذه التعويذة هي التي تبعد المرض من جسم الزرادشتي[1].

[1]) ياشت ،٣: ٥-٦.

٥.الطبيب الساحر والطقوس السحرية[١] .

يشغل السحر وطقوسه حيزا كبيرا في ادبيات المجتمعات القديمة ، والمعروف حاليا لدى مؤرخي الحضارات القديمة ان السحر يقسم الى نوعين هما: السحر النافع ، وهو يهدف الى مساعدة الانسان في مواجهة قوى الشر ، والنوع الثاني السحر الاسود ، وهدفه بشكل رئيس-كما رأينا سابقا- الايذاء ، بمعنى انزال ضرر بالإنسان ، وهكذا يكون سحرة النوع الاول من السحر هم المسؤولين عن القضاء على شرور السحرة الذين يتعاطون السحر الاسود ، كما ان من ابرز اهداف السحر النافع هو شفاء الناس من الامراض الذين يصيبهم بها العفاريت والارواح الشرير[٢] .

ليس هناك دليل نعرف منه ما بلغه الإنسان فيما قبل التاريخ من معرفة بالطب ،ولا يبعد ان كان الإنسان في تلك العصور ملما ببعض وسائل العلاج ،فقد وجدت أثار عملية التربنة(جراحة في الدماغ) في جماجم الإنسان التي يرجع تاريخها إلى حوالي ٣٠٠٠٠ عام وذلك في **بيرو** في جنوب أمريكا.فهناك ثقوب في تلك الجماجم واصلة للمخ ،وهناك تكلس في حافة الثقوب يثبت إنها عملت وأصحابها على قيد الحياة ،وان أصحابها عاشوا بعد ذلك.وربما كان الإنسان قد تساءل وقتئذ عما تحويه هذه الجماجم ،هل حوت روحا خبيثة هي التي سببت الألم والمرض ؟هل يمكن ثقب الجمجمة لإخراج هذه الروح الشريرة وشفاء صاحبها ؟ لا نعرف ان كانت هذه الثقوب قد عملت من اجل العلاج أم أداء لفريضة دينية ؟أو ربما تنفيذا لطقوس سحرية ؟لاسيما إذا علمنا ان الطب كان نوعا من العبادة ،وربما نوعا من الطقوس ،وان الكاهن أو الساحر كان طبيبا أيضا.وهناك كهف في **فرنسا** يعرف باسم كهف الإخوة الثلاثة يحوي نقوشا تعود في تاريخها إلى ١٦٠٠٠ عام مضى تمثل شخصا يرتدي فوق رأسه رأس غزال ويظهر انه يعالج مريضا.ويعد الشخص ذو

---

[١]) عولجت مسألة الطقوس السحرية في الحضارات الكبرى في دراسة سابقة للباحث بشكل مسهب وفي الدراسة الحالية تم إضافة بعض الأدلة الجديدة حول قضايا الطقوس السحرية توفرت للباحث عقب نشر الدراسة الأولى ،فضلا عن الطقوس السحرية في العلاج في الهند والثقافات البدائية.انظر:أسامة عدنان يحيى ،"الطقوس السحرية ودورها في العلاج:دراسة مقارنة في الحضارات القديمة" ،**مجلة كلية التربية**/الجامعة المستنصرية ،العدد:٢ ،المجلد:٢ ،لسنة:٢٠١١ ،ص٦٤٩-٧١٤.

[٢]) المصدر نفسه ،ص٦٤٩.

رأس الغزال أقدم شخصية طبية فهو ساحر القرية وطبيبها ،وتنسب إليه مواهب خارقة للعادة.وعلى مدى التاريخ القديم يجد الإنسان في كل مكان من الأرض الطبيب الساحر مرتديا رداءه الخاص المتغير بتغير الوسط الاجتماعي ،فهو أحيانا غول ،وأحيانا حيوان ضخم يتكلم كلاما غامضا بصوت جهوري مشفوعا بدقات الطبول للتأثير على المريض نفسيا.وكان هؤلاء السحرة يصفون الأدوية لمرضاهم ،وقد اعتقد الإنسان ان الروح الشريرة المحدثة للمرض تتقمص أحيانا في حيوان صغير كالجرو فوصف لحمه ضد هذا المرض وهكذا[١].

كان للتطور الحضاري الذي شهدته الحضارات القديمة اثر كبير في بروز الطب العلمي فنحن في اقل تقدير نعرف بشكل جيد الكثير من وسائل العلاج التي تقوم على أسس علمية قد طبقت في الحضارات العراقية ،والمصرية ،واليونانية ،والرومانية بنجاح ،ولكن هذا لا يعني بكل الأحوال اختفاء ممارسات الطب السحري ،الذي ظل يشغل حيزا مهما في تفكير المجتمعات القديمة.

ففي **بلاد الرافدين** نعرف عن وجود نوعين من العلاج الأول يعتمد على السحر ويدعى اشيبوتو والممارس لهذا النوع من الطب يدعى اشيبو الذي يتمثل دوره كما سنرى في طرد الأرواح الشريرة وذلك باعتماد أسلوب التعزيم كطريقة للعلاج ،والثاني يعتمد الوسائل العلمية وهو اسوتو والممارس لهذا النوع من الطب يدعى آسو والمصطلح يعود بأصوله إلى الكلمة السومرية ا-زو(A-Zu) ومعناه العارف بالماء[٢].والذي يهمنا هنا هو الأسلوب الأول في العلاج (السحري) ،فالسحر في وادي الرافدين شكل عنصرا مهما في العلاج أو بتعبير أدق في طرد الأرواح الشريرة المسببة للمرض من جسد المريض ،فاللجوء إلى السحر هو بمثابة سلاح للدفاع عن النفس ،بل هو صراع ضد الشر ،فبالسحر يمكن دفع تحقيق الضرر ،وذلك بعد الاطلاع على الضار المتوقع ،سواء كان ذلك بسبب غضب

[١]) كمال ،الطب المصري ،ص٩-١١.

[٢]) رو ،العراق القديم ،ص٤٩٠ ؛الحفصي ،الغزو اليوناني ،ص١٢٠ ؛جاسم عباس محسن المولى ،**أحوال العراق أبان الاحتلال السلوقي** ،(رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،٢٠٠٧) ،ص١٢٧.

الآلهة ،أم بسبب هجمات الشياطين والأرواح الشريرة التي يواجهها السحرة[١] .وقد كان السحرة الذين يتولون عملية القيام بالطقوس السحرية يعرفون في النصوص البابلية باسم الاشيبو(ašipu)[٢] ،والمشماشو(Mašmašu)[٣] ،وهذان المصطلحان يترجمان عادة بطارد الأرواح ،على الرغم من ان ترجمة المصطلح بالساحر أو الطبيب الساحر قد يكون أكثر إيضاحا عن واجباته الفعلية في المجتمع العراقي القديم ،وهذان الصنفان من الكهنة هما اللذان يقومان بطقوس التعزيم التي تهدف بالدرجة الأساس إلى طرد الأرواح الشريرة من أجساد المرضى وإبطال السحر وإعاقة عمل السحرة والحماية من صناع السحر الأسود ،ويصرح الطبيب الساحر عن عمله بقوله:"أنا المعزم ،الذي يشفي البلاد أنا المتعوذ الذي يسير في كل مكان في المدينة.ان المعزم الذي فمه مغسول"[٤] .ويظهر ان للمشماشو عمل أخر يقوم على قراءة الطالع عن طريق تكون التشكيلات التي تحدث عند سكب الزيت على الماء ،وهو يقوم بعمله هذا للفقراء الذين لا يستطيعون تقديم الأضاحي:"إذا غاص الزيت في الماء ثم طاف ثانية وظهر عليه الانكماش ،فذلك يعني فألا سيئا للمريض ،أما إذا تشكل الزيت بشكل حلقة تتحرك إلى الشرق فذلك يعني ان المريض سيشفى" ،أو:"إذا تجمع الزيت عند صبه للمرة الثانية فان المريض سيموت" ،أو:"إذا كان في الزيت من الجهة الشرقية بقعة منكمشة فان المرض

[١]) روتن ،علوم البابليين ،ص٦٢.

[٢]) اشيبو:المعوذ أو الطبيب الساحر ،ويترجمه كونتينو بالكاهن الذي يقرأ التعاويذ.والكلمة من المصدر وشبو في الاكدية ،ومعناها عوذ ومنها أيضا شيبتو ،أي تعويذة بحذف فاء الفعل.وفي السومرية(-KA INIM-MA).انظر:السيد يعقوب بكر ،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة ، ،(القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،بلا.ت) ،ص٢٦٥ ؛كونتينو ،الحياة اليومية ،ص٤٨٤ ؛منى حسن عباس ،"خنجر وتميمة من تل محمد وتمائم لذباب من أور" ،**مجلة سومر** ،م٥٢ ،لسنة ٢٠٠٣-٢٠٠٤ ،ص١٥٥ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٤٧.

[٣]) كاهن معوذ أخر ،وهو على خلاف أصل كلمة اشيبو الاكدية ،فان كلمة الماشماشو سومرية الأصل ،ويرى الأستاذ مورجنشترن(Morgenstern) ان الماشماشو والاشيبو كانا ينتميان إلى طبقة واحدة من الكهنة ،ولكن الماشماشو دون الاشيبو في المنزلة.ولكن الأستاذ شرانك(Schrank)يعترض على هذا الرأي ،ويقول ان الاشيبو والماشماشو لفظان مختلفان لمدلول واحد ،وان لفظة الاشيبو الاكدية ترجمة للكلمة السومرية ماش-ماش.ويطابق كونتينو بين اللفظتين ويرى ان الكاهن المعزم الذي يطبق الطقوس السحرية يطلق عليه اسم الماشماشو أو الاشيبو.انظر:بكر ،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة ،ص٢٦٥ ؛كونتينو ،الحياة اليومية ،ص٤٨٤.

[٤]) حول هذا النص انظر ،لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٦.

سيطول".وللمشماشو أسلوب ثان في قراءة الفؤول يستعين به في حالات خاصة ،وهو قراءة تشكيلات دخان المبخرة:"إذا تحرك التكون الدائري للدخان بعيدا عن المركز ثم توقف عن الحركة فان المريض سيشفى"[1].ويبدو ان الاشيبو كان يحسن استخدام قوى سحرية كبيرة إلى درجة ان بعض النصوص الدينية تصف بعض الآلهة أحيانا بأنها:"اشيبو الآلهة".ومن الواضح ان الفكرة وراء ذلك ان قوة الاشيبو كانت كبيرة إلى درجة فاقت حتى القوى المقدسة ،بحيث ان الآلهة نفسها قد تكون مسرورة ان تفيد نفسها بها ،لذا فقد كان للاشيبو مكانة مهمة.ونحن نمتلك أدلة عن أهمية الاشيبو وكيف ان الملوك ذاتهم في وادي الرافدين كانوا يتقيدون بتعليماتهم بصرامة ففي رسالة من اشيبو إلى احد الملوك الأشوريين تقول:"لماذا لم يؤت بمنضدة(العشاء) إلى الملك سيدي لهذا اليوم الثاني ؟وأيا كان في الظلام بالنسبة لإله الشمس ،ملك الآلهة ،هو في ظلام كل اليوم والليلة ،ومرة أخرى لمدة يومين.ولكن الملك ،سيد البلدان ،هو مثيل الإله الشمس يجب ان يكون في الظلام لمدة نصف يوم فقط".ويبدو ان شيئا قد حدث بخصوص الشمس ،ربما الكسوف ،ولذلك كانت متطلبات الشعيرة ان تكون في الظلام ،لمدة يومين.وكان الملك يطبق تلك المتطلبات الصارمة ،ولكن هنا يأتي الاشيبو بالقول انه طالما كان الملك نفسه مظهرا بشريا للإله الشمس ،فان فترة بقائه في الظلام يجب ان يقتصر على نصف يوم.وهناك خرم في رسالة الاشيبو ولكن عندما تستأنف تعطي تلميحا عن سبب محاولة الاشيبو إيجاد عذر للملك لإنهاء صيامه.ويبدو ان النص التالف نوعا ما يقول:"ان أكل طعام وشرب نبيذ سيطرد حالا المرض عن الملك.ويجب ان تؤخذ(هذه النصيحة) بنظر الاعتبار.ان الانفعال من عدم الأكل أو الشرب يقلق العقل ويجلب المرض.عسى ان يسمع الملك خادمه حول ذلك"[2].ونقرأ في حالات يفشل فيها الأطباء من تشخيص المرض مما يدفعهم إلى نصيحة الملك باستدعاء اشيبو لمعالجته ، فاسرحدون أصيب بمرض ولم ينجح الأطباء في إيجاد العلاج له:"أنت لم تشخص طبيعة مرضي ،ولم تجد له علاجا".مما دفع أطباء الملك اسرحدون إلى الإشارة عليه باللجوء إلى الاشيبو لمعالجته:"ليقرأ الملك سيدي

---

[1]) ألبدري ،الطب ،ص٤٥-٤٦.

[2]) حول هذا النص وتفسيره انظر:ساكز ،قوة أشور ،ص٣٠٤.

رسالتي يجب ان يجري الملك المراسيم الخاصة للتخلص من الشياطين وطردها من قبل الاشيبو..."[1].

لم يكن هذا الصنفان من الكهنة هما الوحيدان القائمان بعملية طرد الأرواح الشريرة وان كان الاشيبو أبرزهم ولكن كان إلى جانب الأخير والماشماشو كهنة من صنف كالو(Kalu)المختصين بالندب والرثاء ،والكهنة من صنف رامقو المختصين بطقوس التطهير ،كذلك هناك كهنة البارو(العرافون) الذين يعملون إلى جانب الاشيبو من اجل تشخيص المرض الذي يعمد إلى اكتشاف الذنب الكامن المسئول عن حنق الآلهة ،ويقوم هذا الكاهن بقراءة مشيئة الآلهة من الارتسامات على أحشاء أضاحي النذور سواء الكبد أو الطحال ،وتشير النصوص التي تخص قراءة كبد الضحية إلى طريقة عمل البارو:"إذا وجد أخدود بين قناتي الكبد الصفراويتين فان نرگال سيثور ويعم الطاعون في البلد" ،أو:"إذا كان الفص الإصبع للكبد بشكل قرن الماعز ،فان الروح الحامية للشخص ستتركه وسيمرض" ،وهناك نصوص تخص قراءة الطحال للضحية:"إذا كان الطحال...لونه فاتحا فان وباء سيحل بالناس"[2].ومن الكهنة المرتبطين بالأعمال السحرية الخاصة بالمرض ،الكاهن المختص بتفسير الأحلام(unšinakku) والذي يعرف ايضا باسم(ša´ilu) ونقرأ عن تفسير الأحلام المتعلق بالمرض:

-"إذا رأى النائم في الحلم ،انه يمشي في مياه ضحلة فان مرضه سيكون خفيفا".

-"مثله ،وان كانت المياه عميقة فان مرضه سيكون شديدا".

-"إذا رأى النائم في الحلم انه يصنع بابا أو سريرا أو كرسيا أو قاربا فان الأرواح الشريرة ستصيبه".

-"إذا رأى النائم في الحلم وقد أصابه رذاذ بوله ،فانه سيصاب بمرض يد عشتار".

---

[1]) الفتلاوي ،اسرحدون ،ص٦١.

[2]) حول الكهنة المختصين بعملية طرد الأرواح الشريرة والعفاريت في وادي الرافدين انظر:موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة ،ص٧٨ ؛ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٣ ؛رشيد ،المعتقدات الدينية ،ص١٦٦ ؛رو ،العراق القديم ،ص٤٨٩ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١١٧-١١٨، ٢١٧ ؛ساكز ،قوة أشور ،ص٣٠٣ ، ٣١١ ؛ألبدري ،الطب ،ص ١٠-١١ ، ٤٤ ؛بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٥٦.

-"إذا رأى النائم في الحلم انه ذهب إلى حقل قصب السكر وقطع القصب وجعله في رزم ،فسيشفى من المرض الخطير الذي به".

-"إذا رأى النائم انه يأكل لحم غزال ،فسيصاب بمرض(šeri siḫal)(انثقاب الأمعاء)".

-"إذا رأى النائم انه قد أعطاه شخص ختما عليه اسم شخص أخر ،فانه سيصاب بالجذام...".

-"إذا رأى النائم انه قد أعطاه(شخص) لحم خروف فانه سيصاب بمرض في عينيه".

-"إذا رأى النائم وقد أهداه(شخص)شحم ذئب ،فانه سيصاب بمرض (sili´tu) الانسداد".

-"إذا رأى النائم وقد أعطاه(شخص) حساء ،فستعتل صحته".

-"إذا رأى النائم في الحلم ،انه قطع ثوبه ال(Zag) إلى قطع فسيصاب بمرض انثقاب الأمعاء"[١].

ان الطقوس التي ينفذها هؤلاء السحرة أو بتعبير أدق الأطباء-السحرة ينطوي على مخاطر عدة ولكن طاردي الشياطين هؤلاء وحدهم يستطيعون كما يرى لابات بفضل تجربتهم والحماية الإلهية التي لهم ،ان يتحركوا دونما خطر ضمن القوى السرية والمضرة[٢]:"حينما أدنو من المريض ،حينما ادخل بيته ،واضع يدي على رأسه ،وافحص أوردة جسمه وعضلاته ،حينما الفظ تعويذة اريدو ،حينما أطلق التعويذة على المريض ،ليكن على جانبي حارس خير.أناشدك نينكرسو سيد الأسلحة الإلهي.اوتوككو الشرير ،الو الشرير ،اطيممو الشرير ،كالو الشرير ،ايلو الشرير ،رابيصو الشرير.فلا يدن مني هؤلاء الأشرار ،ولا يجتاحون أمامي ،ولا يذهبوا ورائي ،لا يدخلوا بيتي ،ولا يصعدوا إلى سقفي ،ولا يدخلوا منزلي.(أيا كنت) أناشدك باسم السماء ،أناشدك باسم الأرض"[٣] ،أو:"عسى لحياتي وخلاصي ،أن يسير دوما ورائي دوب-ساك-اوتوك ،المنادي الحربي لـكوللاب.(انظروا)روحا مؤاتية تسير عن يميني ،وحارسا مؤاتيا يسير عن يساري.نينانا الكاتبة السماوية للعالم الأسفل

---

[١]) ألبدري ،الطب ،ص٤٦-٤٨.

[٢]) روتن ،علوم البابليين ،ص٦٢.

[٣]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٥.

أمــامي ،تتلو التعويــذة المقدسة ،بــ نينكرســو ملــك الأســلحة الإلهــي كونــوا منشــدين...حينما اجتـزت عتبـة(باب) المريض ،حينمـا ،أكون فـي البيـت شـمش أمامي ، وسين ورائي ، ونرگال عن يميني ، ونينورتا عن يساري ، حينما أدنو من المريض ،ليكن إلى جانبي روح مؤاتية ،وحارسة مؤات"[1] ،ويقول أيضا:"حينما أدنو من المريض ليسهر علي أيا ،ملك الهاوية الإلهي...ليكن أمامي دوما".وهذا الطبيب الساحر بفضل الحماية الإلهية لا يتمكن أي من العفاريت الضارة ان تقترب منه وتؤذيه أثناء مقارعته إياهم:"لا يدنون مني ،لا يجتاحون أمامي ،ولا يذهبوا ورائي.إذا كنت على العتبة فلا تتقدم ابعد ،حيثما امكث لا تمكث ،حينما اجلس لا تجلس ،حيثما امضي لا تمضي ،حيثما ادخل لا تدخل"[2].

لم يكن هؤلاء الأطباء السحرة سوى المفوضين أو الوكلاء عن آلهة السحر أيا ومردوك ،ولهذا كان الاشيبو يسمي نفسه في النصوص:"رجل أيا" ،و:"عبد أيا" ،و:"رسول أيا ومردوك" ،و:"الرسول الذي يأتي إلى حضرة أيا" ،وكانت مدينة اريدو السومرية الموطن القديم لعبادة أيا ،ولهذا كان يقال عن الاشيبو انه ولد في هذه المدينة:"الاشيبو الذي خلق في اريدو ،مدينة أيا المقدسة ،أنا هو" ،وانه:"مطهر عبادة اريدو" ، أو:"أنا متعوذ أيا ،أنا أطلق على المريض تعويذة اريدو" ،و:"أنا المتعوذ الذي ولدت في اريدو ،الذي أنجب في اريدو ،وشوبارو" ،و:"الاشيبو الذي من اريدو لا ينطق إلا بالكلام الحق" ،و:"أنا اشيبو اريدو ذو الأسلوب المميز في التعزيم".وكان على الساحر ان يذكر بشكل صريح حقيقة ارتباطه بآلهة السحر قبل قيامه بالطقوس:"أنا الساحر ،الوكيل الأعظم ،من يكمل الطقوس رسميا...إني بشير الإله أيا ومندوب الإله مردوك...أنا الساحر اليقظ ذو التمتمة الناجعة ،هذا أنا" ،و:"أنا رجل أيا ،أنا رجل دامكينا ،أنا مرسل مردوك.إنما لشفاء هذا الإنسان من مرضه ،قد أرسلني السيد الكبير" ،و:"أنا إنسان أيا ،أنا إنسان دامكينا ،أنا رسول مردوك.مناشدتي هي مناشدة أيا ،تعويذتي هي تعويذة مردوك ،علامات أيا هي في يدي" ،و:"أنا المعزم ،الكاهن الكبير الذي يقوم بطهارة طقوس اريدو ،أنا الرسول السائر أمام أيا ،والأستاذ المتعوذ الإلهي لمردوك ،والابن البكر لأيا ،أنا الرسول ،أنا

---

[1]) المصدر نفسه ،ص١٥٥-١٥٦.

[2]) المصدر نفسه ،ص١٥٧.

معزم اريدو الذي تعويذته كاملة.الو الشرير إنما لاستئصالك ،ولصد صدرك-أنت يا ساكن المواضع القفرة عد إلى مواضعك المقفرة-أرسلني السيد الكبير إلى هنا ،إنها تعويذته التي وضع قوتها في فمي".بل انه يذكر انه مندوب عن عدد من الآلهة غير آلهة السحر:"أنا إنسان نانشة ،أنا إنسان نيناخوكودو"[١].وانه يشير في تعاويذه انه متحد مع إلهه أيا:

"وضع تعويذته الطاهرة في تعويذتي
وضع فمه الطاهر في فمي
وضع لعابه الطاهر في لعابي
وضع بركته الطاهرة في بركتي".

ويقول الاشيبو في تعويذة أخرى:

"انظر إلي يا أيا ،يا ملك المياه العميقة
أنا الاشيبو عبدك
تعال إلى يميني وأسرع إلى شمالي
ضع تعويذتك الطاهرة في تعويذتي
ضع فمك الطاهر في فمي
اجعل كلامي الطاهر طيبا
اجعل كلمة فمي شافية
مر بأن تكون طقوسي طاهرة
كن الشفاء حيثما ذهبت
وليحل الشفاء بمن المسه"[٢].

وفي تعويذة أخرى نقرأ:

أنا المعزم أنا عبدك
سر عن يميني ،واسندني من يساري
ضع تعويذتك المقدسة في تعويذتي

---

[١]) بكر ،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة ،ص٢٦٥ ؛كونتينو ،الحياة اليومية ،ص٤٨٤ ؛روتن ،علوم البابليين ،ص٦٣ ؛الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٤ ؛لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٥-١٥٨ ؛ألبدري ،الطب ،ص١١.

[٢]) بكر ،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة ،ص٢٦٥-٢٦٦ ؛لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٥.

فمك المقدس في فمي
اجعل كلامي الطاهر مؤاتيا
اجعله يتحقق كاملا ما سيقوله فمي
مر بان تبقى طاهرة الطقوس التي سأقوم بها
عسى حينما اذهب ،ان أكون سالما صحيحا
وان يكون سالما صحيحا الإنسان الذي سألمسه"[1].

كان الطبيب الساحر يباشر بفضل تدخل الإله مردوك الذي يمثله بمقارعة الشـياطين ،خلائق الفوضى لاسيما شـياطين الأمراض ،وذلـك لإنقـاذ المـريض الممسوك.وهو يستخدم الخطاب المباشر معها ،ولم تكن الكلمات التي ينطق بها الطبيب الساحر يقولها ارتجالا بل انه من وحي الآلهة وتبقى كذلك دون ان يصيبها أي تغيير.وكان ينادي خصمه بالنيابة عن آلهة السماء والأرض ،وهذا النداء يجرده من قوته ،والطبيب الساحر ينادي الخصم لكي يتوقف عن تعذيب المريض ،وان يرحل:

"لا تقترب من الر جل(المريض) ،ابن إلهه ،ولا تمل إليه
لا تضع رأسك فوق رأسه
لا تضع يدك فوق يده
لا تضع قدمك فوق قدمه
لا تلمسه بيدك
لا تلفت عنقك نحوه
لا ترفع عينيك إليه
لا تنظر خلفك
لا تلفظ بشيء عنه
لا تدخل البيت".

بل انه في تعويذة أخرى يقول بعبارات أكثر وقعا:

"اخرج من الرجل(المريض) ابن إلهه ،ولا تمل إليه
لا تجلس معه فوق كرسيه

[1]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٧.

لا تسترح فوق سريره
لا تصعد معه إلى سطح بيته
لا تدخل معه إلى بيته"[١] .

وفي تعويذة ثالثة يقول:"اوتوككو الشرير ،الو الشرير ،اطيممو الشرير ،كالو الشرير ،الإله الشرير رابيصو الشرير ،أو أيضا ،المرض ،الموت ليلو ،ليليتو ،اساككو ،المصير السيئ(أيا كنت) ابتعد من أمامي ،اخرج من هذا البيت...ابتعد من أمامي ،بالسماء كن مناشدا ،لا تدن من هذا الإنسان ،ابن إلهه ،لا تعدو إليه ،بالسماء كن مناشدا ،بالأرض كن مناشدا"[٢].وفي أخرى نقرأ:"اوتوككو الشرير ،الو الشرير ،اطيممو الشرير ،كالو الشرير ،الإله الشرير رابيصو الشرير لماشتو ،لاباسو ،اخخازو ،ليلو ،ليليتو ،ايكتيمو ،نمتار الشرير ،اساككو الشرير ،انتهاكات ،مساوئ ،سحر...ابتعدوا من أمامي"[٣] .

ولم يكن الطبيب الساحر يستخدم في طقوسه السحرية الكلام فحسب ،بل الحركات أيضا التي تقوي بعض خواص الأشياء المعروفة ،سواء فيما يخص طبيعتها أو شكلها أو اسمها ،لذا كانت ثياب السحرة وألوانها والعصا تفيد في رسم الدائرة السحرية والتفوه بما يلي:"ان الدائرة السحرية التي لأيا هي الآن في حوزتي ،خشب الأرز ،سلاح أيا المقدس هو في يدي ،غصن النخيل المستخدم في الطقوس الكبرى هو في يدي".وهكذا كانت تتوافق الأدوات المستخدمة بمظاهر عدة كأن تكون رموز القوى الإلهية ، أو الشيطانية الموسومة في العمل. ونقرأ عن هذه الرموز: "شجرة الطرفاء(الأثل)هي(رمز) الإله انو...ورأس النخيل الإله تموز...والنحاس الإله أيا ،والتيس الوسيط هو خوشو(شيطان الطاعون)"[٤].وهو يقول أيضا: "في يدي احمل...السلاح السامي لأنو" ،و:"احمل في يدي سعف النخيل للسلطة الكبرى"[٥].هذا وان الطبيب الساحر يمارس الطقس الخاص بطرد الأرواح الشريرة وهو بملابس خاصة ،ففي نص مسماري يصف الكاهن الكبير في

---

[١]) بكر ،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة ،ص٢٦٦ ؛كونتينو ،الحياة اليومية ،ص٤٨٤-٤٨٥.
[٢]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٦.
[٣]) المصدر نفسه ،ص١٥٦.
[٤]) روتن ،علوم البابليين ،ص٦٥-٦٦.
[٥]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٦ ،١٥٥.

مدينة اريدو بأنه ابن الأرض وولد في معبد السماء ويشير إلى انه نزع ملابسه المنسوجة من الكتان ووضع على جسده بدلا عنها ثوبا خاصا بإقامة طقس ديني يتعلق بصلوات خاصة بشفاء المرضى وانه وضع فوق هذا الثوب ثوبا أخر من الكتان الأبيض النظيف فُصّل بشكل يغطيه من الرأس حتى القدمين[(١)].ومن الجدير ذكره إن ملابس الطبيب الساحر تنطوي على رمزين دينيين الأول اللون الأبيض يرمز في بلاد الرافدين إلى النقاء والطهارة والنظافة ويعد لباس كبار الكهنة على العموم[(٢)].وملابس الكتان فالنبات الأخير يرمز إلى الأرض وقدسيتها[(٣)].هذا وان بعض الكهنة اتخذوا ملابسا حمراء وهو اللون الخاص بطرد الأرواح الشريرة ،وبعض الأمراض مثل الحصبة ،وان التلفع بقماش احمر اللون يرمز للذهاب للعالم الأسفل عالم الأموات ،:"يلبس الاشيبو رداء احمر" ،ويشير نص إلى إن هذا الرداء يدعى نخلابتو(Naḫlptu):

"الثوب الأحمر ،المسمى نخلابتو المخيف
لبسته ضدك ووضعته على جسدي المقدس
ولبست ثوبا أخر احمر اللون مليئا بالرعب".

أو:"الكاهن الماشماشو وهو في معطف مصنوع من الكتان(Naḫlptu) ويغطي نفسه بقطعة ملابس حمراء".وهناك نص أشوري مهم يوضح لنا طريقة استخدام الملابس الحمراء من جانب بعض الأشخاص المقدسين في صراعها القوى الشريرة ،والنص هذا من مجموعة النصوص السحرية المسماة(utukki limnuti) ويعني ذلك شياطين شريرة وقد ورد فيه:"إن الكاهن الماشماشو يصارع الشيطان...ويصرخ مرددا الأقوال التالية:لقد لففت نفسي ضدك بقطعة قماش حمراء تجلب الرعب.بملابس حمراء براقة(Namrirru) عصمت نفسي منك".وفي رسالة مرسلة إلى الملك الأشوري اسرحدون إشارة إلى احتفالا خاصا بطرد الأرواح الشريرة بملابس حمراء.ومن جانب أخر ارتبط اللون الأحمر كما قلنا بالموت ،ونقرأ في نص

---

[١]) وليد الجادر ،"الأزياء والحلي" ،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٥) ،ج٤ ،ص٣٣٤.

[٢]) الجادر ،الحرف والصناعات اليدوية ،ص٩.

[٣]) انظر رمزية نبات الكتان في:الجادر ،الحرف والصناعات ،ص١٦٨.

رسالة من العصر الأشوري المتأخر تظهر شرحا لبعض الطقوس السحرية وتذكر الرسالة كفن احمر اللون مغلف لدمية من الطين.وفي بعض الأحيان يلبس الطبيب الساحر قناعا احمر ،الذي يعطيه شكلا شريرا ،أو يلبس بعضهم جلد مثل السمكة لتأكيد صلته بالإله أيا ،وربما ان الأشخاص الذين نشاهدهم في المنحوتات الأشورية الذين يرتدون أقنعة تجعلهم يظهرون مثل الرجل السمكة أو الرجل الأسد هم من الأطباء السحرة أثناء عملهم[1].ومن الأشياء التي يحتاجها الطبيب الساحر أثناء أداء الطقوس طائري الغراب والصقر:"غرابا في يد وطير الباز في اليد الأخرى"[2].ويلخص نص الأشياء التي يستخدمها الطبيب الساحر في طقوسه:"لقد سلم(الإله أيا) إلى يدي مواضع إحراق البخور السبعة للطقوس المقدسة.في يدي اليمنى امسك الغراب الطير الذي هو نذير الإلهة ،انه أرسل لي الصقر الطائر النبيل الذي امسكه بيدي اليسرى ضد نواياك الشريرة.(ضدك) التحفت بالعباءة الحمراء التي تشيع الهلع.لقد وشح أيا جسمي المطهر بثوب احمر ،ثوب ذي بهاء رهيب"[3].

ان ابرز عمل يقوم به الطبيب الساحر قبل المباشرة بتنفيذ طقوسه السحرية هو كشف طبيعة المرض ،بل كشف مستقبل المريض قبل كل شيء[4].ففي العديد من النصوص التي يطلق عليها عادة اسم جداول علامات الحظ والنحس أو نصوص الفأل نقرأ عبارة فيها:"حين يقصد المعزم بيت المريض..." ،وهي عبارة نموذجية تدل على مهمة الطبيب الساحر وهو رصد الجو ما فوق الطبيعي ،وكما يقول الأستاذ لابات فان الجو ما فوق الطبيعي الذي يسري فيه المريض ،يسمح للمعزم ان يكشف منذ البداية تأثير شرير أو عارض سوء ،بوسعه ان يوجه تشخيص الداء ،ويتيح محاربته ،بأسلحة مناسبة في حالة الفشل ،أما في حالة النجاح ،فيمنحه تفاؤلا مسبقا.والمعزم منذ انطلاقه للمعالجة ،ان رأى خنزيرا اسود في الطريق ،فيعني ان ذلك المريض سيموت ،أما ان رأى خنزيرا ابيض ،فان

[1]) الجادر ،الحرف والصناعات ،ص٩ ، ١٨٢ ، ٢٤٤-٢٤٦ ، ٢٥٣ ؛كونتينو ،الحياة اليومية ،ص٤٨٤ ؛الجادر ،الأزياء والحلي ،ص٣٣٤ ؛الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٤ ؛ساكز ،قوة أشور ،ص٣٠٨ ؛ألبدري ،الطب ،ص١١ ؛الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص٣١.

[2]) الجادر ،الحرف والصناعات ،ص٢٤٥.

[3]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٨.

[4]) يحيى ،الطقوس السحرية ودورها في العلاج ،ص٦٦٠.

المريض سيحيا:"عندما يتوجه طارد الأرواح إلى بيت المصاب...فيشاهد خنزيرا اسود اللون فان ذلك المصاب سيلاقي حتفه(أو) سيشفى بعد عناء شديد...وإذا شاهد خنزيرا ابيض اللون فان المريض سيعيش..أما إذا رأى خنزيرا احمر فان المريض سوف(يموت؟) في الشهر الثالث(أو) في اليوم الثالث..."[١]..وبعد رصد شتى أنواع الفأل يصل إلى لدن المريض فنقرأ:"إذا تتقدم من المريض ،فلا تقترب منه لكي تشفيه ما لم تقم أولا بالرقية ،ويتم ذلك بفركه بخليط من مواد عطرية وبخور ،وبالقيام بطقوس واقية خشية العدوى".ثم يأتي إلى تشخيص أعراض المرض ،ومع بقاء تأثيرات الفأل بادية للعيان:"ان صوتت إذن المريض اليمنى فان عقدة ما قد استولت عليه" ،أو:"ان كانت له الشهية وهو لا يستطيع الأكل ،أو ان سعاله شديدا ،فان مرضه هو من صنع إنسان" ،أو أحيانا يكون المريض فريسة لشيطان ما:"متى ما تألم إنسان من صدغيه وآذته عضلات رقبته ،فإنها يد شيطان..." ،وقد يشخص المعزم أحيانا المرض ويضع له احتمالين:"إذا اثر فيه صدغه ،واستمر يصرخ بطني! بطني! إنها يد الشبح ،احتمال ثان:إنها عشتار ،وسيموت(إذا كانت)يد الشبح سوف يتباطأ ثم يموت".وفي حال كون المريض ممسوكا من الشيطان فان ثمة محاولة للرجوع إلى خطيئة ما في الماضي ،بناء على القاعدة القائلة ان كل مريض آثم بالضرورة:"إذا كان الباب التي يرقد خلفها المريض عالية الصرير ،كصوت الأسد فان هذا المريض سبق وان انتهك حرمة آلهته المقدسة وان ذلك سيؤدي به إلى الموت" ،أو:"إذا لازمت حية وسادة مريض على الدوام فان هذا المريض سبق وان انتهك قدسية إلهه أو قدسية اله المدينة وسيموت في نفس السنة" ،لذا كان على الطبيب الساحر أن يعمد إلى اكتشاف الإثم ،وما إن يتحقق هذا الاكتشاف حتى يكون معادلا لإزاحة الستار على العفريت المسبب للمرض.ولكن ليس من الضروري أن تكون الخطيئة معروفة دائما ،فنحن نقرأ:"الخطيئة التي ارتكبتها لا اعرفها ،الإثم الذي فعلته لا اعرفه".وفي هذه الحالة يبدأ الاشيبو في قراءة جداول الآثام ،فلعل المريض قد اقترف بعضها منها عمدا أو سهوا.وما ان يشخص الذنب موضوع البحث حتى يتمكن الاشيبو من قهر العفريت الذي استغل الذنب لكي يحل في جسم المريض.ثم يقوم الطبيب

[١]) رو ،العراق القديم ،ص٤٩١.

الساحر باختبار الجو ما فوق الطبيعي:"يسأل السرير ،ويسأل الكرسي ،ويسأل مائدة الطعام ،ويسأل وهو يقدم يقدحا ،ويسأل شاعلا ،ويسأل المشعل ،ويسأل المنفاخ ،ويسأل اللوح والقلم...ويسأل الحيوانات الداجنة ،ويسأل الحيوانات البرية ،ويسأل قنوات السقي ،ويسأل الآبار ،ويسأل شروق الشمس وغروبه ،ويسأل آلهة السماء ومزارات الأرض"[1] .

إذن كان العلاج الذي ينفذه الطبيب الساحر يتوقف على أمرين هما حالة المريض ،ونوع العفريت الذي حل فيه ،ففي بعض الحالات يتطلب طبيعة المرض من الطبيب الساحر ان ينفذ طقوس سحرية:"إذا لم يتوقف صدغاه الأيمن والأيسر عن الاختلاج ،وكان صدره في شرسوفه(منطقة رأس المعدة) بالوقت نفسه ،فان تلك إصابة الشيطان رابيصو ،وإذا عالجته بسحر مناسب فانه سيشفى"[2] ،ولكن في أحيانا أخرى يكتفي الطبيب الساحر بتلاوة التعاويذ:"إذا ظهر على عضلات صدغيه خطوط طولية أو عرضية وكان خده ساكنا فلأجل شفائه أتلو عليه تعويذة"[3].وكان العلاج يهدف إلى غايتين:

١.إرضاء الإله الغاضب ومصالحة مريضه معه ،وبمعنى أخر إعادة المريض إلى إلهه الحامي ،وهناك نص يوضح ذلك بجلاء:"إلى شمش أول الآلهة ،رده(أي الكاهن) ،وليول شمش أول الآلهة صحته إلى يدي إلهه الحامي".

٢.طرد الشيطان الذي استولى على جسد المريض ،وهذا يتم عن طريق عدد من الطقوس السحرية[4] .

كانت عملية إرضاء الإله تتطلب أولا غفران الإله عن الشخص المريض ،ويتم ذلك بواسطة صلاة ترافق تقديم أضحية ما.وان طرد الشيطان يتم عن طريق الطقوس فالكلمات والطقوس لدى البابليين في الحقيقة هي ذات قوة واقعية[5] .

---

[1]) لابات ،التشخيص والإنذار ،ص١٥ ؛كونتينو ،الحياة اليومية ،٤٨٨ ؛ساكز ،عظمة بابل ،ص ٥٣٠ ؛روتن ،علوم البابليين ،ص ٧٠-٧٢ ؛ساكز ،قوة أشور ،ص٣٢٢.

[2]) لابات ،التشخيص والإنذار ،ص٣٢.

[3]) المصدر نفسه ،ص٣٣.

[4]) روتن ،علوم البابليين ،ص٧٢ ؛بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص١٥٣.

[5]) روتن ،علوم البابليين ،ص٧٢.

وقد ابتدع السحرة القدماء عدد من الطقوس السحرية ،التي يرد لها وصفا في النصوص المسمارية ،فقد كانت عملية التعزيم تجري في المعبد(كان المعبد الذي تتم به طقوس طرد الشياطين يسمى بيت رمقي)[1] أو في بيت المريض وحول فراشه:"يدور الاشيبو حول سرير المريض وكذلك الاشيبو الثاني وخلفهما حملة مشاعل البخور" ،وفي بعض الحالات فوق سطح البيت ،أو في كوخ من القصب:"يأخذ الاشيبو بيد المريض ويدخله كوخ القصب" ،أو بجانب النهر ،وأحيانا في البرية:"يذهب الاشيبو إلى العراء ويهيئ لتحضير بيت الاغتسال" ، أو المقابر التي ترمز إلى عالم الأموات.وربما كانت تنفذ في مكان مظلم ،ثم توقد فيه النار ،وهذا أمر يمكن افتراضه إذا ما رجحنا ان ما قام به گميل-نينورتا في قصة فقير نفر هو طقس سحري وليس طبي[2]:

"(فقال گميل-نينورتا) سيدي لا يمكن ان ينجح علاجي إلا في الظلمة
حيث(؟)...والطريق مظلم
فأخذه في غرفة خاصة
حيث لا يشفق عليه أصدقاءه ولا أصحابه
(ثم) رمى ألـ...في وسط النار
ودق خمسة أوتاد في الأرض الصلبة
وشد يديه ورجليه ورأسه"[3].

وفي كل الأحوال تؤكد النصوص المسمارية ذات العلاقة ضرورة تطهير المكان قبل كل شيء.كما يظهر من تلك النصوص ان إشعال النار أثناء التعزيم كان واحدا من الطقوس الفعالة لطرد الشياطين والأرواح الشريرة من جسم المريض ،فبعد إشعال النار يقوم المعزم بدعوة واستشارة آلهة النار الثلاثة كيررا-كيبل-نوسكو(Girra-Gibil-Nusku)للانقضاض على تلك الأرواح وطردها.فضلا عن ذلك كان الطبيب الساحر يجلس داخل دائرة اختطها بعصاه السحرية ممسكا بخشبة أو غصن نخلة:"بيدي احمل دائرة سحر أيا ،بيدي احمل عصا

[1]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص٢١٧.

[2]) يحيى ،الطقوس السحرية ودورها في العلاج ،ص٦٦٣.

[3]) حول هذا المقطع من قصة گميل -نينورتا انظر:فاضل عبد الواحد علي ،"من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين" ،مجلة سومر ،م:٢٦ ،لسنة: ١٩٧٠ ،ص٩٨.

الصنوبر ،سلاح أيا المقدس ،بيدي احمل غصن شجرة الشعائر العظيمة".وهذا العلاج لا يمكن تنفيذه دون استخدام الكلمات الفعالة ضد الشياطين والقوى المسببة للمرض:"ليزل شر الرأس الذي في جسد الإنسان ،كالقذى الذي يذريه الريح ،فلا يعد بعد إلى موضعه.ليكن مطرودا باسم السماء وأسم الأرض ،ليكن مطرودا".ونقرأ في نص عن قيام الطبيب الساحر بجملة من الطقوس ،منها إفزاع المريض ،أو صفعه ،وحتى الصراخ عليه ،ولم يكن لهذه الطقوس سوى هدف واحد هو إخافة العفريت الذي سبب المرض وإجباره على مغادرة جسد المريض:"حينما أدنو من هذا المريض ،وادرس أوردته وعضلاته ،وافحص جسمه ،حينما انضح المريض بمياه ،حينما افزع المريض ،حينما اصفع المريض ،حينما اصرخ على المريض".ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم ما قام به گميل-نينورتا عندما ادخل محافظ نفر في غرفة مظلمة من اجل معالجته فانه:"اخذ يضرب كل جسمه من رأسه إلى أخمص قدمه(حتى) أوجعه" ،بأنه طقس سحري.ونقرأ عن هذه الحالة في نص سحري يقول:"يلوح الاشيبو بالسوط ويتلو التعويذة(حقا انك خبيث)".فضلا عن ذلك كان الطبيب الساحر قد يوصي المريض بالقيام بطقس تطهيري من اجل الشفاء ،ففي رسالة موجهة من كاهن إلى ملك بسبب إصابته بمرض خطير مؤذ جاء فيها:"الحمى ،اخف وطأة لقد إصابتك نتيجة خطيئة ،فليحلق مولاي الملك اليوم".والعبارة تشير إلى طقس تكفيري ،إذ نقرأ عن قيام الخاطئ بحلق شعره الذي لامسته الخطيئة في إناء محكم الإغلاق ويطرحه في ابعد مكان ممكن ،وبهذا يتطهر الخاطئ ،وقد جاء في احد هذه الطقوس:"خلال ثلاثة أيام يتلو الملك صلاة التوبة صباحا ،ومساءً ،وعشية الليلة الأولى ،يغتسل بالماء ،ويحلق ويرتدي ثيابا نظيفة".في بعض الحالات يلجأ الطبيب الساحر إلى الزيت كوسيلة للعلاج إذ يدهن جسم المريض بالزيت ويتلو معه صيغة سحرية.وفي حالات يضع الطبيب الساحر على رأس وقدم المريض خيوطا من الصوف الأسود والأبيض يلقيها بعد ذلك في البرية كطقس تكفيري ،ربما كان اللونان يرمزان إلى طرد الأرواح الشريرة كما هو الحال مع اللون الأحمر ،ويرد في نص استخدام خيوط سوداء ووضعها على أو حول الرأس أو رقبة الأطفال المرضى للتخلص من بعض الأوجاع الجسمية.أو تربط حلقة إلى الأيدي والقدمين ،وقد يربطون خيوطا من صوف الحمل الصغير برأس أو برقبة

أو أيدي وأعضاء جسم المريض وحول فراشه.ولم يكن الزيت أو خيوط الصوف هي الوحيدة التي يستخدمها الطبيب الساحر بل أحيانا يطلب الاشيبو من المريض بصلا وتمرا وصوفا ،وشعر ماعز ،ليرميها في النار كإجراء فعال لقلع الشر.ولعل من الطرق الفعالة في العلاج هو استخدام البديل(puḫu) وتتلخص هذه الطريقة بتوفير شيء أخر يحل فيه الشيطان أو الروح الشريرة بدلا من جسم المريض ،والبديل على نوعين الأول البديل الحيواني وهو في الغالب يكون جدي أو خنزير أو حمل ،بل حتى جرذ.والبديل هنا بمثابة فدية فوسط قراءة التعاويذ وأداء الطقوس السحرية يقدم المعزم الجدي فدية وبديلا للرجل المريض ،عندئذ يخرج الشيطان من جسمه ليحل في الجدي وبذلك يشفى من المرض ،وهناك نص يوضح هذه الحالة بشكل جيد:"الجدي هو بديل البشر ،لقد أعطي الجدي من اجل حياته ،أعطي رأس الجدي بدلا من رأس الرجل ،أعطيت رقبة الجدي بدلا من رقبة الرجل ،أعطي صدر الجدي بدلا من صدر الرجل".وهذا يعني إن الحيوان المضحى به قد اخذ خطيئة المريض على عاتقه ،لذا فان الإله سيرضى عنه ،وبتعبير آخر فان الحيوان المضحى قد أدى دورين في آن واحد فهو أضحية مقدمة للإله لاسترضائه من جهة ،ومن جهة ثانية يمثل بديل يهدف إلى خداع الشيطان بجعله يموت بدلا من المريض ،عن طريق ذبح الحمل وإيهام الشيطان بموت المريض ،فضلا عن توفير مسكن جديد للعفريت.والنوع الثاني من البديل تتألف من مواد مختلفة غير حية مثل القصبة ،أو تمثال طيني ،أو دمية الشمع للمريض أو للروح الشريرة ،فقد يصنع المعزم دمية من الشمع تشبه المريض ثم يدفنها في المقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة التي سببت له المرض.وان الغرض من هذه العملية السحرية تحقيق هدفين ،الأول القيام بدفن رمزي للروح الشريرة لإعادتها إلى مقر الأموات في العالم الأسفل ،والثاني إيهام الروح الشريرة بان المريض قد مات وانتهى أمره.أو يقوم أحيانا بصنع تماثيل صغيرة للعفاريت المراد إخراجها من جسد المريض ،وهذه التماثيل تعذب وتحطم بتلاوة جملة عليها.وقد صنع السحرة الأشوريون بالعجين ما يشابه شكل المريض ،ورشوه بالماء وعاملوه كبديل عن المريض وحملّوه بعد تلاوة العبارات الخاصة بالخطيئة التي سببت علة المرض. ومن الطرق التي يستخدمها الطبيب الساحر لخداع الشيطان طريقة تتمثل في القراءة بصوت عال لقائمة من

الهدايا التي سوف يتسلمها العفريت حال خروجه من جسم المريض ،ويعتقد كونتينو إن الهدف هنا إعطاء هدايا غير مادية ،وهذا تطبيق لنفس مبدأ قوائم النذور الموجودة على الأضرحة المصرية القديمة والتي يلتمس من المارة قراءتها.ومع ذلك هناك احتمال إن الهدايا قد أعطيت فعلا.وهكذا نجد مثلا ان العفريتة لماشتو قد قبلت الرشوة المتضمنة تقديم ما يلزمها من مئونة في رحلتها إلى العالم الأسفل ،كما أعطيت هذه العفريتة حلي وحمارا تقطع به الصحراء وزورقا لعبور المياه الموجودة تحت الأرض.وفي طقس نقرأ:"يا شمش إن الشبح(اطيممو) المرعب الذي جثم على ظهري منذ عدة أيام لا يرخي قبضته عني ،انه يلاحقني طول النهار ويرعبني طول الليل ،إن اضطهاده لي مستمر بلا انقطاع ،انه يهاجم جبهتي ويجعل وجهي متقدا ،لقد جفف ريقي ،وايبس لحمي وأنهك جسدي كله.فسواء كان شبحا لواحد من أقاربي أم كان شبح رجل مات ميتة قاسية أم كان شبحا تائها ،فانا أتضرع إليك يا شمش أن تخلصني منه لقد هيأت ما يحتاجه:ثيابا للبسه ،صندلا لقدمه ،وحزاما جلديا لعورته ،وقربة لشربه ،وأعددت شعيرا لرحلته ،دعه يذهب هناك ،حيث مغيب الشمس(أي العالم الأسفل) ليودع إلى نيدو رئيس حجاب العالم الأسفل ،وعسى نيدو يشدد قبضته عليه ،عسى مفتاحه أن يغلق القفل عليه".ومن الطقوس الأخرى التي ينفذها الطبيب الساحر هي قيامه بشد العقد إلى المرأة الحامل لإعطائها القوة ضد عدوها من العفاريت ،ونقرأ عبارة في نصوص مقلو:"حلت عقدتها ،وأبطل سحرها الذي ملأ البرية"[1].

وفي كل الأحوال لم يكن الطبيب الساحر وهو يمارس طقوسه السحرية قادرا على شفاء مرضاه بدون مساعدة الآلهة لذا نجده يتضرع لكل القوى العليا

[1]) حول الطرق المختلفة التي استخدمها المعزمين انظر:علي ،من أدب الهزل والفكاهة ،ص٩٨ ؛كونتينو ،الحياة اليومية ،ص ٤٨٥ ، ٤٨٩ ؛ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٥-٣٥٠، ٣٤٦ ؛روتن ،علوم البابليين ،ص٧٢ ؛بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص١٩٣ ؛علي ،العرافة والسحر ،ص١٧٦-١٧٧ ؛الجادر ،الأزياء والحلي ،ص٣٤٣ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٨٣ ، ٢١٩ ؛لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٦ ؛الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٤-٦٨ ؛ ألبدري ،الطب ،ص١١ ، ٦٢ ؛السواح ،دين الإنسان ،ص٣٢٢ ؛بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٥٧.

لمساعدته:"لتشف نيناخوكودا أخت انو ،ونانشة سيدة الإناء المقدس للمياه المطهرة ،ومردوك ابن اريدو(ليشفوا) هذا المريض"[١].

ويمكن أن نستشهد بعدد من الأمثلة التي توضح عمل الطبيب الساحر في وادي الرافدين ،إذ يزودنا لوح برونزي محفوظ في باريس يحتوي على ثلاثة أفاريز منحوتة بطقوس طرد الشيطان من جسد المريض ،فالمنحوتة يعلوها رأس شيطان مرعب مجسم النحت ،وفي الإفريز الأعلى منه توجد رموز تمثل الآلهة(انو-أيا-ادد-مردوك-نابو-عشتار-سين-والآلهة السبعة) ،وفي الإفريز الثاني يظهر مجموعة من سبعة شياطين بهيئة حيوانات مركبة ،وفي الإفريز الثالث يبدو بوضوح طقوس طرد الشياطين ،حيث مدد الشخص المبتلى بملاحقتهم على محفة عالية ووقف عند طرفها كاهن يرتدي ثوبا مفصلا بهيئة سمكة وبجانبه يوجد مذبح يحتوي على مصباح ،بينما وقف احد الشياطين خلف الكاهن.وعند رأس المريض وقف كاهن أخر بوضع يصد فيه شيطانين يحاولان الهجوم على الشخص المدد.وفي الأسفل يبدو مشهد تظهر في طرف منه جرتان وقدح وقربة ماء وأطعمة متنوعة يبدو إنها كانت قرابين مقدمة للشياطين لإقناعها بالكف عن مهاجمة الضحية.أما المشهد الممثل لظهر اللوح فيقتصر على تصوير ظهر الشيطان المجنح الذي يطل رأسه المجسم على وجه اللوح[٢].من هذا اللوح يمكن ان نستنتج ان علاج المرض قد ينفذه أكثر من طبيب ساحر ويدعم هذا القول طقس مورس ورد ذكره في لوح يقول:"الاشيبو الذي يقف في يمين الدار ،والاشيبو الذي يقف في شمال الدار يتلون التعويذة(العاصفة النكباء) ،أما بقية الاشيبو الآخرين فيتلون تعويذة(الشبح الكبير اوتوككو)"[٣].

ونقرأ في النصوص السحرية أمثلة متنوعة حول طريقة البديل ،وقبل الشروع في دراسة مفهوم البديل الحيواني لابد من إيضاح طبيعة الطقوس التي يستخدم فيها الدمية كبديل للرجل المريض أو العفريت الشرير.فنحن نقرأ في نص عن الخطوات التي يقوم بها المعزم من اجل طرد العفريتة لماشتو من جسد مريض

---

[١]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٧.

[٢]) موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة ،ص٧٨ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص٢١٧-٢١٨ ؛ألبدري ،الطب ،ص٦٢.

[3]) ألبدري ،الطب ،ص٦٢.

عن طريق استخدام مبدأ البديل:"عليك تطهير المكان أولا ثم خذ شيئًا من الطين واصنع دمية للماشتو وضعها عند رأس المريض ،وأملا مبخرة بالرماد ودس فيها خنجرا تم اتركها عند رأس المريض ثلاثة أيام.وفي اليوم الثالث ،وعند انتهاء النهار ،خذ الدمية واطعنها بالخنجر ثم ادفنها في الزاوية عند الجدار"[1].وفي أخر نقرأ:"رقية من اجل لماشتو:طقوسها تعمل تمثال لابنة انو(لماشتو) من طين حفرة ،وتصنع تمثال حمار من طين حفرة ،وتزوده بالعلف...تصنع شرابا من الخبز والجعة ،وتذبح خنزيرا صغيرا وتضع قلبه على فم ابنة انو ولمدة ثلاثة أيام تتلو التعويذة أمامها ثلاث مرات ،وفي اليوم الثالث ،وعند نهاية اليوم تجعلها تخرج إلى العراء"[2].وهناك نصا أخر يشرح الطقوس الواجب تنفيذها لإبعاد شبح ميت من جسد المريض:"إذا ظهر شبح احد الموتى لشخص وإذا عرفه هذا الشخص أو لم يعرفه فلأجل إبعاد هذا الشبح تصنع دمية تشبه ذلك الميت ،وتوضع فوق فراش المريض ،وفي اليوم الثالث تكنس الأرض في الظهيرة أمام شمش وترش بالماء النقي ويقام مذبح صغير توضع فوقه كمية من التمر وتنثر كمية من الطحين ثم تشعل مبخرة فيها عصير شجرة السرو وتسكب جعة من نوع جيد ،وبعد ذلك تلعن الدمية بالكلمات التالية:شمش!انك دليل هذا الميت في العالم الأسفل ،وفي العالم الأعلى فامنحني(حلا لحالتي) ،انه مرعب ،قبيح المنظر ،بغيض ومخيف ليلا ،إنني أتوسل إليك واطلب ان تجعله مكاني ،بحياة شمش ليبتعد عني.وتكرر هذه الصيغة ثلاث مرات ،ثم تكفن الدمية وتدفن في ظلال شجرة سدر ذات أشواك..."[3].وفي طقس أخر يستخدم فيه الطبيب الساحر الدمية كبديل للإنسان ،ويتم هذا الطقس عن طريق تشخيص الشبح الذي سبب المرض ،وكانت تؤخذ قطعة طين من الأرض وتطهر وفق المراسيم الخاصة وذلك بإقامة الطقوس وتلاوة التعاويذ لمدة ثلاث أيام ،وفي اليوم الرابع يصنع منها التمثال الخاص بالشبح ،وكان التمثال يدمج بالشبح وذلك بكتابة اسمه على فخذه الأيسر ولكي يفقد الشبح قوته كانت تلوى قدميه ويرمى على الأرض ويوضع سن كلب في فمه لسده.وتوضع دكة في الموضع

---

[1]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٩ ؛علي ،العرافة والسحر ،ص١٧٥-١٧٦ ؛ الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٧.

[2]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٩.

[3]) حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص١٢٧-١٢٨ ؛بوتيرو ،الديانة عند البابليين ،ص١٥٧-١٥٨.

الخاص حيث يسكب الشراب إلى الإله شمش ،ويتلو الكاهن ثلاث مرات:"أنا ادعوك باسم الإله شمش في غروبه ان تترك جسد فلان ابن فلان ،اذهب واتركه!".ثم يضيف:"هكذا تقول وتدفن ذلك التمثال في حجر عند غروب الشمس وسوف لن يرى ذلك الرجل شبح الميت طالما كان على قيد الحياة"[١].وهناك طقس يقدم معلومات ثمينة عن إجراءات طرد روح من جسد المريض:"إذا قبضت روح على إنسان وضايقته أو...قبض عفريت عليه ،أو امسك شيء شرير يده ولا يريد الافتراق عنه ،فعليك ان تأخذ ترابا من مدينة خربة ،وبيت خرب ،ومعبد خرب وبستان مهمل وجدول مهمل ،ودرب مهمل ؛اخلط ذلك بدم ثور واصنع تمثالا للشيء الشرير.والبسه جلد أسد ،وانظم حجرا من عقيق احمر وضعه حول رقبته واجعله يمسك كيسا من الجلد وجهزه بالمئونة واجعله يقف على سطح بيت المريض ،وصب(شرابا) وانصب ثلاثة أعمدة من خشب الأرز إلى جوانبه(لتشكل منصبا ثلاثي القوائم) وأحطه بدائرة من الطحين.وعند الغروب غطه بـ.... قدر لم يطبخ فيه شيء(يحتمل انه قلب على المنصب الثلاثي القوائم)...مشماشو سوف...أشعل ثلاثة أيام ،في النهار ،مبخرة فيها صمغ العرعر بين أيدي شمش ،وكدس في الليل طحين الحنطة بين(يدي نجوم الليل) ،واتل بين يدي شمش والنجوم ،ثلاثة أيام ،من اجل المريض:أيها الشيء الشرير ،انك من هذا اليوم مفصول عن جسم فلان ابن فلان ،منبوذ...ومطرود.الإله أو الإلهة الذي وضعك(هنا) قد فصلك عن جسم المريض.وفي اليوم الثالث ،عند الغروب ضع معدات القربان بين يدي شمش.ويرفع المريض التمثال بين يدي شمش ،ويكرر ما يلي:رقية:شمش...يا قاضي السماء والأرض...يا من يهب النور إلى الناس ؛إذا غربت ،انقطع النور عن الناس...وإذا طلعت تدفأ البشرية جمعاء ،الأنعام وكل شيء حي في البرية ،تذهب إليك ،فتهبها الحياة.أنت تحكم في قضايا الخاطئين ،رجالا ونساء ؛انك تحكم عليهم بالعدل.إني فلان ابن فلان ،أنوء بهم بشدة ،فقد الّم بي بلاء...لان الارتجاف والدوار والبدن المريض ،والتهاب المفاصل واضطراب العقل ،قد أثقلني ،وجعلني لا انقطع عن الأنين كل يوم...فاحكم في قضيتي ،اصدر حكما من اجلي ،الحكم(في صالحي)...هكذا تجعله يقول.ضع التمثال في وعاء

---

[١]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٨.

وصب عليه اللعنة وقل:أصابتك لعنة السماء ،أصابتك لعنة شمش.ثم اختم فم الوعاء...وادفنه في ارض بور مهجورة"[1].في النص معالم مختلفة فيها نظر ،لكن المبادئ الرئيسة تبدو واضحة.فقد أغري العفريت الذي تدخل في حياة الرجل ،ان يستقر في التمثال الذي صنع من تراب ودم ثور ،واتخذت خطوة سحرية في شكل جلد أسد والجوهرة الحمراء ،ودائرة الطحين لضمان عدم استطاعته الخلاص والهروب فيما بعد[2].وفي طقس أخر نقرأ:"اصنع تمثالا للشيطان من الطين والبسه لباسا حسنا ،وقدم له أنفس الأطعمة وذلك لتغري الروح بترك المريض ،والتقمص في التمثال ،ثم خذ هذا التمثال بهدوء خارج البيت وأتلفه هو والروح المتقمصة فيه" ،وفي أحيان أخرى لا يتم إتلاف الدمية التي تمثل العفريت ،بل حرقها:"اصنع تمثالا من الصوف والعجين والبسه لباس المريض ،وأقرأ عليه الدعاء التالي...عند ذلك ستترك الروح المريض وتسكن الشبيه ،وخذ هذا التمثال بعيدا واحرقه"[3].ويشير طقس إلى إخراج اشيبو لشبح ميت(اطيممو) وذلك بان يذهب الاشيبو إلى البرية في يوم ذي طالع حسن بعد ان يغتسل بالماء الطاهر ،ويكنس المكان بسعفة ،ثم يعمل للمريض شكلا من الطين ويلبسه ملابس ويضع أمامه سبعة أرغفة لأكله ومغزلا وستارا ومسمارا ثم يربطها إلى رأسه ،ويضع مذبحا أمام الإله شمش مع وجبة ومبخرة يحرق بها عشبا طيب الرائحة ،ثم يتلو التعاويذ باسم أيا ومردوك ثلاث مرات ،ويقطع عقدة ثوب مريضه ويأخذ ورغيفا مطبوخا في رماد وكأسين مليئين برغوة البيرة ويربط شكل المريض بغصن صفصاف ويقرأ عليها تعاويذ قصيرة وأخرى طويلة ،ويستنجد بكل آلهة عالم الأموات[4].

أما الطقوس الخاصة بالبديل الحيواني فإنها قد تأخذ طابعا معقدا بشكل أكثر مما نلمسه في طقوس الدمية البديلة ،فهناك نص نموذجي يشرح استخدام البديل الحيواني في الطقوس بشكل مفصل:"لبديل إنسان لايريشكيكال(ربة العالم الأسفل) عند الغروب يجعل المريض جديا يتمدد معه في المنام.وفي نهاية الليل ،تستيقظ عند الفجر.وستتمدد نحو الجانب الأخر(من السرير) وسيأخذ الرجل

---

[1]) ساكز ،الحياة اليومية ،ص٢١٧-٢١٨.
[2]) المصدر نفسه ،ص٢١٨.
[3]) ألبدري ،الطب ،ص٦٣.
[4]) الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٦.

المريض الجدي في حضنه(في حالة الرجل والمرأة)[ان المصطلح المستخدم قد يعني بالتأكيد ان الرجل يمارس الجنس مع المرأة ،وفي حالة الجدي ،فمن المحتمل ان الرجل اتخذ وضعا يشير إلى الممارسة الظاهرية فقط غير الفعالة إلا إنها كافية لخداع القوى الشريرة].ثم تجعل الرجل المريض والجدي يتمددان على الأرض ،وسوف تلمس حنجرة الرجل المريض بخنجر من خشب الطرفاء[فقد كان خشب الطرفاء خشبا سحريا] ،وستقطع حنجرة الجدي بخنجر من النحاس.وسوف تغسل أحشاء المصاب(الجدي) بالماء ،وسوف تدهنه بالزيت وسوف تملأ أحشاءه بالتوابل ،وسوف تكسوه بالألبسة ،وسوف تلبسه حذاءاً ،وسوف تكحل عينيه ،وسوف تسكب زيتا حلوا على رأسه ،وسوف تأخذ عمامة الرجل المريض وتثبتها على رأسه ،وسوف تعامله بلياقة كأنه رجل ميت.وسيقوم الرجل المريض ويخرج من خلال الباب ،وسيتلو الاشيبو ثلاث مرات التعويذة:ذلك الشخص ،قدسه الإله.سيصرخ الاشيبو على فلان ابن فلان الرجل المريض ،سيقول:لقد ذهب إلى اجله.وسيقيم مناحة ،وستقدم قرابين الجنازة ثلاث مرات إلى ايرشكيكال.وستضع أكلة عصيدة الشعير لا تزال حارة ،سوف تثني وتبجل (الميت) ،سوف تسكب قربانا من الماء والجعة والذرة المشوية والحليب والعسل والزبد والزيت.وستعمل قربان جنازة لشبح عائلتك.سوف تعمل قربان جنائزي للجدي.وسوف تتلو أمام ايريشكيكال التعويذة:شيشكال(Šešgal)(وهو اسم مرادف للاشيبو) ،هو أخوه ،وسوف تعامل الجدي بلياقة كما لو كان حيا ،ومن ثم تدفنه"[١].وفي نص أخر نقرأ يحتوي طقوسا أكثر بساطة:"اذبح خنزيرا رضيعا وضعه عند رأس المريض ،واستخرج قلبه وضعه على قلب المريض وبدمه ألطخ جوانب المريض ،وضع كل عضو من أعضاء الخنزير على ما يماثله من أعضاء المريض ،ودع الأرواح تأخذ البدائل وتترك المريض"[٢]. ومن الأمثلة المفصلة عن طقس إزالة روح شريرة عن طريق عدد معقد من الطقوس التي تتضمن مبدأ البديل الحيواني والتي من الصعب فهم مغزاها بشكل كامل كما نقرأ في النص التالي:"من اجل اله جامح

---

[1]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٥ ؛حنون ،عقائد ما بعد الموت ،ص٢١٨-٢١٩ ؛ساكز ،قوة أشور ،ص٣٠٥-٣٠٦ ؛هوك ،ديانة بابل وأشور ،ص٢٥٢.

[2]) ألبدري ،الطب ،ص٦٣.

يجلس على رجل ويمسك فمه(و)لا يتمكن من ان يأكل طعاما أو يشرب ماءً ،يربطون ذكر الماعز(أو جدي) البالغ عند رأس سريره ويقطعون عصا من البستان ويجدلون خيوطا ملونة على العصا ويملاؤون كوبا بالماء ويكسرون غصنا من البستان ويضعون العصا وكوب الماء والغصن ثلاثتهم في مدخل المدينة(ابوللي صادراتي)(أي بوابة الأبد)...ثم يحمل الحمالون ذكر الماعز البالغ والغصن والعصا وكوب الماء إلى ارض متروكة(أو إلى حافة الصحراء) ولا يأخذونها جميعا إلى منطقة ريفية واحدة بل يفصلون العصا وكوب الماء عن بعضهما البعض ويحملون الغصن وذكر الماعز البالغ إلى المنطقة الريفية(التي تقع) على الطريق الرئيس.ويذبحون ذكر الماعز ويأخذون الأظلاف مع الجلد ويقطعون الرأس(ثم) يطبخون اللحم ويملاؤون آنية برونزية بالعسل والدهن ويجلبونها (إلى هناك)(ثم يلبسون الغصن بالجلد ويربطون الأرجل الأمامية بالأوتار(المصارين ؟)) ويحفرون حفرة يسكبون العسل والدهن فيها ،ثم يقطعون الأرجل الأمامية ويضعونها في الحفرة..." ان بقية النص مهشم إلى درجة لا يسمح بإعطاء ترجمة لها غير ان خاتمة النص باقية وتنص على:"سيعيش ذلك الرجل ويذهب الإله الذي عليه(ومن ثم) يفتح فمه ويأكل طعاما ويشرب ماء".هنا نجد مبدأ البدل مكتملا بعض الشيء ،فربما وطبقا لتحليل الأستاذ هوك كان ذكر الماعز أو الجدي يمثل الإله تموز وغصن البستان هو تموز أو عشتار ،وربما الأخيرة ،يدفنان رمزيا في الصحراء ،ويتم تواحد المريض مع تموز على أتم ما يمكن ،والنتيجة النهائية الشفاء من المرض[1].والواقع إن الطقوس السحرية الخاصة بمبدأ البديل الحيواني تشير إلى ثلاثة مفاهيم تترابط فيما بينها بخصوص موت الضحية(أي البديل الحيواني).فهناك أولا الفكرة التي تقول إن الضحية ترمز إلى الإله تموز ،وإذ يتوحد المريض مع الضحية ،ينتقل منه المرض أو الإثم إلى الإله.وهنا يقتسم المريض رمزيا مع الإله تموز آلامه وموته وانبعاثه ،وبذلك ينال الخلاص.وهناك ثانيا فكرة تهدئة الغضب ،إذ يمكن الافتراض إن قوى العالم الأسفل المعادية قد رضيت بالبديل ودلالة على ذلك عبارة نقرأها في الطقوس السحرية تقول بصراحة:"بوخو من اجل ايرشكيكال".وهناك ثالثا نشوء فكرة الإفادة من جسد الضحية أو دمها حيث هي

[1]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٩-٣٥٠ ؛هوك ،ديانة بابل وأشور ،ص٢٥٢-٢٥٣.

وسيلة تطهير[1].ويبدو إن توحد المريض مع الإله تموز نجدها في طقوس أخرى لا تتضمن فكرة البديل الحيواني ،ففي إحدى الأناشيد الطقسية الخاصة بتموز وعشتار يحمل عنوان:"عندما يكون الإنسان عرضة لهجوم عفريت اوتوككو أو عفريت سكول خازا أو كل شر أخر".ثم يصف الطقس اللازم لمثل هذه الحالة.يتألف القسم الأول من الطقس توسلات مرفوعة إلى عشتار وتموز ،والى غيرهما من الوهيات أدنى ،تصحبها قرابين ذات طابع رمزي.وتبدأ التعويذة بالقول:"في شهر تموز ،تُبكي عشتار أهل البلاد على زوجها تموز ،وعندما تجتمع اسر البشرية بعضها إلى بعض ،تظهر عشتار وتنظر إلى حالة البشر ،فتشفي من المرض وتسبب المرض".ويستمر الطقس بالقول:"في الثامن والعشرين من الشهر ،في يوم حظائر الغنم ،عليك أن تقدم إلى عشتار فرجا من لازورد ونجما ذهبيا ،ثم تنطق باسم المريض وتقول:اشفِ المريض".وفي التاسع والعشرين ،يعد لتموز فراش ،وهو فراش جنائزي ،وتقرب له مختلف قرابين الطعام والشراب ،ثم ترفع إلى تموز وعشتار توسلات أخرى تناشدهما أن يطردا الأرواح الشريرة التي فتكت بالمريض ،وان يذهب بها تموز إلى العالم الأسفل.ثم يلي ذلك وصف الأفعال الطقسية الضرورية.على المريض أن يقف عند أسفل فراش تموز الجنائزي متنقبا بنقاب يحجب وجهه ،مما يعني انه قد مات ،ثم يعمد الكاهن إلى قصبة في يده ويضربه سبع مرات.ثم تضيف التعليمات:"حالما مسسته يكون قد تغير".وتظهر طبيعة التغيير في الكلمات التي تليها مباشرة:"وعليك أن تقول له:لتكن حبيبتك عشتار في عونك" ،أي يكون المريض قد استبدل شخصية الإله بشخصه.ثم يبتعد المريض عن الفراش ،ويرتدي ثوبا من خيش ويجرح نفسه ،ويجثو عند قدمي عشتار ،ويناشدها قائلا:"أي عشتار أنقذي رعيتك(أو ربما رجلك أي زوجك)".ثم يعمد الكاهن إلى مقص يقص به غرة المريض ويفك حزامه ويلقي بهما إلى الشاطئ الذي يرمز للعالم الأسفل ،مع اثني عشر رغيفا وقدرا من الطعام الفاخر.إن هذا يكمل فعل تبادل الأشخاص ،إن صح التعبير.ثم يصوم المريض عن تناول بعض الأطعمة ،ويرتدي ثياب الخيش ثلاثة أيام ،وهي المدة التي يقضيها تموز في العالم الأسفل ،بذلك يتم أداء الطقس الذي يحدث تأثيره بفعل تبادل الأشخاص ،إذ

---

[1]) هوك ،ديانة بابل وأشور ،ص٢٥٣.

ينتقـل المـرض إلـى الإلـه ،فيموت المـريض موتـا رمزيـا مـع الإلـه ثـم ينبعـث معه ،ويتخلص بذلك من سيطرة الروح الشريرة[١].

كانـت طقـوس التطهـر مهمـة فـي العـلاج وتـتم عـادة عـن طريـق اسـتخدام الماء ،فقد كان رش الماء على المريض ،من الطقوس الدينية القديمة التي يمارسها الاشيبو في العلاج وقد بدأت في اريدو ،وكانت تهدف للتقرب من الإله ايا اله المياه والأعمـاق مـن اجـل معونتـه فـي إزالـة الأرواح مـن الجسـم بهـذا الماء.وكـان الـرش يصاحب عادة بتلاوة مختلف التعاويذ والأدعية وممارسة الطقوس:"لقد أتموا إجراء العديد من طقوس نامبوربي وطقوس بيت الاغتسال وطقوس رش الماء فضلا عن طقوس التاشيب والتفجع ،هذه كلها مسطرة في متن طقوس الرقيم"[٢].ونقرأ عن طقس يدعى طقس أيا وفيه يأخذ الطبيب الساحر ماءً من دجلة والفرات ويرشه على جسـم المـريض مصحوبا بقـراءة تعـابير خاصـة[٣].وفـي نـص نقـرأ عـن طقـس لشـفاء مـريض يقتصـر علـى تنفيـذ طقـوس للتطهر ،ففـي قصـيدة أيـوب البـابلي يشـاهد هـذا المعذب في الحلم كاهنا يقوم بممارسة طقس من اجل شفائه من مرضه ،ويبدو من سياق الحلم ان هذا طقس كان يمارس في بلاد بابل قديما:

"(ظهر أمامي) كاهن-مطهر
وهو يمسك (في) يده الأثل المطهر
وقال لي:طاب اوتول اينليل مطهر نيببور
أرسلني إلى هنا كي أطهرك
(سكب) علي الماء الذي كان يحمله
وأطلق تعويذة الحياة ودلك بجسمي"[٤].

وتشـير المصـادر المسـمارية إلـى طقـوس متنوعـة أخـرى نفـذت مـن اجـل العلاج ،ففـي طقـس نقـرأ فيـه أيضـا عـن طـرد شـيطان تيئـو مـن جسـد المريض ،يبدأ الكـاهن بالتضـرع لهـذا الكـائن فـوق الطبيعـي الـذي هـو أسـاس المـرض ثـم يبـدأ العلاج.فيقول للمريض:"عند غروب الشمس غط رأسك برداء ،وغط بطيخة وأحطها

[١]) المصدر نفسه ،ص٢٥١-٢٥٢.
[2]) ألبدري ،الطب ،ص٦٣.
[٣]) الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٦٨.
[٤]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٤٠٤-٤٠٥.

بالطحين ،وعند طلوع الشمس أخرجها وخذ بذرها وخذ شعر جسم غير وسخ وضعه على رأس المريض ،ضعه على رقبة المريض وذلك حتى يزول عنه وجع الرأس الذي في الجسم ،لتحمله الرياح كما تحمل قشة العشب وليطرد من السماء والأرض معا"[١].

وفي طقس أخر وصلنا من رسالة كتبها اشيبو إلى احد الملوك الأشوريين فيها يقوم الاشيبو بطقوس متنوعة لطرد احد العفاريت من جسد المريض:"حول الطقوس الخاصة بالتعويذة المعنونة:حقا انك شرير التي أرسل إلي الملك سيدي رسالة بخصوصها ،أنها تتم لطرد عفريت الألو الشرير ،ومرض السقوط (ربما الجذام) ،عندما يلمسه ش (الشخص المصاب) ،سيقوم الاشيبو ويعلق فأرا وغصن شوك الجمل على اسكفة الباب ،سيرتدي الاشيبو ألبسة حمراء ،ويضع قناعا احمر.سيمسك بغراب في يده اليمنى ،وصقر بيده اليسرى...سيرتل التعويذة:حقا انك شرير ،وعندما ينتهي فانه اشيبو ثان يقومان بدورة حول سرير الرجل المريض ،بمبخرة ومشعل إلى جانبهما وسوف يرتل التعويذة عفريت خولتوبو (ḫultuppu) اخرج! حتى الباب.وعليه ان يضع رقية على الباب ،وحتى يطرد الشر عليه ان يعمل ذلك صباحا ومساءً"[٢].

وفي طقس ينفذه الطبيب الساحر باستخدام النار لالتهام المرض:"قد وضعت لعنة شريرة ،على هذا الرجل كعفريت الكالو".ثم تذكر الأعراض:

"لقد وقع عليه صمت مدوخ

صمت ضار ،لعنة شريرة ،سحر صداع

لقد ذهب عنه إلهه

ووقفت جانبا إلهته التي ترعاه

لقد غطاه كالهواء صمت مدوخ".

ثم يلاحظ الإله مردوك الرجل فيذهب إلى أبيه أيا وأوجز له الموقف ،الذي يعطيه تعليمات العلاج:

"اذهب يا بني مردوك

---

١) بوييه ،المسؤولية الجزائية ،ص٢٠١.

٢) ساكز ،قوة أشور ،ص٣٠٧-٣٠٨.

خذه إلى بيت الاغتسال الطاهر
فك سحره ،فك سحره
حتى الشر الفعال في جسمه
سواء أ كان لعنة أبيه أو لعنة أمه أو لعنة أخيه الأكبر
أو لعنة قتل رجل لا يعرفه
بسحر الإله أيا
دع اللعنة تنتشر كهذه البصلة
دعها تنفصم كهذه التمرة
دعها تُفل كهذه الفتيلة".

ثم يتبع ذلك تعاويذ مستقلة لكل مادة مذكورة(كالبصل ،والتمر ،والفتيلة) ،وكذلك لبعض المواد التي لم تذكر سابقا(كلفات الصوف ،وشعر الماعز) ،ويبدو ان الكاهن كان يقوم بإجراءات رمزية للتخلص من اللعنة الشريرة:

"تعويذة كهذه البصلة التي يقشرها ويرميها في النار
فتلتهما النيران تماما...ولن تمسك
جذورها في التربة ،ولن تتفتح براعمها
حتى لا تستعمل لطعام اله أو ملك ،لعل القسم واللعنة
... والمرض والتعب والذنب والخطيئة
والشر والإثم والمرض الذي في جسمي
أو في لحمي أو أطرافي ينتشر كهذه البصلة لتلتهما النار
اليوم لتبتعد اللعنة بعيدا حتى أرى النور"[١].

وهناك طقس يظهر ان الطبيب الساحر نفذه من اجل تخليص المريض من عدة عفاريت:"في إطار الباب علقت (فأرة) ،وفي مزلاجه باقة الكبر المنعزل.بسوط ضربت جسمك كما يعامل حمار هارب.اوتوكو الشرير انقلع ،الو الشرير ،اذهب.اذهب يا الو الشرير ،من جسم هذا الإنسان ،ابن إلهه ،لا تصر على البقاء في مقدس أيا هذا ،ولا تحاول العودة إليه.لا تصر البقاء في زوايا البيت ،ولا تحاول العودة إليه.لا تقل أريد ان أبقى في هذا البيت!لا تقل إني أريد البقاء في

[١])ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٤-٣٤٥.

الزوايا!لا تقل أريد البقاء في ضواحي هذا البيت!اوتوككو الشرير اخرج إلى بعيد ،الو الشرير ،اذهب إلى المواضع المقفرة:مسكنك هو الموضع البعيد ،ومقامك البيت المتهدم المهجور ،ابتعد من أمامي"[١] . وهناك طقس يتناول علاج عين مصابة بالعمى ولكنه لا يتضمن ان محاربة لقوى الشر ،أو إجراءات طقسية معقدة بل لا يتضمن حتى ذكر لوجود الطبيب الساحر ،بل يكتف المريض بمخاطبة المرض مباشرة داعيا إياه بالمغادرة:"(إذا انبهرت عين الرجل من شدة الضياء)[أي أصيب بالعمى من شدة الضياء] ،(فدعه) يذهب إلى بيت الظلام[أي مكان مظلم] ويسد عليه الباب ويقول اذهب أيها الانبهار"[٢] .

في **مصر القديمة** كان السحر هو جزء من علاج أي مريض.ففي الوقت الذي يصف الطبيب فيه الدواء إلى المريض فان واجب الساحر ان يعجل باكتشاف السبب الحقيقي للعلة ويعمل على إيقافها[٣].ونعرف انه كان هناك طبقة من الأفراد تمارس العلاج من خلال التعاويذ والرقى والتمائم ،وغيرها من أشكال السحر ،وقد وصلتنا عنهم الكثير في البرديات الطبية.هذا وان كثير من الكهنة كانوا يشتغلون أيضا في الطب ،وفي عهد الفرعون اخناتون(١٣٦٧-١٣٥٠ قبل الميلاد) ،كان كبير الأطباء هو نفسه كبير الكهنة ،وكان هؤلاء الكهنة-الأطباء ينتمون إلى الربة سخمت.ويعرف الطبيب الساحر في النصوص المصرية باسم ساو وهو اسم يميزهم في مصر القديمة عن الأطباء الباطنيين سنو(ربما معناها الشافي) ،والجراحين ،كهنة سخمت[٤].وقد اعتقد المصريون القدماء ان القوة التي يمتلكها الكاهن المتمرس بفنون السحر هي قوة غير محدودة.فالساحر يؤدي أعمال السحر عن طريق تلاوة أسماء أو كلمات ذات طاقة كبيرة ،بأسلوب ونبرة معينة ،وبتعبير أدق عن طريق التفوه بأسماء القوة(أسماء القوى فوق الطبيعية) ،ويعتقد انه عبر الإلقاء السليم لهذه الكلمات يستطيع شفاء الأمراض وطرد الأرواح الشريرة[٥] .

---

[١]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص١٥٨.

[2]) ألبدري ،الطب ،ص٩٨.

[٣]) الأحمد ،الأصول الأولى ،ص٢٨.

[٤]) كمال ،الطب المصري ،ص٧٧ ، ٤٤٢ ، ٣٧٨ ؛أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٦١.

[٥]) السواح ،الأسطورة والمعنى ،ص ١٣١ ؛رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٨٣.

لقد زودتنا النصوص من مصر القديمة بتفاصيل جيدة عن الطقوس السحرية المنفذة في العلاج ،فهناك أسطورة ثمينة تلفت الانتباه وتتصل بالقدرات السحرية لاسم الإله ،ففي هذه الأسطورة التي تم استعراض جزء منها فيما مضى ،نقرأ كيف ان ثعبانا يلسع بتدبير من ايزيس الإله الأكبر رع ،ولكي يتم شفائه كان عليه ان يبوح باسمه السري إليها ،وهذا النص يعطينا دليل على أهمية اسم الإله في الطقوس السحرية:"قالت ايزيس:اكشف لي عن اسمك يا والدي المقدس لان الشخص يحيا بذلك الذي يتلو احد باسمه(سحرا).(قال رع):أنني أنا الذي صنعت السماء والأرض ،وعقدت الجبال معا ،وخلقت ما عليها.أنني أنا الذي صنعت المياه لتتمكن البقرة المقدسة من المجيء إلى الوجود ،أنني أنا الذي صنعت الثور للبقرة حتى تتمكن الرغبات الجنسية ان تأتي إلى الوجود.أنني أنا الذي صنعت الأسرار الغامضة للأفقين ،حتى تتمكن روح الآلهة من الاستقرار فيها.أنني أنا الذي فتحت عينيه حتى يتمكن النور من المجيء إلى الوجود ،والذي أغلق عينيه حتى تتمكن الظلمة من المجيء إلى الوجود.طبقا لأمري يفيض النيل(لكن)لم تعلم الآلهة اسمه.أنني أنا الذي صنعت الساعات حتى تتمكن الأيام من المجيء إلى الوجود.أنني أنا الذي فتحت السنة وخلقت النهر.أنني أنا الذي صنعت النار المتأججة لأحضر إلى الوجود عمل القصر.أنني خبري في الصباح ورع في الظهر ،واتوم في المساء.(لكن)لم يوقف (ذلك) السم سيره ،ولم يشف الإله العظيم.عندئذ قالت ايزيس لرع:اسمك لم يكن حقا بين هؤلاء الذين ذكرتهم لي.إذا كشفت لي عنه سوف يخرج السم ،لان الشخص الذي يذكر اسمه يحيا.احدث السم احتراقا ،انه اشد قوة من اللهب والنار.عندئذ قال جلالة رع:لا بأس ان تنصتي إلي ابنتي ايزيس لكي يتمكن اسمي من المجيء من جسمي إلى جسمك".وهكذا لم يتمكن رع من إخفاء اسمه لان الشفاء السحري الذي تريد ايزيس تنفيذه ،وهي هنا تستخدم الرقية ،لن يتم إلا بذكر اسمه السري(١).والواقع إن النص عبارة عن وصفة

[1]) *Wilson, "The god and his Unknown Name of Power,P.13-14.*

بدج ،السحر في مصر القديمة ،ص١٢٩-١٣٠ ؛السواح ،لغز عشتار ،ص٢٦١-٢٦٢ ؛هوك ،منعطف المخيلة البشرية ،ص٨٤-٨٥.

سحرية ضد عضات الثعابين ،وقد اعتقد بان الحروف المكتوبة التي تمثل كلمات ايزيس سوف تنقذ أي شخص يعضه ثعبان ،كما أنقذت حياة رع [١].

ونقرأ في نص أسطوري تعارف عليها علماء المصريات باسم أسطورة الأميرة المسحورة ،كيف ان استخدام تمثال الإله مهم للغاية في طقوس طرد الأرواح الشريرة المسببة للمرض.ويبدو إن السبب يكمن في ذلك إن تمثال اله في معبد يحتوي روح ذلك الإله الذي يمثله [٢].تتحدث هذه الأسطورة عن أميرة دعيت باسم بينت ريش ،وهي أخت زوجة الفرعون رمسيس الثاني ،وقد أصيبت هذه الأميرة بمرض بسبب روح شريرة فاستنجد أبوها بالفرعون المصري ،الذي أرسل كاتبا يدعى تحوت-أم-حب لكي يطلع على حالتها:"وصل الحكيم إلى (مدينة) بختان(مدينة أسطورية لم يحدد موقعها بالضبط) ،فوجد بينت ريش في حالة تملكها روح من الجن ،حقا وجد عدوا تجب محاربته".وسرعان ما أرسل أمير بختان إلى رمسيس الثاني رسالة يطلب فيها بان يرسل إلها من اجل محاربة هذه الروح الشريرة.فاستجاب الفرعون المصري للطلب واتجه إلى الإله خونسو:"ثم كرر جلالته(الطلب) في حضرة خونسو في طيبة نفر حوتب[أي خونسو في طيبة تام السلام] قائلا:يا سيدي الطيب ،إني أتكلم أمامك عن موضوع ابنة أمير بختان".لذا يأمر هذا الإله إلها أخر يدعى:"خونسو منجز الأفكار الإله العظيم ،الذي يخرج عفاريت المرض"وهذا الإله هو شكلا ثانويا للرب خونسو وهو الذي يباشر أعمال خونسو كما نقرأ في نص:"خونسو الذي عمل التخطيط" ،لتنفيذ وظائف معينة ،إحدى هذه الوظائف تعويذة المرض المسماة:"العامل على إقصاء التائهين أو المعتدين الأجانب أو شياطين المرض" ،ثم يقوم الإله خونسو في طيبة نفر حوتب بصنع:"حماية سحرية من اجل خونسو منجز الأفكار أربع مرات" ،وان هذا الرقم الأخير يعد تعبير تقليدي ومألوف يشير إلى عدد تلاوات الرقية الموصوفة لتنفيذ السحر ،وان هذه الحماية السحرية كانت قوة روحية ممنوحة أكثر منها كعنصر مرئي مثل التميمة.وعندما وصل الإله إلى بختان ذهب إلى حيث بينت ريش ثم:"قام برقية سحرية من اجل ابنة أمير بختان ،لتصبح معافاة بسرعة".تشير

---

[١]) بدج ،السحر في مصر القديمة ،ص١٣١.

[٢]) المصدر نفسه ،ص٧٧.

الأسطورة إلى ان هذه الروح قد تحدثت إلى الإله خونسو منجز الأفكار معلنة خضوعها وتخبره بأنها ستغادر جسد المريضة بشرط واحد هو ان تقدم إليها تقدمة عظيمة أثناء احتفال ديني ،بمعنى ان الروح الشريرة المسببة للمرض قد ساومت على الاعتراف الرسمي بها خلال احتفال ديني قبل ان تترك الأميرة:"ثم قالت هذه الروح(الشريرة) التي كانت معها ،أمام خونسو منجز الأفكار:مرحبا أيها الإله العظيم الذي يطرد شياطين المرض ،بختان هي بلدك ،وشعبها هم عبيدك ،وأنا عبدك! سأذهب إلى المكان الذي أتيت منه ،لأضع قلبك في راحة حول ذلك الذي أتيت من اجله.لكن لعل جلالته يأمر بالاحتفال بعيد معي ومع أمير بختان ،ثم أومأ هذا الإله إلى رسوله قائلا:دع أمير بختان يعمل تقدمة عظيمة في حضرة هذه الروح.وألان بينما هذه الأشياء التي قام بعملها خونسو منجز الأفكار مع الروح قد (حدثت) ،كان أمير بختان في انتظاره مع جيشه ،وكان في ذعر شديد ،ثم قام بتقدمة كبيرة في حضرة خونسو منجز الأفكار وهذه الروح ، ويعلن أمير بختان الاحتفال بعيد ديني نيابة عنهم ،ثم ذهبت الروح في هدوء إلى المكان الذي تحب بأوامر من خونسو منجز الأفكار"[(١)].بلا شك كانت التماثيل الإلهية تستخدم من اجل إخافة الروح الشريرة ،ومن هذا المنطلق يمكن ان نفهم لماذا عندما أصيب الفرعون المصري أمنحوتب الثالث(١٤٠٥-١٣٦٧ قبل الميلاد) بتقيح مؤلم في أسنانه بعث إليه توشراتا ملك ميتاني تمثال الإلهة عشتار لتشفيه من مرضه[(٢)].

---

[1]) *John A. Wilson, "The Legend Of The Possessed Princess", In: ANET,(Princeton,1966),PP29-30.*

[٢]) فاضل عبد الواحد علي ،**عشتار ومأساة تموز** ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٦) ،ص٧٦ ؛فاضل عبد الواحد علي ،**من ألواح سومر إلى التوراة** ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٩) ،ص١٩٩.



(رعمسيس الثاني)



(الاله خونسو)

وتتحدث بردية عن طقوس نفذت من قبل طبيب ساحر من اجل طرد روح شريرة من جسد المريض.إذ نقرأ في النص كيف استدعت سيدة تدعى خاييت وهي إحدى الأميرات المصريات طبيبا ساحرا لعلاج زوجها ،فلم تجد احذق وامهر من طبيب ساحر يدعى نبامون في علاج أمراض الرأس.فحضر نبامون قبيل المساء ومعه تابعان يحمل احدهما كتابا اسود ،ويحمل الأخر سلة مليئة بالعقاقير اللازمة للرقى مع كمية من الطين لعمل التماثيل الصغيرة ،وبعض النباتات الجافة والرطبة وبعض الأقمشة ومداد احمر ،وأخر اسود.وما ان حضر الطبيب ونظر إلى المريض نظرة واحدة وتعرف على المرض ،حتى قال ان روحا خبيثة تقمصت سارو زوج

خاييت ،وهذه الروح تزور المريض ليلا.ففكر قليلا وتناول بعض الطين ومزجه ببعض الحشائش ،وصنع كرة وتلا عليها رقية من أقوى الرقى المدونة في كتابه.ولما كانت أنجع الطرق لطرد الأرواح الخبيثة هي وضع جسم المريض تحت حماية الآلهة ،لذلك قال نبامون ان لعمله اثر كأثره في المعبودات ،ثم زاد قوله تأكيدا بان وضع كل عضو من أعضاء سارو تحت حماية الآلهة قائلا ان اثر السحر في عين المريض اليمنى ناجح كأثر السحر في عين المعبود (تمو/اتوم) اليمنى.تلك العين التي تخترق الظلام أشعتها.وان اثر السحر في عين المريض اليسرى هو الأثر نفسه في عين حورس اليسرى تلك العين التي تبيد كل شيء.فلما لم يحصل على الشفاء المطلوب قال نبامون للروح الخبيثة:ان كل عضو من أعضاء سارو اله بذاته ،فذراعه هي ايزيس وان رجله هي نفتيس ،ورقبته اله ،وأسنانه سيف قاطع ،ولحمه اوزيريس ويديه روحان من أرواح الآلهة ،وأصابعه ثعابين زرقاء وثدييه ولدا المعبود سلك وفخذيه ريشتا المعبود أمون وظهره ظهر المعبود سيبو ومعدته معدة المعبود نو ،وهكذا.وانتهى بان جعل كل عضو من أعضاء المريض إلها من أقوى الآلهة ،وقال انه يعالج بكل العلوم المعروفة في مدينة عين شمس.ولما لم يفلح هذا قال ان سارو هو عين المعبود رع في جسم إنسان ،كل ذلك قصد فيه إزعاج الروح الشريرة وطردها من جسد المريض.وقد تلا نبامون هذه الرقية أربع مرات ،وفي كل مرة مرر كرة تحت رأس سارو وقال إذا ما اقبل الليل فسوف تعجز الأرواح الشريرة على إلحاق الضرر بجسم المريض ،لان الروح الشريرة ستفقد قوتها ما دامت الكرة باقية في محلها.وقد انصرف نبامون من بيت المريض ،واقبل الصباح بعد ليلة قاسى فيها المريض أحلاما مزعجة انتهت برعاف(نزف انفي) غزير وإسهال.فلما علم الطبيب بذلك غضب ،وقال:ان الروح الشريرة شديدة المقاومة للسحر.ومع ان هذه الروح تركت رأس المريض وتمسكت بأمعائه فلابد من تلاوة رقى أخرى ،فاستخرج تمثالا صغيرا من سلته وتلا عليه رقية أخرى جاء فيها:"تعالوا حالا أيتها الآلهة ،فان الإله رع متألم ،وإذا أهملتموه مات لا محالة" ،وهو يقصد بذلك بان يجعل الآلهة تعتقد بحقيقة قوله فتحضر الكتب السحرية لإنقاذ المريض ظنا منهم بأنه الإله رع ،وبهذه الطريقة يتسرب المرض من المريض إلى التمثال الصغير.ولكن هذه

المحاولة قد فشلت أيضا[١] .وتتحدث نصوص أخرى عن طرق علاج سحرية تنفذ من اجل العلاج ،ففي بردية برلين نقرأ عن علاج سحري من اجل امرأة عاقر:"إنها خاصة بالمرأة العاقر ،ويكون علاجها على النحو التالي:بخر فرجها بالدوم ،ولا تجعلها تأخذ احليلها(احليل زوجها) ،ثم أعطها علاجا ليفكه(أي العقم)".أما مكونات العلاج فكانت:"مروخ-كركم-جعة عذبة...يطبخ ويؤكل في أربعة أيام"[٢] .وهناك طقس أخر نقرأ عنه يساعد المرأة العاقر على الحمل ويتضمن جلوس المرأة الراغبة في الحمل في وضع قرفصاء فوق بخار مزيج من الزيت ،والبخور ،والتمر ،والجعة ،فإذا تقيأت من الروائح الناجمة عن هذا الخليط فتعد قادرة على الحمل ؛أما إذا لم تتقيأ ،فيعتقد إن رائحة المزيج حبست داخل جسد المرأة بما يمنعها من الحمل[٣] .ومن الطرق السحرية في العلاج نقرأ عن نقل المرض أو الصحة من عضو المريض إلى عضو حيوان وبالعكس.وهو أمر شاهدناه وان كانت هناك فروق بسيطة في وادي الرافدين وسنلقاه فيما بعد في أسيا الصغرى وفلسطين ،وسنقرأ عنه لاحقا عند القبائل البدائية.ومن أمثلة نقل المرض ،ان توضع عين خنزير في أذن المكفوف لإعادة البصر إليه مع تلاوة هذه التعويذة:"ذهبت للبحث عن(هذا) الذي ينبغي وضعه محل(ذاك) لاستبدال الم فادح" ،ومن المفترض ان هذا الأجراء يستبدل عين الخنزير وهي سليمة ،بعين الكفيف.ومن الأمثلة الأخرى:"دلك نصف الرأس المتألم برأس سمك مقلي في الزيت.لنقل الألم من رأس المريض إلى رأس السمك"[٤] .ونعرف إن المصريون القدماء مارسوا طقوسا سحرية تساعد الأم على الولادة ،إذ تقوم بمساعدة المرأة الحامل قابلتان تمثلان الإرشاد الحارس الذي تقدمه الربتين اوست/ايزيس وشقيقتها نبت-حت(نفتيس) ،وهما تؤديان معا طقس السلامة والشفاء أثناء ولادة الطفل ،وفي هذه الأثناء تقرع صفاقات مصنوعة من العاج ،تنحت غالبا على شكل كفوف ،لطرد الأرواح الشريرة.وترسم دائرة حامية ذات رموز سحرية حول الأم ،وفيما بعد حول الابن خلال نومه[٥] .

---

[١]) كمال ،الطب المصري ،ص٤٧-٤٨ ؛أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٦٣-٦٤.

[٢]) أبو رحمة ،السحر عند الفراعنة ،ص٦٧.

[٣]) رويز ،روح مصر القديمة ،ص٣٦.

[٤]) غليونجي ،الطب ،ص٤٩.

[٥]) رويز ،روح مصر القديمة ،ص٣٨.

في **أسيا الصغرى** نقرأ عن الطب السحري ،وعن كونه شائعا إلى جانب الطب العلمي ،وتشير رسالة إلى هذه الحقيقة ،وهي مرسلة من الملك الحيثي خاتوشيلي الثالث(١٢٦٧-١٢٣٧ قبل الميلاد) إلى الفرعون المصري رعمسيس الثاني يطلب فيها طبيب مصري يساعد أخته ماششانوززي(Maššananuzzi)[تلفظ في المصري(Matanazi) زوجة ملك منطقة نهر شيخا] في إنجاب أطفال علما ان عمرها قد تجاوز الخمسين ،وكان جواب رعمسيس هو:"هكذا إلى أخي(بخصوص) ما كتبه أخي لي حول أخته ماتانازي:بإمكان أخي ان يرسل لي رجلا يعرف تحضير الأدوية لها لكي تنجب الأطفال ،هذا ما كتبه أخي.لذا (أقول) إلى أخي انظر:ماتانازي أخت أخي والتي الملك يعرف عمرها (٥٠) عاما ،أو إنها بعمر(٦٠) عاما...ولا احد يستطيع عمل الأدوية لتمكنها من الإنجاب ،حسنا اله الشمس واله العاصفة قد يعطون أمرهم ،وهي أوامر منفذة وتجب...وأنا الملك أخوك سأرسل كاهن خبير في التعزيم وطبيب خبير لمساعدتها لإنجاب الأطفال..."[١].وتشير الأدلة عن وجود طقوس متنوعة مورست من قبل الحيثيين في الشفاء ،ففي طقس سحري يمارس من اجل محاربة العجز الجنسي والجبن في ان واحد ،وهذا ما يجب ان نفهمه من طقس يرمي إلى طرد الإله اينناراس في شكله المخنث ،لكي يحل محله اينناراس في شكل اله الرجولة.ويجري في الطقس تقديم الأضاحي وممارسة الطقوس طيلة أربعة أيام متوالية.ويجب ان يكون هناك قماش من الصوف المتنوع الألوان وخيوط من المادة نفسها وشعير واوانٍ صغيرة وكبيرة وخبز وماعز وكلب ودودة وعصافير مطبوخة.وتربط أيدي المريض ورجلاه وعنقه ،ويوضع رباط على فراشه ،ويثبت قوسا على الطاولة ،ويثبت أخر على ضفيرة طيلة الليل.وفي النهار يفك الرباط ويتوسل المريض إلى الآلهة ويخرج من المدينة ثم يعود إليها ،وخلال خروجه ودخوله يقدم الأضاحي ،ويستغرق ذلك أربعة أيام[٢].في نص أخر يتحدث عن ممارسة طقس سحري من اجل إعادة الوظائف الجنسية لرجل أو امرأة بعد ان تكون قد تعطلت:"يسد المريض أو المريضة أذنيه(أو أذنيها) بالصوف الأسود.ويرتدي ملابس سوداء...(ثم بعد تأدية طقوس مختلفة)،تمزق المرأة

[١]) ألصالحي ،المملكة الحيثية ،ص٤٠٣.

[٢]) بوييه ،المسؤولية الجزائية في الآداب الأشورية والبابلية ،ص٦٠-٦١.

العجوز(التي تنفذ الطقس) من أعلى إلى أسفل القميص الأسود الذي قد ارتداه أو ارتدته ،وتخلع من ساقيه أو ساقيها الطماق(؟) الأسود وتخرج من أذنيه (أو أذنيها) حشو الصوف ،وتقول:أنا ألان اخرج منه(أو منها) الظلام ،والجمود التي سببها الرجس ،والذي بسبب الرجس أضحى مظلم جامد.إنني اخرج الإثم ،ثم ترفع الملابس السوداء التي يرتديها أو ترتديها وتضعها في مكان واحد".وبعد ذلك تلقي القميص الأسود والطماق أو أي شيء أخر لامس المريض في النهر.وفي نصوص أخرى تدفن الأمتعة تحت حجر ،ثم بعد ذلك:"أضع مرآة ومغزلا في يد المريض ثم يمر تحت بوابة ،وعندما يخرج من تحت البوابة ،اخذ منه المرآة والمغزل وأعطيه قوسا ،وأقول له:لقد أخذت منك الأنوثة ،وأعطيك الرجولة ،ولقد طرحت عن نفسك طبيعة المرأة ،وتجليت بطبيعة الرجل".وفي حالة المرأة مريضة فان المرأة العجوز تقبض بقرني بقرة مخصبة وتقول:"يا اله الشمس ،سيدي ،كما ان هذه البقرة مخصبة ،اجعل هذه المريضة مخصبة وهي في حظيرة خصيبة وتملأ الحظيرة بالعجول والبقر ،اجعل هذه المريضة مخصبة ،اجعلها تملا بيتها بالبنين والبنات ،والأحفاد وأحفاد الأحفاد يتناسلون في أجيال متعاقبة".ثم ترفع تماثيل من الشمع وشحم الشاة فوقه أو فوقها وتقول:"أيما أشخاص قد جعلوا هذا الشخص نجسا فانا احمل ألان هيكلين سحريين" ،ثم تحطمهما وتقول:"أيما أشخاص أشرار جعلوه(أو جعلوها) نجسا فليتحطموا بنفس الطريقة".وهناك مثل أخر من طقس الضحية الفادية مأخوذ من طقس ضد الطاعون في المعسكر:"يحضرون حمارا يسوقونه باتجاه بلد العدو ويتكلمون بالاتي:أنت يا ربي قد أوقعت بهذا البلد ومعسكره شرا ،ولكن اجعل هذا الحمار يرفعه وينقله إلى بلد العدو"[1].ويتحدث نص طويل ومسهب إلى طقس نفذ من اجل ان يتم شفاء الملك مورسيلس الثاني ،ويبدأ الطقس بمحاولة معرفة الإله المسئول عن مرض الملك:"أنا استفسرت بواسطة الوحي ،اله العاصفة لمدينة مانوززيا(Manuzziya) فقد كان يعرف الإله المسئول" ،ويبد وان الطقس يرتكز على فكرة البديل الحيواني ،إذ كان على الملك ان يرسل إلى الإله الغاضب ثور بديل يتم إحراقه في النار ،مع طيور وحملان ،ويجب إرسال الثور إلى معبد في ارض كوممانني(Kummanni) ،وقد تم

[1]) كرني ،الحيثيون ،ص ٢٢٠-٢٢١.

تزيين الثور البديل ،:"وشمسي وضع يده عليه" ،وقد استغرق الطقس عدة أيام ،ففي اليوم الأول الذي يتم فيه تزيين الثور البديل على الملك ان يستحم ،بعد ان قضى ليلته السابقة وحده:"ولم ير (أي) امرأة" ،وفي الصباح يستحم الملك ويضع يده على الثور البديل ،ولمدة سبعة أيام يستمر الملك بالاغتسال ألطقوسي في وقت كان أتباعه يأخذون الثور البديل إلى مدينة كوممانني ، وفي اليوم الثامن يقوم بإحراق أنواع مختلفة من الطيور ،الحملان ،مع الثور البديل ،يعقب ذلك تقديم القرابين للآلهة ،ومن ثم اخذ كافة الملابس التي كان يرتديها الملك أثناء الطقس ،كذلك كافة الأشياء التي استعملها ،والملابس والأدوات التي استخدمها الملك في اليوم الذي أصيب به بالمرض ،وبلا شك يتم التخلص منها:"[اليوم الذي] وضعت فيه[يدي] على الثور البديل ،في ذلك [اليوم هم أرسلوه] ،وكذلك ملابس المراسيم[التي أنا لبستها] في ذلك اليوم ،هم فيما بعد جمعوها معا مع الأثواب الرسمية ،والحزام ،والخنجر ،والأحذية مع[...]وجمعوها وحملوها مع عدة الفرس ،والقوس ،وجعبة السهام ،والخيول ،أخذوها بعيدا ،والمنضدة التي أنا كنت استعملها للأكل ،والكوب الذي كنت استعمله للشرب ،والفراش الذي كنت استخدمه للنوم ،والطشت الذي كنت استخدمه للغسل ،كل أداة كانت تجمع ،كل ما استخدمته شخصيا كما قرر من قبل الإله في هذه القضية ،وهو اخذ العباءات الرسمية ،والعربة ،والخيول ،في ذلك اليوم الذي جلب اله العاصفة الرعد الرهيب والعاصفة الشديدة ،فالعباءات الرسمية التي لبستها في ذلك اليوم الرهيب والعربة التي وقفت فيها في ذلك اليوم ،وهم اخذوا هذه الملابس الرسمية وتلك العربة أيضا".ويبدو ان الطقس ينتهي بتجهيز ثور بديل ثان ويتم إحراقه أيضا[١].يشير الطقس الموصوف أنفا إلى جملة من الحقائق لابد من توضيحها ،ولعل من ابرز ما يمكن ان يقال ان الطقس يرتكز على مبدأ البديل الحيواني هو أمر يشابه لما وجدناه في وادي الرافدين مع فارق مهم فالبديل الحيواني في وادي الرافدين ،يهدف في الدرجة الأساس إلى خداع الشيطان الذي تلبس بجسد المريض ،وان ذبحه يرمز إلى إقناع الأخير ان الضحية وهو الشخص المصاب قد مات ،كذلك لكي يتم توفير بديل يمكن للروح الشريرة ان تنتقل للعيش فيه ،في نفس الوقت يمثل البديل الحيواني

[١]) ألصالحي ،المملكة الحيثية ،ص٦٤٥-٦٤٧.

قربانا يقدم إلى الآلهة لكي تغفر ذنوب الشخص المريض.أما في أسيا الصغرى فيبدو ان الهدف من الحيوان البديل وهو هنا ثور وليس جدي ،هو نقل المرض إليه مباشرة ،وتكشف عبارة ،ان الملك الحيثي وضع يده على الثور الأمر ،فهي توضح ان الهدف من العملية نقل المرض عن طريق يد الملك إلى الثور ،وبلا شك ان وجود الثور مع الطيور والحملان في الطقس يعني ان هناك هدف آخر من وراءها ليس فقط نقل المرض إلى الثور وإنما تمثل الأضحية المناسبة التي ستقدم إلى الآلهة.هذا وان استكمال فهم الطقس يكشف ان عملية اخذ ملابس وأدوات الملك التي استعملها سواء تلك التي كان يستخدمها في أثناء إصابته بالمرض ،أو تلك التي استخدمها أثناء تأدية الطقس ،ونقلها إلى مكان بعيد دلالة على فكرة نقل المرض معها بعيدا عن الشخص المريض.

تشير الأدلة إلى وجود طقوس أخرى تنفذ من اجل شفاء المريض وتهدف إلى طرد الروح الشريرة ،فهناك طقوس كانت تهدف بالدرجة الأساس إلى استرضاء الروح الشريرة بالقرابين ،وهو أمر لمسناه في وادي الرافدين ،ويمكن ان نجد له مثيل في الطقوس المصرية القديمة.فهناك روح شريرة تدعى الواميس يتم استرضائها بطقس خاص وذلك بسكب سائل والتضحية لها بماعز ،وهذه الروح الشريرة تبعد الأمراض الخبيثة.وهناك الروح الشريرة التي تدعى تارباتسسيس ،وهي من المناسب استرضائها بطقس والتضحية لها بظبي ،أو ذكر الأرنب.وهذه الروح الشريرة يجب تجنبها فهي تسبب الأمراض وإذا كانت التضحية والطقس مناسبين فهي تمنح حياة صحية ولمدة طويلة[1].

كان للسحر لدى **الكنعانيين** دوره في الشفاء ،إذ نقرأ في أسطورة كريت يصاب هذا الملك بمرض ،لذا يقوم الرب إيل باستدعاء مجلس الآلهة ويسأل الآلهة سبع مرات عمن يستطيع إيجاد علاج لمرض كريت:

اللطيف ايل ذو الفؤاد(يسأل) من
من الآلهة [يداوي المريض]
أليس من بين الآلهة من يطرد المرض
ويطرد الشيطان ؟ فلم يجبه[احد من الالهة]".

---

[1]) المصدر نفسه ،ص ٦٧٠.

وهنا يعيد الإله إيل السؤال سبع مرات ،من غير ان يجيبه احد من الآلهة ،وحين يعجز الجميع يعلن إيل انه بنفسه سيعمل سحرا تكفل زوال المرض ،ويقتطع لهذه الغاية قطعة روث:

"فقال اللطيف ايل ذو الفؤاد
عودوا يا ابنائي ،إلى منازلكم
إلى قصور ممالككم وانا
سوف اعمل سحرا
سأكون من يداوي المريض ويطرد
الشيطان...يملأ
الروث الجيد...يقرص
حتى النهاية".

ان كسرا في النص لا يجعلنا نفهم بشكل جيد ما قام به إيل ،من علاج سحري ،وبعد انكسار في اللوح ،يظهر إيل وقد أرسل إلهة الشفاء شعتقة(Ša'taqat) لتحلق فوق مئة مدينة وبلدة لإيجاد مخرج يشفي كريت من مرضه ولكن النص مشوه بشكل كبير مما يتعذر فهمه كله. ولكن شعتقة يحالفها الحظ ويصل النبأ بأنها انتصرت على الموت:

"وألان أيها الموت ،زل ،وأنت يا شعتقة ألان
ليكن النصر حليفك.وغادرت شعتقة
وعلى قصر كريت جاءت ،
باكية ،وصلت ودخلت
صارخة جاءت مشيا
فوق المدن طارت
فوق القرى طارت ،تنشد
القبائل ظفرت عقصة
المريض على رأسه
ثم جلست وغسلته من العرق
وفتحت شهيته للأكل

وبلعومه للطعام
وألان الموت زال وشعتقة ألان
انتصرت"[1].

بلا شك لهذا النص قيمة كبيرة في دراسة قضية الطب السحري لدى الكنعانيين ،فأولا هناك إشارة إلى استخدام التعاويذ في العلاج ،ومن ثم استخدام الأعشاب والكمادات ،الأمر الذي يسمح لنا بالاستنتاج ان الكنعانيين على غرار العراقيين والمصريين القدماء رأوا ان وجود التعويذة إلى جانب العلاج كفيل بزيادة فاعليته العلاجية.ولدينا بعض الشواهد الطقسية بخصوص السحر في اوغاريت ،منها نسختان لتعويذة ضد عضة الأفعى السامة ،وهي تستنهض عدة آلهة مهمة وتستدعيها من مساكنها الأسطورية لتقديم المساعدة خلال تلاوة التعويذة[2].

ان المعلومات المتوفرة في **العهد القديم**[3] حول الطقوس السحرية قليلة ،وهناك إشارة إلى طقس ربما كان يزاول في فلسطين القديمة ،وهو الذي يرد على لسان القائد الآرامي نعمان ،وهو ان يقوم كاهن أو ساحر بالدعاء باسم الإله ويمرر يده فوق موضع المرض ،فيتم الشفاء[4].وهناك رواية ترد في سفر التكوين الخاص بجماعة البحر الميت نقرأ فيها كيف يأخذ فرعون مصر سارة زوجة إبراهيم بالقوة ويضمها إلى حريمه وهنا يطلب إبراهيم من الله المساعدة لذا في تلك الليلة أرسل الرب الأعلى روحا أصابت الفرعون المصري بالبلاء ،وروحا شريرة لجميع أهل بيته ،فلم يستطع ان يقترب من سارة رغم انه بقي معها مدة سنتين إلا انه لم يتصل

---

[1]) انظر هذا النص في:
H.L.Ginsberg,"The Legend of King Keret",In:ANET,(Pernston,1966),P.148;
أنيس فريحة ،**ملاحم وأساطير من الأدب السامي** ،(بيروت:دار النهار للنشر ،١٩٧٩)،ص٢٠١-٢٠٢ ؛فريحة ،ملاحم وأساطير من اوغاريت ،ص٢٨٧-٢٩١ ؛علي ابو عساف ،**نصوص من اوغاريت** ،(دمشق:منشورات وزارة الثقافة ،١٩٨٨)،ص١٧٩-١٨١ ؛هوك ،منعطف المخيلة البشرية ، ص١٠٢ ؛كوبر وكوكان ،الديانة الكنعانية ،ص١٠١-١٠٢.
[2]) كوبر وكوكان ،الديانة الكنعانية ،ص٧٣.
[3]) نفدت دراسة سابقة من قبل الباحث فيما يخص الطقوس السحرية في الكتابات اليهودية والمسيحية في:يحيى ،الطقوس السحرية ودورها في العلاج ،ص٧٠٠-٧٠٨.ثم أعيد النظر فيها وتم إضافة أدلة جديدة عن ممارسات سحرية في الكتابات اليهودية والمسيحية في:يحيى ،علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة ،ص٩٢-٩٧.
[4]) الملوك الثاني ،٥: ١١.

بها ،عندها طلب من إبراهيم ان يصلي لأجله وان يضع يديه على جسمه ،ولكن قبل كل شيء على الفرعون ان يكفر عن ذنبه الذي ارتكبه وهو اخذ سارة زوجة إبراهيم وضمها إلى حريمه ،لذ قبل ان يقوم إبراهيم بأي إجراء أعاد الفرعون زوجة إبراهيم إلى زوجها وهنا يقوم إبراهيم كما يقول هو:"صليت [من اجله]...ووضعت يدي على[رأسه] ،فرحلت البلوى منه وطرد[الروح] الشريرة [منه] وعادت صحته"[1].

إن أفضل الأدلة حول ممارسة الطب السحري في فلسطين نقرأ عنها في **العهد الجديد،وأناجيل الابوكريفا** ،وإذا ما أخذنا برواياته على إنها تمثل فكرة الطب الشعبي الذي كان سائدا في فلسطين في العصر الروماني ،فإننا أمام سيل من الروايات التي تبرهن عن جدارة عن تغلغل المعتقدات الشعبية في الديانة المسيحية ،فبلا شك كان الطبيب الساحر ذا تأثير كبير في المجتمع الفلسطيني القديم ،وهناك إشارة ذات بعد خاص تقول ان يسوع كان يشفي الأمراض كافة دلالة على ازدهار هذا النوع من الطب:"كان يسوع ينتقل في منطقة الجليل كلها ،يعلم في مجامع اليهود ،وينادي ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وعلة في الشعب.فذاع صيته في سوريا كلها ،فحمل إليه الناس مرضاهم المعانين من الأمراض ،والأوجاع على اختلافها والمسكونين بالشياطين والمصروعين والمشلولين فشفاهم جميعا"[2].ويبدو ان الطبيب الساحر كان يتميز بقوة خاص تتسرب من جسده إلى جسد المريض تعمل على شفائه ،ففي نص نقرأ ان امرأة مصابة بنزيف دموي تدعى بيرنايس(في اللاتينية ورد اسمها بصيغة فيرونيكا) لمست ثياب يسوع فشفيت ،وكان يسوع قد شعر بقوة قد خرجت منه أثناء شفاء المرأة[3].بل في حالات ان وجوده كفيل بطرد الشيطان من جسد الضحية حتى وان لم يقم بأي طقس سحري ويبدو إن السبب يكمن في خوف الشياطين من الطبيب الساحر ،ففي رواية تقول ان:"هناك امرأة قد هاجمها(الشيطان) عندما خرجت أثناء الليل ،من اجل الماء ،ولم يكن بإمكانها لا ان تحمل الثياب ،ولا ان تعيش في بيت ،وغالبا عندما ربطت بسلاسل وسيور من الجلد ،حيث تقف على مفترق الطرق وفي

[1]) فيرم ،النصوص الكاملة ،ص٥٠٣-٥٠٤ ؛انظر أيضا:الشوك ،الأساطير ،ص١٣٣-١٣٤.
[2]) متى ،٤: ٢٣-٢٤.
[3]) مرقس ،٥: ٢٥-٣٠ ؛لوقا ،٨: ٤٣-٤٦ ؛إنجيل نيقاديموس ،٧: ١.

المقابر ،وكانت ترمي الحجارة على الناس ،وأنزلت كثيرا من المصائب على رفاقها ،وعندما رأتها السيدة مريم ،أشفقت عليها ،وعلى الفور غادرها الشيطان ،وهرب بعيدا على شكل رجل شاب قائلا:ويل لي يا مريم ومن ابنك وهكذا شفيت من شقائها"[1].وربما تشير الرواية في اقل تقدير عن وجود نساء مارسن الطب السحري أيضا!.

ومن خلال دراسة نصوص العهد الجديد يتضح ان طرق العلاج السحري التي مورست كانت محدودة ،ربما كانت هناك طرق أكثر غير ان كتبة العهد الجديد اقتصروا على بعضها لاسيما طرق العلاج بسحر الكلمة للبرهنة على معجزات السيد المسيح ،ولكن من غير شك كانت هناك ممارسات سحرية مختلفة لم تصلنا.رغم ان اللاهوتيين يؤكدون ان يسوع لم يكن في حاجة إلى إجراء طقوس معينة لطرد الشياطين ،بل كانت كلمة منه كافية لطرد الشياطين[2] ، لكن الدراسة الفاحصة لنصوص الأناجيل سواء القانونية ، وغير القانونية(ابوكريفا) ،تكشف ان طقوسا عديدة قد مارسها السيد المسيح من اجل الشفاء ،تم تحويرها من اجل ان تلاءم التوجهات الجديدة للديانة المسيحية الناشئة ،منها البرهنة على معجزات السيد المسيح ،لكنها بلا شك رغم التحوير نستطيع ان نلمس من وراءها طقوسا عديدة مورست في كل أنحاء الشرق القديم ،ولعل أبرزها مبدأ البديل الحيواني ،الذي تم حذف الطقوس المعقدة التي نقرأ عنها في ممارسات الشرق الأدنى ليتحول العلاج بهذه الطريقة إلى مجرد قوة الكلمة الملقاة على الشياطين لترغمهم على مغادرة جسد الضحية إلى البديل الحيواني.أو عندما يعمد السيد المسيح كما سنرى إلى لمس الجزء المصاب فانه يكشف عن طقس قديم مورس ربما في فلسطين القديمة تم إعادة صياغته ليتلاءم مع الفكر المسيحي.ويمكن أن نلخص الطرق المتبعة بالعلاج السحري في النقاط التالية[3]:

---

[1]) إنجيل الطفولة العربي:١٤.

[2]) بارتون وآخرون ،التفسير التطبيقي ،ص١٩٨١.

[3]) قسمت طرق العلاج السحري في المصادر المسيحية من قبل الباحث في دراستين سابقتين انظر:يحيى ،الطقوس السحرية ودورها في العلاج ،ص٧٠٣-٧٠٨ ؛يحيى ،علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة ،ص٩٣-٩٤.

١.طريقة اللمس:

فيها يعمد الطبيب الساحر إلى لمس المنطقة المصابة ،أو لمس المريض بشكل عام ليتمكن من طرد المرض ،وقد أشار مرقس إلى هذه الصورة عن يسوع عندما قال:"فصار كل من به مرض يسارع إليه ليلمسه"[١].من الأمثلة عن هذا النوع من العلاج نقرأ رواية الأبرص من كفر ناحوم الذي نادي السيد المسيح طالبا منه ان يشفيه ،الذي بادر إلى لمسه فشفي الرجل[٢].وكذلك عندما دخل السيد المسيح إلى بيت بطرس احد تلاميذه فوجد حماته طريحة الفراش تعاني من الحمى ،فلمس يدها ،فذهبت عنها الحمى[٣].ونقرأ في رواية ثالثة كيف يتجه أعميان إلى يسوع من اجل ان يشفيهما ،فلمس الأخير أعينهما ،فأبصرا[٤].وعندما غادر يسوع نواحي صور ،وعاد إلى بحيرة الجليل ،احضروا إليه أصم معقود اللسان(اخرس) ،وتوسلوا إليه ان يضع يده عليه.فانفرد به بعيدا عن الجمع ،ووضع إصبعيه في أذني الرجل ،ثم تفل ولمس لسانه ،ورفع نظره إلى السماء ،وقال له:افتح ،أي انفتح وفي الحال انفتحت أذناه وانحلت عقدة لسانه ،وتكلم بطلاقة[٥].وعندما كان في قرية بيت صيدا ،احضر إليه أعمى وتوسلوا إليه ان يضع يده عليه.فامسك يسوع بيد الأعمى واقتاده إلى خارج القرية ،وبعد ان تفل في عينيه ،وضع يده عليه وسأله:"هل ترى شيئا" فتطلع ،وقال:"أرى أناسا كأنهم أشجار يمشون" فوضع يده ثانية على عينيه فعاد صحيحا وشفي من مرضه[٦].ونقرأ في رواية ان امرأة كانت قد سكنتها روح شريرة وأمرضتها طيلة ثماني عشر سنة ،وكانت حدباء لا تقدر ان تنتصب.فلما رآها يسوع ،دعاها وقال لها:يا امرأة أنت في حل من دائك!ووضع يده عليها فعادت مستقيمة في الحال[٧].وفي قصة أخرى تنسب إلى السيد المسيح عندما كان طفلا تعكس بشكل مؤكد طريقة العمل السحري بوساطة اللمس فقد كان هناك رجلا

---

[١]) مرقس ،٣: ١٠.
[٢]) متى ،٨: ١-٣ ؛مرقس ،١: ٤٠ ؛لوقا ،٥: ١٢-١٣.
[٣]) متى ،٨: ١٤-١٥ ؛مرقس ،١: ٢٩-٣١.
[٤]) متى ،٩: ٢٧-٣٠ ؛انظر رواية مشابهة في:متى ،٢٠: ٢٩-٣٤ ؛انظر كذلك رواية مشابهة في:إنجيل نيقاديموس ،٦: ٢.
[٥]) مرقس ،٧: ٣١-٣٥.
[٦]) مرقس ،٨: ٢٢-٢٥.
[٧]) لوقا ،١٣: ١٠-١٣.

ينجر خشبا ،فوقع الفأس وشق قدمه ،وقد اخذ الرجل يفقد الكثير من الدم حتى كاد يموت.وسرعان ما ركض إليه الطفل يسوع ،وشق طريقه بين الحشد المتجمع حول الرجل ،وما ان لمس الرجل المجروحة ،حتى شفيت على الفور[1].وفي رواية انه ذات يوم ذهب الرسولان بطرس ويوحنا إلى الهيكل لصلاة الساعة الثالثة بعد الظهر.وعند باب الهيكل الذي يدعى الباب الجميل ،كان يجلس رجل كسيح منذ ولادته ،لذا يقوم بطرس بمعالجته ،فهو ينطق ويأمره بالمشي قائلا:"باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ"! ثم امسكه بيده اليمنى وأقامه ،فدبت القوة حالا في رجليه وكعبيه ،وبدأ يمشي[2].وفي حالات أخرى لا يقوم الطبيب الساحر بلمس المريض بل يكتفي الأخير بان يقوم بلمس ثياب ذلك الطبيب ليشفى كما يتضح من رواية المرأة المصابة بنزف دموي لأكثر من اثنتي عشر سنة ،وقد تقدمت إلى يسوع من الخلف ولمست طرف ردائه ،لأنها كما تقول الرواية على لسانها:"يكفي ان المس ولو ثيابه لأشفى".وبالفعل ما ان لمست ثيابه حتى شفيت من مرضها[3].

٢.سحر الكلمة:

في هذا النوع من العلاج يكتفي الطبيب الساحر بتوجيه أمر بطرد المرض فيُنفذ الأمر حتى وان كانت هناك مسافة بعيدة بين المريض وطبيبه الساحر ،ويقول نص مسيحي ورد على لسان الشيطان المسبب للمرض ان كل ما قام به من عمل موجه ضد البشر قضى عليه السيد المسيح بكلمة منه:"كل الذين أنا جعلتهم عاجزين أو عميان أو عرجان أو مجذومين ،أو مثل ذلك شفاهم بكلمة واحدة فقط"[4].ويمكن ان نعطي عدد من الأمثلة التي وردت في المصادر المسيحية المسيحية عن هذه الطريقة في العلاج ،اذ نقرأ ان الطبيب الساحر لا يضطر احيانا الى التواجد مع المريض اذ يكفي ان ينطق بالكلمة الشافية حتى وان كان المريض في موقع اخر فيشفى على الفور ،فعندما دخل السيد المسيح مدينة كفر ناحوم جاءه قائد مئة يتوسل إليه قائلا:"يا سيد إن خادمي مشلول طريح الفراش في البيت يعاني

[1]) إنجيل الطفولة لتوما ،١٠: ١-٢.
[2]) أعمال الرسل ،٣: ١-٨.
[3]) متى ،٩: ٢٠-٢٢.
[4]) إنجيل نيقاديموس ،٢٠: ١.

اشد الآلام".فقال له يسوع:"سأذهب واشفيه"! ولكن قائد المائة أجابه:"يا سيد أنا لا استحق ان تدخل تحت سقف بيتي.إنما قل كلمة ،فيشفى خادمي" ،فلم يكن من يسوع إلا ان قال:"اذهب ،وليكن ما لك ما أمنت بان يكون"! وفي تلك اللحظة شفي خادمه[١].وتتحدث التقاليد المسيحية من اديسا(الرها)ان احد ملوكها الملقبين بالابجر كان معاصرا للسيد المسيح ،ويروى انه كان مصابا بالبرص ،وانه اوفد الى السيد المسيح راجيا الحصول على الشفاء من هذا المرض ،وان السيد المسيح اجابه برسالة مصحوبة برسمه[٢]. وعندما وصل يسوع إلى قانا في الجليل ،جاءه رجل وطلب منه ان يشفي ابنه وكان يسكن في كفر ناحوم ،فما من يسوع إلا ان نطق وقال للرجل:ابنك حي ،فشفي ابنه فورا[٣].وأحيانا ينطق الطبيب الساحر بأمر الشفاء مباشرة أمام المريض مما يؤدي إلى الشفاء الفوري كما نقرأ في رواية ان مشلول أتى إلى يسوع طالبا الشفاء ،فلم يكن من الأخير إلا ان نطق قائلا:قم احمل فراشك ،واذهب إلى بيتك! فقام الرجل فورا وذهب إلى بيته[٤].ونقرأ عن حالة مشابهة فقد جاء رجل يده يابسة(ربما مشلولة) فقال يسوع للرجل:مد يدك! فمدها فإذا هي صحيحة[٥].وفي أريحا كان يسوع مع تلاميذه يمشي ،فطلب منه رجلا يدعى بارتيماوس ابن تيماوس وكان أعمى ان يشفيه ،وبكلمة منه أبصر الرجل[٦].وعندما جاء إلى يسوع المسيح رجل مجذوم طلب منه ان يشفيه وبكلمة من المسيح زال الجذام منه[٧].وهناك مخطوط مسيحي يشير إلى مرض ابنة الرسول شمعون الصفا(بطرس) ،التي كانت مشلولة ،وبكلمة منه قام بشفائها:"نظر(بطرس) إلى ابنته وقال لها:انهضي من مكانك من دون مساعدة احد باستثناء يسوع ،وسيري بشكل طبيعي أمام هؤلاء الحضور وتعالي إلي ،فنهضت وجاءت إليه"[٨].وهناك رواية أخرى

[١]) متى ،٨: ٥-١٣.
[٢]) عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٣٧.
[٣]) يوحنا ،٤: ٤٦-٥٣.
[٤]) متى ،٩: ١-٧. ؛مرقس ،٢: ٣-١٢ ؛لوقا ،٦: ٦-١٠ ؛انظر رواية مشابهة في:يوحنا ،٥: ٥-٩ ؛وكذلك انظر رواية أخرى في:إنجيل نيقاديموس ،٦: ١.
[٥]) مرقس ،٣: ١-٥.
[٦]) مرقس ،١٠: ٤٦-٥٢ ؛لوقا ،١٨: ٣٥-٤٣.
[٧]) بردية ايغرتون ،رقم:٢.
[٨]) مخطوط برلين ،رقم:٨٥٠٢.

أخرى لهذه الحادثة تقول ان بترونيللا ابنة القديس بطرس ،كانت فتاة جميلة المظهر لذلك دعا والدها ان تنزل بها الحمى ،التي كانت شديدة الوقع عليها.ولما جلس بطرس ذات يوم إلى الطعام مع تلاميذه تحدث معه تيتوس:"يا معلم ،لماذا تشفي المرضى جميعا وتترك بترونيللا فريسة المرض؟ أجاب بطرس:لان ذلك سيكون ذا نفع لها.ولكي لا تتوهم بان شفاءها غير ممكن سأقول لكم بان بترونيللا ستتعافى قريبا لتخدمنا على الطاولة".وفي الحال نهضت بترونيللا بكامل صحتها ،وراحت تعمل على خدمتهم على الطاولة.ولأنها أنجزت كل ما عليها من مهمات تحدث معها القديس بطرس:بترونيللا اذهبي ألان إلى سريرك.وهكذا استلقت في فراشها وراحت تعاني من الحمى[١].وقد يعمد الطبيب الساحر في بعض الحالات على زجر الشيطان بقوة لإخافته وإرغامه على ترك جسد المريض ففي حالة نقرأ عن رجل تقدم من السيد المسيح طالبا منه شفاء ابنه لأنه مصاب بالصرع وهو يتعذب عذابا شديدا ،وكثيرا ما يسقط في النار أو في الماء.فأجابه يسوع بان يحضره إليه.فلما جلبوه إليه زجر الشيطان وقال له:أيها الروح الأخرس الأصم ،إني أمرك ،فاخرج منه ولا تعد تدخل بعد ،فخرج فورا من الصبي وشفي تماما[٢].وعندما كان يسوع في كفر ناحوم يدرس في المجمع اليهودي فصرخ إليه رجل يسكنه روح شريرة يبدو انه قد سبب له اضطرابات عقلية فصرخ قائلا:ما شأنك بنا يا يسوع الناصري؟ أجئت لتهلكنا.فقام يسوع بزجر الروح الشريرة ،التي ارتعبت وخرجت من جسد المريض[٣].وتشير رواية أخرى إلى ان حماة سمعان(بطرس) كانت مريضة فدخل يسوع إليها ووقف بجانب السرير وزجر الحمى فذهبت عنها[٤].

٣.طريقة البديل الحيواني:

وهي طريقة شائعة في الطب السحري ،شاهدناه في وادي الرافدين واسيا الصغرى ومصر ،وتقدم الأناجيل أدلة على مارستها في فلسطين ،وتظهر الأدلة إنها مورست عن طريق نقل الشيطان المسبب بالمرض إلى كائن أخر حيوان عادة من

[١]) كامبل ،البطل بألف وجه ، ،ص١٢٨.
[٢]) متى ،١٧: ١٤-١٨ ؛مرقس ،٩: ١٤-٢٧ ؛لوقا ،٩: ٣٧-٤٢.
[٣]) مرقس ،١: ٢١-٢٦ ؛لوقا ،٤: ٣١-٣٥.
[٤]) لوقا ،٤: ٣٨-٣٩.

اجل تخليص الإنسان من المرض وهناك رواية معروفة جدا في أدبيات العهد الجديد تسلط الضوء على هذه الطريقة تقول انه لما وصل يسوع إلى بلدة دعيت باسم الجدريين أو الجراسيين تقع مقابل الجليل لاقاه من بين القبور إنسان يسكنه روح شريرة ،وكان لا يلبس ثوبا ،ولا يسكن بيتا ،ويقيم في القبور.ولم يكن احد ان يقدر ان يقيده ولو بالسلاسل ،فانه كثيرا ما ربط بالقيود والسلاسل ،فكان يقطع السلاسل ويحطم القيود ،ولم يقدر احد ان يخضعه وكثيرا ما يجرح جسمه بالحجارة.ولكنه لما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له وصرخ بأعلى صوته ،ما شأنك بي يا يسوع ابن الله العلي ؟ استحلفك بالله إلا تعذبني!لكن يسوع أمر الروح الشريرة بان تخرج من جسد الإنسان وكان يضنها شيطان واحد فلما سأله يسوع عن اسمه:أجاب اسمه لجيون لأنه جيش كبيرا من الشياطين قد دخلوا فيه.غير إنهم توسلوا إليه إلا يطردهم إلى خارج المنطقة.وكان هناك قطيع كبير من الخنازير يرعى عند الجبل ،فتوسل الأرواح الشريرة إلى يسوع قائلين:أرسلنا إلى الخنازير فندخل فيها.فإذن لها بذلك ،فخرجت الأرواح الشريرة ودخلت في الخنازير ،فاندفع قطيع الخنازير من على حافة الجبل إلى البحيرة ،فغرق فيها[1].تكشف الرواية عن حقيقتين مهمتين طالما قرأنا عنها في النصوص السحرية البابلية وهي إن الشيطان قد سكن جسد المريض ومن اجل التخلص من المرض لابد من توفير بديل له وهو عادة ما يكون حيوان سواء كان جدي عند البابليين أو ثور لدى الحيثيين وألان نقرأ عن كونه خنزير.

٤.إرسال شيء خاص بالمريض إلى المعبد:

وهي طريقة ترتبط بمبدأ السحر الاتصالي ،إذ يتم إرسال شيء يخص الشخص المصاب مثل الشعر إذا كان مصابا بوجع في الرأس إلى المعبد ،والشفاء بهذه الطريقة يتضمن مبدأ ان الشعر يمثل جزء من الشخص المصاب فينتقل العلاج سحريا إليه.وهناك نص مسيحي يتحدث عن هذه الحالة يقول إذا ما عانى إنسان من وجع رأسه كان يتدبر قص شعر رأسه وإرساله إلى مغارة كنيسة اكتشاف

[1]) متى ،٨: ٢٨-٣٢ ؛مرقس ،٥: ١-١٣ ؛لوقا ،٨: ٢٦-٣٣.

الصليب ،وكان يوجد خلف مكان اكتشاف الصليب المقدس حفرة عميقة من الصخر ،وهي مليئة بشعور رؤوس الناس وشعور لحاهم[(١)].

في **إيران** تظهر الأدلة عن وجود ممارسات سحرية في العلاج رغم قلة النصوص التي توضح طبيعة تلك الممارسات المتبعة ولكن هناك إشارات إلى الطبيب الساحر ،ويزودنا نص بأصناف المعالجين واحدهم بل أفضلهم المعالج الساحر أو كما وصفته الكتب الدينية الذي يداوي بالكلمات المقدسة وربما هذه الطريقة في العلاج تتضمن قراءة التعاويذ السحرية ،وترافقها طقوس دعيت باسم باراشنوم للتطهر[(٢)]:"إذا حضر عدة معالجين يا زرادشت سيبتاما! احدهم يعالج في السكين(جراح) ،والأخر يعالج بالأعشاب ،وأخر يداوي بالكلمات المقدسة ،يكون الأخير هو شافي الشافين ،لان العلاج بالكلمات المقدسة هو الأفضل لجميع المرضى ،والأفضل في إبعاد المرض عن جسم المؤمن"[(٣)].ولكن رغم قلة النصوص الخاصة بالطقوس السحرية فانه يمكن ان نقدم صورة ولو جزئية عن الطب السحري في إيران القديمة ،وهناك وصف جيد عن طقس نفذ من اجل معالجة طمث المرأة الذي عده الزرادشتيون من عمل الأبالسة لاسيما ان تجاوز على تسع أيام:"إذا رأت المرأة الدم بعد مضي تسع ليال ،تكون الأبالسة قد أصابتها ،بسبب عبادة وتمجيد الأبالسة.(لذا من اجل العلاج) ،يختار عباد مزدا طريقا خالية من الخشب ،(و)من النباتات ،(و) من الأشجار ،ويحفرون ثلاث حفر في الأرض ،ويغسلون المرأة ببول الثور عند الحفرتين من تلك الحفر ،وبالماء عند الحفرة الثالثة.ويقتلون الكائنات المؤذية:مائتي نملة حاملات الحبوب في الصيف ،ومائتي كائن مؤذي من أي نوع كان مما خلق انگرامانيو إذا كان شتاءا"[(٤)]. لا شك ان الطقس ينطوي على حقيقتين لابد من تفسيرهما:

١.غسل المرأة ببول الثور وهو بلا شك عنصر مهم في العلاج لأنه العنصر الشافي لاسيما اذا ما ادركنا انه كان يمثل تراثا هنديا-اوروبيا.

---

[١]) سهيل زكار ،**الأناجيل:النصوص الكاملة**(تحرير) ،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٨) ،ص١٠٢.

[٢]) عبد الرحمن ،افستا ،ص ٢٩٠.

[٣]) فينديداد ،٧: ٤٤.

[٤]) فينديداد ،١٦: ١١-١٢.

٢.قتل مجموعة من الحشرات التي ترمز لقوى الشر بالتالي ، فان قتلها يعني قتل القوى المسببة للمرض وهو امر يساعد المريض على الشفاء.

وإذا ما غادرنا الزرادشتية فان الأدبيات **المانوية** تشير إن ماني كان طبيبا ماهرا يعالج الجسد بالعقاقير والروح بطرد الشياطين منها ،وكان صاحب معجزات تتراوح بين الأمراض المستعصية ورفع الأرواح إلى السماء ساعة يشاء[١] .وفي محاكمة ماني من قبل الملك الفارسي بهرام نقرأ عنه قوله للملك:"لقد قدمت لك ولأسرتك الكثير من الفوائد ،وحررت أعدادا كبيرة من عبيدكم من الشياطين والأرواح الشريرة ،وأقمت كثيرين من فراش المرض فشفيتهم ،وخلصت آخرين من الحمى...أما الذين كانوا على حافة الهلاك واعدتهم إلى الحياة فأكثر من ان يحصوا"[٢] .بلا شك كان ماني يمارس طقوسا لها القدرة على طرد الأرواح الشريرة غير إنها لم تصل ألينا تفاصيلها.ويبدو إن مسألة شفاء الأمراض لم ترتبط بماني فحسب بل تشير بعض الروايات إن أتباع ماني كانوا يمتلكون خاصية مماثلة ،وهناك رواية على اقل بتقدير ،يخبرنا بها تاريخ إحدى الكنائس المانوية المكتوبة باللغة السوغدية كيف إن احد أتباع ماني ،ويدعى غابرياب تحدى ملك ريفان(ربما يريفان في أرمينية) في أن يعرف ما إذا كان المسيحيون في البلاط قادرين على شفاء فتاة مريضة:"إن استطعت برحمة الله ،أن اشفي الفتاة من مرضها ،فسأطلب منكم هذا الأمر:أن تتخلوا عن الدين المسيحي ،وتقبلوا دين الرب مار ماني!".عندئذ استدار وقال للمسيحيين:"كان يسوع المسيح إلها قادرا على اجتراح المعجزات ،فقد شفي العميان والمشلولين من مرضهم.وبنفس الطريقة أعاد إحياء الموتى.والقاعدة تقول إن الابن يحمل صفات أبيه ،وان التلميذ يعكس تميز أستاذه.فإذا كنتم حقا وفعلا أتباع المسيح ،وصفات المسيح ومزاياه موجودة فيكم ،فتعالوا جميعكم إلى هنا واشفوا الفتاة من مرضها ،كما قال السيد المسيح لحواريه:أينما تضعون يدكم فسأصنع تحسنا في ذلك المكان من خلال يد الله! فإذا لم تفعلوا سأقوم أنا بقوة الله بشفاء الفتاة من المرض ،وعندئذ ستخرجون انتم المسيحيون من مملكة ريفان".وهنا أجاب المسيحيون بعد أن أعلنوا استسلامهم:"إننا لسنا قادرين على

[١]) السواح ،الرحمن والشيطان ،ص٢١٩.
[٢]) المصدر نفسه ،ص٢٢٢.

شفائها ،فاعد أنت إلى الفتاة صحتها بدلا منها".وبالطبع نجح غابرياب من شفاء الفتاة وأصبح الملك مانويا[(١)].

لقد كان **الإغريق** كغيرهم من الشعوب القديمة لديهم وسائلهم بالعلاج عن طريق الطقوس السحرية ،ويبدو ان الإغريق امنوا بقدرة السحر على تخليص الإنسان من المرض:"إذا كانت ثمة لوثة(جنون) قد ألمت بكِ فاني اعرف من يشفيكِ بالتعاويذ والإعشاب ،وإذا كان هناك من مسكِ سحره بشر ،ففي الطقوس السحرية ما يخلصك من هذا الشر"[(٢)].ونحن نمتلك إشارة إلى مبدأ السحر الاتصالي ودوره في العلاج ،ففي رواية إغريقية تقول ان الأسطول الإغريقي الذي كان متجها إلى طروادة أثناء الحرب الطروادية اخطأ الطريق إليها ورسى في تيوثرانيا(Teuthrania) عند مصب نهر كايكوس بإقليم ميسيا(على ساحل الأناضول).وقد قاوم تيلفوس(Telephus) ابن هيراكليس ملك هذا الإقليم نزول الإغريق.ونشب قتال أصيب فيه تيلفوس بجرح في بفخذه من رمح رماه به أخيل.ولم يجد الملك احد يداويه ،فاستشار نبوءة دلفي فأنبأته بان لا احد يستطيع مداواته غير من أصابه.ومن ثم تنكر في زي متسول وتسلل إلى معسكر الإغريق ،وتمكن من مقابلة أخيل الذي اعتذر منه لأنه ليس طبيبا.غير ان اوديسيوس أدرك المقصود هو الرمح الذي جرحه وان الجرح يمكن ان يداوى بصدأ الرمح نفسه[(٣)].

---

[١]) ريتشارد فولتز ،**الروحانية في ارض النبلاء:كيف أثرت إيران في أديان العالم** ،(بيروت:الدار العربية للعلوم ،٢٠٠٦) ،ص١٣٥-١٣٦.

[٢]) اوفيد ،مسخ الكائنات ،ص٢٢٤.

[٣]) علي ،التاريخ اليوناني ،ص٤٨١.



(هيراكليس وابنه تيلفوس)



(هيراكليس وابنه تيلفوس)

ونقرأ في **الأساطير الإغريقية** عن طقس سحري نفذته امرأة تدعى ميديا من اجل إعادة الشباب لأبي زوجها المدعو ايسون ،وتقول الأسطورة ان ميديا عندما اكتمل البدر اتجهت مساء إلى العراء ومدت ذراعيها نحو النجوم ودارت حول نفسها ثلاث مرات ،ونثرت مياه النهر على رأسها ثلاث مرات ،وصاحت صيحات ثلاث مع نحيب وعويل ،ثم خرت على ركبتيها فوق الأرض وأخذت تهمهم قائلة:"أيها الليل الحارس الأمير لأسراري ،أيتها النجوم الذهبية التي ترسل ضياءها مع القمر بعد غياب نور النهار ،أيتها الإلهة هيكاتي يا صاحبة الرؤوس الثلاثة ويا من هدتني دوما إلى ما أقوم به وأعانتني على تحقيقه ،أيتها التعاويذ السحرية ،أيتها الأرض التي تنبت الأعشاب السحرية ،أيتها الانسام والرياح والجبال والأنهار والبحيرات وجان المغارات ،وجان الليل ،اقبلوا جميعا ،فبعونكم استطيع حين أريد ان اصد جريان الأنهار فترتد مياهها إلى منابعها بين دهشة الشطان ،وان أهدئ عاصفة البحار ،أو أثير صخب مياهها بأناشيدي ،وان اطرد السحب واجمعها ،وان أرسل الرياح أو أخمدها ،وان افتك بالثعابين بسحر تعاويذي وان أحرك الصخور والأشجار ،وأمر البلوط ان يقتلع نفسه ،بل أمر غابات بأكملها ان تفعل ذلك ،أو ان أمر الجبال فتضطرب ،وتميد الأرض فتئن وتزمجر ،وأطياف الموتى فتخرج من قبورها ،والقمر أيضا اجذبه من السماء رغم صنوج ثيميسا البرونزية التي تدق لتخفف عنائه.ان جمالي يزرى برونق مركب جدي(اله الشمس جد ميديا) ،ويفقد الفجر أطيافه بفعل عقاقيري ،انتم الذين أعنتم على تهدئة وهج أنفاس الثورين ،وضعتم عليهما النيرين ليمضيا بالمحراث المعوج ،ولم يكونا قد جرا شيئًا من قبل ،وأنتم الذين أثرتم المحاربين الذين نبتوا من زرع أنياب الأفعى ليقتل بعضهم البعض الأخر ،وأرسلتم النوم إلى عيني التنين الذي لم ينم من قبل ،ثم استلمتم الفروة الذهبية إلى اليونان(هذه إشارات إلى مغامرات جاسون الذي تزوج ميديا للحصول على الفروة الذهبية) ،ما أحوجني اليوم إلى عقاقير تعيد نضرة الشباب إلى شيخ فانٍ وترده إلى مقتبل العمر ،وسوف تهبونها إياي بعد ان لمعت النجوم استجابة لندائي وأقبلت مجموعة من التنانين المجنحة بهذه المركبة التي أوقفتها بجواري".وقد اعتلت ميديا المركبة التي هبطت إليها من السماء ،وربتت على أعناق التنانين التي تجرها ،وحركت أعنتها فانطلقت في الفضاء ،وأطلت على وادي نهر تيمبي في

ثساليا ،ثم عكفت ميديا على فحص أعشاب جبل اوسا ،ثم اتجهت إلى هضاب جبل بيليون المرتفع وجبل اوثريس وجبل بندوس واوليمبوس ،أعلى الجبال قمة ،وجمعت منها الأعشاب التي اختارتها ،بعد ان اقتلعت بعضها من جذوره ،والأخر قطعته بالسكين البرونزية ،ثم جمعت حشائش أخرى من شواطئ نهر ابيانوس ،ومن امفريسوس ،وانيبيوس ،وبنيوس ،ومستنقعات سبيرخوس ،ومن شواطئ بويبي ،كما اقتطفت من انثيدون المقابلة ليوبويا نبات له خاصية إطالة العمر.وأمضت ميديا تسع ليال وتسع أيام تطوف البلدان في المركبة التي تجرها التنانين المجنحة ،حتى إذا ما عادت دارها وقفت على عتبتها دون ان تدخل إليها متجنبة مخالطة الذكور ،وشيدت محرابين في العراء احدهما على يمين الدار ،والأخر على يساره ،وجعلت الأيمن لهيكاتي والأيسر لربة الشباب هيبي ،وغطتهما بأكاليل من غصون الأشجار التي تنمو في الغابة ،وحفرت خندقين قريبين ملاءتهما بدماء شاة سوداء اللون ذبحتهما قربانا ،ثم ملأت كؤوسا من النبيذ وأخرى من اللبن وسكبتها فوق الدماء في الخندقين ،ثم أخذت تتلو تعاويذها منادية جان الأرض ،ومتوسلة إلى ملك الظلال ومليكته المخطوفة(هاديس وبرسيفوني) ،ألا يسلبا العجوز الحياة ،وأخذت تكرر الصلوات حتى أثارت عطفهم جميعا.وعندها طلبت من جاسون ان يحمل أباه إلى خارج الدار حيث فرشت بساطا من الأعشاب المنثور أضجعت عليه الشيخ ايسون ،وأخذت تتلو تعاويذها حتى استسلم للنوم العميق ،ثم أمرت ابنه وأتباعه بان ينصرفوا عن المكان وحذرتهم من ان تقع أعينهم غير المتهيئة للسحر على مشهد الطقوس السحرية التي سوف تؤديها فأطاعوا وتفرقوا ،بينما أخذت هي تدور وحدها حول المحرابين بشعرها المرسل ،وغمست مشاعلها الخشبية المشقوقة أعوادا دقيقة في الحفر المليئة بالدم حتى تشربته ،ثم أشعلته ووضعتها على المحرابين وطهرت الشيخ بالنار ثلاث مرات ،وبالماء ثلاث مرات ،ثم بالكبريت ثلاث مرات ،بينما كانت قد وضعت فوق النار قدرا تطهو فيه الجذور التي جمعتها من وديان هايمونيا والبذور والأزهار ،وكانت هذه مقومات سائل قوي الأثر يغلي ويفور وبزبد ابيض في القدر ،ثم أضافت إليها الأحجار التي جلبتها من أقصى الشرق ،والرمال التي غسلتها بمياه الاوقيانوس وندف الثلج التي جمعتها بالليل على ضوء القمر ،ولحم بومة مرعبة وجناحيها ،وأحشاء غول وهو

مخلوق يستبدل ملامحه الحيوانية بملاح إنسانية ،ولم يفتها الجلد ذا الحراشف لثعبان مائي يسكن مياه كينيبس في ليبيا ،وكبد وعل معمر ورأس غراب عمر ما يربو أكثر من تسعة أجيال ،ومن منقاره ،إلى جانب آلاف العناصر الغريبة.وكانت تستهدف من مزجها انجاز مهمة تفوق طاقة البشر.وأمسكت ميديا بغصن شجرة زيتون جاف ،وأخذت تحرك به هذا المزيج الذي تحول إلى سائل وهو يغلي على النار ،فما لبث الغصن الجاف ان اخضر وأورق ،وسرعان ما أصبح محملا بالكثير من عناقيد الزيتون ،وكلما غلى السائل وانسكب قطرات من القدر البرونزي على الأرض اخضرت البقعة التي وقعت عليها ،ونمت بها الحشائش وتفتحت فيها الأزهار.وعندما أطمئنت ميديا إلى ذلك أمسكت بسيفها وشقت به حلق الشيخ الطاعن في السن وتركت دماءه الهرمة تسيل منه حتى جفت عروقه ،وأخذت تملأه بالشراب الجديد الذي امتصه ايسون عبر الجرح الذي أحدثته ميديا في فمه.وسرعان ما زال الشيب من شعر لحيته ورأسه واصطبغ بالسواد من جديد ،وغابت مظاهر الشيخوخة والضعف واختفى شحوب وجهه واكتنز لحمه تحت التجاعيد فبسطها ،واكتسبت أطرافه قوة الشباب ،وتعجب الشيخ من هذا التغيير الذي أعاده إلى حالته التي كان عليها منذ أربعين عاما مضت[1].يكشف هذا النص عن طقس سحري كامل قد مورس في بلاد الإغريق من اجل إرجاع الشباب ،ويمكن ان نستشف منه طبيعة هذا الطقس وانه كالأتي:

١.يبدأ الساحر أو الطبيب الساحر وهو هنا في النص ساحرة بالتذكير بقوته وقدرته في تنفيذ الأعمال الاعجازية.

٢.يردد الطبيب الساحر عدد من الكلمات التي تهدف إلى تبيان ارتباطه بكل القوى ما فوق الطبيعية ،من آلهة وعفاريت ،بل ارتباطه بقوى الطبيعة من انهار وغابات وأشجار وطلب عونهم ومساعدتهم لإنجاح الطقس.

٣.يستخدم الطبيب الساحر في العلاج عدد من أنواع النباتات من المفترض إنها ذات طبيعة سحرية ،فضلا عن الأحجار ذات الطبيعة الخاصة والرمال النقية.

٤.يبدو ان الطبيب الساحر كان يمارس الطقس السحري قرب بيت المريض من جهة وفي العراء من جهة ثانية حيث يتم إنشاء محرابين الأول للربة هيكاتي والثاني

---

[1]) اوفيد ،مسخ الكائنات ،ص١٥٥-١٥٧.

للربة هيبي ،ويتم تغطيتهما بالأغصان ،ثم يقوم بحفر خندقين بالقرب من المحرابين يـتم ملئهمـا بـدماء شـاة سوداء ،ويصـب مـن خـلال كأسـين النبيـذ واللـبن فـوق الدماء ،ثم يبدأ التوسل بقوى العالم الأسفل من اجل إلا تسلب المريض الحياة.

٥.يـتم وضـع المـريض علـى بسـاط مصـنوع مـن الأغصـان ويبـدو ان لهـذه المسـألة أهميتها فالطقس كان يهدف إلى معالجة الشيخوخة والنبات الأخضر بلا شك يدل على الشباب والحياة.

٦.يبـدأ الطبيـب السـاحر بتنفيـذ طقوسـه السـحرية إذ يـدور حـول المحـرابين ويـتم تغميس المشـعل الـذي يحملـه بـالحفرة الـتي بهـا الـدم ،ومن ثم يتم تطهير المـريض بالنار والماء والكبريت ثلاث مرات ،وأخيرا يصنع مزيجا مكون من الأعشاب التي في حوزتـه والأحجـار والتراب ،مـع إضـافة عـدد مـن المـواد الغريبـة مثـل لحـم البومـة وجناحيها ،وأحشـاء حيـوان يرمـز للغول ،وجلـد أفعـى وكبـد وعـل ورأس ومنقـار غراب ،وهنا يحدث الطبيب الساحر جرحا ربما كان صغيرا من المفترض انه يرمز إلى التخلص من الدماء المريضة ،ويبدو ان المريض رغم ان النص لا يصرح بذلك إلا انه يتم غسله بالسائل المحضر آنفا وبذلك يحصل على الشفاء.

كان **للرومان** طقوسهم السحرية فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد ان لم يكن في وقـت أبكر ،كـان يـتم دفـع بـلاء الطـاعون والأوبئـة الفتاكـة الأخـرى بـاللجوء إلـى طقس يـدعى (supplicatio) يقـوم بموجبـه الأهـالي بالـدوران حـول المعبـد والسـجود على الطريقـة اليونانيـة[١] .ونقـرأ عـن احتفـالات اللوبيركاليـا(Lupercalia) الـتي كانـت تقام في الخامس عشر من شباط وهي من بين أهم الاحتفالات في التقويم الروماني ومرتبطة بالإله فاونوس(Faunus) وهو احد الأرباب الرومانيين المرتبطين بـالريف ويمثل الـه للخصوبة.وكانت احتفالات اللوبيركاليا تهدف إلى التطهير حيث يضحى بالماعز أنثى وذكرا ،وربما بالكلاب أيضا.وبعد التضحية بالحيوانات كان يساق شابان إلى المذبح ،فيلمس الكهنة حواجبهما بسكاكين يقطر منها الدم ويمسحونها بحشوه صـوفية مشـبعة بالحليـب ينفجـر بعـدها الشـابان بالضـحك.ثم يـؤدي كهنـة لوبيرسي(Luperci) نصف عراة وملفوفين فقط بجلد الماعز المضحى بها طقوسيا تمد خلالها النساء اللواتي يرغبن بان يحملن أيديهن ويدرن ظهورهن كي تساط بجلد

[١]) غرانت ،"الديانة الرومانية ،ص١٩٧.

الماعز[1].ان علاقة النساء الراغبات بالإنجاب بالطقس واضح فهذا الاحتفال يرتبط برب الخصب ،أي يهدف إلى الإخصاب سواء للأرض أو النساء.



(صورة تخيلية لطقس لوبيركاليا)

ويصف الكاتب الروماني مارسيللوس من مدينة بوردو(Marcellus Of Bordeau) وكان طبيب البلاط أيام ثيودوسيوس الأول(Theodosius I)(٣٤٦-٣٩٥ م) في كتابه عن الطب إحدى الوسائل التي كانت متبعة في علاج الأورام بطريقة سحرية.وتتلخص هذه الطريقة بان يأخذ المريض احد جذور نبات رجل الحمام ويقطعه ويعلق احد الجزأين حول عنق المريض بينما يعرض الجزء الأخر لدخان النار ،وبينما يجف النبات في الدخان يجف الورم إلى ان يختفي تماما.ولكن إذا تنكر المريض بعد ذلك للطبيب فان من السهل ان يثأر الطبيب لنفسه بكل براعة وسهولة ،إذ يكفي ان يلقي جذر النبات في الماء ،وبمجرد ان يمتص النبات الرطوبة يعود الورم إلى التضخم من جديد.ويوصي الكاتب بأنه إذا ظهرت في الجسم بعض البثور فليس على المصاب إلا ان يترقب احد النجوم من السماء فيمسح في الحال على تلك البثور بقطعة من القماش أو بأي شيء أخر في متناول يده ،فكما يهوى النجم من السماء كذلك تتهاوى البثور عن الجسم ،ولكنه يحذر من ان يمسح

[1]) غيوراند ،الآلهة والأساطير الرومانية ،ص٢٢٣.

المريض على البثور بيده العارية وإلا انتقلت إليها[1] .ويذكر بليني انه لو أصاب شخص ما شخصا أخر بجروح ثم شعر بالأسى لما فعل به فما عليه إلا ان يتفل على اليد التي سببت الجرح فيزول الألم في الحال[2] .

مارس **الجرمان** في أوربا القديمة طقوسا سحرية رغم ندرة الأمثلة على ذلك ، إذ نمتلك حاليا وصفة سحرية قديمة نعرف منها ان الألمان القدماء كانوا يستغيثون بالإله وودن(Woden) لشفاء حالات خلوع أو التواء المفاصل[3] .ولدينا نص سحري قصير باللغة الألمانية القديمة ،نرى فيه الإله بالدر(Balder) على صهوة جواده بصحبة وودن ،عندما التوى كاحل جواده ،فقام بشفائه من خلال بتلاوة بضع كلمات مشبعة بالقوى السحرية الخفية[4] .

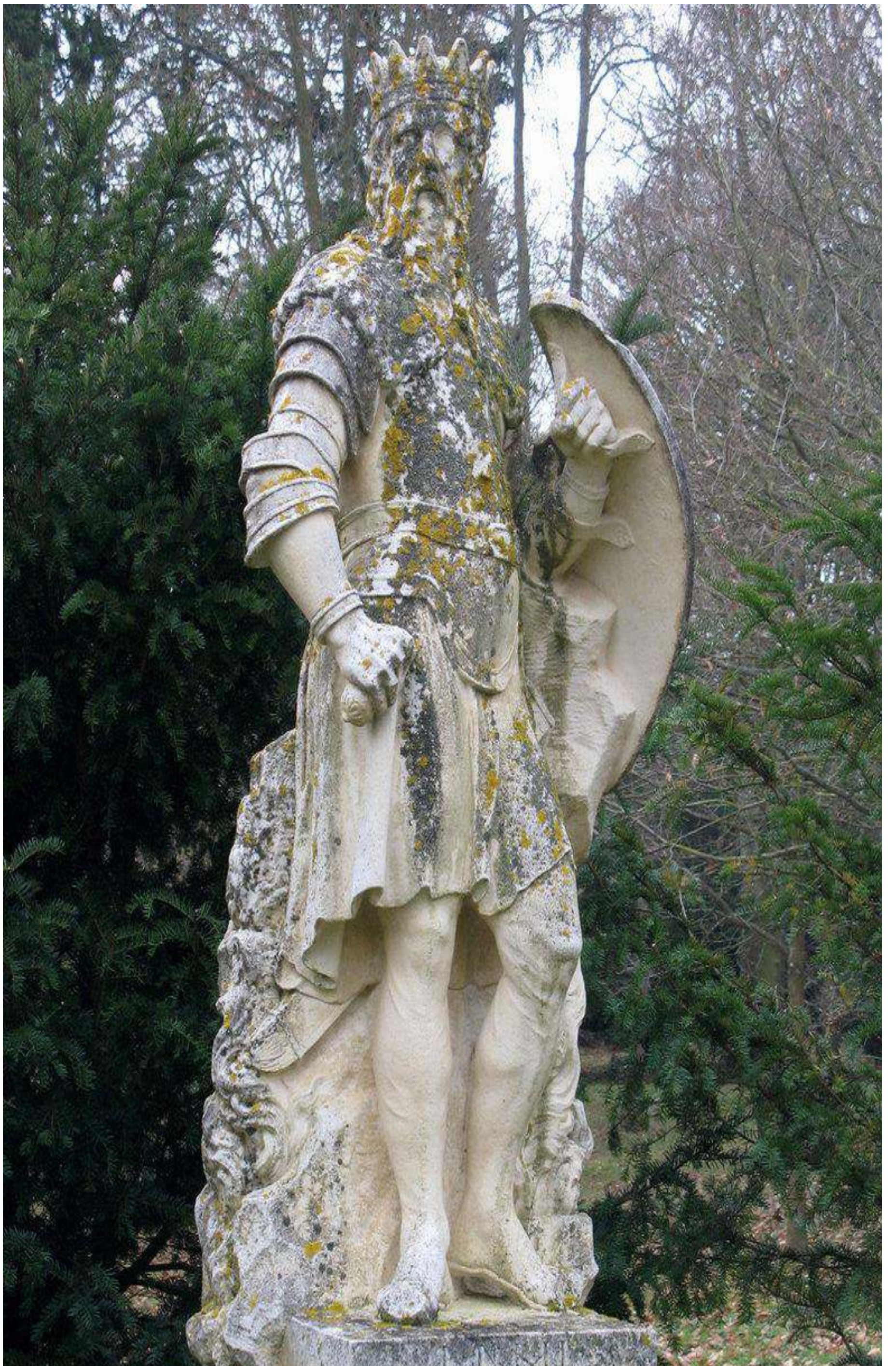
---

[1]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص ١٢١-١٢٢.

[2]) المصدر نفسه ،ص ١٩١.

[3]) تونيلات ،الآلهة والأساطير التيوتونية ،ص ٢٥٢.

[4]) المصدر نفسه ،ص ٢٦٩.



(تمثال الاله وودن)



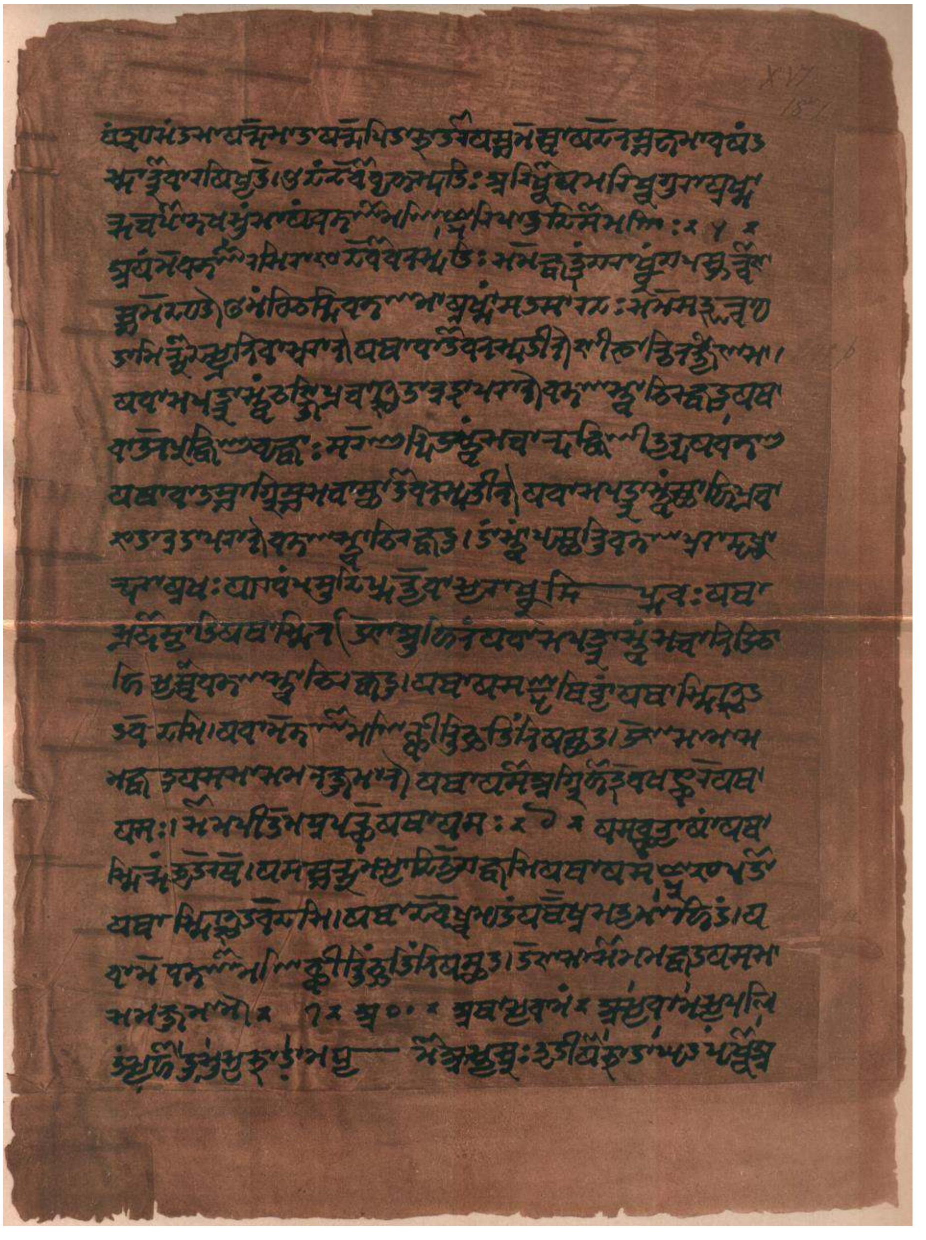
(الاله وودن)

في **الهند** مورس الطب السحري أيضا ، اذ كان الهندوس القدماء يمارسون بعض الطقوس التي ترتكز على السحر ، إذ نقرأ في اثارفا-فيدا(Atharva-Vida) ،وهو احد كتب الفيدا الخمسة العائدة للألف الثاني قبل الميلاد ،عن طقسا سحريا يقوم به من يريد تحسين نمو شعره عن طريق جمع الجذور المقدسة التي تمنع حدوث الصلع(بلا شك كان الصلع يمثل في الهند مرضا خطيرا طالما كان يمنع الشخص من حضور الطقس الديني) وينشد الكلمات التالية أثناء تنفيذ المراحل المختلفة للعملية:

"أنت أيتها النبتة! كإلهة فوق إلهة الأرض ولدت
نحن نغرسك يا نيتانتي ،لعلك تقوين نمو الشعر
قوي الشعر القديم ،انبتي أخر جديد!
اجعلي ذلك الذي يظهر حديثا كثا ووفيرا
على شعري الذي يسقط ،وذلك الذي تتقصف جذوره
عليه ارش العشب الشافي".

وكانت التعليمات تقضي بان يدهن المريض رأسه بخلطة سوداء مصنوعة من النبات المذكور ،وان يقوم بذلك شخص يرتدي لباسا اسودا كان قد تناول طعاما اسودا في الصباح الباكر قبل استيقاظ الديكة السوداء طبعا.وهنا نستطيع ان نرى في الرمزية المستخدمة هنا تعبيرا عن الأمل في نمو شعر جديد اسود[١].

[١]) نوس ،الديانة الهندوسية ،ص٢٢.



(اثارفا-فيدا)

وهناك وصف جيد لطقس مورس لعلاج مرض الصفرة أو اليرقان ،وكان الهدف الأساسي من هذه الطقس هو نقل الصفرة من جسد المريض إلى كائنات وأشياء صفراء أخرى مثل الشمس التي تنتمي إلى ذلك اللون عن جدارة ،ثم غمس المريض باللون الأحمر ،الذي يرمز إلى القوة والحيوية ،والذي يمثله الثيران الحمراء.ولكي يتم ذلك كان احد رجال الدين عندهم يتلو الرقية التالية:"سوف يصعد إلى الشمس الأم

قلبك ،ومرض الصفرة ،وسوف نغمسك في لون الثور الأحمر ،إننا نغمسك في الأصباغ الحمراء لتنعم بالحياة طويلا.ألا فلتتحرر وتتخلص من ذلك اللون الأصفر.إننا نضفي عليك صورة تلك الأبقار التي تنتمي إلى الإلهة روهيني الحمراء.إننا ننقل صفرتك إلى الببغاوات وطيور الدج وغيرها من الطيور الصفراء".ولكي يسري رحيق الصحة إلى جسم المريض الشاحب فانه يرتشف أثناء ترديد رجل الدين لهذه الكلمات بعض رشفات من الماء الممزوج بشعر ثور احمر ،وذلك بعد ان يكون رجل الدين قد سكبه فوق ظهر الحيوان ليقدمه للمريض.ويجلس المريض أثناء ذلك فوق ظهر جلد دب احمر وقد ربط قطعة من ذلك الجلد إلى جسمه.ولكي يزيل تماما كل اثر للصفرة من جسمه ويستبدل بها لون الصحة الأحمر يخضع المريض لمزيد من الطقوس التي تبدأ بان يدهن له رجل الدين جسمه كله من قمة الرأس حتى أخمص القدمين بنوع من العصيدة الصفراء من الكركم ثم يضعه في الفراش ويربط ثلاثة أنواع من الطيور الصفراء كالببغاوات أو طائر الدج بخيوط صفراء إلى فراشه من جهة القدمين ،ثم يصب الماء على المريض لإزالة العصيدة ومعها بلا ريب مرض الصفرة الذي ينتقل بذلك من جسمه إلى تلك الطيور.ولكي تكتسب البشرة شيئا من النظارة والتألق يأخذ رجل الدين بعض شعيرات من ثور احمر في إحدى أوراق الشجرة الذهبية اللون ويلصقها إلى جلد المريض[١].وهناك بعض الممارسات السحرية البسيطة التي تمارس لاتقاء خطر الأوبئة فقد كان سكان شمال الهند يرسمون عند انتشار الوباء دائرة حول القرية ابتغاء منع الشياطين من النفوذ إلى داخل القرية[٢].

مارس **العرب القدماء** الطب السحري ،وان كنا لا نمتلك معلومات كافية عن ذلك ،فكان العرب يعتقدون إنهم إذا قتلوا الثعبان خافوا الجن ان تأخذ بثأره ،وإحدى هذه إنهم يسببون المرض ،لذا يأخذون روثه ويغطون رأسها ويقولون:"روثه راث ثائرك ".وإذ طالت علة الواحد منهم ظنوا به مسا من الجن.وإذا قتل حية أو يربوعا أو قنفذا صنعوا جمالا من طين وجعلوا عليها أحمالا وملئوها حنطة وشعيرا وتمرا ،وجعلوا تلك الجمال في باب حجر إلى جهة الغرب وقت غروب

---

[١]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص١١٨-١١٩.

[٢]) الياد ،المقدس والعادي ،ص٨٧.

الشمس وباتوا ليلتهم تلك ،فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال ،فإذا رأوا إنها بحالها قالوا إنها لم تقبل الدية فزادوا فيها ،وان رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة قالوا قد قبلت الدية واستدلوا على شفاء المريض[1].وتتحدث رواية عن ملك الحيرة أبو قابوس النعمان بن المنذر ،انه حين مرض ورغب في الاستشفاء ،اختار راهبا نصرانيا على المذهب النسطوري من بني كعب ،وهو شمعون بن جابر الارشمي أسقف الحيرة من اجل تلقي الشفاء على يديه ،وقد تمكن الأخير من شفائه[2].لا نعرف من الرواية كيف تمكن الراهب النصراني من شفاء الملك الحيري ، وربما استخدم طقسا سحريا ما ،من تلك الطقوس التي نقرأ عنها في الكتاب المقدس.

مارست **القبائل البدائية** حالها حال الحضارات المتقدمة فنون السحر في العلاج ،ونكاد نقرأ في أساطيرهم إشارات مهمة عن السحر الذي يشبه بعضه الطقوس التي مورست في الحضارات الكبرى ،ففي أسطورة نقرأ فيها دلالة إلى طقس البديل الحيواني هو طقس شائع في الكثير من الديانات القديمة كما في البابلية والمصرية والمسيحية.إذ نقرأ في أسطورة من مالاغاسي(جزيرة مدغشقر الحالية في أفريقيا) تتحدث عن هذه الحالة بالذات ،ففي بداية الخليقة ،خلق الإله امرأة وبقرة وكلبة ،وعاشت الكائنات الحية التي ولدت من أب واحد على الأرض سوية.وفي إحدى الأيام أراد الإله خادما لعرشه فبعث بحمى أصابت الطفل الوحيد للمرأة.ولجأت الأخيرة في محنتها إلى أقاربها وطلبت منهم جمع الأعشاب الطبية علها تشفي طفلها.ولكن حالة الطفل الصحية ازدادت سوءاً.وفي إحدى الليالي حلمت المرأة بالإله وبدا حاملا سكينا كبيرة في يده وموشكا على طعن المرأة ،مما دفع المرأة إلى الركوع أمامه طالبة الرحمة.فرد عليها الإله انه سيتركها وحالها إذا ما أعطته حياة طفلها بديلا عنها.وفي الصباح توجهت المرأة إلى الكلبة وطلبت منها المساعدة في تحقيق رغبة الإله.وافقت الكلبة في البداية ،ولكن بعد ان سردت المرأة للكلبة الحلم الذي حلمت به ،أدركت الكلبة بان المرأة تطلب منها حياة احد جرائها ،لذا رفضت ناصحة إياها بان تقدم حياتها بدلا من حياة طفلها.لذا توجهت

---

[1]) خان ،الأساطير العربية ،ص٧٧ ؛الأحمد ،الأصول الأولى ،ص١١١.

[2]) فاضل الربيعي ،**المسيح العربي:النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي-الفارسي** ،(بيروت:رياض الريس للكتب والنشر ،٢٠٠٩) ،ص١٦١.

المرأة عند ذاك إلى البقرة وتوسلت إعطائها احد عجولها ،فأشفقت البقرة عليها وأعطتها اصغر واضعف عجل من العجلين الذين كانا لديها ،وسرعان ما أقدمت المرأة على قتل العجل قربانا للإله ،وفي تلك الأثناء شفي الطفل من المرض الذي الم به[1].بلا شك ان هذه الأسطورة تنطوي في داخلها على طقس كان يقدم خلاله بديل حيواني عن الإنسان المريض والذي يحقق هدفين الأول:بديل يموت محل الإنسان ،والثاني:يمثل قربانا للإله من قبل الشخص المريض. وهو لا يختلف في صورته هذه عن طقوس البديل الحيواني التي مورست في الحضارات الكبرى كبلاد الرافدين.

نمتلك من الدلائل الكافية عن طقوس سحرية قد طبقت من اجل العلاج ،كما نعرف عن أهمية السحرة في المجتمعات البدائية ،ففي أفريقيا يؤمن السكان هناك بالسحر ويحترمون السحرة الذين لديهم ،ويعتقدون ان لهم قدرة على معالجة الناس وشفاءهم[2].وتتحدث الأساطير الأفريقية إلى عدد من هؤلاء الأطباء ،وأشهر أسطورة تخص احد الأطباء السحرة المدعو انوتشي(Anotchi) (لا تذكر الأسطورة موطن هذا الساحر)الذي تشير إلى انه هرب من بلاده بعد ان أهان ملكها مصطحبا معه كتاب الطب والسحر ،وسرعان ما أصبح انوتشي أشهر طبيب ساحر[3].وفي أسطورة ثانية تدور حول رجل الطب اويكا لدى قبيلة اسكاليبوس في الجورونا في البرازيل على ضفاف نهر كرنغو.وتروي الأسطورة ان اويكا لاحظ في يوم من الأيام ان الكثير من الحيوانات قد توفيت تحت شجرة عظمى ،وعندما اقترب منها أحس بدوار ونام ورأى في حلمه الإله سنا جد قبيلة الجورونا النمر ، وتكلم معه ومنعه من الاقتراب.والتزم اويكا بالنصيحة وعمل شرابا من لحاء الشجرة ،وحصل على قوى خارقة من لحاء الشجرة وصار من عظماء رجال الطب ،وكان يعالج الناس بلمسة من يده[4].

---

[1]) بارندر ،الأساطير الأفريقية ،ص٦٤-٦٥.
[2]) المصدر نفسه ،ص١٢٩.
[3]) المصدر نفسه ،ص١٤٤.
[4]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٨٨.

يمكن ان نطلق على الطبيب الساحر في الثقافات البدائية التسمية العامة الشامان(رجل الطب)[1] ،ولكن هذا لا يعني ان تسمية الشامان هي الوحيدة التي تظهر في الثقافات البدائية ،فالاسكيمو يسمى عندهم انغاكوك[2] ،ويسمى كذلك ايليك[3] ،وكان الشامان في قبيلة كازاك كيركيز في سيبيريا يدعى الباكسا[4].ويرى الأستاذ كون ان الشامان هو أول اختصاصي بين البشر ،وكانت حرفته أقدم الحرف الإنسانية.وليس هناك أدنى شك في ان الشامان قد وجد في عصر البلايستوسين المتأخر في العصر الحجري القديم[5] (قارن ذلك بساحر كهف الأخوة).فالشامانيين كما يرى الياد يمثلون التجربة الروحية الأكثر ثراء والأصح تعبيرا عن الإنسانية في مرحلتها البدائية[6].ففي الثقافات البدائية تطلب مساعدة الشامان في عدد من الحالات منها المرض ،فعندما يشكو أي شخص في مجتمع الاسكيمو مثلا من الم في بعض أجزاء جسده يتم استدعاء الشامان لتشخيص حالة المرض والقيام بمحاولة طرد الروح الشريرة التي سببت الألم[7].ونمتلك وصفا جيدا عن عمل هؤلاء الشامانات من خلال كتابات الرحالة والمبشرين والانثروبولوجيين.وقد أشار هؤلاء إلى ان الشامان كان يمتلك قدرات خارقة ،ويقول الياد ان الشامان هو من بين سائر المتعاملين مع الشأن المقدس ،الاختصاصي المتميز والمتفوق في الوجد والانخطاف.وبفضل كفاءته في الوجد ،أي لكونه يقوى على هجر جسده كلما شاء كما سنرى ،فهو يقوم برحلات على الصعيد الروحي إلى جميع المناطق الكونية.والشامان هو الشافي من العلل والأمراض ،وهو من دون سائر الناس

---

[1]) الشامانية بالمعنى الدقيق هي ظاهرة من الظواهر الدينية في سيبيريا واسيا الوسطى.والكلمة أتتنا عبر الروسية من الكلمة التنغوزية(Tunguz) والمنشورية شامان(Shaman).وتظهر الشامانية أيضا في أمريكا الشمالية والجنوبية واندونيسيا وجزر اوقيانوسيا وغيرها من المناطق.انظر:الياد ،الشامانية ،ص١٤١-١٤٢ ؛البيديل ،سحر الأساطير ،ص ١٣٠.

[2]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٨٤.

[3]) الياد ،الأساطير ،ص١٣٩.

[4]) المصدر نفسه ،ص١٢٤.

[5]) كارلتون كون ،**قصة الإنسان** ،ترجمة:مُحَمَّد توفيق حسين وعبد المطلب الأمين ،مراجعة:محمود الأمين ،(بغداد:المكتبة الأهلية ،بلا.ت) ،ص١٤٥ ؛انظر أيضا:فريزر ،الغصن الذهبي ،ص٣٦٩ ؛سيكالا ،الشامانية السيبيرية ،ص١٥٦.

[6]) الياد ،الأساطير ،ص١١٨.

[7]) الخطيب ،الاثنولوجيا ،ص٧٩.

بمقــدوره ملاحقــة روح المــريض التائهــة ،ويقبض عليهــا ثــم يعيــدها إلــى جسـدها[١] .والشـامان يسـتطيع ان يبتلي أعـداءه بالمرض ،كمـا يسـتطيع ان يشـفي أصدقاءه منه ،لذا تعزى إليه الأمراض والمصائب ،وتختلف قدرات الشامان وجنسه وأهميته تبعا للثقافات المختلفة فالشامان(انغاكوك) لدى الاسكيمو كان يعد ساحر القبيلة وكان يعمل على التخاطب مع عالم الأرواح ،ويمكن للرجال والنساء ان يصبحوا انغاكوك ،ولكن يقال ان النساء تعوزهن الشجاعة لمواجهة الشر.ويصبح الشخص انغاكوك بحماية من قبل الروح الحارسة تورناك ،وعن طريق التورناك يمكن للشامان مداواة المرضى[٢] .وفي اليابان يكاد لا يمارس الشامانية حصرا إلا النساء ،فهن يستحضرن روح الشخص الميت من عالم الأموات ،ويطردن الداء وغيره من الشر ،ويسألن إلههم عن اسم الدواء الذي يجب ان يستخدم[٣] .وكان الشامان لدى الهنود في أمريكا هو صاحب رؤيا افلح في تلقي القدرة على شفاء الناس ،ومهما يكن فان أصحاب الرؤى من ذوي القدرات غير العادية ،كالقدرة على العثور على الأشياء الضائعة أو التكهن بالمستقبل ،قد أطلق عليهم كذلك لقب رجل الطب ،وفي أحوال كثيرة فان روح الدب هي نصير الشامان ،ولذلك فهو يلبس غطاء طويلا من الفراء الأسود ويقلد حركات الدب وأصواته حين يطبب الناس[٤] .ولكن ليست فقط روح الدب هي التي تساعد الشامان فنحن نمتلك تنويعات أخرى عن المجال الذي يستمد الشامان منه قدرته ،فلدى قبيلة اروكان(Araucan) ،وهي من قبائـل الهنـود الحمـر والتـي تسـكن وسـط تشـيلي ،يبرز لـديهم أهميـة كبيـرة للشــامان ،وهو عنــدهم امتيــاز متوارث ،ويمــارس الشــامان العرافــة ويشــفي الأمراض.ويستمد الشامان قوته من عالم ما فوق الطبيعة ،ومن بينها القوة السحرية الشافية ،ومن مصاحبته لروح شامان ميت كمساعد له ،وكذلك من الكائن الأعلى الذي يقدم له الصلاة[٥] .ويقول لوكاس بريجز وهو مبشر عاش بين هنود الاونا ،انه

---

[١]) الياد ،الأساطير ،ص٩٩-١٠٠.

[٢]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٨٤.

[٣]) الياد ،الشامانية ،ص١٥١.

[٤]) أيك هوتكرانتس ،"الأديان الأمريكية الشمالية" ،بحث ضمن موسوعة:**تاريخ الأديان** ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧) ،ج١ ،ص١٩٢.

[٥]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٣٥ ؛كون ،قصة الإنسان ،ص١٤٩.

غالبا ما يكون الهدف الرئيسي للغزاة في الحروب التي تقوم بين قبائل الاونا ،هو قتل الطبيب الساحر عند الجماعة المعادية[1].



(شامان)

[1]) كون ،قصة الإنسان ،ص١٤٩-١٥٠.

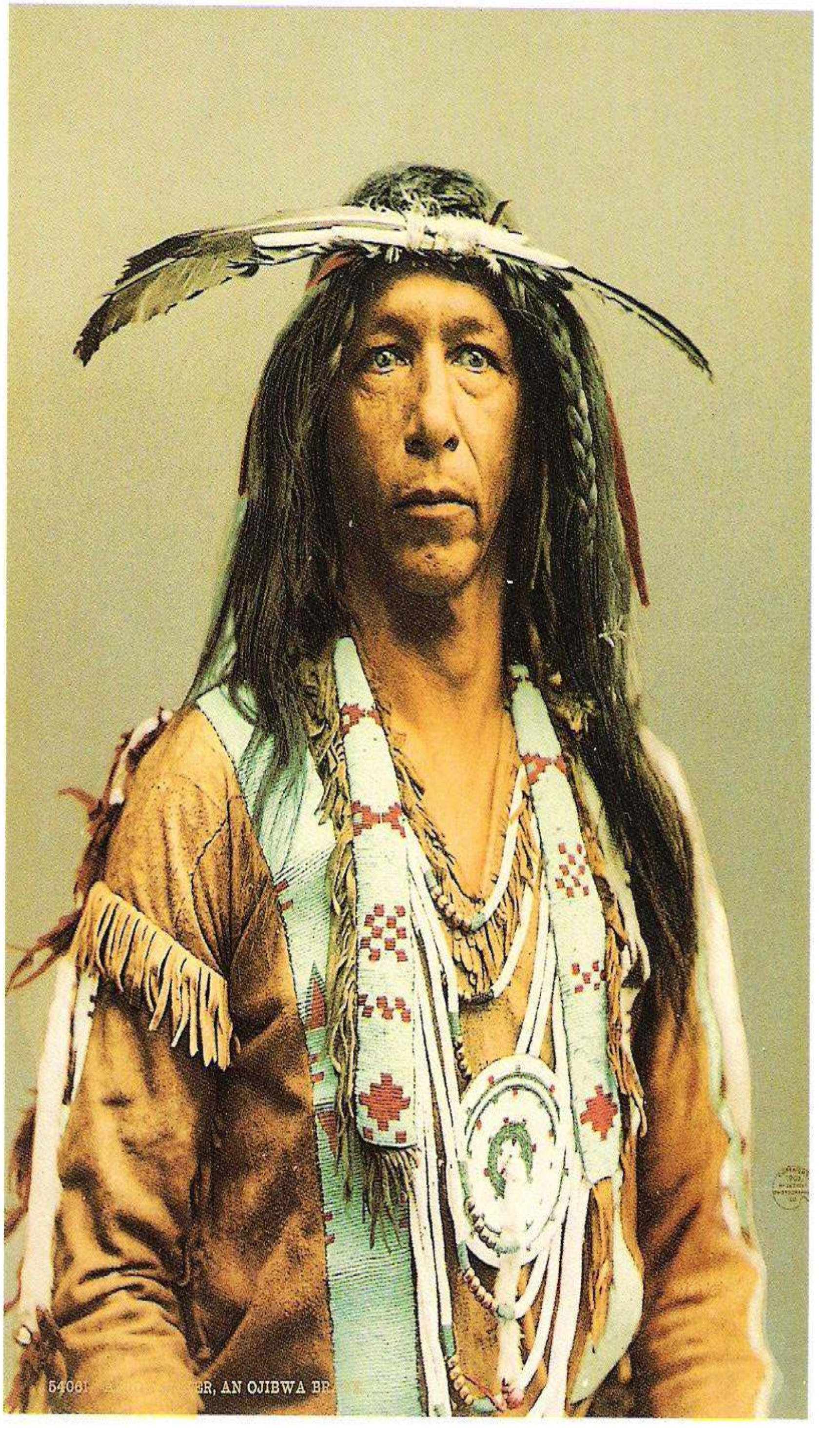


(شامان)

ونمتلك إشارات ان المطببين لدى القبائل البدائية قد يعملون كجماعات أشبه بالجمعيات ،ففي بعض الثقافات الأمريكية ذات التنظيمات الاجتماعية الأشد تعقيدا ،قد يتشارك رجال الطب ويتبادلون الخبرات ،ويستنبطون إيديولوجية سرية مشتركة أو قد يشكلون جمعيات طبية يقبل فيها الأشخاص بعد اجتيازهم سلسلة من الحوادث الطقسية ،والمثال على ذلك الميدويوين(Midewiwin) أو جمعية الطبية الكبيرة في اوجيبوا(Ojibwa) التي تنظم بوصفها جمعية نظامية سرية لها أربع أو ثماني درجات تراتيبية.وفي بعض الثقافات في الجنوب الغربي حيث الجماعية جزء من الأنموذج الثقافي كما هو الأمر مثلا عند قرى البويبلو(Pueblo) الزراعية ، فان رجل الطب تحل محله منظمة للشافين المحترفين ،تؤدي الشعائر لمساعدة الأفراد ،وعند النافاجو(Navajo) يعيش رجل الطب العجوز فيها بوصفه مختصا بتشخيص الأمراض في حين ان العلاج نفسه يقوم به مغن ذو براعة طقسية.ولدى قبائل الايروكوا في أمريكا الشمالية هناك الرجال الذين يلبسون

الأقنعـة ،خلال الربيـع والخريـف ،ودورهم هـو شـفاء المرضـى.وان أعضـاء إحـدى الأخويات المسماة بأخوية الوجوه المستعارة يدلفون إلى المنازل ويطردون الأمراض منها.أما الأخوية الأخرى واسمها وجه قش الذرة فتمارس طقوسها خلال المراسم التي تقام في البيت الطويل(وهو الكوخ الخاص بالعبادة).إذ يعمد ذوو الأقنعة إلى رش الحضور بالمياه التطبيبية ،والى نشر الرماد بينهم ،على سبيل وقاية الموجودين من الأمراض.وتتحدث الأساطير عن أصل هؤلاء المقنعين ،إذ تقول إحدى الأساطير ان الأمراض والبلايا الأخرى كانت من نتاج كائن مفارق للبشر هو تاويسكارون ،ففي بداية الخلق كان هذا الكائن قد ناهض الخالق وعمل ضده ،لكنه هزم ونتيجة لذلك كلف بمهمة شفاء البشر ونجدتهم.وهو يقيم دائما بين الصخور التي تحد العالم وحيث تنشأ الحمى والسل وأنواع الصداع.ويعد ذوو الوجوه المستعارة من أتباعه ،وهم كائنات مشوهة ودميمة الخلق ذات رؤوس كبيرة وسمات قردية ،وكانوا يرتادون الأماكن المقفرة.وتقول الأسطورة إنهم نتاج عملية الخلق الفاشلة التي يقام بها تاويسكارون(وهو بالأصل كان احد التوأمين الأسطوريين الذين نفذا عملية الخلق ،ومن ثم أصبح لاحقا يمثل الشيطان ،أما التوأم الثاني فهو اوتيرنغتونيا ،وفيما بعد خلال القرن التاسع عشر تحول التوأم الثاني إلى الخالق هاوينييو أي الصوت الأكبر ،أصبح تاويسكارون الشيطان هانينسيونو) عندما سعى لتقليد الكائنات البشرية التي خلقها أخوه.لذا فإنهم يظهرون في الطقوس برجال مقنعين الذين يطردون المرض من القرية خلال الربيع والخريف[1].

[1]) هوتكرانتس ،الأديان الأمريكية الشمالية ،ص١٩٢-١٩٣ ؛مرسيا الياد ،البحث عن التاريخ والمعنى في الدين ،ترجمة:سعد المولى ،(بيروت:المنظمة العربية للترجمة ،٢٠٠٧)،ص٢٨٥.



(رجل من قبيلة اوجيبوا)



(الميدويوين عند اوجيبوا)

ارتبط بالشامانية ما يعرف بتقنيات الوجد وهي تقنيات تخص غيبوبة الشامان ،ويدل الوجد الشاماني على طيران الروح إلى السماء ،أو طوافها حول الأرض ،أو نزولها إلى عالم ما تحت الأرض بين الموتى.والشامان يقوم بهذه الرحلة الوجدية لأربعة أسباب:أولا ليلقى الإله السماوي وجها لوجه ويحضر تقدمة من الجماعة ؛ثانيا:لبحث عن روح إنسان مريض ،من المفترض إنها هامت بعيدا عن جسده أو اختطفها الشياطين ؛ثالثا:ليرشد روح إنسان ميت إلى مسكنها الجديد ؛رابعا:ليضيف إلى معرفته بالتردد إلى الكائنات العليا غير البشرية.وبشكل عام تبقى الوظيفة الرئيسة للشامان في سيبيريا وأسيا الوسطى هي الشفاء[1].وتختلف طريقة عمل الشامان الشفائية حسب مسبب المرض ،فقد يعزى المرض عادة إلى طريقتين:فيفترض ان روح سبب المرض قد دخلت عنوة في الجسد ،وأحيانا كما في مناطق الساحل الشمالي الغربي للقارة الأمريكية تمتلك الشخص بالمعنى السيكولوجي كذلك.أو ان روح الإنسان المريض قد سرقت.وفي الحالة الأولى فان مهمة رجل الطب هو إرعاب الروح لتهرب أو إخراجها من الجسم

[1]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص٩٦-٩٧ ؛الياد ،الشامانية ،ص١٤٨ ، ١٥٠.

بالامتصاص ،أو تحريك الهواء ،أو اجتذابها إلى الخارج.وفي الحالة الثانية ،عليه ان يمسك بالروح الضائعة ،الأمر الذي يمكن ان يتم في جلسة روحية تقليدية ،إذ يمكن لرجل الطب ان يغوص في غيبوبة ،وان يطلق روحه ،ويرسلها وراء الشخص الضائع أو الروح المسروقة[1].ويمكن ان نقدم وصفا لطريقتين من طرق عمل الشامان في الثقافات البدائية وهي:

١.**البحث عن الروح المفقودة**:ترتبط هذه بفكرة فقدان الشخص المريض لروحه التي ظلت بعيدا أو إنها سرقت منه ،كأن يكون قد جرى الاحتفاظ بها متوارية في مناطق غريبة لا تطالها الأنظار ،أو تكون مخطوفة إلى بلد الأموات ،أو مخطوفة في أعلى بقعة من الكون ،أو مرمية في القاع.لذا يختزل العلاج من حيث المبدأ إلى العثور عليها والإمساك بها ،وإلزامها بان تعود إلى مكانها في جسد المريض[2].وتتحدث أسطورة في إقليم اركوتسك السيبيري عن هذه الطريقة ،وتقول بان مورغان كارا الشامان الأول لقبيلتهم كان ماهرا إلى درجة انه استطاع ان يحرر النفوس ويستعيدها من الموت.فما كان من أمير عالم الأموات إلا تقدم بشكوى إلى اله السماء الأكبر.وعند ذلك قرر الإله ان يخضع الشامان إلى اختبار.لهذا الغرض سيطر على روح احد الناس وأخذها إليه ،وحبسها في قنينة ووضع إبهامه في فمها ،وعندما تعرض الرجل المعني إلى المرض توسل أقاربه إلى مورغان كارا طالبين المساعدة.وقد بدأ في الحال بمهمته وراح يبحث في كل مكان عن النفس ،في الغابات ،في الماء ،وفي وديان الجبال ،حتى في عالم الأموات ،ولكن دونما جدوى.وأخيرا صعد الشامان وجلس على الطبل وهو أداته التي يستخدمها للتنقل ،من اجل الوصول إلى العوالم العليا.وحتى هناك كان عليه ان يبقى زمنا طويلا باحثا عن الروح ،إلى ان لاحظ إنها محبوسة في قنينة وان الإله الأعلى يضع إبهامه في فمها.عند ذلك حول الشامان نفسه إلى دبور ولسع الإله في جبهته مما اضطره إلى رفع الإصبع عن فم القنينة.وبهذه الطريقة تمكن الشامان من ان ينقذ الرجل المريض.وعندما رأى الإله كيف نزل الشامان إلى الأرض ثانية وهو جالس على طبله تملكه الغضب وأضعف من سلطة الشامانات في حين قسم الطبل إلى

[1]) هوتكرانتس ،الأديان الأمريكية الشمالية ،ص١٩٢.

[2]) الياد ،الأساطير ،ص١٣٣ ؛الياد ،الشامانية ،ص ١٥٠.

قسمين[1].وقد ترك لنا احد الرحالة الذين زاروا في القرن الثامن عشر اللابيين وهم قبائل أقصى الشمال في سيبيريا ،وصفا حيا عن هذه الطريقة ،والتجول الذي يقوم به الشامان في عالم الأموات من اجل السيطرة على الروح التي تؤذي المريض على الأرض ،أو إعادة روحه الضالة إليه.إذ يجري الطقس بعد حلول الظلام ،لان العالم الأخر ،إنما هو مكان الليل الأبدي.وكان الأصدقاء والجيران يجتمعون في خيمة المريض المضاءة بنور خافت ،ويتبعون متوترين حركات الشامان.في بدء الطقوس التي يقوم بها ،يستدعي الشامان الأرواح القادرة على المساعدة ،وهي تعلن عن حضورها وتكون مرئية فقط من قبله.وتتقدم سيدتان بأبهة احتفالية ،ولكن دونما نطاق ،وبقلنسوة من الكتان ثم رجلان دونما نطاق ومع قلنسوة ،ثم تأتي فتاة غير بالغة لمساعدة الشامان.والشامان يعري رأسه ثم يفك نطاقه وسوار حذائه ،ويغطي وجهه بيده ،ثم يبدأ بالدوران الهائج صانعا دوائر عديدة ،إلى ان يصرخ فجأة بحركات متوحشة قائلا:الرنة جاهزة ،القارب واضح".ثم يأخذ بلطة ويبدأ بالضرب بها على الركبة ،ثم يلوح بها تجاه النساء الثلاث.بعد ذلك يمد يده العارية وينتزع قطعة خشب متوهجة من النار ،ثم يدور مهتاجا لثلاث مرات حول كل واحدة من النسوة ،وفي النهاية يسقط مغشيا عليه مثل الميت.أبان هذا الوقت كله لا يجوز ان يلمسه احد ،وما دام متصلبا في غيبوبته يجب ان يراقب بدقة شديدة ،إلى درجة انه لا يجوز ان تستقر ذبابة عليه ،لقد فارقته ألان روحه وشاهدت الجبال المقدسة مع آلهتها.والنسوة يتهامسن مع بعضهن البعض حول التوقعات التي تتساءل عن المكان الذي يوجد فيه الشامان في العالم الأخر.فإذا ما سمين الجبل الصحيح ،حرك الشامان يده أو قدمه ،وفي النهاية يأخذ طريق العودة.ولكن يمكن ان يحدث ان النسوة لا يتوصلن إلى معرفة موطن إقامة الشامان في العالم الأخر ،وفي هذه الحالة يكون من الممكن ان روحه تضل طريق العودة إلى جسده.ومن الممكن أيضا ان روح لشامان معادٍ تدخله أثناء صراعه أو تضله عن طريق العودة ،وكثير من الشامانات لم يتسن لهم الرجوع.بعد عودته ويبدأ بنطق الكلمات التي استمع إليها في العالم الأخر ،ويكون صوته ضعيفا ومتهالكا.بعد ذلك تبدأ النسوة بالغناء ،في حين يستيقظ الشامان ببطء شديد ،من غيبوبته ويشرح علة

---

[1]) كامبل ،البطل بألف وجه ،ص٢٠٨.

المريض أو يعطي نوع الضحية التي يجب تقديمها ،وفي النهاية يحدد المدة الزمنية التي يتطلبها شفاء المريض[١].وعند قبيلة البوريات تعقد جلسة روحية افتتاحية لتحديد هل ضلت الروح بعيدا عن المريض أم إنها سرقت منه وهي أسيرة سجن ارليك رب الموتى.ويبدأ الشامان بالبحث عن الروح ،فإذا وجدها على مقربة من القرية ،فان إعادة إجلاسها في الجسد أمر سهل.وإذا لم يجدها بحث في الغابات ،وحتى في قاع البحر.ويدل الإخفاق في العثور عليها إنها سجينة ارليك ،والملاذ الوحيد هو تقديم الأضاحي الثمينة.وفي بعض الأحيان يطلب ارليك روحا أخرى محل الروح التي سجنها ،فتكون المشكلة عندئذ هي العثور على روح متاحة.وبموافقة المريض يقرر الشامان من سيكون الضحية.وبينما تكون الضحية نائمة ،يتخذ الشامان شكل عقاب ،ويحط عليها وتنتزع روحا ويذهب بها إلى عالم الأموات ويقدمها إلى ارليك الذي سيسمح له عندئذ ان ينقل روح المريض إلى جسده.وسرعان ما تموت الضحية ،ويشفى المريض.وبما ان المرض يفسر بأنه طيران الروح ،فان شامانات اللولو(Lolo) في ينان(Yunnan) الجنوبية ،وكذلك أطباء الكارين(Karen) في بورما يقرؤون ابتهالات طويلة متضرعين ان تعود روح المريض من الجبال أو الغابات أو الحقول البعيدة[٢].

٢.تقنية الامتصاص:تتلخص هذه الطريقة السحرية بان يضع الطبيب الساحر(الشامان) ،سواء أكان داخلا في غيبوبة أم لا ،فمه أو قد يستخدم لذلك أنبوبة من القصب أو غيره ،على موضع الوجع ويأخذ في المص بشدة متظاهرا بأنه يمتص المرض من الجسم ،ثم يلفظ من فمه قطعة من الحجر أو من العظام أو حتى من الرماد أو قطعة من الفراء وما إلى ذلك ،علامة على انه اخرج المرض بالفعل من جسم المريض[٣].ويصف بريجز كيفية قيام الشامان بمعالجة المرضى لدى هنود الاونا بهذه الطريقة:"يقف الطبيب منتصبا إلى جانب المريض المسجى أو ينحني عليه ،ويطيل النظر إلى موضع الألم ،ويترك مسحة من الرعب تكسو وجهه ،فهو على ما يظهر يستطيع ان يرى أشياء خفية لا نراها نحن جميعا ،وهو يتقدم ببطء

[١]) كورتل ،قاموس أساطير العالم ،ص١٣٣ ؛كامبل ،البطل بألف وجه ،ص١٠٤-١٠٥.
[٢]) الياد ،الشامانية ،ص١٥٠-١٥١.
[٣]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص١٢٠ ؛غيل ،الشامانية الأمريكية ،ص١٧٢-١٧٣.

وحذر إلى المريض ،أو يقفز مرتعبا كأنه يهرب من الشيء الخبيث الذي سبب المرض.وهو يحاول ان يجمع بيديه هذا الشيء الخبيث في موضع واحد من جسد الإنسان ،في الصدر غالبا ،ثم يضع فمه ويمصه بعنف.وقد يدوم هذا الصراع أحيان مدة ساعة ،ثم يعاود فيما بعد كرة أخرى.وفي أوقات أخرى ينفصل الطبيب عن المريض وهو يرى كأنه يحمل شيئًا في فمه ويستره بيديه.وبعد ان يدير الطبيب الساحر ظهره للمخيم يسحب يديه ثم يضمها ضما قويا ،ويرمي هذا الشيء غير المرئي على ارض ويدوسه بقدميه بعنف وهو يطلق صرخة من حلقه هائلة يصعب وصفها ،ويستحيل فهم معناها ،وقد يظهر الساحر ،أحيانا قطعة من الطين ،أو قطعة من الصوان ،أو حتى فأرة صغيرة حديثة الميلاد ،ويعلن إنها سبب علة المريض"[١].

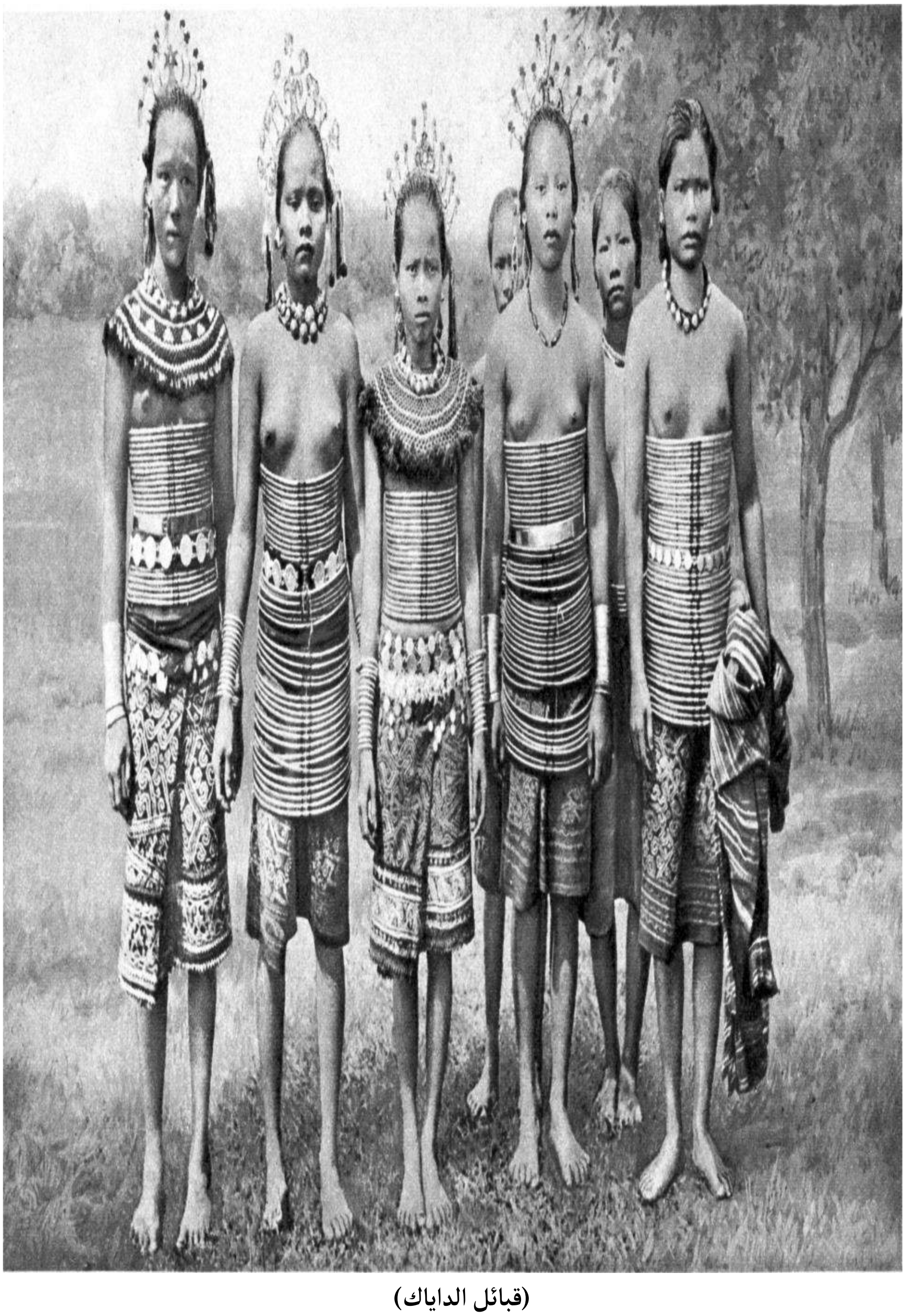
لم تكن هذه فقط هي طرق العلاج السحري لدى الثقافات البدائية ،فهناك إشارات عديدة إلى طقوس أخرى مورست من اجل الشفاء ،فهناك طريقة للعلاج عند قبائل الداياك(Dayak) في بورنيو في اندونيسيا ،تتلخص بان يلقي الطبيب الساحر نفسه على الأرض متظاهرا بالموت ،ويعامله الناس بنفس الطريقة التي يعاملون بها الجسد الميت فيلفونه في حصر ويحملونه إلى بيته حيث يسجونه على الأرض.وبعد ساعة تقريبا يأتي شخص ليخلصه من إساره ويرده إلى الحياة ،ومن المفترض انه بينما يسترد الطبيب المتماوت حياته يسترد المريض صحته[٢].وعندما يأتي المرأة المخاض لدى قبائل الداياك فإنها تستدعي احد الأطباء السحرة لمساعدتها على الوضع.ويقوم الساحر بجس جسمها ،وتحريك الجنين بيده لمعاونتها على الوضع ،وفي الوقت نفسه يقف ساحر أخر خارج الحجرة ويقوم بأداء بعض الحركات التي تهدف هي أيضا إلى نفس الغاية دون تكون لها صلة بعملية الوضع ذاتها.وتدور هذه الحركات حول تمثيل ومحاكاة دور المرأة الحامل ،فيربط حجرا كبيرا إلى بطنه بقطعة من القماش يلفها حول جسمه ،لتمثل دور الطفل داخل الرحم ،ثم يقوم

---

[١]) كون ،قصة الإنسان ،ص١٥١.

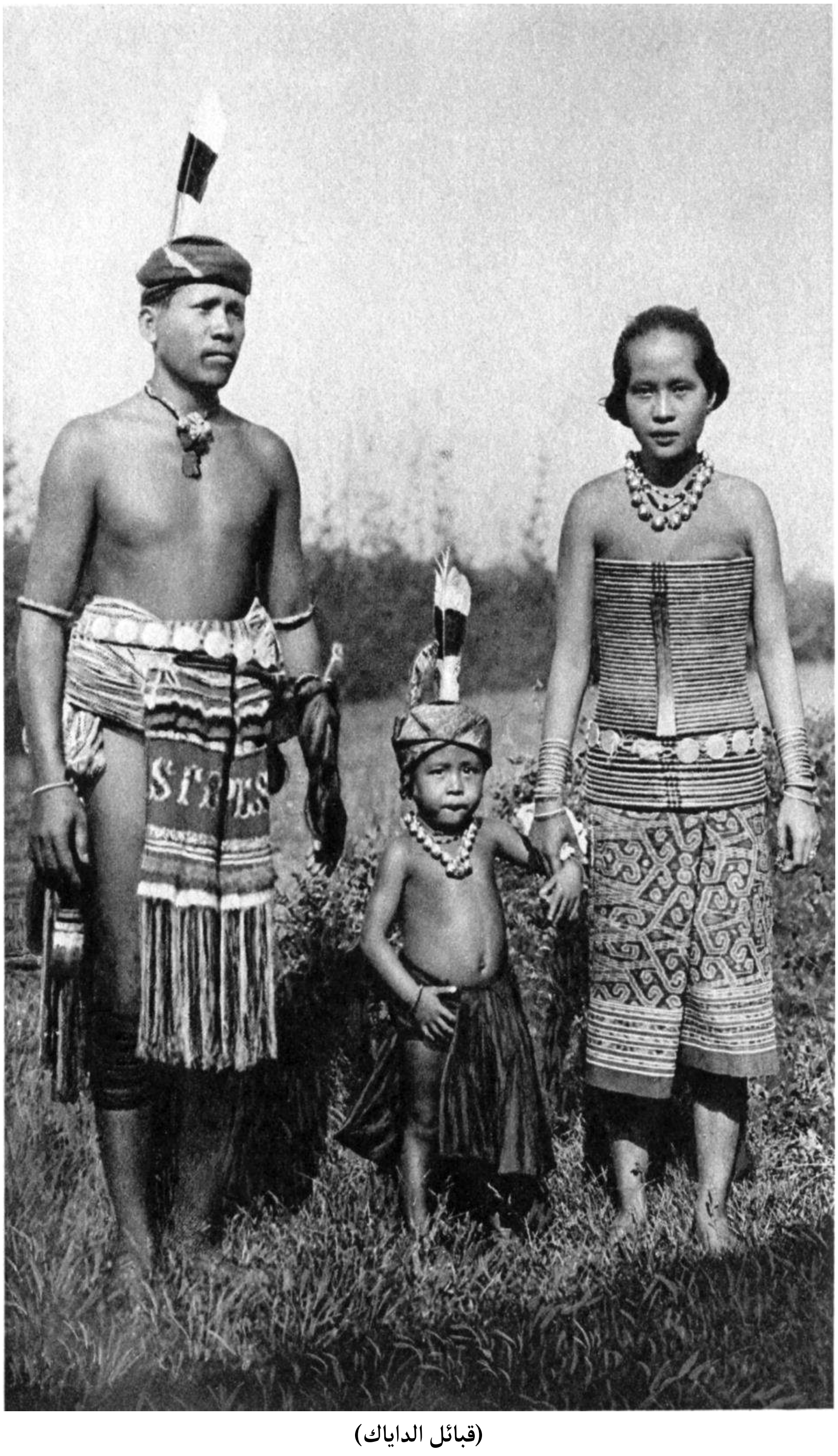
[٢]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص١٢١.

مسترشدا بالتعليمات التي يصدرها إليه زميله من داخل الحجرة بتحريك الطفل المتوهم في جسمه ،مقلدا حركات الطفل الحقيقي حتى تتم الولادة[١] .



(قبائل الداياك)

[١]) المصدر نفسه ،ص١١٣.



(قبائل الداياك)

وهناك أمثلة متنوعة يمكن ان نسوقها لمعرفة طرق أخرى للعلاج السحري في الثقافات البدائية ،ففي بعض الطقوس التي نقرأ عنها لا تتطلب حضور طبيب ساحر متخصص في العلاج إذ يستطيع الأهالي القيام ببعض الطقوس السحرية ففي ميلانيزيا ،يبذل أصدقاء الرجل الجريح جهدهم ليحصلوا على السهم الذي أصابه ثم يضعونه في مكان رطب أو يدفنوه بين أوراق الشجر الندية فيخفف ذلك من التهاب الجرح ويبرأ بعد فترة وجيزة من الزمن[١].وهناك طقوس سحرية ذات طبيعة تكفيرية لدى عدد من القبائل البدائية ،إذ نعرف انه إذا ابرم اتفاق بين حيين من أحياء قبيلة واتشاجا في أفريقيا الشرقية فيجب الالتزام به ،فإذا ما انتشر وباء أرجعه الكهنة الذين يقومون بتفسير إرادة القوى العليا ،إلى نقض سكان البلد الموبوء العهد بعمد أو من غير عمد ،فهنا لابد من إجراء طقس سحري ذات غرض تكفيري ،أو التكفير عن ذنب الحبل ،أو كما يعبر عن ذلك الأهالي بتبريد الحبل إذ كان الحبل يستخدم من ضمن طقوس عقد الاتفاق.وذلك ان القوة السحرية التي خلعها الاتفاق على الحبل تمارس نشاطها ،حسب اعتقادهم ،في ذلك الانتقام ممن دنس قدسية هذا الحبل.ويتمثل هذا التكفير في ذبح شاة وتلطيخ الحبل بدمها وروثها ،بينما تتلى الكلمات الآتية:"هؤلاء الناس قد ارتكبوا الخطأ دون علم ،ومن ثم فانا اكفر اليوم عن ذنبهم أيها الحبل ،فلتقبل التكفير ،لتقبل التكفير ،لتقبل التكفير".ثم يكفر الطبيب عن هؤلاء الذين نقضوا العهد بان ينثر عليهم دواء سحريا يتكون من دم سلحفاة وحيوان العزير وظبي ،فضلا عن كمية من النباتات ،وكل هذا يبث فيه الطبيب السر بان يضع فيه حزمة من الأعشاب المتنوعة ويتلو عليه بعض الكلمات السحرية[٢].وهناك طقوس أخرى تمارس من اجل درء خطر الأوبئة فنعرف ان لدى التشينيين الذين يسكنون في المنطقة الواقعة على حدود أسام وبورما طقوسا للوقاية من الأمراض ،فإذا اعتقد شخص من بين هؤلاء القوم ،ان شخصا تتعقبه روح ثائر ،مثل روح مرض الكوليرا فانه من المألوف عندهم ان يذبح كلب ويشطر دون ان تنتزع أمعاؤه ،ويترك النصف الأمامي منه على جانب من الطريق والنصف الخلفي على الجانب الأخر منه ،ويصلون بينهما بأمعاء الكلب التي يمدونها عبر

---

[١]) المصدر نفسه ،ص١٩١.

[٢]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٢٣٨-٢٣٩.

الطريق.وهم يفعلون هذا بقصد إسكان غضب الروح الثائر وإثناءه عن عزمه في اقتفاء أثرهم.وقد تعود الكورياكيون الذين يسكنون سيبيريا الشمالية-الشرقية ،ان يصرفوا الأوبئة والطاعون عنهم على هذا النحو ،فهم يذبحون كلبا ويربطون الأمعاء حول عمودين ويمرون تحتها.ومما لاشك فيه إنهم يعتقدون بالمثل أنهم بهذه الوسيلة يطردون روح المرض الذي يجد في أمعاء الكلب حاجزا لا يقهر[(١)].ونعرف ان الفرد في قبيلة ماساي في أفريقيا يقدم أضحية للإله حتى يحفظه هو وقطعانه سليما معافى.إذ يحضر كبش بدين اسود ويغسل بالعسل المتخمر ويرش عليه مسحوق خشب معين ثم يقتل خنقا ويسلخ جلده ويقطع لحمه ،ويأخذ كل فرد من الحاضرين قطعة من اللحم يشويها ويأكلها ،كما يستلم شريطا من جلد الحيوان يصنع منه عددا من الخواتم يلبس احدها في إصبعه ويقدم الباقي لأفراد أسرته ،وهذه الخواتم بمثابة تعاويذ يحفظ من يرتديها من كل أنواع المرض.ومثل هذه العادة تتبع في حالة المرض ،فأفراد قبيلة واوانجا على سبيل المثال يستدعي الرجل المريض وهو في حالة هذيان شخصا من أقربائه المتوفين ،فان فعل ذلك ،فهذا معناه ان المرض قد جاوزه واستقر عند عتبة شبح الميت ،ومن ثم فان أقرباءه يقومون بإجراء من اجل القضاء على هذا المرض ،وهنا تقدم بعض النقود لرجل عجوز فقير لكي يقوم بالعمل الخطير وهو إخراج جثة هذا الميت من القبر ،ثم تحرق عظامها فوق عش من أعشاش النمل الأحمر ،ويجمع بعد ذلك الرماد في سلة يطرح بها في النهر.وقد تختلف وسيلة تهدئة الشبح عن ذلك بعض الشيء ،فبدلا من إخراج عظام الميت ،يزج سيخ في القبر.ولكي يزدادوا يقينا من إنهم قد أصابوا الشبح ،فأنهم يصبون الماء المغلي اثر ذلك في القبر.وبعد ان يشعروا برضائهم في القضاء على الشبح على هذا النحو يذبحون كبشا اسود ويمسحون صدورهم ببعض روثه الذين يأخذونه من أمعائه ،ويلفون شرائح من جلده حول معاصمهم اليمنى ،ثم يأتي زعيم الأسرة التي ينتمي إليها المريض ،ويأخذ قطعة من جلد الحيوان ويلفها حول سبابة يده اليمنى ،كما يلف المريض نفسه شريطا أخر من جلد الحيوان حول عنقه.ولا يبدو ان الهدف من وراء التضحية بالكبش الأسود هو إسكان غضب الشبح ومصالحته ،حيث انه قد زج بالسيخ في رأسه ،كما سكب الماء المغلي

---

[١]) المصدر نفسه ،ص٢٤٦.

على عظامه ،لذا يمكن الافتراض ان التضحية بالكبش ترجع إلى مزيد من الشك في انه حتى هذه الوسائل العنيفة ربما لا يكون لها الأثر الفعال في القضاء على الشبح.ومن ثم ان الرجل المريض وأصدقاءه بذبحهم الكبش فإنهم يحصنون أنفسهم ضد طعنات الشبح وذلك عن طريق ارتدائهم لجلد الكبش الذي يخدمهم في هذا الغرض بوصفه تعويذة.ونعرف انه في حالة اتهم شخصا من بين أفراد هذه القبيلة بالسرقة ،فانه يذهب مع متهمه إلى شجرة محددة هي شجرة ارثرينا تومنتوزا ،ويزج كل منهما برمحه فيها ،فيقع اثر ذلك المذنب منهما ،سواء أ كان المتهم بالسرقة أم من اتهمه ،فريسة للمرض.على إنهم لم يقدموا سببا يعزى إليه مرض هذا الشخص ،وإنما يرجح الأستاذ فريزر ان روح الشجرة قد استاءت بطبيعة الحال لطعنها بالسهام ،لذا تنتقم لغضبها ،عن طريق التمييز الحصيف من المجرم وحده.ومن ثم فان الرجل الشرير يمرض ،ولا شيء يشفيه من مرضه إلا إذا اقتلعت الشجرة من جذورها ،لان هذا هو الطريق الوحيد للقضاء على روح الشجرة.وبناء على ذلك فان أصدقاء المريض يأتون إلى الشجرة ويقتلعونها ، وفي الوقت نفسه يقومون بذبح شاة ويأكلون لحمها توا ،كما يتناولون معها بعض الأدوية.ثم يلف كل فرد منهم شريطا من جلد الحيوان على معصم يده اليمنى.أما الرجل المريض نفسه الذي تقام هذه الشعائر من اجله ،فيلف شريطا من جلد الحيوان على رقبته ،كما يمسح بصدره بروث الحيوان المذبوح ،وهنا نلاحظ مرة أخرى ان الغرض من ذبح الشاة ليس استرضاء الروح بحال من الأحوال وإنما هو بالأحرى حماية المريض وأصدقائه من نقمة روح الشجرة ،وذلك في حالة ما إذا كانوا قد فشلوا في القضاء عليه عن طريق تحطيم الشجرة.وتؤدي قبيلة واتشاجا التي تسكن في مقاطعة الجون في أفريقيا الشرقية شعائر مشابهة ،فإذا اقتحم شخص غريب كوخا من الأكواخ ،على سبيل المثال وسقطت عباءته الجلدية على الأرض ،أو كان قد اشترك في مشاجرة ما أصيب على أثرها بجراح تساقطت منها قطرات دم على ارض الكوخ ،فان احد سكان الكوخ يكون في هذه الحالة معرضا للمرض ،ما لم تؤد شعائر معينة لدرء هذا المرض.وفي هذه الحالة يتحتم على هذا الشخص الغريب ان يحضر ماعز ويذبحها ويسلخ جلد صدرها وبطنها ويقطعه إلى شرائط تقلب في محتوى معدة الحيوان ،ثم يأخذ كل فرد من أفراد الكوخ شريطا منها ويلف حول معصم يده اليمنى.فإذا حدث

ان وقع احد افرد الكوخ فريسة للمرض قبل ان يتخذ هذا الإجراء ،فان الشريط يلف في هذه الحالة حول رقبة المريض ،كما يمسح صدره ببعض الروث.ثم يأكل أفراد الكوخ نصف لحم الماعز والنصف الأخر يأكله القادم الغريب[1] .وهناك طقوس تنفذ لعلاج العقم ،ففي طقس ينفذه نساء ورجال قبيلة اليانان الأفريقية من اجل علاج العقم ،يقوم على فكرة اجتذاب القوة الحيوية إلى النساء العقيمات لكي يصبحن مخصبات.إذ يجتمع النساء معا ويجتمع الرجال حولهن في عدة محارب لان الأمر يتعلق بمعركة ضد القوة الخفية ويأخذون بتلفظ كلمات التبريك[2] .

---

[1]) المصدر نفسه ،ص٣١١-٣١٣.

[2]) فروليش ،الديانات الأفريقية ،ص٢٣٦.

٦.**العقاقير السحرية.**

تشير المصادر إلى ان في كثير من الحضارات الكبرى شكلت العقاقير السحرية قدرة شفائية عالية قد توازي الممارسات السحرية التي ينفذها الطبيب الساحر ،بل قد تفوقت عليها أحيانا.ولم تكن هذه العقاقير السحرية بالضرورة شرابا سحريا ،بل ربما تعدى الأمر في بعض الحضارات بالمشروبات المقززة ،كما سنرى في وادي الرافدين أو وادي النيل ،وأحيانا العقار هو نبات سحري أوجدته الآلهة ،وهذا نقرأ عنه جيدا في وادي الرافدين ، وفي إيران والهند القديمتين[1].ويمكن ان نصنف العقاقير السحرية التي نقرأ عنها في مصادرنا إلى:

- **النباتات السحرية**: نقرأ عن هذا النمط من النباتات في **وادي الرافدين** وتشير أسطورة ايتانا إليها ،فالملك السومري ايتانا يبتهل إلى الإله شمش من اجل ان يمنحه نبتة الولادة:

"أعطني(أي شمش) النبات الذي يساعد حمل المرأة

اكشف عن العشب الذي يساعد على الحمل".

ولما كانت هذه النبتة بحوزة الربة عشتار ،لذا يبادر ايتانا للصعود إلى السماء على ظهر نسر ،الذي يخاطبه:

"تعال يا صديقي[لأحملك إلى سماء عشتار(؟)]

مع عشتار ذات السناء

[يوجد النبات المساعد على الحمل(؟)]"[2].

وهناك ختم اسطواني يعود للعصر الاكدي يصور صعود ايتانا على ظهر نسر إلى السماء ليجلب الدواء الذي يزيل العقم عن زوجته[3].

---

[1]) نفذت دراسة من قبل الباحث حول دور العقاقير السحرية في العلاج في: اسامة عدنان يحيى ،"العقاقير والادوات والقوى السحرية ودورها في العلاج: دراسة في معتقدات حضارات الشرق الادنى القديم والحضارات الكلاسيكية" ،**دورية كان التاريخية** ،العدد:٢١ ، لسنة ٢٠١٣ ،ص٦٢-٦٥.

[2]) كريمر ،السومريون ،ص٥٨ ؛الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢ ،ص ٥٠٠ ، ٥٠٤ ؛هوك ،منعطف المخيلة البشرية ،ص٦٦.

[3]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص٥٣.



359 - SEAL IMPRESSION. ETANA (SECOND HALF, 3rd MILLENNIUM). — BERLIN MUSEUM

(ايتانا على ظهر النسر)

وكـان **العبريـون القـدماء** يعتقـدون بالنباتـات السـحرية لاسـيما للنسـاء العاقرات ،فقـد عـد العبريـون ان نبـات اللفـاح يعمـل علـى شـفاء النسـاء مـن عقمهـن[١].واعتقد الزرادشتيون في إيران بـدور نبات يـدعى الهاوما فـي الشـفاء مـن الأمراض ،والواقـع ان تسـمية هاومـا تشـير إلـى اسـم نبات ،واسـم الـه يمثـل هـذا النبات ،وهنـاك نـص يمجد الهاوما كقـوة علاجية:"...يمجـدون هاومـا الشـافي ،القوة العلاجية الواضحة التي تمكث في القرية[في البيت وبين العشيرة]"[٢].وفي نـص أخـر يقول:"هاومـا امـنح الوسـائل العلاجيـة لمـن تعـالجهم"[٣] ،ويوصـف فـي نص:"هاومـا ،المنعم بالحياة ،الشـافي الجميـل"[٤] ،و:"الشـافي الرائع ،هاومـا ذو العيـون الذهبيـة"[٥].وقـد عـد الهاومـا فـي النصـوص المتـأخرة بــ:"قائد النباتـات العلاجية[الطبية]"[٦].وعرف نبات الهاوما أيضا باسم گاوكيران ،وهي شجرة الهاوما البيضـاء ،التي تنمـو فـي وسـط البحـر الأسـطوري المـدعو ڤاروكاشـا ،وتحاط بعشـرات

---

[١]) الشوك ،الأسـاطير ،ص٢٠٦ ؛نـاجح المعمـوري ،**تأويـل الـنص التوراتي:أسـطورة نبـات اللفـاح وعقائـد الانبعاث الكنعاني** ،(بغداد:دار المدى للثقافة والنشر ،٢٠٠٨) ،ص٢٩.

[٢]) ياسنا ،١١: ٧.

[٣]) ياسنا ،١١: ٩.

[٤]) ياشت ،٩: ١٧.

[٥]) ياشت ،١٧: ٣٧.

[٦]) بنداهيشن ،الفصل:٢٤.

الآلاف من النباتات الشافية ،التي خلقها اهورامزدا لمقاومة الأمراض التي خلقها انگراماينيو[1].وقيل إنها تنمو في الجبال:"هاوما المشع ،الحاكم ،الشافي ،ذو الرؤوس الذهبية ،التي تنبت على قمة جبل هاراتي وهكاري"[2].ويتحدث نص بهلوي عن شجرة الهاوما البيضاء ويسميها:"شجرة كل البذور[گاوكيران] الشافية ذات البذور الكثيرة والتي نمت في بحر فراخگارد" ،و:"في نبع الماء اردفيسورا تم خلق الهاوما الأبيض"[3].وهناك شجرة يرد ذكرها في افيستا تدعى شجرة النسر تشابه في صفاتها گاوكيران ،وربما هي ذاتها ،:"شجرة النسر التي تنتصب وسط بحر ڤاروكاشا التي تدعى شجرة الأدوية الجيدة ،شجرة الأدوية القوية ،شجرة كل الأدوية التي توجد عليها بذور كل النباتات"[4]. وتتحدث النصوص البهلوية عن النباتات الطبية الشافية وظهورها من دماغ الثور الأول الذي خلقه اورمزد:"عندما مات الثور ،المخلوق الوحيد ،نمت هناك ،عندما سال دماغه ،بذور ٥٥ نوعا من الحبوب ،و ١٢ نوعا من النباتات الطبية الشافية"[5].

في **الهند** عد نبات السوما(الهاوما عند الإيرانيين القدماء) عقارا سحريا ،وعلى غرار قدامى الإيرانيين كان السوما يجسد باله يمثل عصير النبات ،واله السوما ،وهو اله ارضي يعنى بشفاء الناس[6].ونقرأ في أسطورة هندية ان ملك مدينة ايوديا داساراتا لم يكن لديه أولاد وان زوجاته لم ينجبن له ولد فارتحل إلى مدينة انغا لمقابلة الحكيم الهندي ريشيا سرينغا ،وقد كان لهذا الناسك قدرات سحرية هائلة منها قدرته على إنزال المطر ،ودعاه إلى زيارة ايوديا.وهناك قام بالإشراف على محرقة أضاحي استمرت عاما كاملا وفي نهايته خرج كائن ضخم خارق للطبيعة من نيران المحرقة حاملا بيده طبقا فضيا به حفنة من الأرز المقدس ،فوضعه إلى جانب الملك داساراتا واختفى ثانية في النار.وقد نصح ريشيا سرينغا الملك قائلا:"خذ الأرز وقسمه بينٍ زوجاتك ،ولسوف ينجبن".وفي الوقت المناسب أنجبت زوجتا الملك

[1]) عبد الرحمن ،افستا ،ص٣٧٨.
[2]) ياشت ، ١٠: ٨٨.
[3]) بنداهيشن ،الفصل:٢٧.
[4]) ياشت ،١١: ١٧.
[5]) بنداهيشن ،الفصل:١٤.
[6]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص١٠٧ ؛شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٢٣٨.

كوساليا وكايكيي راما وباراتا على التوالي ،كما أنجبت سوميترا لاكشمانا وساتروغنا[1].

في **اليونان** وتتحدث أسطورة عن غلاوكوس(Glaucus) ،ابن باسيفي من مينوس ملك كريت الذي اختنق في صندوق عسل وعاد إلى الحياة عن طريق عشبة سحرية[2].وتشير التقاليد الإغريقية إلى بعض الأزهار كانت مقدسة للربة هيرا باعتبار ان هذه الأزهار تحتوي على خصائص طبية ذات أهمية خاصة للنساء ،إذ تنظم مجيء الدورة الشهرية ،أو تستعمل كعلاج من العقم[3].ويتحدث الشاعر الروماني فرجيل انه عندما جرح اينياس أثناء الحرب مع اللاتين وعجز الطبيب يافس عن معالجته هبت أمه الربة فينوس لمساعدته فذهبت إلى جبل ايدا وهو جبل في كريت ،وأحضرت منه العشبة ويتاني وهي عشبة ذات ساق بري وأزهار أرجوانية.هذه العشبة أحضرتها فينوس ،ثم اخفت وجهها ،وغمستها بالماء ورشتها هناك مع العنبر والدواء ،ولم يفطن يافس لما حدث ،فاستعمل له الماء الشافي ،وسرعان ما توقف الألم وجفت الدماء ولفظ السهم خارجا دون ان يسحبه رجل ،وعادت إلى اينياس قواه السابقة ،وهنا قال يافس له:"لم يشفك فني يا بني ،بل ان الأرباب يدعونك لمهمتك"[4].

اعتقد **السلتيون** في أوربا الغربية بان شراب نبات شجرة الدبق وهي شجرة مقدسة عندهم فيه قوة تحمل الخصب للحيوانات العقيمة فتنجب ،وان فيه دواء ضد أنواع السموم كلها[5].

[1]) ر.ك.نارايان ،ملحمة رامايانا ،ترجمة:جوزيف نادر بولس ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٧) ،ص٢١.
[2]) شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص١٠٨.
[3]) الأحمد ،الإله زووس ،ص٣٨ ؛علي ،التاريخ اليوناني ،ص٢٢٧-٢٢٨.
[4]) فرجيل ،الانيادة ،ص٢٥١.
[5]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص٦٩.



(نبات الدبق)

ونقرأ في أساطير **التيوتون الشماليون** ان رجلا يدعى ريري ظل لوقت طويل دون ذرية ،فتوجه بصلاة حارة إلى أودين الذي استجاب له وأرسل إلى زوجته بتفاحة عجيبة أكلتها وأنجبت مولودا يدعى فولسوغ[١] .

في **اليابان** تشير الأدلة عن وجود النباتات السحرية ،إذ نقرأ عن خرافة الأرنب الأبيض في مدينة اينابا ،وتقول ان أرنبا مسلوخا التجأ إلى الآلهة الثمانين أخوة اله الطب والسحر أو-كوني-نوشي(O-Kuni-nushi) ،فنصحوه بالاستحمام في البحر ،ثم تجفيف جسمه في الهواء ،وقد قاسى الأرنب المسكين الكثير من الآلام ،ثم التقى صدفة بـأو-كوني-نوشي الذي حزن لآلامه ،واخبره بعلاج سحري وهو ان يغتسل بماء عذب ،ثم يتمرغ بغبار طلع البردي المنثور على الأرض ،فشفي الأرنب تماما:"نصح الإله الاسم الكبير موجي ،أو-كوني-نوشي الأرنب قائلا:اذهب سريعا إلى المصب هناك اغتسل بالماء العذب ،ثم خذ غبار طلع الجذوع الأصفر

[١]) تونيلات ،الآلهة والأساطير التيوتونية ،ص٢٥٤.

الذي ستجده هناك ،وذره ،ثم تمرغ به ،ولسوف يشفى جسمك ويعود كما كان سابقا"[١].



(او-كوني-نوشي والارنب الابيض)

١) شيباتا ،كوجيكي ،ص١٣٤ ؛انظر كذلك:ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٨٦.

ونقرأ في أسطورة يرويها سكان **جزيرة هيرفي** في المحيط الهادي ان البطل الأسطوري ماوي قد نزل للعالم الأسفل وهناك شاهد جدته اينا بوراري(أي اينا العمياء) وكانت تعيش في ذلك العالم ،وتقول الأسطورة ان ماوي تسلق شجرة تفاح هناك ،وبعد ان اخذ قضمة تقدم إلى جدته ورمى القطعة في إحدى عينيها العمياوين.وقد شعرت جدته بألم شديد ولكن النظر ارتد إليها تماما.فقطف ماوي تفاحة أخرى وقضم منها قضمة رماها على عين جدته الأخرى فعاد إليها النظر أيضا[1].

- **الأدوية السحرية**: نقرأ عن هذا النمط في العديد من الحضارات القديمة عادة ما تكون هذه الأدوية مركبة ،ففي **بلاد الرافدين** ،نعرف ان الأدوية التي يركبها الطبيب الاسو قد تكون لها قابلية شفائية عالية ليس ضد المرض فحسب بل ضد السحر أيضا:"الدواء الذي أرسلته إلى الملك على نوعين يختلف بعضها عن بعض...ربما سيقول الملك سيدي ،لأي شيء فائدتها ؟إنها مفيدة لفك السحر وهي مفيدة لامرأة في المخاض".فمن الواضح انه كان يظن ان الأدوية الطبية قادرة على ان تعمل ضد القوى الخارقة الشريرة.وفي بعض الحالات نقرأ ان أدوية الاسو يمكن استخدامها ضد تأثير العفاريت التي فشلت معها طرق الاشيبو:"إذا استمرت فاعلية يد الشبح بحيث ان الاشيبو لم يتمكن من إزاحتها ،ومن اجل إزاحتها عليك(أي الاسو) ان تخلط (ثمانية أنواع من الأدوية)....".وهناك أسباب كافية للاستنتاج ان استخدام الاسو للمواد الطبية كان يعد سحرا أي يعمل ضد العفاريت التي سببت الأعراض ،وليس علاجا مباشرا.فهناك الأدوية التي كانت تستخدم وكانت فائدتها الفعلية عرضة للتساؤل ،وقد يعطي الاسم دلالة واضحة على التفكير بالخط السحري.فهناك مثلا شيء يسمى فرج الأتان وكان ذلك محارة بحرية ،وبدون شك فقد اخذ اسمها الغريب من شكلها وحجمها وضمن أشياء أخرى كان من الممكن استخدامها لمعالجة مشاكل القضيب ،أما تسحق وتنفخ في القضيب بوساطة أنبوب ،أو تشرب مع الجعة.وقد لا يكون لهذا أي فائدة عملية مهمة للمرض المقصود ولكن يمكن ان نستشف من ذلك بسهولة كيف ان التفكير المسيطر عليه السحر ،قد يقترح ان نوعا

---

[1]) فريزر ،أساطير في أصل النار ،ص٨٥.

من المحار بذلك الاسم قد يكون له تأثير ما على القضيب.ونعرف ان الاسو كان يستخدم الضمادات في حالة الأمراض التي كانت تنسب أسبابها إلى القوى الخارقة ،مثل يد الشبح.وفي مثل هذه المعالجة كانت الضمادات تضم أدوية معينة ضد أجزاء معينة من الجسم وطالما لم يكن هناك تلف في الأنسجة في مكان معين لمعالجته ،لذا يبدو ان الغرض كان لطرد المرض من الجسم سحريا بالاتصال المباشر مع الأدوية الفعالة ضد العفريت المسبب للمرض[١].ومن الجدير بالذكر ان الاشيبو كان في بعض الأحيان يستخدم في علاجه أدوية عادية كتلك التي يستخدمها الاسو وتشير إلى هذه الحقيقة بعض النصوص التشخيصية:"إذا ظهر تورم احمر على جسم الرجل ،فهذه(يد عشتار) ،وقد حق عليه التحريم(العزل) ،دق ملح...مع البابونج...وسوف يشفى" ،أو:"إذا ظهر تورم ابيض على جسم الرجل ،فهذه(يد شمش) ،خذ...والكركم والسماق...وامزجهم باللبن...وسوف يشفى" ،أو:"إذا كانت إذن الرجل...فإنها(يد نينورتا)...مع تربنتين الصنوبر لسبعة أيام وسيشفى" ،أو:"إذا مست(يد الشبح) رجلا في أثناء الممارسة...فحبوب الترمس والخردل...وسوف يشفى"[٢] ،أو:"لقد نفحت ريح السماء العالية المرض في عين الرجل ،الآلهة ناممو رأت المرض في عين الرجل ،خذ مسحوق (القرفة) ،أقرأ الدعاء الأتي...واعصب على عينه"[٣].ولا نعرف ان كان الاشيبو ينظر إلى هذه الأدوية نظرة اعتيادية أم عدها أدوية ذات فعاليات سحرية.وفي مصر تشير النصوص إلى ما يمكن ان ننسبه إلى فكرة الأدوية السحرية ،فالدواء المقدم إلى المريض لم يكن هدفه الوحيد العلاج وإنما على غرار وادي الرافدين هو القضاء على السحر:"علاج لإبعاد السحر من الجوف..."[٤]. ومن العقاقير التي استخدمها **المصريون** كان العسل الذي كان له دور في الطب السحري ،وعد دواء طاهرا وهذا بلا ريب راجع إلى كون المصريون عدوا النحل مخلوق من دموع الإله رع[٥].واعتقد **الإيرانيون** القدماء بالأدوية السحرية وهناك رواية ترد لدى الفردوسي يقول فيها ان الاسكندر لما كان

---

[١]) ساكز ،قوة أشور ،ص٣٢٣-٣٢٦.
[2]) ألبدري ،الطب ،ص ٤٠.
[3]) المصدر نفسه ،ص٦٣.
[٤]) كمال ،الطب المصري ،ص٥٦٣.
[٥]) رويز ،روح مصر القديمة ،ص١٥٣.

في الهند أرسل إليه ملكها كيدا طبيبا ركب له دواء يشفيه من كل الأمراض[١].في **اليونان** نقرأ عن الأدوية السحرية ،إذ تتحدث الإلياذة عن عقاقير سحرية كانت في حوزة الآلهة تستخدم لشفاء الجروح ،فالعملاق هيدز الذي أصيب بسهم في كتفه ،عالجه اله ثانوي يدعى بايون الذي قام:"بنثر الأدوية التي تهدئ الألم وشفاه"[٢].وعندما جرح الإله أريس رب الحرب الإغريقي في معركة يتجه إلى زووس فيأمر بايون بمعالجته:"..طلب من بايون ان يشفيه.وبعد ان رش الأدوية لتهدئة الآلام أعاده بايون إلى عافيته"[٣]. وتتحدث **النصوص المسيحية** أيضا عن مراهم سحرية تعطى للمريض ،ففي رواية تقول ان يسوع مر برجل أعمى منذ ولادته ،لذا حمل حفنة من التراب وبصق فيها ليحولها إلى طين ،ثم وضعه على عيني الأعمى وقال له ان يذهب ويغتسل في بركة سلوام ،فذهب الرجل واغتسل فعاد بصيرا[٤].

- **العقاقير المقززة**: ونقرأ عن هذه العقاقير في **بلاد الرافدين ومصر القديمة** ،فالدلائل تشير إلى ان الطبيب الساحر قد يستخدم الأدوية ،ولكن بعضها غير عادية بل مقززة وغير مستحبة ،وربما كان الغاية منها كما يرى كونتينو إثارة تقزز الشيطان وإرغامه على ترك جسد المريض ،إذ لم يكن بوسع المريض ان يبتلع إلا بصعوبة واشمئزاز البراز أو الصدف المحروق ،أو التراب أو الشحم أو الزنخ[٥].ونقرأ نص عن هذا النمط من العلاج ،فمن اجل علاج المرض الحاد كما يسميه البابليون أو الصرع فانه يشرح ذلك:"فلأجل إنقاذه ،خذ من زرع الرجل(أو مما يأتي عن دورة المرأة) ،ومن ثمر البحر ،وفأر السم المكسو بالشعر ،ونهاية أذن كلب اسود ،وشعر بغل اسود ،وشعر ذنب كلب اسود ،غلف الكل في جزة ماعز باكر بيضاء أو سوداء أوضعها في حلقه ،فانه يشفى"[٦].وفي نص نقرأ عن علاج يبدو ان من قام به هنا هو الاسو ، وليس الاشيبو يقول انه يجب جعل المريض يشرب

[١]) الفردوسي ،الشاهنامة ،ص١٢٣.
[٢]) هوميروس ،الإلياذة ،٥: ٣٩٤-٤٠٢.
[٣]) هوميروس ،الإلياذة ،٥: ٨٩٩-٩٠٠.
[٤]) يوحنا ،٩: ١-٧.
[٥]) كونتينو ،الحياة اليومية ،ص٤٨٨ ؛روتن ،علوم البابليين ،ص٧٣.
[٦]) روتن ،علوم البابليين ،ص٧٤.

حليبا تم غلي سحلية فيه[1].ونقرأ عن عقارات سحرية تستخدم لعلاج الأمراض المختلفة ففي وصفة طبية لعلاج التهاب الملتحمة ،الذي عالجه الطبيب الساحر بشق بصلة ومزجها بالبيرة ثم يعطى للمريض هذا المزيج ،فضلا عن ذلك فانه يجب:"استخراج أحشاء ضفدعة صفراء ،واضرب مراراتها حتى تصبح سائلا سميكا ثم ضعه على العين".ويعلق الأستاذ حسن كمال على العلاج بان الشق الأول منه ذا فائدة عملية فمزيج البصل والبيرة يؤدي إلى إدرار الدموع ،وهي إفراز قاتل للجراثيم المرضية ،أو بعبارة اصح مطهر ،فهو لذلك شاف لالتهاب الملتحمة ،إذن كان إدرار الدموع كافيا ،بعد ذلك دهنوا العين الملتهبة بالزيت ،إلى هنا يمكننا ان نعد هذا العلاج سليما إلى درجة ما.لكن كهنة بابل رأوا ان هذا العلاج غير كاف لمقاومة ضرر العفريت المسبب للمرض فأضافوا علاجا سحريا أيضا[2].وفي نص أخر يشير إلى علاج العين:"خذ ضفدع اخضر ،وامزج مرارته بالدهن وضعها بعينه وسوف يشفى"[3].

في **مصر** نعرف من النصوص عن وجود عقارات سحرية مقززة تستخدم في العلاج ،استعملت فيها مواد غريبة كشعر التيس وروث فرس البحر والتمساح[4]لاسيما العلاج المقدم من اجل التخلص من السحر:"لإزالة مرض حمستا(السحر ؟):خنفساء يقطع جناحاها ،وتقلى في الدهن وتوضع عليه.فإذا أردت بعد ذلك شفاءه ، فاطبخ رأسها وجناحيها في دهن الدودة(عبننت) سخنه ،واترك المريض يشربه"[5].وفي وصفة أخرى نقرأ فيها نفس المكونات السابقة:"علاج لطرد السحر:خنفساء كبيرة مفصول رأسها وجناحاها.تحرق ،وتوضع في زيت ،وتعطى له.فإذا رغبت في إخراجها ،فيجب ان تحرق رأسها وجناحيها.توضع في دهن حيواني(بننت) دافئ ،واجعل الشخص يشربه"[6].ولا نعرف السبب من وراء وجود هذه الأدوية المقززة ،ولكن بلا شك كما رأينا في وادي الرافدين كانت هذه تعطى

---

[1]) ساكز ،قوة أشور ،ص٣٢٩.
[2]) كمال ،الطب المصري ،ص١٤.
[3]) ألبدري ،الطب ،ص١٠٣.
[4]) عصفور ،معالم حضارات الشرق ،ص١٢٩ ؛غليونجي ،الطب ،ص٤٨.
[5]) كمال ،الطب المصري ،ص ٥٧٠.
[6]) المصدر نفسه ،ص٤٣٤.

للمريض لإرهاب الشيطان وإخراجه من الجسم ،فلابد من ان تجريع المريض دواء مقززا يجعل الشيطان يشمئز فيخرج من جسده.وهناك أدوية يمكن ان توصف من اجل ترضية الشيطان تتكون من مواد جيدة مثل لبن وعسل وزبد وأعشاب عطرة[1].ويشير هيرودوت إلى ان البول قد عد في مصر دواء سحريا ،وهو يروي خبر عن ملك مصري أطلق عليه هذا المؤرخ تسمية فرعون ويقول عنه انه أصيب بالعمى وفي السنة الحادية عشرة جاءته النبوءة من مدينة بوتو ،بان عقوبته انقضت وله ان يتعافى ويسترد بصره ،إذا غسل عينيه ببول امرأة مخلصة لم تؤثر على زوجها رجلا أخر.فكان ان ابتدأ بزوجته ،فلم يشف ،فاخذ في تجربة بول نساء أخريات دون طائل ،إلى ان وفق في النهاية ،وشفي من العمى[2].وبصرف النظر عن صحة هذه الرواية التي ربما تعكس اعتقاد المصريين القدماء ،أو ربما اعتقاد هذا المؤرخ اليوناني فإنها توضح أهمية البول في الشفاء من الأمراض.ومن الجدير ذكره إن بوذا في **الهند** قد أوصى أتباعه باستخدام دواء خاص متخذ من بول جماعة الأخوية البوذية[3] ،بلا شك من اجل الشفاء ،وربما يعكس ذلك مفهوما هنديا-أوربيا قديما جدا كان البول فيه يستخدم كعلاج ،لاسيما وإذا ما تذكرنا إن طقسا إيرانيا كان يستخدم فيه بول الثور في العلاج.

- **أدوية إعادة الشباب والخلود**: تشير المادة المتوفرة انه ليس فقط كانت هناك علاجات ضد الأمراض أو الشياطين المسببة لها بل نمتلك من الدلائل عن وجود أدوية من اجل إعادة الشباب سواء تلك التي في حوزة الآلهة أو تلك التي يصنعها الأطباء ،فقد اعتقد القدماء بلا شك ان الشيخوخة مرض لابد من علاجه ،بل ان هناك عقاقير من اجل قهر الموت والحصول على الخلود ،ففي **الملحمة البابلية** التي تعرف باسم ملحمة گلگامش نقرأ كيف ان اوتنابشتم الإنسان-المؤله ، قد أفشى للبطل گلگامش عن سر وجود نبات له قدرة سحرية على إعادة الشباب إلى الإنسان ،يطلق عليه اسم الرجل الكهل يعود شابا ، وكيف ان گلگامش اهتدى إلى

[1]) الخطيب ،معالم حضارة مصر ،ص٢١٧.
[2]) هيرودوت ،تاريخ ،ص١٨١.
[3]) كيوكا ،تعاليم بوذا ،ص١٩٤.

هذا النبات ،وأصابه الزهو بأنه سيأكل منه ويسترجع شبابه الذي ولى ،ثم كيف ان حية تسللت ، قبل ان يأكل گلگامش من هذا النبات السحري ،وسرقته[1].وهناك وصفة كاملة تهدف إلى إعادة الشباب إلى الشيخ في **مصر القديمة** تقول:"احضر مقدارا كبيرا من فاكهة همايت ،بما يقارب ٢ خار ،شقها وعرضها للشمس ،فإذا جفت تماما قشرها كما يقشر الحب وذرها حتى تبقى الفاكهة ،كيل كل ما يتحصل عليه من ذلك ثم انخله بطريقة المنخل ،كيل بالضبط كل ما يتحصل من ذلك ،واقسمه إلى قسمين ،احدهما مكون من هذه الفاكهة ،والأخر كذلك.عالج كل قسم كالأخر".ويبدو ان كل قسم كان يحضر بطريقة خاصة:"خذ القسم الأول وامزجه بالماء ،حوله إلى مادة طرية وضعه في إناء جديد على النار ،اطبخه جيدا وتأكد من غليانه ،اجعله يتبخر حتى يجف ،دون ان تبقي فيه رطوبة ،ثم أخرجه من الإناء ،وبعد ان يبرد ضعه في إناء أخر لتغسله في النهر ،اغسله جيدا وتأكد من غسله بتذوق طعم الماء الذي في الإناء حتى يختفي اثر المرارة فيه ،بعد ذلك ضعه في الشمس وانشره على كتان ،وبعدما يجف اطحنه في طاحون حجري".أما القسم الثاني فيتم تحضيره:"اجعل القسم الثاني في ماء على جانب ،اجعله ما يشبه مادة طرية وضعه في جرة على نار ،اطحنه جيدا وتأكد من غليانه حتى تفور رغوته منه ،استخرج المادة الموجودة بالإناء وغطسه أو بلله بمجرفة ،وبعدما يتحول إلى مادة شبيهة بالطين ضعه في إناء هن ،استخرج المادة وانشرها على قماش من الكتان على فوهة هذه الجرة ،بعد ذلك ضع هذه المادة في إناء مصنوع من حجر ثمين".يبدو ان الأثر السحري لهذه الوصفة الطويلة التحضير تكشف عن السبب وراء هذا التحضير ،الذي يتضح (الأثر السحري)في نهاية الوصفة:"ادهن الشخص فهو يزيل أسارير الرأس فإذا دهن اللحم به فانه سيجمل البشرة ويزيل الشوائب ،وكل التشوهات وكل أعراض الشيخوخة وكل أنواع الضعف الموجود في اللحم ،وجد ناجعا ملايين المرات"[2].في **الصين القديمة** نقرأ عن أسطورة تتحدث عن إكسير الخلود ،وكانت الإلهة سيفانمو تحفظ عقار الخلود لديها.وقد أراد البطل رامي السهام إي الحصول عليه ،ورغم ان إي كان إلها ،إلا انه كان يخاف الموت ،ولا

[1]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٥٢.
[2]) كمال ،الطب المصري ،ص٥٣٣-٥٣٤.

يريد ان يجد نفسه يوما في المملكة السفلى ،فعزم على الوصول إلى سيفانمو والحصول منها على إكسير الخلود.لكن العثور على الآلهة كان أمرا صعبا جدا ،إذ كانت سيفانمو تقيم في كهف عند جبل كونلون ،بيد إنها غالبا ما كانت تبدل مكان إقامتها.كما لم يكن الوصول إلى قمة الجبل أمرا يسيرا فقد كان يجري عند سفح الجبل نهر غرق في لجه كل من وقع فيه ،علاوة على هذا كانت تحيط بكونلون جبال تنفخ نارا وتحرق الأخضر واليابس.وكان يقيم على قمة كانلون حارس مخيف له تسع رؤوس الوحش الذي يكشف عن غسق الفجر ،زد إلى هذا انه كان لسيفانمو أنياب نمر ،وتخدمها ثلاثة طيور تحمل إليها بمخالبها الحادة الحيوانات والطيور المصطادة إليها.وبعد ان تلتهم وجبتها كانت خادمتها وهي طير مفترس له ثلاث أرجل تحمل البقايا إلى خارج الكهف مشكلة أكواما من الجلود والعظم.ولكن رامي السهام الحاذق إي تجاوز كل تلك العقبات كلها ووصل إلى سيفانمو فاستمعت إليه ،ثم أمرت ان يؤتى إليها بالقرعة الدورق الذي تخزن العقار فيها وأعطته لرامي السهام قائلة:"هذه الكمية تكفيك وزوجتك لكي تحصلا على الخلود"[(١)].ونعرف ان فيلسوفا صينيا يدعى كو هونغ قد قضى السنوات الأخيرة من حياته بإنتاج حبوب يفترض إنها تمثل علاجا للشيخوخة وأمراضها.لقد كتب كو هونغ:"خذ ألف وخمسمائة غرام قرفة حقيقية ،وخمسمائة غرام عسل ابيض ،واخلطها مع بعضها البعض.وجفف الخليط في الشمس ،وبعد ذلك حمصها وحركها على النار ،حتى يمكن ان تتحول إلى حبوب(أقراص).خذ كل صباح عشر حبات من حجم بذرة القنب ،وفي نهاية العام يصبح الشعر الأبيض اسود ،والأسنان المثلمة تنمو من جديد والجسد يصبح صقيلا ومشعا.وعندما يأخذ العجوز هذا الدواء زمنا طويلا سيتطور إلى شاب وكل من يأخذ منها بصورة مستديمة سيتمتع بحياة أبدية ولن يقترب منه الموت"[(٢)].ونقرأ عن نبات باسم بان-تاو(Pan-Tao) ،وهو دراق بستان ينضج مرة كل ثلاثة آلاف سنة ويهب الخلود لآكليه.وبالنسبة للصينيين صار الدراق رمزا للحياة المديدة[(٣)].

---

[١]) البيديل ،سحر الأساطير ،ص١٦٥.

[٢]) كامبل ،البطل بألف وجه ،ص١٩٤.

[٣]) شابيرو وهندريكس ،معجم الأساطير ،ص٢٠٣.



(بان-تاو)

ويخبرنا مؤرخ صيني من القرن الأول الميلادي عن عراف تاوي يدعى لي شاو تشون كانت لديه وصفة سحرية من اجل تحقيق الخلود ،ولكن هذه الوصفة لا تتضمن صنع عقار معين بل انه كما يقول هذا المؤرخ انه قد كشف للإمبراطور وو-تي من أسرة هان والذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد عن أسرار عدة تتعلق بإطالة الحياة وتحقيق الخلود ،ومنها تقنية تحويل مادة كبريتات الزئبق إلى ذهب ،وصنع أواني من هذا الذهب يقدم له فيها الطعام والشراب.من ذلك الوقت تداول الناس الأخبار عن وصفة تحول الذهب إلى مادة يمكن أكلها من اجل اكتساب الخلود[1].وتتحدث الميثولوجيا الاسكندينافية عن نبات واهب للشباب.إذ نقرأ في أسطورة كيف شارك لوكي شقيق كبير الآلهة الاسكندينافية أودين في اختطاف الإلهة أيدون وتفاحاتها الواهبات للشباب.فقد أرغمه على المشاركة في ذلك العملاق تياتسي الذي ارتدى أهاب صقر وأعاق شواء لحم الثور الذي كانت الآلهة الاسات يعدونه لوليمتهم.وقد طالب تياتسي بنصيبه من اللحم والتقط أفضل القطع ،وعندما ضربه لوكي بالعصا ووصلت العصا ويدا لوكي إلى جسم

[1]) فراس السواح ،"التاوية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٦)،ج٤ ،ص٢٦٧.

الصقر ،التقطه هذا وحلق به عاليا ولم يوافق على إطلاقه إلا مقابل تفاحات الشباب.عند ذاك أغوى لوكي الآلهة أيدون بالذهاب إلى الغابة مدعيا انه سوف يريها هناك تفاحا بديعا وجده ؛ولكنه سلمها هناك إلى تياتسي.أما الإلهة الذين فقدوا تفاحات الشباب فقد اخذوا يهرمون وهددوا لوكي بالموت عندئذ حاك هذا خطة أخرى من ألاعيبه إذ سرق أيدون من تياتسي ووضعها في حبة جوز وحملها إلى الآلهة[1].

[1]) البيديل ،سحر الأساطير ،ص١٧٧.

٧.الأدوات والقوى السحرية.

لـم يكـن العقـاقير السـحرية فحسـب هي التـي اسـتخدمت كوسـيلة إضـافية للعلاج ،فهناك من الدلائل الكثيرة التي تشير إلى ان الأقدمين كانوا يعتقدون بقدرة بعـض الأدوات السـحرية القـادرة علـى الشـفاء ،وعادة مـا تكـون هـذه الأدوات دينية ،وفي حالات أخرى كانت طقسية تستخدم في أداء طقوس معينة ولها القدرة على الشفاء.وفي كثير من الروايات الشائعة عن هذه الأدوات السحرية تذكر إنها أما هبة إلهية للبشر ،أو مرتبطة بحدث محوري في الديانة المتبعة ،وبشكل عام تمثل وسائل ذات قوى سحرية هائلة يتمكن الشخص عن طريقها الحصول على العلاج الفوري مـن غيـر ظهـور لطقـوس سـحرية ،وأحيانا مـن غيـر تـدخل الهـي ،عن طريـق اللمس أو النظر[١] .ويمكن ان نقسم هذه الرموز إلى أنواع وهي:

- **الأحجـار**: تشـكل الأحجـار مـواد ذات طبيعـة سـحرية تسـاعد فـي الشفاء ،وتشـير النصوص من **بلاد الرافدين** إلى بعضها وهي مـن مسمياتها تكشف عن وجود الخط السـحري فيها ،فهنـاك حجـر يعـرف باسـم حجـر الـولادة(aban aladi) ،وحجـر الإخصاب(aban erî) ،وحجر الإجهاض(adan-la-aladi) ،وحجر العقم(aban-la-erî)[٢] .وتشير النصوص الإغريقية على وجود حجر يشفي من عضة الثعبان ولذلك يسمونه حجر الثعبان.ولكي يختبر الإنسان مفعوله كان يكفي ان يطحنه على شكل مسحوق ثم يرشه على الجرح[٣] .ويتحدث بليني(Pliny) عن نوع من الأحجار التي كان الناس يعتقدون في قدرتها على شفاء اليرقان لان لونها كان يشبه جلد المريض به[٤] .

---

[١]) نفذت دراسة حول دور القوى السحرية في العلاج من قبل: يحيى ،"العقاقير والادوات والقوى السحرية ودورها في العلاج ،ص٦٥-٦٨.

[٢]) ألبدري ،الطب ،ص٧٤.

[٣]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص ١٧١.

[٤]) المصدر نفسه ،ص ١٢٠.



(بليني)

ونعرف انه بني في **القدس** كنيسة تحت الأرض كرست على اسم الإمبراطورة هيلانة وكان الزوار ينزلون ست عشرة درجة حتى يصلوا إلى المكان ،والطريف ان سكان القدس من مختلف الديانات كانوا يزورون هذا المكان حيث كانوا يقومون بقطع شظايا من الصخور من اجل التداوي ،وإنهم يعلنون انه إذا كان هناك إنسان مصاب بالحمى من الممكن شفائه على الفور ،إذا شرب بعض الخمر والماء ،موضوع

فيها قطعة من هذه الصخور[1].ويشير **التلمود** عن قدرة الأحجار السحرية على الشفاء إذ نقرأ عن حجر كان في حوزة إبراهيم وعلقه في عنقه شفى بوساطته كل الأمراض المعروفة ،وقد وصل هذا الحجر إلى احد الحاخامات وصار في قدرته عن طريق الحجر شفاء العلل وإحياء الموتى[2].ولدى القبائل البدائية اعتقادات بقوة الأحجار الشافية ففي **جزر بانك وجزر الهبريد الجديدة** في ميلانيزيا إذا مرض شخص فانه يقدم لشخص أخر ،يعرف انه يمتلك حجرا ذا قوة خارقة ويعتقد ان الروح الذي يسكن في الحجر قد أساء إليه المريض ،مبلغا من المال وقطعة من جذر نبات الفلفل المدعو جيا الذي يستخدم في صنع مسكر من المسكرات.ويقال عندئذ ان الرجل يقدم الضحية(اولولو) لصاحب الحجر.ثم يأخذ صاحب الحجر هذه الأشياء ويحملها إلى المكان المقدس وينثرها هناك ويتوسل للحجر وهو يقول:"دع هذا الشخص يشفى".فإذا شفي هذا الرجل فانه يقدم ضريبة شفائه[3].وفي **سابو** جنوب النيجر يملك زعيم القرية حجرا كبيرا يضعه عند باب بيته فإذا رجل ما لم يمنح أولاد من زوجته عليه ان يقدم دجاجة أضحية إلى الصخرة ،أملا ان يمده الحجر بالأولاد.ويقوم هذا الشخص بتسليم الطير إلى الزعيم الذي يقوم بذبحه واكل لحمه ،فإذا تحققت رغبة الرجل فانه يقوم بذبح دجاجة عند الحجر شكرا له على فضله[4].وتعبد قبيلة **واراتي** ،وهي قبيلة تسكن أحراش كونان الحالية في ولاية بومباي ،سيد النمور(واجهيا) الذي يتصورونه في شكل حجر غير منتظم مطلي بالرصاص الأحمر والزبد النقي.وهم يقدمون له الدجاج الصغير والنعاج ،كما يكسرون على رأسه ثمار جوز الهند ويصبون عليه الزيت.وفي مقابل هذه الهبات فانه يقيهم من أخطار النمور ويمنحهم محصولا وافرا ويحفظهم من الأمراض.وبشكل عام كان أهالي ولاية بومباي بصفة عامة وفي أحياء كونكان بصفة خاصة يعبدون الأحجار الفتيشية حتى تبعد عنهم الشر وتشفي مرضاهم.ففي كل قرية يوجد هذه الأحجار وكل حجر يسميه السكان باسم اله من الآلهة أو روح من الأرواح ،تلك التي يقدسونها في ورع لاعتقادهم إنها تتحكم في الشياطين والأشباح ،فإذا انتشر وباء في

---

[1]) زكار ،الأناجيل ،ص١٠٢.
[2]) الأحمد ،الأصول الأولى ،ص١٠٣.
[3]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٣٣٧.
[4]) المصدر نفسه ،ص٣٣٩.

قرية من القرى فان الناس يقدمون لها الأطعمة لحم الدجاج والنعاج وثمار جوز الهند.وكان لدى قبيلة بتسيليو وهي قبيلة تسكن وسط مدغشقر أحجار مقدسة وفيها أحجار تدعى فاتو بيتروكا وكانت النساء يزرنها اللاتي لم يرزقن بأطفال وهن يحملن بعض الدهن أو الزيت ليطلين به الحجر وهن يناجينه ويعدنه بأنهن سيعدن مرة أخرى لطلائه بمزيد من الزيت إذ رزقن بأولاد[1] .

- **الماء**: شكل الماء وسيلة سحرية للشفاء من الأمراض ،فالماء عند الشعوب القديمة يسبق كل الأشكال ،وان الغوص بالماء يرمز إلى التقهقر والرجوع إلى ما يسبق التشكل ،ويرمز إلى الاندماج مجدد في عالم غير متمايز ،عالم ما قبل الوجود.وان الطفو يكرر حركة التجلي الشكلي للكون ،وعلى هذا فان رمزية الماء تتضمن في ان واحد الموت والانبعاث.فان التماس بالماء ينطوي دوما على التجدد ،لان الانحلال تتبعه ولادة جديدة وبالتالي تتبعه حياة جديدة أي يتبعه وجود إنسان جديد.ومن ثم الماء يحتفظ بوظيفته على نحو ثابت لا يتغير في أي معتقد ديني نلقاه ،انه يفك الأشكال ويحل الصور ويغسل الخطايا وهو في ان واحد يطهر ويجدد[2].ولدينا **تعويذة بابلية** تتلى عند النزول في ماء الفرات للحصول على الشفاء:

"تعويذة:أيها النهر ،يا مبدع الأشياء كلها
عندما حفر مجراك الآلهة الكبار
حفوا ضفافك بكل ما هو حسن وطيب
وفيك أقام اله الأعماق أيا مسكنه
ووهبك فيضان الماء الذي لا يقاوم
كما وهبك الإلهان أيا ومردوك
غضبا ناريا وجلالا وروعا
أنت قاضٍ في مشاكل البشر
أيها النهر العظيم ،أيها النهر المبجل
يا نهر المقامات المقدسة

---

[1]) المصدر نفسه ،ص٣٤١-٣٤٢.
[2]) الياد ،المقدس والعادي ،ص ١٦٠-١٦١.

يا من بمائك يأتي الشفاء تقبلني
انتزع ما بجسدي وارمه إلى ضفافك
ارمه إلى ضفافك(أو) دعه يغور في أعماقك"[١].

في **مصر** اعتقد السكان إن نهر النيل يمتلك خواص علاجية منها قدرته على إعادة الشباب ،ونتيجة لذلك عد طمى النيل من المواد الداخلة في العلاج ،ومنها قدرته على شفاء الجروح بسرعة[٢].وفي النوبة القديمة عد الماء من الوسائل السحرية للحصول على الشباب ،والقضاء على الشيخوخة ،فالمعمرين الأثيوبيين ،وكما تقول المأثورات الإغريقية كانوا يذهبون إلى نبع ماء تفوح منه رائحة البنفسج وتجعل بشرة المستحم في مياهه تتلألأ وكأنه استحم بالزيت.ويقال ان مياه هذا النبع قليلة الكثافة لدرجة انه ما من شيء يطفو فوق سطحها ،بما في ذلك الخشب ،وأي مادة اخف منه ،إذ تغوص جميعها إلى الأعماق.وان استخدام الأثيوبيين المستمر لهذه المياه هو ما يجعلهم يعمرون[٣].لدى **العبريين** اعتقاد بقوة الماء الشفائية ،وتكشف قصة نعمان قائد جيش ملك دمشق الآرامية اعتقاد سكان فلسطين بذلك ،فالقائد الآرامي كان مصابا بالمرض ،فلما استشار اليشع وهو احد الأنبياء اليهود نصحه بالاستحمام في نهر الأردن وبالفعل نفذ اليشع ذلك الطقس إذ:"نزل نعمان إلى نهر الأردن وغطس فيه سبع مرات ،كما أمر رجل الله ،فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر من برصه".ويتضح من الرواية لم تكن كل الأنهار ذات قابلية شفائية بل كان نهر الأردن بالذات يحتوي على هذه الخصيصة ،فالقائد الآرامي نعمان وقبل ان ينفذ الطقس ،أعلن امتعاضه من نصيحة اليشع ،على أساس ان انهار دمشق أفضل من نهر الأردن:"أ ليس ابانة وفرفر نهرا دمشق أفضل من جميع مياه إسرائيل ؟ أ لم يكن في إمكاني الاغتسال فيها فاطهر ؟"[٤].وفي أورشليم كان قرب احد أبواب المدينة ويدعى باب الغنم بركة اسمها بيت حسدا حيث كانت لمياهها صفات علاجية ،فكان يرقد إلى جانبها جمع كبير من المرضى سواء عميان وعرج ومشلولين ،ينتظرون ان تتحرك مياه البركة ،لان ملاكا كان يأتي من حين

---

[١]) السواح ،الأسطورة والمعنى ،ص٧٦.
[٢]) رويز ،روح مصر الخالدة ،ص٢٩٢.
[٣]) هيرودوت ،تاريخ ،ص٢٢٧.
[٤]) انظر النص الكامل للرواية في:الملوك الثاني ،٥: ١-١٤.

لأخر إلى البركة ويحرك ماءها ،فكان الذي ينزل أولا يشفى مهما كان مرضه[1] .وتؤكد **الأناجيل** عن دور المياه المقدسة في الشفاء ،وان جعلت السبب تدخل السيد المسيح بذلك ،فهناك قصة تتحدث عن الماء الذي غُسل فيه السيد المسيح عندما كان طفلا قد شفى فتاة مجذومة:"أخذت امرأة ماءً معطراً لتغسل المولى يسوع ،وبعدما غسلته ،أخذت الماء الذي استخدمته ،وصبت بعضه على فتاة كانت تعيش هناك ،وكان جسدها ابيض من الجذام وغسلتها به ،وما ان تم فعل هذا حتى شفيت الفتاة من الجذام"[2] .وفي أخرى نقرأ ان مريم عندما دخلت بيت لحم مع ولدها ،شاهدت هناك كثيرا من الأمراض الشديدة قد أصابت أعين الأطفال ،الذين كانوا يموتون بالتتابع ،وكانت امرأة هناك لديها ابن مريض ،يكاد ان يموت ،فجلبته إلى السيدة مريم ،التي رأته ،عندما كانت تغسل يسوع المسيح ،فقالت لها ان تأخذ قليلا من الماء الذي غسلت به ابنها ،وترشه به.وبناء على ذلك أخذت قليلا من الماء ،مثلما أخبرتها السيدة مريم ،ورشته فوق ابنها الذي زال عنه المرض بعد ذلك[3] .وتتحدث قصة مسيحية أخرى عن شاب كان قد اقترف أعمالا شنيعة ،ونتيجة لذلك جفت يداه(ربما شلت) كما يقول النص إلى درجة لم يعد قادرا على وضعهما في فمه ،لذا يعرض حالته على الرسول توما الذي أمر بجلب ماء إليه في وعاء ،وعندها قال:اقبل أيها الماء من المياه الحية ،السرمدي أرسلها لنا من السرمدية ،وأرسل الراحة ألينا من الواحد الذي يعطي الراحة ،وقوة الخلاص الصادرة عن القوة التي تقهر الجميع ،وتخضع لإرادتها ،اقبل واسكن في هذه المياه ،حتى تتحقق أعطية الروح القدس تماما فيهم.وقال للشاب:اذهب واغسل يديك بهذه المياه ،وعندما غسلهما عادتا[4] .لقد أصبح التعميد بالماء وسيلة للشفاء أيضا ،فطبقا لرواية مسيحية تتحدث عن مرض أصيب به الإمبراطور الروماني تيباريوس ،فتم تعميده من قبل الرسول ناثان فشفي من مرضه:"قدم ناثان وعمده باسم الأب والابن وروح القدس...وعلى الفور تعافى الإمبراطور تيباريوس من جميع

[1]) يوحنا ،٥: ١-٤ ؛انظر كذلك:عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص ٢٥٠.

[2]) إنجيل الطفولة العربي ،:١٧.

[3]) إنجيل الطفولة العربي:٢٧.

[4]) أعمال القديس توما:٥١.

أمراضه"[١].ولم يكن الماء ذا قوة علاجية في المعتقدات المسيحية وحسب ،بل كذلك كان للصابئة الذين عاصرت حركتهم السيد المسيح ،إذ نعرف من النصوص المندائية ان للماء قدرة على إخصاب النساء فأم يوحنا المعمدان لم تكن تنجب لكن أصبحت حاملا بعد شرب ماء مقدسا:"لقد أعطى أنش أثرا(روح من أرواح الحياة) انشبي(أم يوحنا) ماء من اليردنة(ربما نهر الأردن) لتشرب ،ومن ذلك أصبحت حاملا".وفي رواية أخرى نقرأ:"زكريا وانشبي كانا شيخين ،وحدث ان شربت ماء وأصبحت حاملا من ذلك الماء"[٢].ولدى **العرب القدماء** اعتقاد بقوة الماء الشفائية ويتحدث ابن الكلبي ان سادنا للكعبة في مكة يدعى عمرو بن لحي قد مرض مرضا شديدا ،فقيل له ان بالبلقاء في بلاد الشام حمّة إذا أتاها شفي من مرضه ،فاتاها واستحم بها وبرأ[٣].ولقد نظر **الزرادشتيون** إلى الماء كقوة شافية ،ففي نصوص عديدة تخاطب المياه كشافية للأمراض:"أيتها المياه! سميت الأفضل والأروع ،غزارتك وحنانك[كحنان الأمهات] ،دفئك ،حكمك المطلق ،واعتناؤك بالفقراء.لك كل المنح الطيبة يا صاحبة الأيادي الطويلة التي[باستطاعتها] ان تصل إلى الأمراض والتعاسة[وتشفيها] يا أم الحياة"[٤] ،أو:"امجد مياه اردفيسورا اناهيدا ،واسعة التدفق[كما هي] وذات التأثير الشافي"[٥].وهناك صلاة توضح الدور الكبير للمياه في شفاء الأمراض:"تعالي أيتها الغيوم من فوق الأعالي ،إلى الأسفل نحو الأرض ،بوساطة ألاف القطرات وأعدادا لا تحصى منها.قل هذه الكلمات أيها المقدس زرادشت:لتفتك بالمرض ،لتفتك بالمرض ،وتفتك بالموت ،لتفتك بالمرض الذي يقتل ،وبالموت الذي يقتل ،ولتفتك بگادها ،اباگادها (أمراض غير معروفة).إذا جاء الموت بعد الظهيرة فليأت الشفاء عند الليل!وإذا جاء الموت في الليل فليأت الشفاء عند الفجر!وينزل مع هذه الأمطار ماء جديد ،ارض جديدة ،نباتات

---

[١]) إنقاذ فينديكتا:٣٥.

[٢]) حمادة ،تاريخ الصابئة ،ص١٠٣.

[٣]) أبو المنذر هشام بن مُحَّد بن السائب الكلبي ،**كتاب الأصنام** ،تحقيق:احمد زكي(القاهرة:دار الكتب المصرية ،١٩٩٥) ،ص٨.

[٤]) ياسنا ،٣٨: ٥.

[٥]) ياسنا ،٦٥: ١.

جديـدة ،علاجات جديـدة وشـفاء جديـد"[١] .وبـلا شـك كـان الإيرانيـون فـي العصـر الساساني(٢٢٦-٦٣٧م) كانوا لا يزالـون يؤمنـون بقـوة المياه الشـافية ،فقد قيـل ان الملك الساساني يزدجرد قد مرض ذات مرة فأشار عليه المنجمين بالاغتسال بمياه عين ماء معينة فلما اغتسل فيها شفي في الحال[٢] .

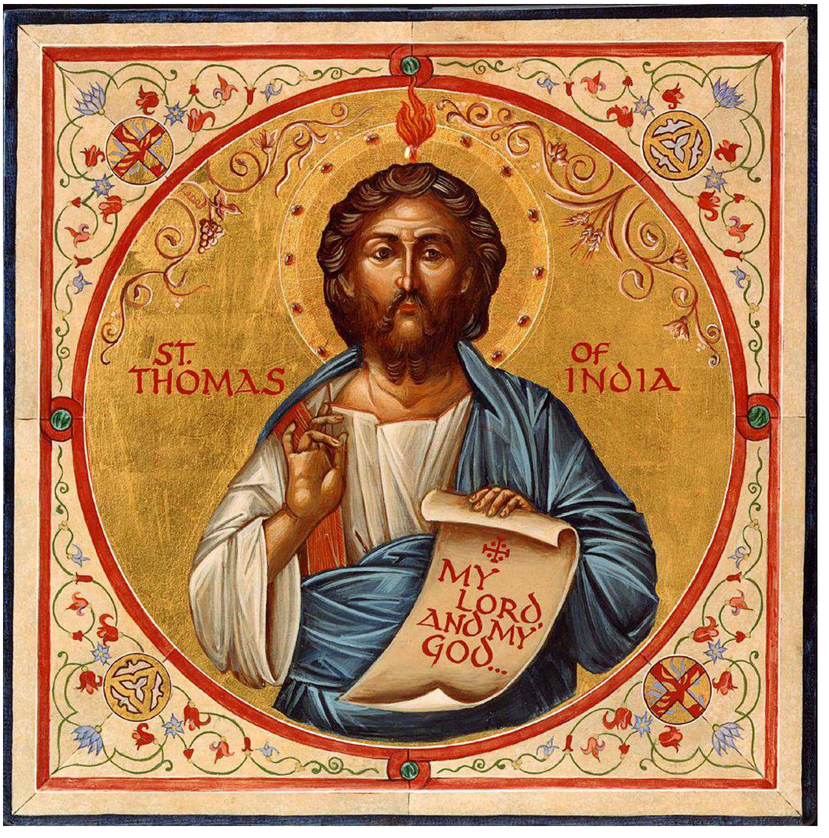
- **الشـعر والعظـام والجلـد والقمـاش**: ربمـا اسـتخدم الشـعر فـي طقـوس العـلاج السحرية ، رغـم إننـا لا نقرأ عـن هكـذا نمـط مـن العـلاج في نصـوص السـحر بـل مـن التقاليد الأدبيـة.إذ تشير **الأسـاطير المصرية** ان شـعر الإلـه رع عد دواء سـحريا ،ففي أسـطورة تقـول ان الإلـه جيـب عندما تـولى حكـم الأرض أمر بفتح الصندوق الذهبي أمامـه ،ذلك الصنـدوق الـذي وضـع فيـه رع شـعره ،وكان رع قد أخفى الصـندوق مع عكازه وخصلة من شعره في قلعة عند الحدود الشرقية لإمبراطوريته كطلسم خطر وفعال.وعنــدما فــتح الصــندوق قتــل تــنفس الأفعــى الإلهيــة جميــع مرافقــي جيب ،واحترق جيب نفسه حروقا شديدة ،ولم يشف جيب إلا بوضع خصلة شعر رع على الحروق[٣] .

كانــت للعظــام دورا شــفائيا كمــا نقــرأ فــي مصــادرنا ففــي **الديانــة المسـيحية** ،كانـت عظـام القديسـين والتـراب المـدفونين فيـه قـد أصـبحت وسـيلة شفائية إذ نقرأ في رواية مسيحية عن ملك هندي يدعى ميسدايوس قد أصيب احد أبنـاءه بمـرض مـن قبـل الشـيطان ،ومـا مـن احـد أمكنـه شفاءه ،وشـرع الملـك يفكـر ويقول:"إنني سوف اذهب ،وافتح الضريح(الخاص بالقديس توما) واخذ واحدة من عظام رسول الرب وأعلقها على ابني ،وهو سوف يبرأ ،ولكن عندما كان ميسدايوس يفكر حول هذا ،ظهر له الرسول توما ،وقال له:انك لم تؤمن بالإنسان الحي(السيد المسيح) ،فهل ستؤمن بالميت ؟ومع ذلك لا تخف ،لان مولاي يسوع المسيح عنده رحمــة نحوك ،وشــفقة عليــك مــن خــلال صلاحه.وذهب(ميســدايوس) وفــتح الضريح ،ولكنه لم يجد الرسول هناك ،لان واحد من الأخوان كان قد سرقه وأخذه

---

[١]) فينديداد ، ٢١: ٢-٣.
[٢]) الفردوسي ،الشاهنامة ،ص١٤٧.
[٣]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج١ ،ص٢٣٨-٢٣٩ ؛ڤايد ،ديانة مصر القديمة ،ص١٨.

إلى بلاد الرافدين ،غير ان ميسدايوس اخذ بعض التراب من المكان الذي تمددت فيه عظام الرسول...وعندما علق التراب على ابنه أصبح الغلام سليما"[١].



(القديس توما)

وعند **العرب القدماء** كان الشخص إذا أصيب بالجنون علقوا عليه الأقذار وعظام الموتى.وإذا أراد شخص دخول قرية وكان يخشى وباءها أو جنيها وقف على بابها قبل أن يدخل فنهق نهيق الحمار ،ثم علق عليه كعب أرنب كان بمثابة رقية من الوباء والجن[٢].وفي **جزر الاندمان** في خليج البنغال وبعد وفاة شخص ما يقوم أهل الميت باستخراج عظامه من القبر ،ويقومون بتزيين الجمجمة والعظم الفكي بطلاء احمر وطين ابيض ،كما يعمل لكل منها رباط حتى يمكن أن تلبس حول الرقبة ،أما من الأمام أو من الخلف.أما بقية العظام الأخرى فإنها تطلى باللونين

---

[١]) أعمال القديس توما: ١٧٠.

[٢]) خان ،الأساطير العربية ،ص٥٤.

الأحمر والأبيض وتحفظ في داخل الكوخ.ومن فوائد هذه العظام إنها تستخدم للوقاية من الأمراض وكذلك لعلاجها.فمثلا إذا مرض احد الأهالي بصداع فانه يضع بعض هذه العظام فوق رأسه ليشفى[1].أما **الجلد** فلا نمتلك حاليا أدلة كافية عن استخدامه في العلاج ،وتتحدث مأثورات شعب الكيشة في غواتيمالا إن البطلين الأسطوريين هوناهبو واكسبالانكية كانا يلعبان بالكرة عندما جاءهما صقر كرسول من جدتهما ،ولكنهما قبل أن يسمعا الرسالة ضرباه ببندقة باتانا(سلاح وأداة صيد كان الهنود يستخدمونها) فأصابا عينه ،وعندما أوضح الصقر لهما سبب مجيئه وطلب منهما معالجته:"نزعا قطعة صغيرة من جلد الكرة التي يلعبان بها ،ووضعاها على عين الباشق(الصقر)...وفي الحال شفيت عين الباشق تماما على أيديهما"[2].

عد **القماش** أيضا لاسيما إذا كان مرتبطا بالقوى المقدسة ذا قدرة علاجية كبيرة إذ نقرأ في رواية إن الإمبراطور الروماني تيباريوس قد أصابه مرض لذا اخذ في البحث بشكل جاد على قطعة قماش لامرأة تدعى فيرونيكا قيل إنها مسحت وجه المسيح وهو صاعد الى مكان صلبه ،وطبقا للأسطورة المسيحية انطبعت صورة وجهه على قطعة القماش ،وقد بحث أتباع الإمبراطور عن هذه القطعة حتى عثروا على فيرونيكا:"ثم إنهم بحثوا بتيقظ كبير للحصول على صورة الرب المسيح ،وقد وجدوا امرأة اسمها فيرونيكا لديها صورة الرب.ثم إن الإمبراطور تيباريوس قال لأحد أتباعه ويدعى فيلوشيان:كيف حفظتها ؟ فأجابه:لقد وضعتها في قطعة قماش ذهبي ،ولففتها في شال ،فقال الإمبراطور تيباريوس:اجلبها لي ،وانشرها أمام وجهي ،حتى أخر إلى الأرض ،واطوي ركبتي ،علني أتمكن من عبادتها على الأرض.ثم إن فيلوشيان نشر شاله مع قطعة القماش الذهبية التي عليها انطبعت صورة الرب ،ورآها الإمبراطور تيباريوس ،وعلى الفور تعبد صورة الرب بقلب صاف ،ونظف جسده(بها) وأصبح مثل جسد طفل صغير ،وتم شفاء جميع العميان والمجذومين ، والعرجان ، والبكم والصم ، والمصابين بمختلف أنواع الأمراض ، الذين كانوا موجودين هناك"[3].

---

[1]) الخطيب ،الاثنولوجيا ،ص٩٤.

[2]) ريثينوس ،بوبول فوه ،ص٧٥.

[3]) إنقاذ فينديكتا:٣٢-٣٣ ؛انظر كذلك عن القديسة فيرونيكا(St. Veronica) في:عبودي ،معجم الحضارات السامية ،ص٦٥٢-٦٥٣.



(القديسة فيرونيكا)

- **الحيوانات والأشجار**: اعتقد الكثير من الشعوب القديمة ان لبعض الحيوانات قابلية شفائية ،وأحيانا أجزاء من هذه الحيوانات ،فلدى **العبريين** اعتقاد بقدرة بعض الحيوانات على الشفاء ،فقد اعتقد العبريون بقدرة الأفعى على الشفاء ،إذ نقرأ إن الرب أمر موسى بان يصنع حية من نحاس ويرفعها على سارية(شجرة) ،فان كل إنسان يتعرض للسع الحية وينظر إلى حية النحاس فانه سيشفى[(١)] .وقد اعتقد **الإغريق** بقدرة الأفعى على شفاء الأمراض ،وكانت هناك أفاع مقدسة تعمل على لعق الجزء المصاب من جسم المريض فتشفيه[(٢)] .ونقرأ في الأساطير الإغريقية عن المرأة

[1]) العدد ،٢١: ٨-٩.

[2]) كمال ،الطب المصري ،ص١٧.

الأفعى ميدوزا التي قتلها البطل نصف الإله بيرسيوس ،وقد أعطى دمها لاسكليبيوس الذي جمع دم أوردتها اليمنى في إناء ودماء أوردتها اليسرى في إناء أخر.فكان بدم الجهة اليمنى يشفي ،وبدم الجهة اليسرى يعطي السم القاتل[١].وفي **الهند** تكتسب الأفعى أهمية خاصة إذ يعتقد هنود وسط وجنوب الهند بقدرة الأفعى على إعطاء الخصوبة للنساء العاقرات ،فينحت رمز الأفعى على حجر يغمر مدة ستة أشهر بماء البحيرة لإكسابه قوة الحياة ،ثم يخرج فينصب تحت احد الأشجار[٢].وليس الأفعى فقط كانت ترمز للعلاج فهناك طائفة من الحيوانات ذات قابليات شفائية كالحوت ،إذ ونقرأ إن طوبيا قد أصيب بالعمى لذا يقوم بصيد حوت ويستخدم مرارته لأنها:"تنفع لمسح العيون التي عليها بياض فتشفى"[٣].وفي بلاد الرافدين استخدمت السلحفاة هي من رموز الإله نرگال في مراسيم طرد العفاريت الشريرة[٤].ويتحدث هيرودوت عن دواء سحري تستخدمه قبائل الصيادين البود والجيلون في سكيثيا(جنوب روسيا) الذين كانوا يصيدون حيوان بوجه مربع ،وهم يستفيدون من خصيته في معالجة أمراض الرحم"[٥].ويعتقد الرومان بوجود حيوانات معينة لها القدرة على الشفاء بمجرد النظر إليها ،فالشخص المصاب باليرقان إذا ما ان ينظر إلى الكروان الجبلي بحدة ،وبادله الطائر تلك النظرة في الوقت نفسه شفي المريض من مرضه.ويقول بلوتارك(Plutarch) في ذلك:"هذه طبيعة ومزاج ذلك الطائر الذي يسحب المرض ببصره فيتدفق كالنهر من جسم المريض".لقد كان هواة الطيور يعرفون تلك الخاصية التي يتمتع بها كروان الجبل لدرجة انه حين يخرج احدهم لبيع إحداها كان يحرص على إخفائه وتغطيته خشية ان ينظر إليه شخص مصاب باليرقان فيشفى من مرضه بدون مقابل.ولم تكن هذه الخاصية مرتبطة بلون الطائر ذاته بل بعينيه الذهبيتين الكبيرتين اللتين تجذبان الصفرة بسهولة ويسر.ويتكلم بليني(Pliny) عن طائر أخر ولعله هو الكروان الجبلي ذاته ،كان الإغريق يطلقون عليه نفس الاسم المستعمل عندهم لمرض اليرقان ،لأنه لو نظر إليه شخص مصاب

---

[١]) السواح ،لغز عشتار ،ص١٥٤.
[٢]) المصدر نفسه ،ص١٥٣.
[٣]) طوبيا ،٦: ٩.
[٤]) الشاكر ،رموز أهم الآلهة ،ص١٧٥.
[٥]) هيرودوت ،تاريخ ،ص٣٣٤.

بذلك المرض فارقه مرضه في الحال ،ومات الطائر[1] .وهناك أشجار ذات خصائص سحرية ذات قدرة على العلاج فلدى **قبائل الايروكو** الأفريقية عند خليج بينان شجرة مقدسة ترمز للخصب لذا يأتي إليها بالنساء اللواتي ليس لديهن أولاد ليوجهن إليها الصلوات[2] .

- **الجسد المقدس**: في بعض الديانات تظهر دلائل ان الناس اعتقدوا بوجود أجساد مقدسة لها القدرة على الشفاء بمجرد لمسها ،وأحيانا بعض أجزاء ذلك الجسد الذي هو في حقيقته هبة إلهية.ونقرأ في **أسطورة إغريقية** إن الآلهة منحت بيلوبس ابن تانتالوس كتفا عاجيا ،ولهذا الكتف قوى اعجازية ،فانه مجرد لمسه يمكن ان تشفى الجروح وان كانت مميتة[3] .وهناك روايات تكشف كيف ان جسد **يسوع المسيح** ذاته قد أصبح رمزا سحريا للشفاء ،ففي الكثير من الروايات لاسيما تلك التي وردت في أناجيل الابوكريفا يمكن ان تعطينا تصورات خاصة عن ذلك.ففي رواية نقرأ ان مريم العذراء تلد ابنها السيد المسيح وتدخل القابلة سالومي عليها في الكهف الذي تلده فيه لتتأكد من الأمر لأنها لم تصدق بان العذراء تلد طفلا لذا يحل عليها غضب الرب فتشل يدها ولم يكن أمامها إلا ان تصلي لكي يتم غفران ذنبها وبالتالي شفائها:"مضت القابلة إلى الداخل وقالت لمريم:اعدي نفسك ،لان هناك خلافا صغيرا يتعلق بك(أي إنها تشك ان مريم عذراء) ،وأدخلت سالومي إصبعها لتفحص وضعها ،فصرخت قائلة:الويل لشروري ،ولعدم تصديقي ،لأنني جربت الرب الحي ،وانظروا ،ان يدي سقطت وانفصلت عني ،واحترقت بالنار.وجثت على ركبتها أمام الرب قائلة:يا رب أبائي ،تذكرني ،لأنني من ذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب ،ولا تجعلني وسيلة تشهير لبني إسرائيل ،بل أرجعني من اجل الفقير ،لأنك تعلم يا رب ،إنني باسمك مارست القيام بواجباتي ،وإنني منك تلقيت أجرتي.ونظرت وإذ بملاك الرب ظهر ،وقال لها:سالومي ،لقد سمع الرب دعائك اجلبي يدك إلى الطفل والمسيه ،والخلاص والسرور سوف يكون لك.واقتربت سالومي منه ولمسته

---

[1]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص١١٩ .

[2]) فروليش ،الديانات الأفريقية ،ص ٢٥٠ .

[3]) وارنر ،الإغريق ،ص١٤ .

قائلة:إنني سوف أعبدك ،لان الملك العظيم قد ولد لبني إسرائيل ،وشفيت سالومي حسبما طلبت"[١] .وفي نسخة ثانية من نفس الرواية تقول ان القابلة سالومي قد لمست أطراف القماش الذي كان ملفوفا فيه[٢] .وفي رواية أخرى نقرأ ان مريم وابنها يسوع قد دخلوا مرة إلى بلدة كان يجري فيها احتفال زواج ،ولكن نتيجة لتدخل الشيطان أصبحت العروس خرساء ،ولم يعد بإمكانها التفوه بكلمة واحدة ،ولكن مريم ذهبت إلى العروس ومعها ابنها الطفل يسوع ،فمدت الأخيرة يدها نحو السيد المسيح ،وجذبته نحوها ،وأخذته بين ذراعيها ،واحتضنته بقوة وقبلته ،وانحنت فوقه وحركت جسدها نحو الأمام ونحو الخلف ،وعلى الفور انحلت عقدة لسانها ،وانفتحت أذناها[٣] .

- **الرموز الدينية والطقسية**: وتظهر في بعض الديانات سواء القديمة أو البدائية ،فللصليب أهمية شفائية في **الديانة المسيحية** ،ويذكر المؤرخ السرياني البطريرك ميخائيل السرياني الكبير في تاريخه إن هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين توجهت إلى القدس وتمكنت من العثور على ثلاث صلبان ،فلم تتمكن من تمييز الصليب الذي صلب عليه المسيح ،من الصلبان التي صلب عليها لصين ،فجاء الأسقف بامرأة تحتضر ،فوضع عليها صليبي اللصين فلم تتحرك ،ولما وضع الصليب العائد للسيد المسيح نهضت[٤] .

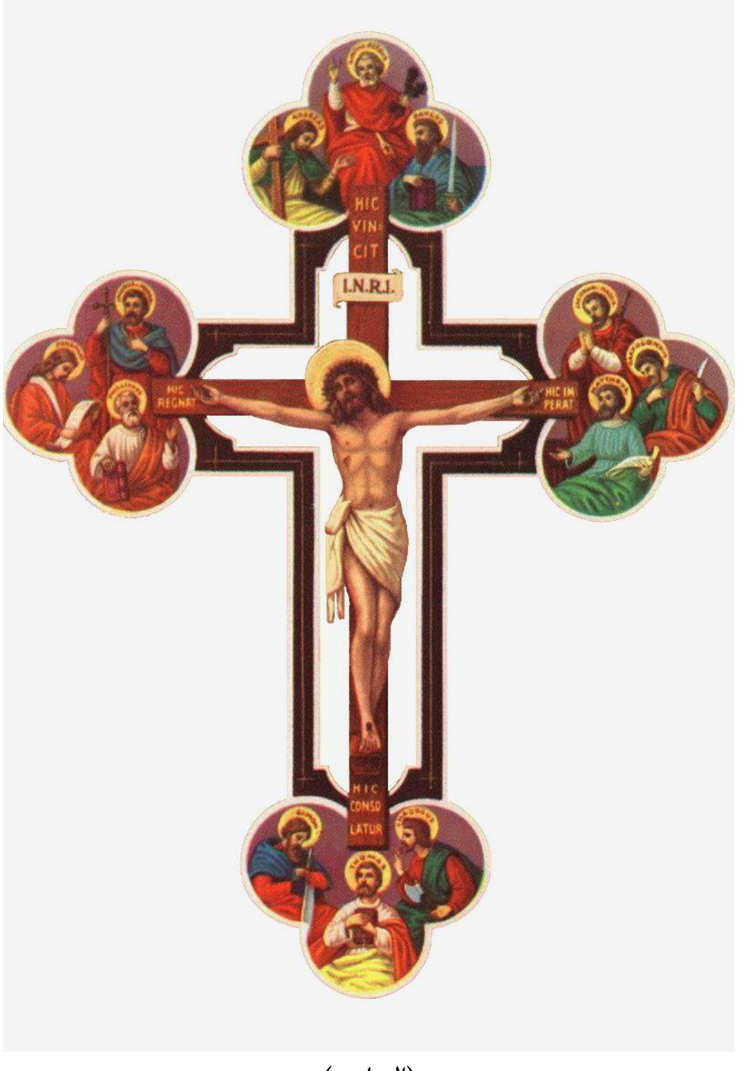
---

[١]) إنجيل جيمس ، ٢٠: ١-٤.

[٢]) إنجيل متى المزيف:١٣.

[٣]) إنجيل الطفولة العربي:١٥.

[٤]) زكار ،الأناجيل ،ص٩٩.



(الصليب)

والزيت في الديانة المسيحية كان له دورا مهما في تحقيق الشفاء ،إذ تقوم العقيدة المسيحية على مجموعة من مبادئ تعرف بالأسرار السبعة منها سر مسح المرضى ،وهو طقس كنسي يقوم أثناءه الكاهن بمسح المريض بزيت مقدس فيشفى المريض من أمراضه الروحية والجسدية[1] .وتظهر هذه الرموز لدى **الثقافات البدائية** ،فالقبائل البدائية تعتقد بالطوطمية وهو كائن قد يكون حيا أو غير حي ولكنه في الغالب أما حيوان أو نبات.وقد جرت العادة ان ترمز كل عشيرة طوطمية

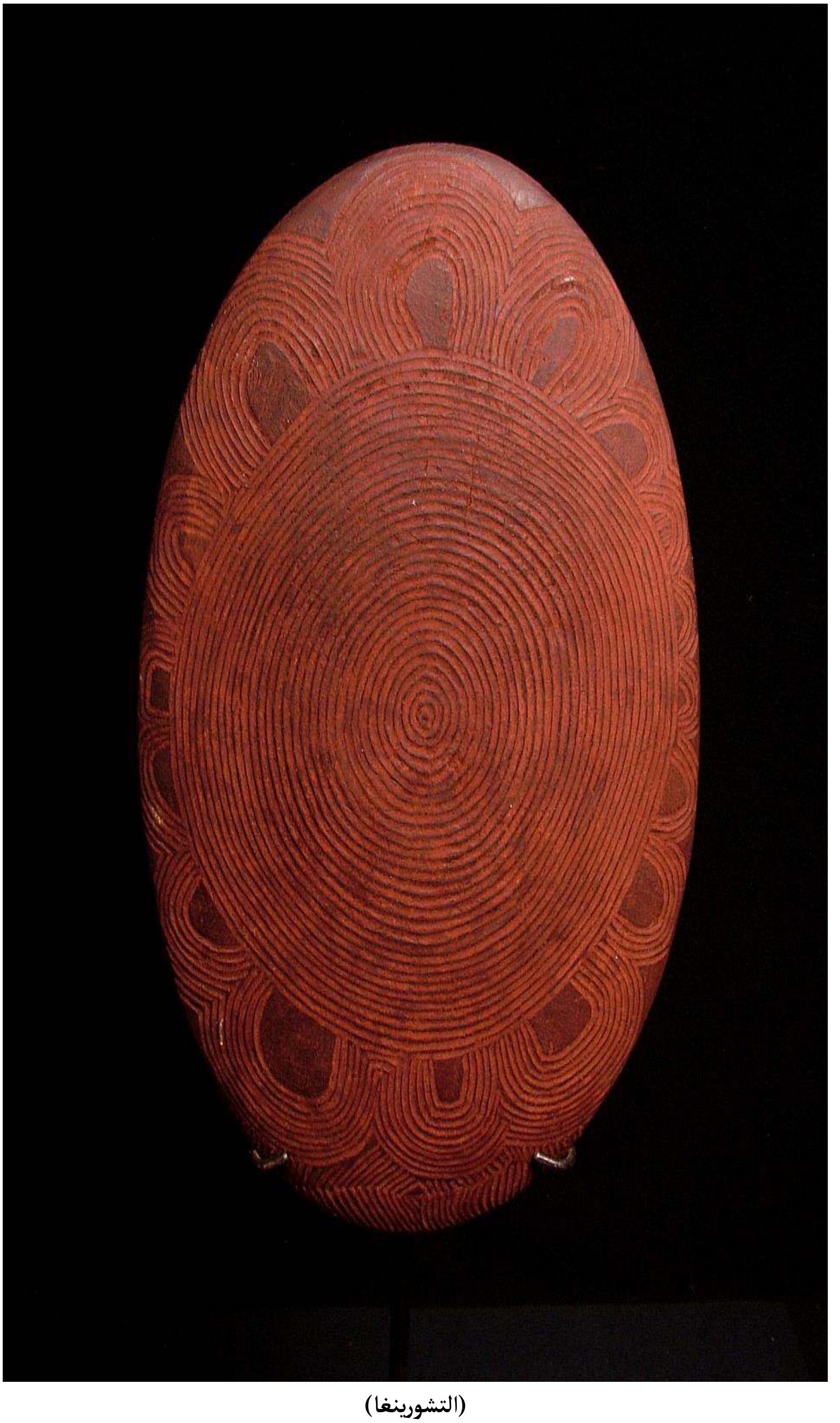
[1]) أبو رحمة ،الإسلام والدين المصري القديم ،ص ١٠٠.

إلى طوطمها برمز خاص تصطلح عليه ،ويصور هذا الرمز بصور مختلفة ،فأحيانا يكون عبارة عن صورة الطوطم نفسه مرسوما مجسما ،وأحيانا يكون عبارة عن أشكال هندسية أو مجموعة خطوط ليس فيها شيئا من صورة الطوطم.وتعتقد بعض العشائر الطوطمية ان مجرد لمس رمز الطوطم يشفي جميع الأمراض والجروح[1].وتستخدم قبائل استراليا الوسطى لاسيما الارونتا واللوريتجيا والكايتيش والانماتجيرا والاليبرا على نحو دائم أدوات معينة في طقوسها يطلق عليها الارونتا اسم التشورينغا(Churinga) ،من اجل فهم طبيعة عملها في العلاج لابد من استعراض أهميتها للقبائل الاسترالية ،فهي قطع من الخشب أو قطع من الحجر المصقول متنوعة في أشكالها اشد التنوع ،إلا إنها بيضوية أو مستطيلة بوجه عام وكل جماعة طوطمية لديها مجموعة مهمة إلى هذا الحد أو ذاك من هذه الأدوات.وعلى كل واحدة منها حفر تصميم يمثل طوطم هذه الجماعة أو تلك بالذات.وثمة عدد من التشورينغات له ثقب من احد الأطراف ،يدخل فيه خيط من الشعر البشري ،أو من شعر حيوان الابوسوم ،أما تلك المصنوعة من الخشب والمثقوبة على هذا النحو فتخدم ذات الأغراض التي تخدمها أدوات العبادة التي أطلق عليها الاثنوغرافيون اسم(Bull-Roarer) فمن خلال الخيط العلق به ،تدور بسرعة في الهواء على نحو يحدث نوحا من الدمدمة المماثلة لما تحدثه الدمى المسماة بهذا الاسم والتي يستخدمها الأطفال ،وهذه الضجة المصممة لها دلائل شعائرية وتصاحب جميع الطقوس مهما كانت أهميتها. غير ان هناك غيرها ليست مصنوعة من الخشب وليست مثقوبة ،ولذا لا يمكن استخدامها على هذا النحو ،إلا إنها تثير وتلهم العواطف ذاتها على الرغم من ذلك.ومن خلال التشورينغا تتحد أرواح أسلاف القبيلة وأفرادها الذين على قيد الحياة ،والتشورينغات هي بمثابة الصنو لكل منهم ،وبالتالي هي صورة مقدسة.والحال ان كل تشورينغا مهما يكن الغرض الذي تستخدم من اجله ،تعد من بين الأشياء المقدسة على نحو بارز ،فلا يفوقها أي شيء في مكانتها الدينية.فهي ليست مجرد معنى مادي وإنما أيضا معنى وصفي مقدس.وعموما فان كلمة تشورينغا تستخدم في الإشارة إلى جميع الأفعال الطقسية ،فحين يستخدم التشورينغا ماديا فإنها تشير إلى الشيء الذي صفته

[1]) الخطيب ،الاثنولوجيا ،ص١٤٢.

الأساسية القداسة.وتحفظ التشورينغا على نحو ورع في مكان خاص ،وهو عبارة عن كهف أو نوع من الحجر الخفي في مكان مهجور ،ويكون مدخله مغلقا بعناية بواسطة حجارة توضع بذكاء بحيث لا يمكن لغريب ان يمر بها ويشك بان الكنز الديني للعشيرة قريب منه مثل هذا القرب.وللتشورينغا كل صفات الإعجاز فإذا أصاب التشورينغا ضررا أو تلفا كان الشخص المسبب لذلك يقع مريضا ، نفس الوقت يعزو الاسترالي إلى هذه التشورينغا خصائص فوق طبيعية منها قدرة ان تشفي الأمراض وتشفي الجرح بالمس خاصة تلك الناجمة عن الختان وهي تحوز على القوة نفسها حيال المرض.فعلى سبيل المثار ان الغبار الناجم عن حك التشورينغا بحجر إذا ما حل في الماء يشكل دواء يعيد الصحة للأشخاص المرضى[١] .

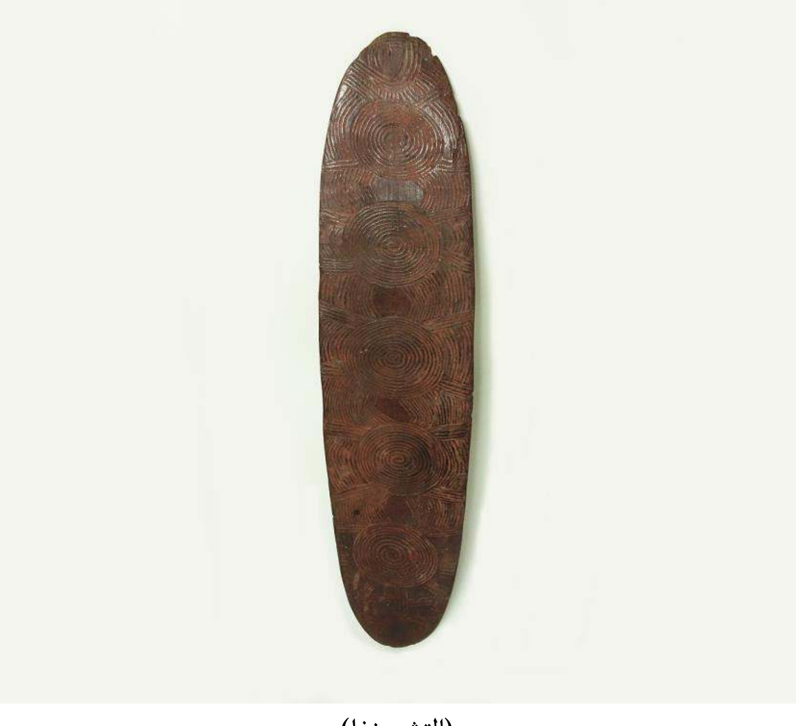
[١]) ان الوصف المقدم هنا للتشورينغا تم بناء على دراسة دوركايم ،الطوطمية ، ،ص٦٢-٦٤ ، ٧٩ ؛انظر أيضا:علي سامي النشار ،نشأة الدين:النظريات التطورية والمؤلهة ،(الإسكندرية:مطابع عابدين ،١٩٤٩) ،ص١٠٥-١٠٨ ؛السواح ،دين الإنسان ،ص١٨١ ؛البيديل ،سحر الأساطير ،ص٦٠.



(التشورينغا)



(التشورينغا)



(التشورينغا)


(Bull-Roarer)

- **الجبال**: تُظهر الجبال خصائص شفائية ، فعند **العرب القدماء** تؤثر في حياة الإنسان ،فكان من تأثير جبل أبي قبيس ان يزيل وجع الرأس[1] .

٨.**الحلي واللؤلؤ**: عدت الحلي أحيانا من وسائل الشفاء ،فمن عادات **العرب القدماء** إنهم يعلقون الحلي والجلاجل على اللديغ يرون انه بذلك يفيق[2].وتعلق بعض الحضارات أهمية خاصة للؤلؤ في العلاج من الأمراض وإطالة العمر كما في **الهند** الذي نقرأ في مقطع من الاتارفا فيدا عن فائدة اللؤلؤ في العلاج:"بالصدفة نتغلب على المرض...الصدفة هي دواؤنا الشامل...هذه الصدفة المولودة من السماء ،من البحر والتي أتى بها شاندو ،الصدفة المولودة من الذهب ،هي بالنسبة ألينا الحلية ،هي الجوهرة التي تطيل الأعمار...أنا اعلق اللؤلؤ على جيدي ،لتكون لي الحياة ،والعافية والقوة ،ولكي أحيا العمر المديد ،وأشاهد مائة خريف"[3].وفي اليابان عد اللؤلؤ عقارا ممتازا ،نظرا لفاعليته في الإخصاب ،وفي علاج أمراض

[1]) خان ،الأساطير العربية ،ص٥١.
[2]) المصدر نفسه ،ص٥٤.
[3]) الياد ،صور ورموز ،ص١٧٤.

النساء ،كما اعتقد هناك ،وان بعض الأصداف الصغيرة في اليابان تساعد المرأة في المخاض ،لهذا تأخذ اسم أصداف الولادة الميسرة[١] .وفي الصين كانوا ينصحون عدم إعطاء المرأة الحامل محارة من شانها تعجيل الولادة ،ويرون إن المحارات الحاوية على عنصر ين(Yin) ،دون سواه ،تناسب المخاض ،وأحيانا تجعل الولادة سابقة لأوانها[٢] .

- **الأجرام السماوية**: رأينا سابقا كيف اعتقدت بعض الشعوب القديمة ان للأجرام السماوية اثر سلبي في صحة الإنسان ،ومع ذلك فان من الدلائل ما يشير إلى اعتقاد بعض الشعوب بأهمية الإجرام السماوية في الشفاء ،وان كانت الأمثلة التي ستقدم فيما يلي مستقاة بشكل مباشر من **الشعوب البدائية**.فقد رأى النغاناسانيون الذين يعيشون في تايمير مثلا ان الشمس الأم كائن يمنح الحياة والنماء للناس والنباتات والحيوان ،وهي تحاول حمايتهم من البرد والأمراض.وكان الأطفال النغاناسانيون قد امنوا ان الشمس تعينهم على التخلص من الثاليل(نتوء خشن وصلب ينمو على سطح الجلد) ،ولم يكن تحقيق ذلك أمرا صعبا ،إذ كانوا ينهضون في الصباح الباكر ويخرجون من البيت ويخاطبون الشمس قائلين:"انظري أي وخزات لدي ،ولكني لن أعطيها لك" ،ويجب ان تكرر هذه المقولة عدة أيام فتختفي الثاليل ،لان الشمس تغار ويسلبهم إياها.والمعروف ان النغاناسانيون كانوا يقتلون أيلا خاصا للقمر الأم إذا ما تعسرت ولادة إحدى نساء القرية.فعند خيمة الولادة كان زوج المرأة يتضرع إلى القمر ان يأخذ الأيل ويعطي زوجته مخاضا يسيرا.وكان في هذه الحال يثنون أطراف الأيل المقتول ويديرون رأسه باتجاه القمر ثم يمددون المرأة إلى جانبه.وعندما كانت الولادة تنتهي بسلام ،كانوا يتركون الأيل في المكان عينه ،ولم يكن يأكل لحمه احد[٣] .

[١]) المصدر نفسه ،ص١٧٤.

[٢]) المصدر نفسه ،ص١٧٤.

[٣]) البيديل ،سحر الأساطير ،ص١٦٢ ، ١٦٦.

٨.العلاج بالأسطورة.

يقول الياد في معرض دراسته للأسطورة ان أسطورة تكوين الكون تعمل أحيانا من اجل الشفاء من المرض.وقد أمكن التدليل بان عددا كبيرا من الشعوب بدء من أقدمها إلى أشدها تطورا في سلم الحضارة مثل أبناء بلاد الرافدين تستخدم هذا النوع من الأساطير للعلاج من الأمراض.ففي هذا النوع من العلاج يترتب على المريض ان يعود إلى الوراء ،إلى البداية ،أي انه يصبح معاصرا للخلق ،وبذلك يتاح له ان يحيا من جديد حالة الصحة وحالة الكمال الأولية.في هذا الصدد لا نكون في صدد عضوية أصابها الاهتراء ودب فيها الوهن ،وإنما نكون بصدد إعادة تشكيل تلك العضوية.على هذا النحو ،ينبغي ان يولد المريض ولادة جديدة ،وان يستعيد مجموع الطاقة ،وكامل الإمكانية التي يتصرف فيها الكائن لحظة ولادته.هذه العودة للوراء تغدو ممكنة بتذكر يقوم به المريض نفسه ،في سبيل ذلك ،تتم تلاوة أسطورة الكون أمامه ولفائدته.ان المريض ،عند تذكره وقائع الأسطورة ،ومشهد الأحداث التي تنطوي عليها ،الواحدة تلو الأخرى ،أنما يحياها رمزيا ،ويجعل نفسه ،بالنتيجة معاصرا لها.بل يمكن ان نذهب هنا إلى القول ان وظيفة الأسطورة ليست المحافظة على ذكرى الحدث الأولي ،وإنما بنقل المريض وإسقاطه في المكان الذي تم فيه الحدث عندما كان في مرحلة الانجاز ،في فجر الزمن ،في البدايات[1].ومن اجل تبيان أهمية الأسطورة في العلاج لابد من سرد الأمثلة اللازمة لذلك.ففي **بلاد الرافدين** نقرأ عن هذا النوع من العلاج ،فأحيانا يعود الشافي إلى أزمنة البدء ،ليروي كيف أتى إلى الوجود مسبب الألم ،أو المرض ،وذلك للتمكن من استئصاله بالعودة إلى أصله.والى قدرة الإله الذي أوجده وحدد مصيره ،طالبا منه التدخل من اجل ذلك ،ومساعدا على تدخله بتلاوة الأسطورة ،ومن هذه الأساطير ما يعرف بأسطورة الدودة ووجع الأسنان.فقد شبه سكان ما بين النهرين في سومر وأكد ،عصب الأسنان حين يبدأ الوجع بدودة استقرت بين السن واللثة لتنخر تدريجيا السن المريض وتمتص دم اللثة.ولكي يتمكن الشافي من استئصال العصب وقبل استعماله دبوسا للامساك بشفة الدودة ،فعليه تلاوة أسطورة أصل الدودة ،بالرجوع إلى خلق الكون:

---

[1]) الياد ،الأساطير ،ص ٦٠-٦١ ؛انظر أيضا:البيديل ،سحر الأساطير ،ص ١٢٠.

"بعدما أنجز انو خلق السماء
(و) أنجزت السماء خلق الأرض
(و) أنجزت الأرض خلق الأنهار
(و) أنجزت الأنهار خلق القنوات
(و) أنجزت القنوات خلق المستنقعات
(و) أنجزت المستنقعات خلق الدودة
ذهبت الدودة إلى شمش باكية
ذرفت الدموع في حضرة أيا
ماذا تمنحني لغذائي ؟
ماذا تهبني لشربي ؟
أعطيتك التين الجاف
(و) المشمش
ما عسى هذين بالنسبة لي ؟ التين الجاف والمشمش!
ارفعني إلى فوق ما بين اللثة والأسنان
بين اللثات اتخذ لي مسكنا
دم الأسنان ما سوف امتص
ومن اللثات سوف أكل
عروق الأسنان(؟)
اغرزي الشوكة وتعلقي بالقدم".

في هذا المقطع يحدد الشافي كيف بدء الم الأسنان عندما قامت دودة بمخالفة الأوامر الإلهية لأيا وشمش ورغبت في الصعود إلى اللثة مسببة الألم للإنسان ،وتستمر التعويذة في القول على لسان الشافي

"لأنك بهذا تفوهت أيتها الدودة
فعسى أيا يصيبك بضربة جبارة من
يده".

وأخير يتم تحديد الهدف من قراءة هذه التعويذة ويبدأ العلاج الذي يتضمن كمادة توضع على المنطقة المصابة بعد استئصال العصب مع قراءة للرقية:

"رقية مضادة لوجع الأسنان
علاجها:اخلط بعناية جعة(؟) بيلليتو(Billetu) وقطع ناتشة وزيت
(ثم) اتل على هذه الكمادة ولثلاث مرات
الرقية(أعلاه) وقبل وضعها على لسان المصاب"[1].

في هذه التعويذة البابلية ،نجد أنفسنا أولا أمام أسطورة خلق العالم ،وثانيا نشأة الدودة ومرض الأسنان ،وثالثا المبادرة الشافية الأصلية والنموذجية ،ضرب الإله أيا للدودة.هنا تكمن الفعالية الشفائية للتعويذة المنطوقة طقسيا في تحيينها للزمن الأسطوري ،زمن الأصول ،أصل العالم واصل مرض الأسنان وعلاجها[2].وهناك تعويذة ثانية تسرد أسطورة القشة التي دخلت في عين الإنسان ،في أزمان البدء وكيف هب الإلهين شمش وسين لعلاج المرض ،وهذه الأسطورة وصلتنا عن طريق نسختين الأقدم البابلية ذات التفصيلات الأكثر من الأشورية:

"(لم يكن) آنذاك كما يروى ،غير الأرض ،والأرض
ولدت الوحل
والوحل
ولد الساق
والساق ولد
السبلة
والسبلة ولدت الشعيرة
(إلا انه) كما يروى ،في حقل اينليل
(الذي كان) مربعا
بمساحة سبع بورات من الأرض الزراعية

---

1) *E.A.Speiser,"A Cosmological Incantation: The Worm and the Toothache",In:ANET, (Princeton,1966),PP.100-101*

ساكز ،عظمة بابل ،ص٣٤٣ ؛روتن ،علوم البابليين ،ص٧٣-٧٤ ؛لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٨١-٨٢ ؛الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢ ،ص٥٤-٥٧ ؛الكسندر هايدل ،**الخليقة البابلية:قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم** ،ترجمة:ثامر مهدي مُحَمَّد ،مراجعة:محي الدين إسماعيل ،(بغداد:منشورات بيت الحكمة ،٢٠٠١)،ص٩٣-٩٥ ؛هوك ،منعطف المخيلة البشرية ،ص٦٩-٧٠.

2) الياد ،مظاهر الأسطورة ، ،ص٣٢-٣٣.

سين كان يقوم بأعمال الحصاد
وكان شمش يشرف على جمع (الحزمات)
(عند ذلك)،كما يروى ،دخلت
الشعيرة
عين الإنسان
من عساي أرسل
من سوف أكلف
(للتوسط) لدى السبعة ،بنات انو السبعة
لكي يأخذن
وعاءهن من العقيق الأحمر
وقارورتهن من الخلقيدونية
لملئهما
بماء البحر المقدس
(وبذلك) جعل الشعيرة
تغادر عين الإنسان"[١].

ان المواقف الفكرية التي تقوم وراء هذا النوع من العلاج تنطلق من اعتقاد الإنسان بان المرض علامة من علامات الاختلال في الطبيعة ،يمكن شفاءه عن طريق انتزاع المريض من سياق الزمن الحالي للمرض ،والعودة به إلى الخلف باتجاه معاكس نحو كمال البدايات ،عندما لم يكن هناك الم وشيخوخة وعجز.هذه العودة إلى البدايات تجعل القوى الإلهية الخالقة حاضرة هنا من اجل مد يد العون للمريض كما تشير تعويذة القشة.

في **الثقافات البدائية** نعثر على ممارسات طقسية مشابهة لما نقرأه في بلاد الرافدين ،عن طريق الرجوع إلى أزمنة البدء ،والقوة الشفائية التي يتضمنها استحضار زمن الأصول.ففي استراليا تروي قبيلة الكاليولا كيف ان رجلا عجوزا يدعى فيناموانن قد جرح نفسه جرحا بليغا في أثناء انشغاله بصنع قارب.عندئذ عمد إلى

---

[١]) الشواف ،ديوان الأساطير ،ج٢، ٥٩-٦٠ ؛وحول ترجمة النسخة الأشورية انظر:لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٨٢ ؛الشواف ،المصدر نفسه ،ج٢، ٥٨-٥٩.

تلاوة التعاويذ على طريقة جميع المطببين الذين يستخدمون السحر ،تلك التعاويذ التي تسترجع أزمان الأصول ،فتلا نشأة الحادثة التي أدت إلى جرحه ،ولكنه لم يتذكر الكلمات التي تحكي قصة أصل الحديد وهي الكلمات التي يمكنها ان تشفي الجرح الذي أحدثته الأداة الحديدية الحادة ،ثم بعد ان التمس العون من سحرة آخرين صاح فيناموانن:ألان تذكرت أصل الحديد" ،ثم بدأ يتلو التعويذة:

"الهواء هو الأول في الأمهات

الماء(هي) بكر الأخوة والنار(هو) الثاني

والحديد اصغر الثلاثة سنا

ان اوكو الخالق العظيم

فصل الأرض عن الماء ،واطلع الشمس في الأقاليم البحرية

لكن الحديد لم يكن قد ولد بعد

وهكذا ولدت الحوريات الثلاثاء اللائي صرن أمهات الحديد".

والفكرة من وراء هذه القصة هي ان العلاج لا يؤتى مفعوله إلا إذا عرف أصل المرض وبالتالي أصل الدواء.وهذه الفكرة شائعة لدى العديد من الثقافات البدائية ،فكل تلاوة سحرية يجب ان تتقدمها تعويذة تحكي أصل الدواء المستعمل وإلا لا يفعل فعله ،ولكي يفعل العلاج فعله ،يجب معرفة النبات الشافي ،والطريقة التي زرعته بها المرأة الأولى.وفي الأناشيد الطقسية التي يرتلها الناخي(في الصين قرب التبت) يقال صراحة:"إذا لم يروَ أصل الدواء ،لا يصح ان يستعمل" ،أو:"إذا لم يروَ أصله لا يجوز الكلام عنه"[1].ولدى جماعة البيل(Bhils) البدائية في الهند ،هناك أنشودة تعرف باسم كازومور دامور التي يعتقد إنها تشفي جميع الأمراض ،وتحكي الأنشودة هجرات جماعات البيل دامور من كجرات إلى جنوب الهند الوسطى.فهي إذن أسطورة إقامة جماعة في إقليم جديد ،وبعبارة أخرى هي قصة بدء جديدة من خلق العالم.وهناك طقس معد للشفاء عند قبائل البيل يسترعي الانتباه على وجه الخصوص ،إذ يقوم الساحر بتطهير المكان الذي يلي سرير المريض ويرسم مندول (Mandol) أي دائرة سحرية بطحين الذرة ،وتظل الصورة المرسومة على هذا النحو حتى يبرأ المريض من علته تماما.ان مصطلح مندول نفسه يكشف عن أصل

[1]) الياد ،مظاهر الأسطورة ،ص١٩ ؛السواح ،الأسطورة والمعنى ،ص٧٧-٧٨.

هندي ،والكلمة المستعملة مندالا(Mandala) هي رسم مركب يلعب دورا هاما في الطقوس التانترية الهندو-تبتية.ولكن المندالا قبل كل شيء هي صورة للعالم ،تمثل في نفس الوقت الكون مصغرا ،كما تمثل مجمع الآلهة ،ويساوي رسمها تجديدا سحريا لخلق العالم.تبعا لذلك ،ان الساحر عند البيل ،عندما يرسم المندول عند قائمة سرير المريض ،فإنما يكرر خلق العالم ،حتى لو كانت الأناشيد الطقسية المرتلة لا تشير صراحة إلى أسطورة نشوء الكون.ان العملية هنا ذات غرض شفائي ،فالمريض إذ يصبح رمزيا معاصرا لخلق العالم ،فإنما ينغمس في الامتلاء ألبدئي ،يترك لكي تشيع فيه القوى الهائلة التي جعلت من الخلق أمرا ممكنا ،في الزمن الأول.وكانت أسطورة نشوء الكون عند النافاهو هي أسطورة انغماس الآدميين الأوائل في حضن الأرض ،تتلى بمناسبة الشفاء.وكان ينفذ احتفال يتم عن طريقه تنفيذ رسوم مركبة على الرمل ترمز إلى مختلف مراحل الخلق الأسطوري للآلهة أو الأسلاف والبشرية جمعاء.وهذه الرسوم تشبه شبها غريبا المندول الهندي-التبتي ،تعيد الحوادث التي جرت في الأزمنة الأسطورية حادثا بعد أخر.والمريض إذ يصغي إلى تلاوة الأسطورة الخاصة بنشأة الكون تعقبها تلاوة أساطير الأصول ،وإذ يتأمل الرسوم المنفذة على الرمل ،فإنما يقذف به إلى خارج الزمن الدنيوي ،ويزج به في الزمن الأصلي ،يعاد به إلى الخلف حتى أصل العالم ، وبذلك يشهد ولادة الكون[1] .

---

[1]) الياد ،مظاهر الأسطورة ،ص٢٧-٢٩ ؛السواح ،الأسطورة والمعنى ،٧٨-٧٩.



(فتاة من شعب البيل)


(شعب البيل)

ان التلازم بين الأسطورة الخاصة بنشأة الكون وأسطورة أصل المرض والدواء من جهة وبين طقس الشفاء السحري من جهة ثانية يمكن ان نفهمه بصورة أفضل عند الناخي ،وهم قوم ينتمون إلى الأسرة التبتية ،ولكنهم يعيشون منذ قرون في الصين الجنوبية الشرقية ،وخصوصا في مقاطعة يون-تان.إذ تروي مأثوراتهم انه في بداية الخلق ،قسم العالم إلى نصفين بين الناغا والبشر.ولكن عداوة دبت بين الفريقين فافترقوا.كان من جراء غضب الناغا ان نشروا الأمراض والعقم وجميع الأوبئة في العالم.ثم إلى هذا كانوا يستطيعون ان يسرقوا نفوس الناس إذ ينزلون بهم العلل ،فإذا لم يصالحوا طقسيا يموت المريض.لكن الشامان ،بقوة تعازيمه السحرية ،قادرا على إجبار الناغا على تحرير النفوس المسروقة والمأسورة.والشامان نفسه غير قادر على منازلة الناغا إلا إذا قام الشامان الأصلي بمساعدة غارودا بنقل هذا النزال إلى الزمن الأسطوري.ثم ان طقس الشفاء يتكون تحديدا من التلاوة الرسمية لهذا الحدث ألبدئي.وكما جاء صراحة:"إذا لم يروَ أصل غارودا ،لا يجوز الكلام عنه".لذا يتلو الشامان أسطورة غارودا التي تحكي كيف خلقت البيضات بالسحر فوق جبل كيلاسا ،وكيف ولد غارودا من هذه البيضات ،وهبط إلى السهل بعد ذلك من اجل وقاية البشر من الأمراض التي أوجدها الناغا.ولكن قبل رواية

مولد غارودا ،تروي الأنشودة الطقسية بايجا قصة خلق العالم:"عندما ظهرت الجبال والأودية والأشجار والصخور في هذا الوقت ظهر الناغا والتنانين".ان اغلب هذه الأناشيد الطقسية ذات الغرض ألشفائي تبدأ بذكر ولادة الكون:"في البدء في الوقت الذي لم تكن قد ظهرت فيه السموات والشمس والقمر والنجوم والنباتات والأرض ،حينما لم يكن قد ظهر شيء قط".ثم تروي القصة خلق العالم ،وولادة الشياطين ،وظهور الأمراض ،والشامان الأول الذي جاء بالأدوية الضرورية.ويذكر نص أخر:"في البدء عندما كان كل شيء غير متمايز".ويروي بعد ذلك ولادة الناغا والغارودا.ثم يأتي إلى ذكر أصل المرض ،وكيف انتقل من جيل إلى أخر ،ثم تحكي قصة الصراع بين الشياطين والشامان:"الروح ينقل المرض إلى الأسنان والفم برمية سهم ،والشامان ينزع السهم ،والشيطان ينقل المرض إلى الجسم برمي السهم على الجسم ،فينتزعه الشامان".وتقول أنشودة طقسية أخرى:"يجب حكاية أصل الدواء ،وإلا لا يجوز التكلم عنه.في الوقت الذي ظهرت فيه السماء والنجوم والشمس والقمر والنبات وظهرت الأرض...في هذا الوقت ولد تسو-دزيه-بر-دو".يعقب ذلك أسطورة طويلة تحكي أصل الأدوية وتقول انه بعد غياب ثلاثة أيام يعود تسو-دزيه-بر-دو إلى بيته ليجد أبويه ميتين ،فيعتزم الذهاب بحثا عن علاج يمنع الموت ،فيصل إلى بلد رئيس الأرواح.بعد ان ينجو من مخاطر كثيرة ،فيسرق الأدوية العجيبة ،لكن الروح تطارده فيقع أرضا ،وتتناثر الأدوية ،وبذلك وجدت النباتات الطبية.وفي حالات أخرى ،في أثناء أداء الطقس ألشفائي لا يقف الشامان عند حد إيجاز قصة ولادة الكون ،بل يدعو الإله ويضرع إليه ان يخلق العالم من جديد.تبدأ إحدى هذه الصلوات بذكر خلق الأرض والماء والكون كله ،وكذلك خلق الجعة الطقسية شي وقربان الرز سو وتنتهي بهذا النداء:"تعالي أيتها الروح".ثم هناك نص أخر يبين ولادة شي وولادة المشروب الكحولي ديو بحسب مأثورهم القديم:"ان مكان نشأة هذين المشروبين هو نفس مكان الشجرتين سانغلي وسانغلوغ.من اجل صالح العالم كله ،من اجل صالحنا أيضا ،تعال ألينا يا رسول الإله بوتنغ الإله ذي القوى الخارقة ،نزل في وقت مضى من اجل خلق العالم ،انزل ألان ثانية من اجل خلقه من جديد".من الواضح انه من اجل تحضير المشروبات الطقسية شي وديو يجب معرفة أسطورة أصلهما ،والذي يرتبط بأوثق ارتباط بأسطورة نشأة

الكون ،ولكن الأهم من ذلك هو ان الخالق يدعى إلى النزول من جديد من اجل خلق العالم لمصلحة المريض.ان الهدف من تلاوة أسطورة نشأة الكون للشفاء ،هو ان الأسطورة قادرة على إعانة المريض ان يبدأ حياته من جديد ،إذ بفضل العودة إلى الأصل ،يؤمل ان يولد ولادة جديدة.بل وان جميع الطقوس التي درست أنفا تستهدف العودة إلى الأصل ،وان الانطباع الذي نكونه عن المجتمعات القديمة في ظل هذا النوع من العلاج هو ان الحياة بالنسبة إليهم لا يمكن إصلاحها بل تجديد خلقها بالعودة إلى المنابع الأصلية.كل هذا يظهر على شيء من الوضوح في الاستخدامات الكثيرة للأسطورة الخاصة في نشأة الكون البولينيزية.بحسب هذه الأسطورة ،لم يكن موجودا في البدء إلا المياه والظلمات ،ويقوم الإله ايو(IO) هو الإله الأعلى بفصل المياه بقوة فكره وكلامه فيخلق السماء والأرض:"لتنفصل المياه وتتشكل السموات ،ولتصر الأرض!".هذه الكلمات المرتبطة بنشأة الكون التي صدرت عن ايو وهي الكلمات التي بفضلها جاء العالم إلى الوجود ،هي كلمات محملة بقدرة مقدسة ،كذلك هي الكلمات التي ينطقها الناس في جميع الظروف ،فمثلا يكررونها في أثناء أداء طقس إخصاب رحم عقيم ،وفي أثناء طقس شفاء الجسد والروح:"الكلمات التي بفضلها ولد العالم ،وأدى إلى ولادة عالم من نور ،نفسها الكلمات التي تستعمل في إخصاب رحم عقيم ،والكلمات التي بفضلها بدد ايو الظلمات بالنور ،تستخدم أيضا في الطقوس المعدة لإدخال البهجة إلى القلوب الحزينة المحطمة ، وفي معالجة العجز والشيخوخة"[1].

[1]) الياد ،مظاهر الأسطورة ،ص٢٩-٣٢ ؛الياد ،المقدس والعادي ،ص١١٤-١١٦.



(رجل من شعب الناخي)



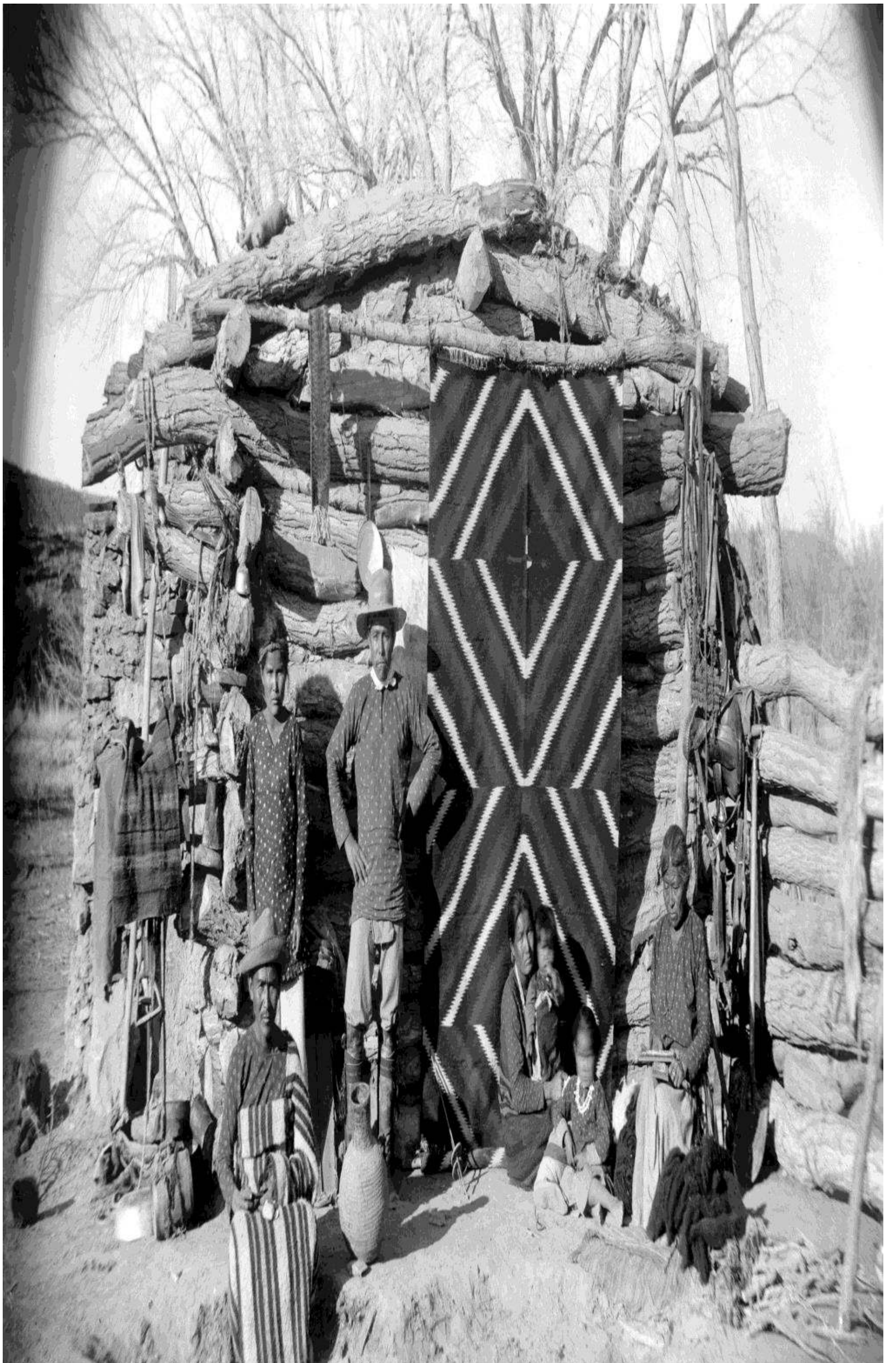
(شعب الناخي)

لـم تكـن أسـطورة نشـأة الكـون هـي الوحيـدة التـي تسـتخدم للشـفاء ،بل ان أساطير أصل البشرية كانت تستخدم لذات الغرض ،فعند قبيلة النافاهو في أمريكا الشمالية وفي بعض الحالات الهادفة منها شفاء المريض من مرضه ،كانت تتم رواية خروج البشر من أحشاء الأرض وكيفية متابعة المسلك العسير المضني إلى سطح الأرض ،والى مشاهدة النور.هذا يعني ان الأساطير التي تتحدث عن أصل البشر ما زال واضحا حضورها وفعاليتها في الحياة الدينية للقبيلة.لذلك لا تروى كيفما اتفق ،ولا في أي وقت ،وإنما تروى فقط من اجل مرافقة وتبرير ممارسة طقسية معدة لاستعادة أمر من الأمور مثل صحة المريض أو استرجاع طاقته الحيوية.ومن اجل استرداد الصحة ،كانت تستعاد بحضور المريض وعن طريق رواية مسيرة العالم منذ البداية. وكان يتم بالطقس رواية خروج أوائل البشر مرة أخرى من أحشاء الأرض.ولان الراوي يجعل لخلق الإنسان المسبوق بخلق الكون حضور وفاعلية لذلك يترجى المريض استعادة الصحة التي تمتع بها الإنسان عند الخلق.بعبارة أخرى انه يغدو بفعل الرواية معاصرا لخلق الكون ولخلق الإنسان[١] .ويعالج مريض النافاجو من خلال أداء طقسي يرمز إلى عملية التطابق الطقسي مع الكون وقواه ،إذ يقعد المريض في وسط صورة زيتية رملية ترمز إلى الكون وقواه في حين يصب المطبب عليه رملا ملونا[٢] .

---

[١]) الياد ،الأساطير ،ص ٢٥٠.

[٢]) هوتكرانتس ،الأديان الأمريكية الشمالية ،ص١٩٤.



(شعب النافاجو)

نهاية الرحلة

إن الدراسة الأنفة حاولت بشكل مركز ان توضح طبيعة العلاقة الوثيقة بين السحر والطب في الحضارات القديمة ،وان الأمثلة التي تم إدراجها يمكن ان تنير لنا حقيقة قائلة ان المجتمعات القديمة عدت السحر حقيقة واقعة لا يقل أهمية عن العلاج الطبي الواقعي ،بل أحيانا قد تفوق في أهميته على الأخير ،فالهدف الذي يكمن في دراسة مفهوم السحر وعلاقته بالطب هو محاولة البرهنة ان وجود هذا النمط من العلاج كان مهما وبشكل فاعل ،وان القاعدة التي تقول ان الأسباب فوق الطبيعية للمرض لا يمكن ان تجابه إلا بنفس الأسلوب من القوى ،بلا شك كانت مفهومة بشكل جيد لدى مختلف الأنماط من الثقافات القديمة سواء تلك التي بلغت مستوى عال من التطور الحضاري من الحضارات الكبرى أو تلك التي عاصرتها وتجاوزتها من حيث الزمن ومن ثم بقيت محافظة على نمطها الثقافي البدائي.

ان التساؤل الذي يجب عرضه هنا هو إلى أي مدى كانت المجتمعات القديمة قد أدركت ان وسائل السحر قد تخفق أحيانا في العلاج ؟ بلا شك كانت بعض الطقوس التي يمارسها الطبيب الساحر قد تخفق ،وبلا شك أيضا ان هناك مبررات يمكن ان تقدم من قبل الممارسين للسحر لأولئك المصابين بالمرض تشرح لماذا قد اخفق الطقس ،ولكن من غير شك انه لم يكن هناك اعتقاد جازم بعدم جدوى الطقوس السحرية من قبل الأقدمين في اقل تقدير ،ويمكن ان يعزى الإخفاق إلى أكثر من عامل وليس نتيجة عدم قدرة الطبيب الساحر الذي يحظى بمكانة اجتماعية تكفل له ان يتم تصدقيه في أي تبرير يطرحه.وبعيد عن التكهنات هناك دلائل تشير إلى حالات إخفاق حقيقة قد حدثت وسجلت بدقة في وثائقنا ،ففي نص بابلي ربما كان من النصوص الجيدة التي تعطينا فكرة عن العلاج الاعجازي وهو قصيدة المعذب البابلي التي يمكن ان نفهمها كإيقاع بين المرض والعلاج تعطينا إشارة ذات طبيعة خاصة عن فشل الوسائل السحرية:

"ان العراف بالعرافة لم يقرر مستقبلي
وشارح الأحلام رغم سكيبته لم يوضح حالتي
فاستغثت بروح الموتى ولم يطلعني

ولم يحل المعزم بطقوسه الغضب الإلهي الثائر علي "[١]

ويتحدث نص أخر عن الطبيب الساحر ويبرهن عن فشلله في بعض الأحيان في طرد الروح الشريرة من جسد المريض:"إذا قبضت يد عفريت اوتوككو على إنسان وكان ماشماشو غير قادر على إبعاده..."[٢].وقصة نبامون في مصر أفضل دليل يمكن ان يقدم هنا على فشل الوسائل السحرية في العلاج واللجوء إلى العلاج الطبي من اجل الحصول على الشفاء ،فبعد كل المحاولات التي قام بها نبامون لطرد الروح الشريرة يفشل في مهمته ،ويدخل المريض سارو في غيبوبة أدركت عندئذ زوجته خاييت ان الطبيب الساحر قد اخفق في مهمته ،ولابد من استشارة طبيب أخر.لذا تستدعي الزوجة الطبي شارو الذائع الصيت وخريج مدرسة عين شمس وحامل لقب:"رئيس أطباء جلالة الملك" ،والذي شفى كثيرا من حالات فشل فيها أطباء آخرون ،فحضر شارو وتشاءم من حالة المريض ،وبعد ان سأل عن تاريخ المرض وأعراضه فحص المريض فحصا دقيقا من قمة رأسه إلى قدميه ،فوجد المريض مصابا بمرض باطني شديد وارد في كتاب تحوت ،وان المرض أهمل فاستعصى شفائه ،وقد وصف علاجا القصد منه تهدئة بال الأهل أكثر من إراحة المريض ،فلما حان الليل أفاق سارو من غيبوبته وصرخ من الم شديد في بطنه ،ثم اعترته قشعريرة ونوبات عصبية وقيء ،وبدت عليه علامات الوفاة ،وسرعان ما توفي[٣].

وقبل أن نغادر الموضوع لابد من طرح تساؤل ثانٍ يشكل ألان ضرورة ملحة من اجل استكمال الموضوع ،هل يمكن ان يترافق التطور العلمي مع التقليل من أهمية السحر؟ ان الإجابة لأول وهلة ينم عن تأكيد شديد ،ولكن الواقع يشير إلى خلاف ذلك ،فالقدماء لم يكونوا متأخرين في كل الأحوال علميا ،وقد أشار الدارسون مرارا إلى الطب المصري والإغريقي ،والرياضيات والفلك البابليين ،والفلسفة الإغريقية ،ولكن من غير ان يؤدي ذلك إلى القضاء على الممارسات السحرية كما رأينا في الأمثلة المعروضة أنفا في هذه الدراسة ،كما لا

[١]) لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٣٩٨.

[٢]) ساكز ،الحياة اليومية ،ص٢١٨.

[٣]) كمال ،الطب المصري ،ص٤٨.

يمكننا القول إننا ألان أكثر قدرة على التحرر من لعنة السحر في واقعنا المعاصر ،رغم التطور العلمي الكبير الذي شهدته الحضارة الإنسانية منذ أيام الثورة الصناعية ،وما تلاها من عصر التنوير ومن ثم نشوء العقلانية في التفكير الإنساني ،أو حتى إذا أدرجنا في تصوراتنا حضارات ذات مكانة علمية مرموقة مثل الحضارة الإسلامية التي تظهر في ثنايا وثائقها الغزيرة أدلة عن بقاء الاعتراف بالسحر كقوة فعالة في الشفاء.وهناك من الأدلة الكافية ان الإيمان بأهمية السحر في العلاج كان موجودا خلال العصور والوسطى والحديثة التي أعقبت الحضارات القديمة ،ويمكن القول بثقة ان هذا الإيمان ما زال ماثلا في أفكارنا المعاصرة.ويمكن ان نستشهد بعدد من الأمثلة التي توضح بقاء الإيمان بالعلاج السحري ،حتى بعد نهاية الحضارات القديمة ،وهذه الأمثلة منتقاة من حضارات مختلفة لكي تتم البرهنة على ان السحر والطب ما يزالان مؤثرين في قيمنا الحضارية ،ففي الحضارة الإسلامية نستطيع العثور على عدد كبير من الأمثلة حول ذلك ،فكثيرا ما تشير الروايات إلى شفاء منسوب إلى النبي مُحَّمد(ص) تم عن طريق استخدام الرقية ،فهناك حديث نبوي يقول:"استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل ان يحمده خلقه ،وبما مدح الله تعالى به نفسه:الحمد لله وقل هو الله احد ،فمن لم يشفه القران فلا شفاء له"[1].وهناك رواية تقول ان عثمان بن عفان مرض يوما فشفاه باستخدام التعويذة:"مرضت فكان رسول الله(ص) يعّوذني فقال:بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم ي له كفوا احد من شر ما تجد ،ثم قال:تعوذ بها مما تعوذت بمثلها"[2].ولم تكن هناك طبقة خاصة في المجتمع الذين يستخدمون التعاويذ لشفاء الآخرين بل ان كل شخص يستطيع ان يشفي المريض بالرقى والتعاويذ:"ما من مسلم يعود مريضا لم يحضر اجله فيقول سبع مرات:أسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك إلا عوفي"[3].بل ان الشخص ذاته يستطيع ان يشفي نفسه برقية:"ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل:بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات:أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد

[1]) أحمد عبد الجواد ،**الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب** ،(القاهرة:بلا.مط ،بلا.ت) ،ص٧٦.
[2]) المصدر نفسه ،ص٧٨.
[3]) المصدر نفسه ،ص٧٧.

وأحاذر" ،أو:"ضع يدك اليمنى على ما يؤذيك وقل:بسم الله اللهم داوني بدوائك واشفني بشفائك واغنني بفضلك عمن سواك واحدر عني أذاك"[1].ولم تكن الرقى هي الوحيدة المستخدمة في العلاج ،إذ ونقرأ في رواية ان علي ابن أبي طالب كان في غزوة خيبر أرمد لا يبصر موطئ قدميه ،فدعاه النبي مُحَمَّد وتفل بيديه ومسح بهما عينيه فانفتحتا[2].ويبدو ان هناك اعتقاد ما يزال نقرأ عنه في الأدبيات الإسلامية عن دور المياه في الشفاء إذ نقرأ عن نهر الفرات انه ما ان اغتمس فيه ذو عاهة إلا برأ[3].وان الاعتقاد بقابلية الأفعى على الشفاء[4] ، ما زالت موجودة في الوثائق الأدبية للحضارة الإسلامية ،وفي إحدى قصص إلف ليلة وليلة التي يمكن ان تؤخذ كدليل على الفكر الشعبي نقرأ عن رجل يدعى حاسب الدين الذي صادف حيات عظيمة طول كل منها مائة ذراع ،والماء حوله قد امتلأ بحيات صغيرة ،ولهذه الحيات ملكة لحمها له القدرة على شفاء الأمراض[5].هذا ونعرف إن هناك مواد سحرية عدت أدوية للمرض ،والغريب في الأمر إن المومياوات المصرية عدت خلال القرن الحادي عشر الميلادي علاجا ،فقد كانت تطحن لتتحول إلى مسحوق ،وتباع باسم خلاصة المومياء على إنها منشط جنسي ودواء.ووصف الطبيب ابن سينا المومياء تقريبا لعلاج جميع الأمراض[6].

---

[1]) المصدر نفسه ،ص٧٨-٧٩.

[2]) شاكر شاهين ،**العقل في المجتمع العراقي بين الأسطورة والتاريخ** ،(بيروت:التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠١)،ص٣٠٤.

[3]) المصدر نفسه ،ص٢٣٨.

[4]) ان دراسة اولية نفذت من قبل الباحث حول المعتقدات الشرقية الشعبية وجذورها التاريخية في:اسامة عدنان يحيى ، "معتقدات شعبية شرقية لها جذورها في التاريخ: نظرة من اجل فهم التراث الشرقي" ، **مجلة ذوات** ، العدد: ١٠ ، لسنة: ٢٠١٥ ،ص٨٢-٨٦.

[5]) السواح ،لغز عشتار ،ص١٥٤-١٥٥.

[6]) رويز ،روح مصر القديمة ،ص١١٦.



(صورة تخيلية لابن سينا)

لم تكن هذه فقط من وسائل العلاج فقد عد أشخاص معينين لهم القدرة على الشفاء حتى وان كانوا أمواتا ،ففي قصة إسلامية شعبية ،ما زال يؤمن بها البعض ،نقرأ فيها عن رجل يدعى عبد الله الحطاب اتهمه شاب بأنه سرق نقودا ،فدعا عليه عبد الله أن يكفيه شره.فلم يكد الشاب يتقدم خطوات حتى سقط من فرسه

مغشيا عليه كالميت.فجاء أبوه مسرعا مذهولا ورآه عبد الله من نافذة السجن لأنه كان مسجونا وقص عليه ما حدث.وهنا طلب عبد الله من الأب ان يأخذ النقود الذهبية ليشتري بها الصدقات كي يقرأ مدح حلال المشاكل(أي علي بن أبي طالب) لإنقاذ الشاب. وفعل الرجل ذلك وما ان أتم عبد الله قراءة المدح حتى تعافى الشاب[1].

في البلدان العربية ألان هناك دلائل إلى الإيمان بقوى السحر القادر على الشفاء ما زالت موجودة ،ففي مصر على سبيل الفرض ما زلنا نرى الأحجبة معلقة في أعناق الأطفال أو مثبتة في لفائفهم من اجل العلاج.وهناك الأحجبة الصغيرة الحمراء لإطالة العمر ،والسن اللبنية لطفل التي سقطت وقت تبديل الأسنان محفوظة في حجاب لإطالة عمر الطفل.وهناك زيارة الأضرحة(قارن ذلك بزيارة المعابد) ،فأضرحة أولاد عنان بالقاهرة وأضرحة الأولياء الصالحين كضريح السيدة زينب ،وضريح السيد البدوي ،وضريح السيد إبراهيم الدسوقي وغيرهم كلها أدلة تشير إلى الوسائل العديدة التي يتخيلها أهل المريض بحثا عن الشفاء ،وقد يشد المرضى رحالهم إلى البلاد البعيدة لزيارة الأماكن المقدسة كالحجاز طلبا للشفاء[2].ويلجأ السكان في قرى مصر لاسيما الأشخاص غير المتعلمين في علاج الأمراض إلى وسائل سحرية ،فهم يعالجون أمراض العيون واحمرارها بوضع قطعة من اللحم الأحمر النيء على العين لكي يلقط ذلك الاحمرار ،وهذا هو السبب أيضا في ارتداء المريض بالحصبة في الكثير من البلدان العربية ملابس حمراء ،فالعلاقة بين المرض والدواء تعد في نظر الجماعات من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الشفاء[3].ويمكن ان نستشهد بمثال أخر عن بقاء المعتقدات السحرية في الأقطار العربية ،ففي العراق تهدف زيارة أضرحة الأئمة عادة إلى طلب الشفاء[4].وفي أواخر القرن العشرين ظهر في بلدة سورية نائية تيس من الماعز ،يحلب اللبن ،قيل ان لبنه يصنع المعجزات ويشفي الأمراض عن طريق الشرب أو الدهن.وفي صيف عام ١٩٦٦ تجول كاهن كندي في محافظات لبنان وسورية معلنا انه قادر على شفاء

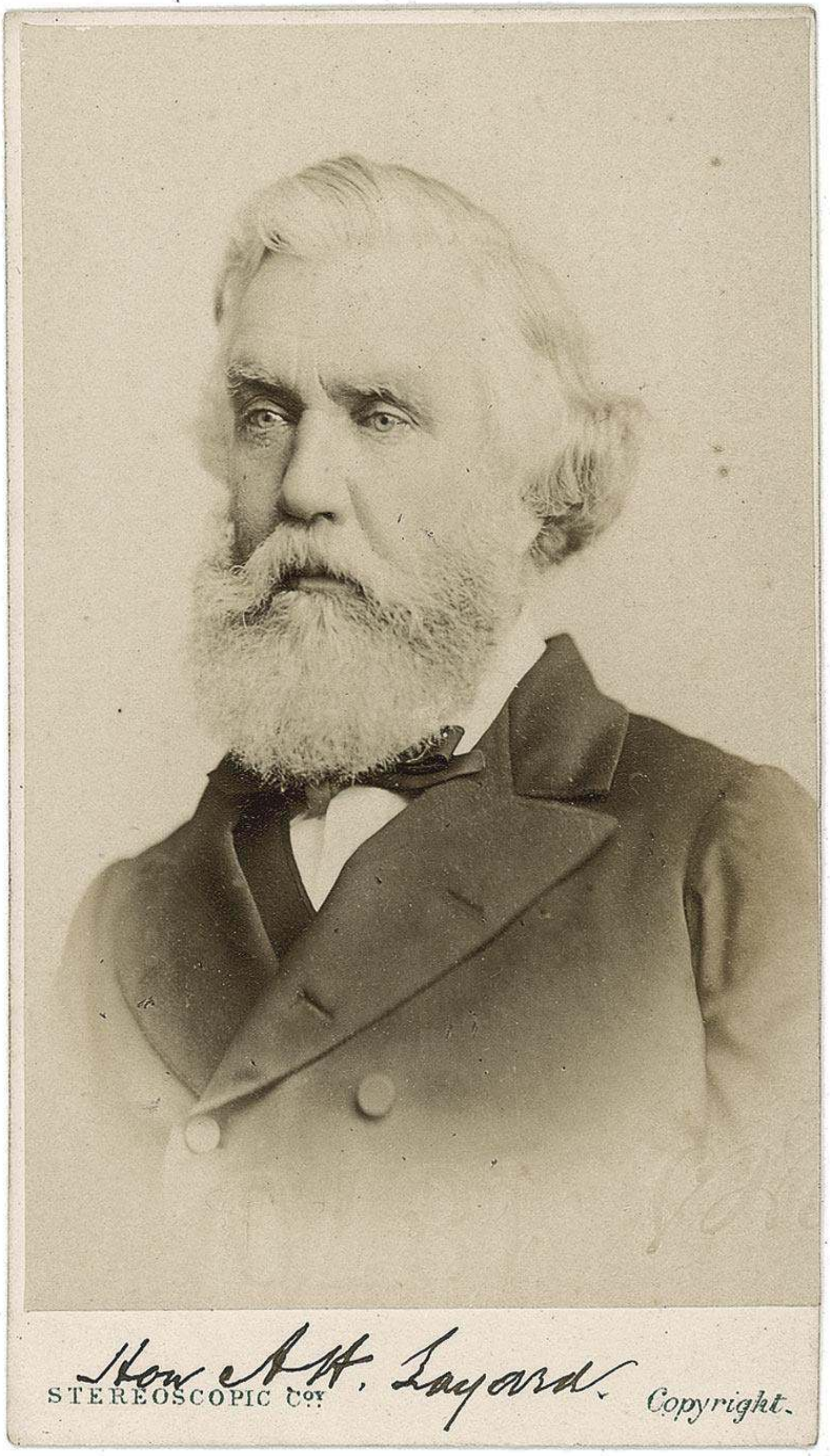
[1]) شاهين ،العقل في المجتمع العراقي ،ص٢٩٩.
[2]) كمال ،الطب المصري ،ص ٤٠-٤١.
[3]) أحمد أبو زيد ،هوامش كتاب الغصن الذهبي ،هامش(١) ،ص ١٢٠.
[4]) شاهين ،العقل في المجتمع العراقي ،ص ٥٠١.

الأمراض بإذن الله وإيمان الناس ،وفي كل بلدة حل فيها تعطل نظام الحياة اليومية وترك الجميع بيوتهم ومشاغلهم وتوجهوا إلى مكان إقامة الكاهن ،أما للشفاء أو مشاهدة ذلك العرض المدهش ،وقيل ان عددا لا بأس به من حالات الشفاء تمت بشكل مدهش[١] .ويتحدث فريزر عن عادة سكان سوريا المحدثين حول زيارة الأضرحة وأشهرها ضريح النبي هارون الذي يقع على جبل هور(عكار حاليا) ويزور الحجاج هذا القبر ويتضرعون للنبي هارون ان يشفي مرضاهم[٢] .ونعرف انه جرت العادة لدى بعض قبائل النيل الأبيض ،ان تقوم العائلات باقتناء بقرة مقدسة تحتفظ بها في أوقات الأزمات العامة.فإذا حلت بالقبيلة شدة أو انتشر وباء قام زعيم القبيلة باختيار إحدى هذه البقرات لتحمل عن القرية آلامها.عند ذلك تأتي نساء القرية بالبقرة المقدسة فيسقنها بين بيوت القرية ،ثم يدفعنها عبر النهر إلى الشاطئ الأخر حيث تترك نهبا للوحوش الضارية حاملة المصائب والرزايا[٣] .وهذا طقس لا يختلف كثيرا عن طقس البديل الحيواني الشائع في العديد من الحضارات القديمة.ويتحدث فريزر عن عرب منطقة مؤاب وكيفية قيامهم بطقوس تطهيرية للقضاء على الأوبئة ،وهو يقولون ان المقصود من هذه الطقوس هو تخليص الناس من الشر الذي يتهددهم.فإذا كانت القبيلة تعاني من وباء الكوليرا على سبيل المثال ،فان الشيخ يقف وسط خيمته ويهتف قائلا:افتدوا أنفسكم أيها الناس ،افتدوا أنفسكم".عندئذ تأخذ كل أسرة شاة وتضحي بها ثم تشطرها شطرين تعلقهما أسفل الخيمة ،أو على عمودين أمام الخيمة.ثم يمر أعضاء الأسرة جميعا بين شطري الضحية.أما الأبناء الصغار الذين لا يقدرون على المشي ،فيحملهم أبواهم.وفي كثير من الأحيان يمر أفراد الأسرة أكثر من مرة بين جزئي الشاة الداميين اعتقادا منهم ان شطري الحية لهما القدرة على طرد الأرواح الشريرة ،أو طرد الجن الذي يمكن ان يؤذي القبيلة ،وهم يستعينون بمثل هذا العلاج في مواسم القحط أيضا عندما تذبل الأعشاب وتموت الماشية بسبب قلة الأمطار.وتعد الضحية فدية للإنسان ،والحيوان معا.ويقول هؤلاء العرب في هذه المناسبة:"هذه

[١]) السواح ،الأسطورة والمعنى ،ص٣١.
[٢]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٣٦٣.
[٣]) السواح ،لغز عشتار ،ص٤٠٦.

فديتنا لنا ولمواشينا".وعندما سئلوا عن الوسيلة التي تؤثر بها هذه الطقوس مثل هذا التأثير المجدي ،أجابوا ان الضحية تقابل الكارثة وتقاتلها.فالوباء أو القحط أو أيا كانت الكارثة ينظر إليها بوصفها ريحا تهب على السهول وتحصد أمامها كل ما تصادفه حتى تقابل الضحية التي تعترض طريقها كالأسد الرابض ،عندئذ ينشب صراع مرير بينهما ،يقهر على أثره الوباء أو القحط ويرجع أدراجه مخذولا ،بينما تظل الضحية المنتصرة مسيطرة على الحقل[1].ويتحدث السير اوستن هنري لايارد في مذكراته انه عندما مر بجبال البختيارية في إيران عام ١٨٤٠ توجهت إليه بعض النسوة وطلبن منه تعاويذ تساعدهن على إنجاب الأطفال[2].وعندما مرض احد أبناء مُحَّد تقي خان شيخ قبائل البختيارية يتحدث لايارد عن طقس نفذه حكيمان مسلمان من اجل شفاء الصبي ،فقد جرى غسل الصبي بعصير البطيخ ،ونبيذ شيرازي ،وماء نقعت فيه ورقة كتب عليها بالحبر بعض آيات القران[3].

[1]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص٢٤٥-٢٤٦.
[2]) نورا كوبي ،**الطريق إلى نينوى** ،ترجمة:سلسل مُحَّد العاني ،(بغداد:دار المأمون للترجمة والنشر ،١٩٩٨) ،ص١٤٩.
[3]) المصدر نفسه ،ص١٥٤.



(هنري لايارد)

في الهند نعرف عن بقاء بعض ممارسات الطب السحري سواء في العصور الوسيطة ،أو الحديثة ،ويمكن أن نستشهد بمثال جيد تم استعراض جزء منه سابقا عن فاعلية اللؤلؤ في العلاج في الهند القديمة الذي استمر حتى فترات متأخرة ،فهناك عدد من أطباء العصور الوسطى في الهند كانوا ما يزالون يتحدثون عن فوائد اللؤلؤ العلاجية ،ومنهم طبيب شهير يدعى كاراكا وأخر يدعى سوكروتا ، اللذان يوصيان استخدام اللؤلؤ في العلاج.وقد كتب طبيب من كشمير يدعى ناراهاري بحثا حوالي عام ١٢٤٠م اسماه راجانيكانتو جاء فيه:"إن اللؤلؤ يشفي العيون ،وهو ترياق فعال في حالة التسمم ،ويشفي من السل الرئوي ،كما يؤمن الصحة ويمنح القوة للجسم".وورد في كتاب كاتازارتيساجارا إن اللؤلؤ يشفي من السم ومن المرض ويطرد الأبالسة ،ويزيل وهن الشيخوخة.ويرد في كتاب هرشاكاريلا إن اللؤلؤ ولد من دموع القمر ،وان أصله القمري يجعل منه الترياق ضد كل السموم ،لان القمر هو ينبوع الرحيق الشافي[١].ويلجأ الهندوس في العصر الحديث إلى استخدام مسحوق اللؤلؤ في المداواة من العلل والأمراض[٢].

في الصين كان طقس زيارة معابد الآلهة ما يزال مستمرا حتى القرن العشرين ،فقد جاء في نشرة غير دورية تصدرها القنصلية الأميركية العامة في هونغ كونغ في مقالة تحت عنوان:"مطالعة للصحافة في بر الصين" ،ومما جاء في المقالة:"ففي ربيع سنة ١٩٥٧ فتكت الحصبة والتهاب السحايا والأنفلونزا بالمنطقة(هوبيه) ،ولم تكن الدوائر الصحية العامة تمتلك القدرة على مواجهة الوضع.ولم يجد الفلاحون الذين أصيب أفرادا من عائلاتهم بالمرض من يتوجهون إليه.وحيث ان الأفكار الخرافية لم تكن قد اندثرت بعد ،فانه لم يكن أمامهم خيار إلا التوجه إلى الآلهة(ماهسين-كو) من اجل الماء المقدس.ومع إدراك قيادة الحزب المحلية لهذا الوضع ،فقد شكل فريق طبي في الحال.وبدأ الفريق الطبي العمل على خطين.بدأ الأطباء يشرحون الأسباب العلمية لانتشار الأوبئة في الاتجاه الأول ،وبدؤوا بتقديم العلاج للمرضى في الاتجاه الثاني...في اليوم الأول ،بعد وصول الفريق الطبي كان ما يزال هناك أكثر من مائة إنسان يشعلون عيدان البخور عند

---

[١]) الياد ،صور ورموز ،ص١٨٩.

[٢]) المصدر نفسه ،ص١٧٣.

الضريح.وتناقص العدد في اليوم الثاني إلى الستين ،وفي اليوم الثالث إلى ثلاثة عشر ،وفي اليوم الرابع لم هناك أي فرد يشعل البخور عند الضريح"[١].وبصرف النظر عن ما ذكر حول عزوف السكان في النهاية عن ممارسة هذا الطقس فان المقالة توضح ان الاعتقادات القديمة في الصين كانت ما تزال سارية المفعول على نطاق جيد.وفي التبت كان اللاما هو الوسيط بين الآلهة والناس وكان اللامات يمارسون المداواة والتنبوء وطرد مختلف ضروب الأرواح الشريرة ،فالبوذية المتأخرة هناك أخذت تؤمن بوجود الأرواح وقد كتب احد المتخصصين عن هذا ما يلي:"كل رزية تقع داخل البيت أو خارجه يتهم فيها شيطان ما ،ولا يستطيع احد ان يحدد أي شيطان فعل هذا ،سوى اللاما لان كل شيء مكتوب في كتبه ؛ولا احد يملك القدرة على إخراج الشيطان الشرير سوى هذا اللاما نفسه..."[٢].

لم تقتصر الاعتقادات بالعلاج الاعجازي في الدول الشرقية الحديثة ،بل نجد أثارها في الدول الأوربية أيضا.فالاعتقاد بدور السحر كمسبب للمرض موجود في أوربا ،فخلال العصور الوسطى ظهر في انكلترا وايطاليا العديد من الإشارات عن أولئك السحرة الذين يمارسون السحر الأسود وكانوا يصنعون نماذج لأعدائهم بالشمع ثم يعلقونها في الموقد ليس قريبا من النار جدا لكي يذوبوا ببطء فيفقد هؤلاء الممثلون بالشمع الذائب تحكمهم في أطرافهم ،ولا يستطيعون النوم ،وببطء يمرضون ويهزلون ثم يموتون.ولو غرست أبرا أو دبابيس في الأشكال الشمعية في أوقات محددة تصبح الأوجاع مبرحة ويكون الموت أكثر إيلاما[٣].وخلال عصر النهضة كتب توماس ملتون(١٥٧٠-١٦٢٦) في إحدى مسرحياته النص التالي:

هيكات:هل ملأت القلب الشمعي بالإبر السحرية ؟

ستارلين:فعلت هذا هيكات.

هيكات:الم تلق صورة الفلاح ونسائه في النار بعد ؟

ستارلين:نشويهم ألان جميعا فيها.

---

[١]) وينغ تسين تشان ، "الكونفوشيوسية" ، بحث ضمن موسوعة :**تاريخ الأديان** ، تحرير: فراس السواح ،(دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٦) ،ج٤ ،ص٢١٩.

[٢]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص٢٣٥.

[٣]) بدج ،السحر في مصر القديمة ،ص١٠٠.

هيكات:عظيم إذن يذوب نخاعهم بدقة وبطء ،ويمرضون ثلاثة أشهر ويمتص رحيق الحياة منهم[١].

ويتحدث الملك الانكليزي جيمس الأول عن التماثيل الشمعية ودورها في الأمراض والتي يعزو إقامتها إلى الشيطان:"في هذه الأيام يعلم بعضهم كيف يقيمون صور الشمع والصلصال ،وبشيها ربما يذوب الناس الذين تحمل أسماءهم أو يصابون بمرض مزمن...يمكنهم أن يسحروا الرجال والنساء ،وان يخطفوا أرواحهم بإذابة التماثيل مثلما يفعل سيدهم(الشيطان)في الغالب ،فعلى الرغم من إن هذه الوسيلة من الشمع أو تلك القطعة الشمعية لا تفعل شيئا في حد ذاتها أو إنها لن تستطيع أن تمزق روح المريض في نفس لحظة ذوبانها ،إلا إنها ستقوم بإنهاكه وإعيائه فيعرق سوائل جسده ،وتهزل معدته ويخرج كل سائله ورطوبته بشكل متواصل ،هذا من جانب ،ومن جانب أخر لا يستطيع أن يعوض جيدا ما فقده بسبب سوء الهضم.ولإعيائه أحيانا يقوم هذا الداهية بصنع تمثال صورته تقترب كثيرا من الأصل بحيث ينتهي كل منهما في زمن واحد"[٢].

---

١) المصدر نفسه ،ص١٠١.

٢) المصدر نفسه ،ص١٠٢-١٠٣.


(الملك جيمس الاول)

لم تكن التماثيل الشمعية هي الوحيدة المستخدمة في السحر بل إن بقايا الملابس مهمة في هذا الجانب فالسكان في بروسيا يقولون انه إذا افلح اللص من الإفلات والهرب فانه أفضل ما يمكن عمله هو الحصول على شيء يكون قد سقط من ملابسه أثناء الفرار وضرب ذلك الشيء بقسوة وعنف فيقع اللص نفسه فريسة المرض(1).وفي ميكلنبرغ(Mecklenburg)(في شمال ألمانيا)يسود الاعتقاد إن غرز مسمار في الأثر الذي تتركه القدم يصيب صاحبها نفسه بالعرج(2).ويعتقد الفلاحون في غسقونيا(في فرنسا) إن الرجل الخبيث الذي يريد ان يثأر لنفسه من احد أعدائه يعزي إلى احد القساوسة بإقامة قداس معين يعرف بقداس(Mass Of Saint Secaire) (قدّاس القدّيس سيكير) ،وهو قداس لا يعرفه إلا عدد قليل من القساوسة ،ولا يقام هذا القداس إلا في كنيسة متهدمة أو مهجورة حيث ينعق البوم وتمرق الخفافيش وقت الغسق ،وتأوي إليها جماعات الغجر في الليل ،وحيث تقبع الضفادع البرية تحت مذبحها المدنس.ويأتي هناك احد القساوسة في الليل ومعه فتاة بصفة عشيقته ،وحين ترسل الساعة أولى دقاتها معلنة الحادية عشر يبدأ في تلاوة القداس ابتداء من أخره إلى أوله بحيث يفرغ منه حين تبدأ دقات الساعة تعلن منتصف الليل ،وتقوم الفتاة بمساعدته في ذلك ،أما القربان الذي يباركه فلابد ان يكون اسود اللون ،كما انه لا يتناول النبيذ ،ولكنه يشرب بدلا منه بعض الماء من بئر سبق ان ألقيت فيها جثة طفل مات قبل تعميده ،ثم يرسم علامة الصليب ،ولكن على الأرض وبقدمه اليسرى ،ويقوم بأداء الكثير من الأعمال الأخرى التي لا يستطيع أي مسيحي ان يراها دون ان يصيبه العمى والصمم والبكم بقية حياته.أما الشخص الذي يقام القداس ضده فانه يذوي شيئًا فشيئًا دون ان يدرك ما أصابه ،بل ان الأطباء أنفسهم يعجزون يعن فهم سر مرضه وإدراك انه يموت ببطء نتيجة ذلك القداس(3).وهناك أسباب أخرى يمكن ان نعرضها التي توضح أسبابا أخرى للمرض ،منها انتهاك التابو ،فقد امن الأوربيون سواء في القرون الوسطى أو الحديثة بأثر الفعل المحرم بالمرض ،ففي لوزان في سويسرا وقبل ان يقطع رجل

---

1) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص١٩٨.

2) المصدر نفسه ،ص١٩٩.

3) المصدر نفسه ،ص٢٢٦-٢٢٧.

إحدى الأشجار في الغابات غير المطروقة أو فوق قمم الجبال ،فانه يردد بعض العبارات التي تقول:"لا تنزعج أيها الصديق حتى لو قطعنا ما أمرنا ان نقطعه".وهم يفعلون ذلك حتى لا يجلبوا على أنفسهم مقت الأرواح التي تحل في الأشجار والتي قد تثأر لنفسها بان تسلط عليهم الأوبئة والأمراض والأذى[١].وفي بعض أجزاء السويد كانت توجد في جوار كل مزرعة شجرة حارسة وهي في العادة إحدى أشجار الدردار أو الزيزفون ،ولم يكن أي شخص يجرؤ على ان ينزع ورقة واحدة من تلك الشجرة المقدسة لان أي ضرر أو أذى بها قد يؤدي إلى النكبات وتفشي الأمراض[٢].ويعتقد سكان بلدة دول في بريتانيا العليا انه إذا قام احد بسرقة عش طائر الصعوة(وهو طير ذا أهمية كبيرة في التراث الأوربي إذ انه الذي تمكن من جلب النار للبشر) ،فان أصابع التي سرقت بيضه أو صغاره ستصاب بالشلل.ويقولون في بلدة سان دونان انه إذا لمس بعض الصبية صغار الصعوة فإنهم سيصابون بنار سان لوران أي أنهم سيصابون بثاليل وقروح في الوجه والأطراف ومناطق أخرى من الجسم[٣].ويعتقد الايرلنديون المحدثون ان الجنيات يسببن في إحداث مرض يسمى اساني[٤].وهناك بعض الممارسات ذات الطابع السحري يمكن ان نشاهدها في أوربا تساعد في اعتقادهم على الشفاء.فخلال القرون الوسطى كان السكان يقدسون أسوار المدن تقديسا شعائريا غرضه الدفاع ضد الشيطان والمرض والموت[٥].ونعرف ان الأوربيين كثيرا ما يذهبون إلى الكنائس طلبا للشفاء[٦].وكانت النساء في السابق في باريس وميلان وبرلين ينذرن النذور ويقمن باستعطاف العذراء المباركة كي تسهل لهن الولادة[٧].بل اعتقد البعض ان العذراء لها قدرة على شفاء المرضى حتى أثناء الحلم ،إذ نقرأ رواية عن احد مشاهير الأساقفة الروس الأرثوذكس وهو مكاريوس مورزا تشيت ،الذي جاء إلى موسكو عام ١٣٣٠م وكان هذا الأسقف مريضا فتوقف ليأخذ قسطا من الراحة عند ملتقى نهر

---

[١]) المصدر نفسه ،ص٣٩٤.

[٢]) المصدر نفسه ،ص٤١٣.

[٣]) فريزر ،أساطير في أصل النار ،ص١٩٦.

[٤]) فريزر ،الفولكلور في العهد القديم ،ص ٣٨٠.

[٥]) الياد ،صور ورموز ،ص٤٨ ؛الياد ،المقدس والعادي ،ص٨٧.

[٦]) كمال ،الطب المصري ،ص٤١.

[٧]) بوكيت ،مقارنة الأديان ،ص ٢٠.

كوستروما مع نهر الفولغا.وبينما هو نائم رأى تشيت المريض والدة الإله أي مريم العذراء في حلمه وهي تحمل طفل البشارة ،ومعها الرسول فيليبوس يصلي ،والقديس ايباتيوس غانغرسكي وفي تلك اللحظة نال تشيت نعمة الشفاء[1].

في روسيا كان الفلاحون الروس حتى قبيل الحرب العالمية الأولى يمارسون طقسا غريبا يريدون به الحفاظ على قريتهم من وباء الطاعون أو الكوليرا ،إذ تقوم النسوة العجائز في منتصف الليل باجتياز القرية وهن يستدعين سرا النساء الأخريات حتى لا يعرف الرجال شيئًا عن الأمر ،ويتم اختيار تسع فتيات عذارى وثلاث أرامل ويؤخذن إلى خارج القرية ،وهناك ينزعن ملابسهن جميعها ،ما عدا القميص التحتاني ،وترسل العذارى شعورهن على أكتافهن وتغطي الأرامل رؤوسهن بشال ابيض ،ثم يربطن إحدى الأرامل إلى محراث تسحبه أرملة أخرى ،وتمسك العذارى التسع بالمناجل ،بينما تقبض بقية النسوة على مواد مختلفة ذات مظهر مخيف ضمنها جماجم لحيوانات ،ثم يسير الجميع حول القرية ،وهن يولولن ويصرخن ،ثم يحرثن أخدودا لتتمكن أرواح الأرض القوية من الظهور ،وكذلك لمنع وصول الشر[2].وفي بيلاروسيا(روسيا البيضاء) كان سكان القرى يحاولون تسخير القوى الخطرة الكامنة في التوائم(اعتقد كثير من الشعوب بخطورة التوأمين) لحماية القرية وسكانها وحيواناتها وحقولها من خطر الرزايا المحدقة مثل الأوبئة والبرد والأمراض المعدية.فعندما كانت البلية تقترب من حدود القرية كانوا يسرعون إلى تأدية طقس الحراثة.وكان التوائم يشاركون فيه ،إذ يأخذ الأخوان التوأمان الثورين التوأمين ،ويأخذان بالإضافة إلى ذلك المحراث المصنوع من شجرة مزدوجة الجذع أي كأنها شجرة توأمية ثم يحرثان القرية ليلا ثلاث مرات ويرسمان أثناءها حلقة سحرية[3].ونعرف ان الفلاحين سابقا في منطقة بيرش(Berche) في فرنسا يقاسون كثيرا من الفزع بسبب اعتقادهم ان استمرار القيء لمدة طويلة إنما ينشأ من ان معدة المريض تفلت أو تنفصل من الخطاف الذي تتعلق به حسب تعبيرهم ،وبالتالي تسقط إلى أسفل ،لذا فإنهم يلجئون إلى احد ممارسي التطبيب

[1]) ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة والديانات ،ص٤٩٢.
[2]) ألخوري ،معجم الأساطير ،ج٢ ،ص١٩٣.
[3]) البيديل ،سحر الأساطير ،ص١٩٧.

لإعادة تعليقها في مكانها الصحيح.وبمجرد ان يستمع الطبيب إلى أعراض المرض حتى يأخذ بالتلوي بعنف لكي تنفصل معدته هو نفسه عن خطافها.وحين يتم ذلك يشرع في العمل على ردها إلى موضعها الأصلي من جديد.ويقوم لذلك بمزيد من الحركات العنيفة ،وأثناء ذلك كله يداخل المريض شعور تدريجي بالراحة والهدوء والسكينة ،والأجر عن ذلك كله خمس فرانكات فقط[1].ويمكن ان نلمس آثار بقايا الطب السحري حتى في فكر المثقفين في أوربا في القرون السابقة ،فالفيلسوف الانكليزي بيكون(Bacon) كان يعتقد ان تزييت السلاح الذي تسبب في الجرح أو دهنه يساعد على التئام الجروح ذاتها.وهو يقول ان أهل الخبرة يرون في أثناء إجراء هذه التجربة لابد من مراعاة بعض الأمور الهامة ،وأول هذه الأمور ان يصنع الدهان من عدد من العناصر المختلفة لعل أغربها وأندرها هو الطحالب والعفن الذي يظهر على جمجمة شخص مات ولم يدفن بعد موته.وكذلك الدهون المستحصلة من أنثى خنزير وأنثى دب ماتا أثناء الولادة.ولم يكن ذلك الدهان الثمين المركب من هذه العناصر وغيرها يوضع كما يقول ذلك الفيلسوف على الجرح نفسه بل على السلاح ،وان هذا يحدث حتى في الحالات التي يوجد فيها المصاب في مكان بعيدا جدا ،ولا يعرف عنه شيء.كذلك يذكر لنا انه أثناء إجراء إحدى هذه التجارب حاول البعض إزالة الدهن عن السلاح بدون علم المصاب فكانت النتيجة ان شعر المريض في الحال بموجة عنيفة من الألم لم تلبث ان اختفت بعد ان أعيد دهن السلاح من جديد.ويرى بيكون ان هذا الاعتقاد سائد في عصره في القرن السادس عشر ،في المقاطعات الشرقية من انكلترا.ففي سفولك(suffolk) مثلا إذا جرح شخص نفسه بالسكين المعقوفة أو المنجل فانه يحرص على ان يحتفظ بالسلاح لامعا ،كما يدهنه بالزيت من حين لأخر حتى يحفظ الجرح من التقيح.كذلك إذا دخلت شوكة في يده فانه يدهن تلك الشوكة بعد إخراجها بالزيت أو الدهن.وقد زار رجل ما احد الأطباء ليعرض عليه يده الملتهبة نتيجة لدخول شوكة فيها بينما كان يصلح سياج مزرعته.فلما ذكر له الطبيب ان يده متقيحة قال له الرجل:"لم يكن ينبغي ان يحدث ذلك لأنني قمت بتزييت الشوكة جيدا بعد ان أخرجتها من الجرح".كذلك يعتقد القرويون في ايسكس(Essex) انه إذا طعن رجل بسكين فانه

[1]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص١٢١.

مـن اجـل شـفائه يجـب تشـحيم السـكين ووضـعها علـى السـرير الـذي يرقـد عليـه المريض.وينصح الناس في بافاريا بان تغمس قطعة من التيل في الشحم ثم تربط إلـى حـد الفـأس الـذي تسـبب فـي الجـرح مـع مراعـاة ان يتجـه الجانـب الحـاد إلـى أعلى ،وسوف يلتئم الجرح بمجرد ان يجف الشحم على السلاح ،وبالمثل فان الناس في جبال هـارز(Harz) يقولـون انـه حيـن يجـرح شـخص نفسـه فانـه يجـب عليـه ان يدهن السكين أو المقص بالدهن ،وانه يضعه بعد ذلك في مكان جاف باسم الأب والابن وروح القدس ،وسوف يلتئم الجرح حين يجف الدهن أيضا.وان الكثيرين من الناس في ألمانيا يرون انه يتعين على المرء ان يضع السلاح الذي جرحه في مكان رطب من الأرض على أساس ان الجرح يلتئم حين يصدأ السلاح ،بينما ينصح آخرون في بافاريا بدهن الفأس أو أي سلاح أخر بالدم ثم وضعه تحت طنف البيت لنفس الغاية[١].وفي القرن الثامن عشر هناك مؤشرات إلى بقاء أثار الطب السحري ،فقد كتـب احـد القساوسـة فـي كنيسـة بريطانيـة عـام ١٧٩١ يقول:"مـا زال جفـن عينـي متورما وملتهبا كثيرا.وكما يقال عادة انه إذا مسحت جفن العين بذنب قطة سوداء فـان ذلـك يفيـدها كثيـرا ،إذا لـم يشـفيها تمامـا...وقبـل العشـاء بقليـل قمـت بتجربتهـا وبعـد العشـاء بقليـل وجـدت ان جفـن عينـي قـد تخلـص مـن الـورم تقريبـا بـدون الم"[٢].ومثلما قرأنا عن أشخاص سواء في الحضارات الكبرى أو في الثقافات البدائية لهم القدرة على شفاء الأمراض ،فان مثل هذه التصورات نجدها أيضا في أوربا لكنها كانت صفة قد ارتبطت بملوك أوربا ،فملوك بريطانيا كما يعتقد البريطانيون كانت لهـم القـدرة ان يشـفوا الأمـراض بلمسـة منهـم ،ففـي منتصـف صيـف عـام ١٦٣٣ تمكـن شارل الأول من ان يشفي مائة مريض بإشارة واحدة في الكنيسة الملكية في هولي روود(Holy Rood) ،ويبدو ان هذه العملية بلغت الذروة في حكم شارل الثاني الذي يقال انه لمس أثناء فترة حكمه ما يقرب من مائة ألف مريض.كذلك كان ملوك فرنسـا يزعمـون لأنفسـهم القـدرة علـى الشـفاء عـن طريـق اللمـس ويقـال إنهـم استمدوا

---

[١]) المصدر نفسه ،ص١٩١-١٩٤.

[٢]) ساكز ،عظمة بابل ،ص٥٣٦.

هذه القدرة من كلوفس(Clovis)ملك الميروفنجيين ،أو من القديس لويس ،بينما ورثها ملوك بريطانيا من ادوارد المعترف[1].



(كلوفيس)

[1]) فريزر ،الغصن الذهبي ،ص٣٢٥ ؛ريتشارد لي وآخرون ،الإرث المسيحي ،ترجمة:مُحَمَّد الواكد ،(دمشق:دار صفحات للدراسات والنشر ،٢٠٠٩)،ص٥٤.

المصادر

١.المصادر العربية:

١.ابو عساف،علي

نصوص من اوغاريت ،(دمشق:منشورات وزارة الثقافة ،١٩٨٨).

الأحمد،سامي سعيد

٢.الأصـول الأولـى لأفكـار الشـر والشـيطان ،(بغداد: مطبعـة جامعـة بغداد ، ١٩٧٠).

٣.الإلـه زووس:مقدمـة فـي دراسـة الاعتقـاد بـزووس حتـى اضـمحلال روما ،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٠).

٤.العراق القديم ،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد ،١٩٧٨)،ج.١

٥.ملحمة گلگامش(ترجمة)،(بيروت: دار الجيل ،١٩٨٤).

٦.المعتقـدات الدينيـة فـي العـراق القديم ،(بغـداد: دار الشـؤون الثقافيـة العامة ،١٩٨٨).

الأحمد واحمد،سامي سعيد وجمال رشيد

٧.تاريخ الشرق القديم ،(بغداد:مطبعة التعليم العالي ،١٩٨٨).

ادواردسون،ماري

٨."مفهـوم مـا قبـل التـاريخ والـديانات مـا قبـل التاريخيـة" ،بحث ضـمن موسـوعة:تاريخ الأديـان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشـق:دار عـلاء الـدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج١.

إسماعيل،بهيجة خليل

٩.الكتابـة ،بحث ضـمن موسوعة:حضـارة العراق ،(بغـداد:دار الحريـة للطباعة ،١٩٨٤)،ج١.

أشاري،شاكرا راجا جوبال

١٠.ملحمـة مهابهاراتا(ترجمة)،ترجمة:رعـد عبـد الجليـل جواد ،(بغـداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٩٢).

أفلاطون

١١.محـاورة فايـدروس أو عـن الجمال ،ترجمـة وتقـديم:أميرة حلمـي مطر ،(القاهرة:دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠).

البيديل ،م.ف.

١٢.سحر الأساطير:دراسة في الأسطورة والتاريخ والحياة ،ترجمة:حسان ميخائيل إسحاق ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٨).

الياد ،ميرسيا

١٣.مظاهر الأسطورة ، ترجمة: نهاد خياطة ،(دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر ،١٩٩١).

١٤.صور ورموز ،ترجمة:حسيب كاسوحة ،(دمشق:منشورات وزارة الثقافة السورية ،١٩٩٨).

١٥.الأساطير والأحلام والأسرار ،ترجمة:حسيب كاسوحة ،(دمشق:منشورات وزارة الثقافة ،٢٠٠٤).

١٦.البحث عن التاريخ والمعنى في الدين ،ترجمة:سعد المولى ،(بيروت:المنظمة العربية للترجمة ،٢٠٠٧).

١٧."الشامانية:نظرة عامة" ، بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع ،٢٠٠٧)،ج.١

١٨.المقدس والعادي ،ترجمة:عادل العوا ،(بيروت:دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٩).

اوفيد،بوبليوس اوفيديوس

١٩.مسخ الكائنات:ميتامورفوزس ،ترجمة:ثروت عكاشة ،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢).

أيبش،احمد

٢٠.التلمود:كتاب اليهود المقدس ،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٦).

باقر،طه

٢١.مقدمة في أدب العراق القديم ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٧٦).

٢٢.ملحمة گلگامش وقصص أخرى عن گلگامش والطوفان(ترجمة)،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٦).

بارتون،بروس وآخرون

٢٣.التفسير التطبيقي للكتاب المقدس:ترجمة:شركة ماستر ميديا ،(القاهرة:مطبعة شركة ماستر ميديا ،١٩٩٨).

بارندر،جيفري

٢٤.الأساطير الأفريقية ،ترجمة:حسن هيثم الطريحي ،(دمشق:دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ،٢٠٠٧).

بدج،ولس

٢٥.السحر في مصر القديمة ،ترجمة:عبد الهادي عبد الرحمن ،(بيروت:مؤسسة الانتشار العربي ،١٩٩٨).

٢٦.الديانة الفرعونية ،ترجمة:يوسف سامي اليوسف ،(عمان:شركة الشرق الأوسط للطباعة ،١٩٩٩).

ألبدري،عبد اللطيف

٢٧.الطب في العراق القديم ،(بغداد:منشورات المجمع العلمي ،٢٠٠٠).

بصمه جي،فرج

٢٨.الأختام الاسطوانية في المتحف العراقي:أوروك وجمدة نصر ،(لندن:منشورات نابو ،١٩٩٤).

بكر،السيد يعقوب

٢٩.هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة ، ،(القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،بلا.ت).

بوتيرو،جان

٣٠.الديانة عند البابليين ، ترجمة: وليد الجادر ،(حلب: مركز الإنماء الحضاري ،٢٠٠٥).

بوكيت،أ.س.

٣١.مقارنة الأديان ،ترجمة:رنا سامي الخش ،(حلب:دار الرضوان ،بلا.ت).

بولار، جون ريتشارد ثرونهيل
٣٢."الديانـــة اليونانيـــة:نظرة عامـــة" ،بحث ضـــمن موســـوعة:تاريخ الأديـان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشـق:دار عـلاء الـدين للنشـر والتوزيـع والترجمة ،٢٠٠٥)، ج٣.

بوييه ،جورج
٣٣.المسـؤولية الجزائيـة فـي الآداب الأشـورية والبابلية ،ترجمـة سـليم الصويص ،(بغداد:شركة المطابع النموذجية ، ١٩٨١).

تاكسيدور ،جافير
٣٤."الديانـة الآراميـة" ،بحث ضـمن موسـوعة:تاريخ الأديـان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والترجمة والنشر ،٢٠٠٧)، ج٢.

تشان ،وينغ تسين
٣٥."الكونفوشيوسية" ،بحث ضمن موسوعة: تاريخ الأديان ، تحرير: فراس السواح ،(دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٦)، ج٤.

تونيلات ،إي
٣٦."الآلهـــة والأســـاطير التيوتونيـــة" ،بحث ضـــمن موســـوعة:تاريخ الأديـان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشـق:دار عـلاء الـدين للتوزيـع والنشـر والترجمة ،٢٠٠٥)، ج٣.

الجادر ،وليد
٣٧.الحـرف والصـناعات اليدويـة فـي العصـر الأشـوري المتأخر:النسـاجون والنسيج ، ،بغداد:مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٧٢).
٣٨."الأزيـاء والحلي" ،بحـث ضـمن موسوعة:حضـارة العراق ،(بغـداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٥)، ج٤.

جاكوبسن ،ثوركيلد
٣٩."أديـان مـا بـين النهرين:إطلالـة عامـة" ،بحث ضـمن موسـوعة:تاريخ الأديـان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشـق:دار عـلاء الـدين للنشـر والتوزيـع والترجمة ،٢٠٠٧)، ج٢.

الحسيني، عباس علي

٤٠.مملكة أيسن بين الإرث السومري والسيادة الامورية ،(دمشق:منشورات اتحاد الكتاب العرب ،٢٠٠٤).

الحفصي،مُحَمَّد الأسعد بن بو بكر

٤١.الغزو اليوناني لبلاد الرافدين ٣٣١-١٢٦ قبل الميلاد ،(رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،٢٠٠٣).

حقي،إحسان

٤٢.مانوسمرتي:كتاب الهندوس المقدس(ترجمة)،(بيروت:دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ،بلا.ت).

حمادة،مُحَمَّد عمر

٤٣.تاريخ الصابئة المندائيين ،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٩٢).

حنون،نائل

٤٤.عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٦).

٤٥.عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ،(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،٢٠٠١).

خان،مُحَمَّد عبد المعيد

٤٦.الأساطير العربية قبل الإسلام ،(القاهرة:بلا.مط ،١٩٣٧).

الخطيب،مُحَمَّد

٤٧.معالم حضارة مصر القديمة ،(دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب ،١٩٩٣).

٤٨.الاثنولوجيا:دراسة عن المجتمعات البدائية ،(دمشق:منشورات علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٤).

ألخوري،لطفي

٤٩.معجم الأساطير ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٩٠)،ج١

٥٠.معجم الأساطير ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٩٠)،ج٢.

الدباغ، تقي

٥١."الآثار وصيغ الوثنية القديمة في حوض البحر المتوسط" ،مجلة كلية الآداب ،جامعة بغداد ،العدد:٢٢ ،لسنة:١٩٧٨.

الدباغ والجادر ،تقي ووليد

٥٢.عصور ما قبل التاريخ ،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٣).

دوركايم ،أميل

٥٣."الطوطمية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ، ،دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج١.

الدوري ،رياض عبد الرحمن أمين

٥٤.اشوربانيبال:سيرته ومنجزاته ،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ،٢٠٠١).

الدوري والعامري ،رياض عبد الرحمن وعلي حسين فرج

٥٥."الساحرات في العراق القديم والتوراة والتلمود" ،مجلة سومر ،م:٥٣ ،لسنة:٢٠٠٥/٢٠٠٦.

الربيعي ،فاضل

٥٦.المسيح العربي:النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي-الفارسي ،(بيروت:رياض الريس للكتب والنشر ،٢٠٠٩).

أبو رحمة ،مُحَمَّد

٥٧.الإسلام والدين المصري القديم:دراسة مقارنة بين الدين القديم والأديان السماوية ،(القاهرة:حابي للنشر والتوزيع ،٢٠٠٥).

٥٨.السحر عند الفراعنة ،(القاهرة:حابي للنشر والتوزيع ،٢٠٠٥).

رشيد ،فوزي

٥٩.الشرائع العراقية القديمة ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٧٩).

٦٠."المعتقدات الدينية" ،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٤)،ج١.

رو، جورج
٦١.العراق القديم ، ترجمة: حسين علوان حسين ،(بغداد: دار الحرية للطباعة ،١٩٨٤).
روتن،مارغريت
٦٢.علوم البابليين ، ترجمة: يوسف حبي ،(بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٨٠).
روز،هـ.ج.
٦٣.الديانة اليونانية القديمة ،ترجمة:رمزي عبده جرجيس ،مراجعة:مُحَمَّد سليم سالم ،(القاهرة:دار نهضة مصر ،١٩٦٥).
رويز،آنا
٦٤.روح مصر القديمة ، ترجمة: إكرام يوسف ،(القاهرة: مكتبة الشرق الدولية ،٢٠٠٦).
ريثينوس،أدريان
٦٥.بوبول فوه(كتاب المجلس):الكتاب المقدس لقبائل الكيتشي-مايا(ترجمة) ،ترجمة:صالح علماني ،(عمان:دار أزمنة ،١٩٩٩)
زكار،سهيل
٦٦.الأناجيل:النصوص الكاملة(ترجمة) ،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٨).
ساكز،هاري
٦٧.عظمة بابل ، ترجمة: عامر سليمان ،(الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر ،١٩٧٩).
٦٨. قوة أشور ،ترجمة:عامر سليمان ،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٩٩).
٦٩. الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور ،ترجمة:كاظم سعد الدين ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٠).

سليم، أحمد أمين

٧٠.دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم:مصر-العراق-إيران ،(بيروت:دار النهضة العربية ،١٩٩٢).

السواح ،فراس

٧١.الأسطورة والمعنى:دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ،(دمشق:منشورات علاء الدين ،٢٠٠١).

٧٢.دين الإنسان:بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ،(دمشق:منشورات علاء الدين ،٢٠٠٢).

٧٣.لغز عشتار:الالوهة المؤنثة واصل الدين والأسطورة ،(دمشق: دار علاء الدين ،٢٠٠٢).

٧٤.الرحمن والشيطان:الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٤).

٧٥."التاوية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٦)،ج.٤

٧٦."العرب قبل الإسلام" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج٢.

سيكالا،لينا

٧٧."الشامانية السيبيرية والأسيوية الوسطى" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج١

شابيرو وهندريكس ،ماكس ورودا

٧٨.معجم الأساطير ،ترجمة:حنا عبود ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٨).

الشاكر ،فاتن موفق فاضل علي

٧٩.رموز أهم الآلهة في العراق القديم:دراسة تاريخية دلالية ،(رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،٢٠٠٢).

شاهين،شاكر

٨٠.العقل في المجتمع العراقي بين الأسطورة والتاريخ ،(بيروت:التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٠).

شلحت،يوسف

٨١.نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني ،(بيروت: دار الفارابي ،٢٠٠٣).

الشواف،قاسم

٨٢.ديوان الأساطير(ترجمة)،(بيروت:دار الساقي ،١٩٩٦)،ج.١

٨٣.ديوان الأساطير ،(بيروت:دار الساقي ،١٩٩٧)،ج٢.

٨٤.ديوان الاساطير ،(بيروت:دار الساقي ،١٩٩٩)،ج.٣

٨٥.ديوان الأساطير ،(بيروت:دار الساقي ،٢٠٠١)،ج٤.

الشوك،علي

٨٦.الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ،(لندن:دار اللام ،١٩٨٧).

شيباتا،ماسومي

٨٧.كوجيكي:الكتاب الياباني المقدس(ترجمة)،ترجمه إلى العربية:مُحَّد عضيمة ،(دمشق:دار التكوين ،١٩٩٩).

صالح،عبد العزيز

٨٨.الشرق الأدنى القديم ،(القاهرة:الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،١٩٦٧)،ج١.

صالح، وليد مُحَّد

٨٩.العلاقات السياسية للدولة الأشورية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بغداد ،كلية الآداب ،١٩٧٦.

ألصالحي،صلاح رشيد

٩٠.المملكة الحيثية:دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول ،(بغداد:بلا.مط ،٢٠٠٧).

عباس، منى حسن
٩١."خنجر وتميمة من تل مُحَمَّد وتمائم لذباب من أور" ،مجلة سومر ،م٥٢ ،لسنة ،٢٠٠٣-٢٠٠٤.
عبد الجواد،أحمد
٩٢.الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب ،(القاهرة:بلا.مط ،بلا.ت).
عبد الرحمن،خليل
٩٣.افيستا:الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية(ترجمة)،(دمشق: روافد للثقافة والفنون ،٢٠٠٨).
عبودي،هنري.س
٩٤.معجم الحضارات السامية ،(بيروت:جروس برس ،١٩٩١).
عصفور،مُحَمَّد أبو المحاسن
٩٥.معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ،(بيروت: دار النهضة العربية ،١٩٨٧).
علي،عبد اللطيف احمد
٩٦.التاريخ اليوناني: العصر الهيلادي ،(بيروت: دار النهضة العربية ،١٩٧٦).
علي،فاضل عبد الواحد
٩٧."من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين" ،مجلة سومر ،م:٢٦ ،لسنة:.١٩٧٠
٩٨."ثم جاء الطوفان" ،مجلة سومر ،م:٣١ ،لسنة:.١٩٧٥
٩٩.الطوفان في المراجع المسمارية(ترجمة)،(بغداد: مطبعة الإخلاص ،١٩٧٥).
١٠٠."العرافة والسحر" ،بحث ضمن موسوعة: حضارة العراق ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٤)،ج١.
١٠١.عشتار ومأساة تموز ،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٦).
١٠٢.من ألواح سومر إلى التوراة ،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٩).

ـــ
١٠٣.الكتاب المقدس.
الغانمي،سعيد
١٠٤.اتراحسيس:ملحمة الخلق والطوفان(ترجمة)،(الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي،٢٠٠٨).
غرانت،ميشيل
١٠٥."الديانة الرومانية:نظرة عامة"،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان،تحرير:فراس السواح،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،٢٠٠٥)،ج٣.
غليونجي،بول
١٠٦.الطب عند قدماء المصريين،(الإسكندرية: دار مطابع المستقبل، بلا. ت).
غيل،سام د.
١٠٧."الشامانية الأمريكية الشمالية،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان،تحرير:فراس السواح،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع،٢٠٠٧)،ج١.
غيوراند،ف.
١٠٨."الآلهة والأساطير اليونانية"،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان،تحرير:فراس السواح،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،٢٠٠٥)،ج٣.
١٠٩."الآلهة والأساطير الرومانية"، بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان،تحرير:فراس السواح،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،٢٠٠٥)،ج٣.
ڤايد، ج.
١١٠."ديانة مصر القديمة:الآلهة والأساطير"،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان،تحرير:فراس السواح،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،٢٠٠٧)،ج٢.

الفتلاوي،أحمد حبيب سنيد

١١١.اسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ قبل الميلاد ،(أطروحة ماجستير غير منشورة ،جامعة واسط ،كلية التربية ،٢٠٠٦).

فرجيل،بيبليوس فرجيليوس مارو

١١٢.الانيادة ،ترجمة:عنبرة سلامة الخالدي ،(بيروت: دار العلم للملايين ،١٩٧٨).

الفردوسي،أبو القاسم

١١٣.الشاهنامة:ملحمة الفرس الكبرى ،ترجمة ،سمير المالطي ،(بيروت:دار العلم للملايين ،١٩٧٩).

فروليش،ج.س.

١١٤."الديانات الأفريقية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:منشورات علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج١.

فريحة،أنيس

١١٥.ملاحم وأساطير من الأدب السامي(ترجمة)،(بيروت:دار النهار للنشر ،١٩٧٩).

١١٦.ملاحم وأساطير من اوغاريت(ترجمة)،(بيروت:دار النهار للنشر ، ١٩٨٠).

فريزر،جيمس

١١٧.الغصن الذهبي:دراسة في السحر والدين ،ترجمة:أحمد أبو زيد ،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،١٩٧١).

١١٨.الفولكلور في العهد القديم ،ترجمة:نبيلة إبراهيم ،مراجعة:حسن ظاظا ،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٢).

١١٩.أساطير في أصل النار ،ترجمة:يوسف شلب الشام ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٨).

فولتز، ريتشارد

١٢٠.الروحانية في ارض النبلاء:كيف أثرت إيران في أديان العالم ،(بيروت:الدار العربية للعلوم ،٢٠٠٦).

فيرم،غيزا

١٢١.النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت(ترجمة) ،ترجمة:سهيل زكار ،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٦).

كامبل،جوزيف

١٢٢.البطل بألف وجه ، ترجمة: حسن صقر ،(دمشق: دار الكلمة ،٢٠٠٣).

گرني، اوليفر أ.

١٢٣.الحيثيون ،ترجمة:مُحَمَّد عبد القادر مُحَمَّد ،مراجعة:فيصل الوائلي ،(بغداد:مطبوعات البلاغ ،١٩٦٣).

كريمر،صموئيل نوح

١٢٤.من ألواح سومر ،ترجمة:طه باقر ،(القاهرة:مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ،١٩٥٧).

١٢٥.الأساطير السومرية:دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد ،ترجمة:يوسف داوود عبد القادر ،(بغداد:مطبعة المعارف ،١٩٧١).

١٢٦.السومريون:تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ،ترجمة:فيصل الوائلي ،(الكويت:دار غريب للطباعة ،١٩٧٣).

كلارج،جيسكا

١٢٧.الحكايات الفولكلورية والخرافات والأساطير ،ترجمة:حازم مالك محسن ،(بغداد:منشورات بيت الحكمة ،٢٠٠٨).

الكلبي، أبو المنذر هشام بن مُحَمَّد بن السائب

١٢٨.كتاب الأصنام ، تحقيق: احمد زكي(القاهرة: دار الكتب المصرية ،١٩٩٥).

كمال، حسن

١٢٩.الطب المصري القديم ،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٨).

كوبر ومايكل ،ألان م.وكوكان

١٣٠."الديانة الكنعانية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والترجمة والنشر ،٢٠٠٧)، ج٢.

كوبر ،غريس

١٣١.أساطير إغريقية ورومانية ،ترجمة:غانم الدباغ ،(بغداد:شركة التايمز للطباعة والنشر ،١٩٨٤).

كوبي ،نورا

١٣٢.الطريق إلى نينوى ،ترجمة:سلسل مُحَّد العاني ،(بغداد:دار المأمون للترجمة والنشر ،١٩٩٨).

كورتل ،آرثر

١٣٣.قاموس أساطير العالم ،ترجمة:سهى الطريحي ،(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،١٩٩٣).

كون ،كارلتون

١٣٤.قصة الإنسان ،ترجمة:مُحَّد توفيق حسين وعبد المطلب الأمين ،مراجعة:محمود الأمين ،(بغداد:المكتبة الأهلية ،بلا.ت).

كونتينو ،جورج

١٣٥.الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور ،ترجمة:سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٧٩).

الكيلاني والالوسي، لمياء وسالم

١٣٦.أول العرب من القرن التاسع وحتى السادس قبل الميلاد" ،(لندن:منشورات نابو ،١٩٩٩).

كيوكا، بوكيو ديندو
١٣٧.تعـاليم بـوذا ، ترجمـة: حـازم مالـك محسـن ،(بغداد: دار الشـؤون الثقافية العامة ،٢٠٠٨).

لابات،رينيه
١٣٨.التشخيص والإنذار في الطب الأكدي(ترجمة) ،ترجمة:عبد اللطيف ألبدري ،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٧٦).
١٣٩.المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين:مختارات من النصوص البابلية(ترجمة) ،ترجمة:ألبير أبونا ووليد الجادر ،(بغداد:مطبعة التعليم العالي ،١٩٨٨).

لي ،ريتشارد وآخرون،
١٤٠.الإرث المسيحي ،ترجمة:مُحَمَّد الواكد ،(دمشق:دار صفحات للدراسات والنشر ،٢٠٠٩).

ألماجدي،خزعل
١٤١.الآلهة الكنعانية ،(عمان:شركة الشرق الأوسط للطباعة ،١٩٩٩).

المعموري،ناجح
١٤٢.تأويل النص التوراتي:أسطورة نبات اللفاح وعقائد الانبعاث الكنعاني ،(بغداد:دار المدى للثقافة والنشر ،٢٠٠٨).

موسكاتي،سبتينو
١٤٣.الحضارات السامية القديمة ،ترجمة:السيد يعقوب بكر ،مراجعة:مُحَمَّد القصاص ،(القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،بلا.ت).

المولى،جاسم عباس محسن
١٤٤.أحوال العراق أبان الاحتلال السلوقي ،(رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،٢٠٠٧).

مونشي،ك.م.
١٤٥.كريشنا(ترجمة) ،ترجمة:رعد عبد الجليل جواد ،(اللاذقية:دار الحوار للنشر والتوزيع ،٢٠٠٧).٧

ميغوليفسكي، أ. س.
١٤٦.أسرار الآلهة والديانات ،ترجمة:حسان ميخائيل إسحاق ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧).
نارايان،ر.ك.
١٤٧.ملحمة رامايانا(ترجمة) ،ترجمة:جوزيف نادر بولس ،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٧).
النشار،علي سامي
١٤٨.نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤلهة ،(الإسكندرية: مطابع عابدين ،١٩٤٩).
نوس،جون ب.
١٤٩."أهم الخصائص المميزة للدين في المجتمعات البدائية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ.الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج.١
١٥٠."الديانة البوذية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٦)،ج.٤
١٥١."الديانة الهندوسية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والنشر ،٢٠٠٦)،ج٤.
هاردن،دونالد
١٥٢."الديانة الفينيقية" ،بحث ضمن موسوعة:تاريخ الأديان ،تحرير:فراس السواح ، ،(دمشق:دار علاء الدين للتوزيع والترجمة والنشر ،٢٠٠٧)،ج٢.
هايدل، الكسندر
١٥٣.الخليقة البابلية:قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم(ترجمة) ،ترجمة:ثامر مهدي مُحَمَّد ،مراجعة:محي الدين إسماعيل ،(بغداد:منشورات بيت الحكمة ،٢٠٠١).

هوتكرانتس،أيك

١٥٤."الأديــان الأمريكيــة الشــمالية"،بحث ضــمن موســوعة:تاريخ الأديان ،(دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج١.

هوك،صموئيل هنري

١٥٥.منعطـف المخيلـة البشرية ،ترجمة:صـبحي حديدي ،(اللاذقيــة:دار الحوراء للنشر والتوزيع ،٢٠٠٤).

١٥٦."ديانـــة بابـــل وأشـــور"، بحـــث ضـــمن موســـوعة:تاريخ الأديـان ،تحرير:فراس السواح ،(دمشـق:دار عـلاء الـدين للنشـر والتوزيـع والترجمة ،٢٠٠٧)،ج٢.

هوميروس

١٥٧.الإلياذة ،ترجمة:ممـــدوح عـــدوان ،(أبو ظبـــي: دار كلمـــة للطباعة ،٢٠٠٩).

هيرودوت

١٥٨.تـاريخ هيرودوت ،ترجمة:عبـد الإلـه الملاح ،(أبـو ظبي:هيئـة أبـو ظبـي للثقافة والتراث ،٢٠٠٧).

وارنر،ريكس

١٥٩.الإغريـــق والطرواديـــون أو حـــرب طروادة ،ترجمة:صـــالح التويجي ،(بغداد:مطبعة الاقتصاد ،١٩٨٧).

ولسون،جون،

١٦٠.الحضـارة المصـرية ، ترجمـة: احمـد فخري ،(القـاهرة: مكتبـة النهضـة المصرية ،١٩٥٥).

يحيى، أسامة عدنان

١٦١.المرض ومسبباته في بلاد الرافدين القديمة:دراسة في ضوء النصوص الســـــــومرية والاكدية ،مجلـــــــــة الأســـــــــتاذ/جامعة بغداد ،العدد:١٣٨ ،لسنة:٢٠١٠.

١٦٢.الطقوس السحرية ودورها في العلاج:دراسة مقارنة في الحضارات القديمة ،مجلة كلية التربية/الجامعة المستنصرية ،العدد:٢ ،المجلد:٢ ،لسنة:٢٠١١.

١٦٣.علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة:الكتابات اليهودية والمسيحية المبكرة أنموذجا" ،دورية كان التاريخية ،العدد:١٢ ،لسنة:.٢٠١١

١٦٤.العفاريت الشريرة واشباح الموتى ودورها في ديانة بلاد الرافدين ،دورية كان التاريخية ،العدد:٦ ،لسنة ،٢٠١٢.

١٦٥.العقاقير والادوات والقوى السحرية ودورها في العلاج: دراسة في معتقدات حضارات الشرق الادنى القديم والحضارات الكلاسيكية ، دورية كان التاريخية ،العدد:٢١ ، لسنة ،٢٠١٣.

١٦٦.معتقدات شعبية شرقية لها جذورها في التاريخ: نظرة من اجل فهم التراث الشرقي ، مجلة ذوات ، العدد: ١٠ ، لسنة: ٢٠١٥.

٢.المصادر الأجنبية:

Ginsberg, H.L.

167."The Legend of King Keret",In:ANET,(Pernston,1966).

Goetze, Albrecht

168."Prayer To Lelwanis", In: ANET,(Princeton,1966).

Langdon, S.

169.Babylonian Penitential Psalms,(Paris,1927).

Luckenbill, Daniel David

170.Ancient Records of Assyria and Babylonia,(New York,1968).

Kramer, S.N.

171."Enki & Ninhursag: a Paradise Myth" ,In: ANET(Princeton,1966).

Oppenheim,A.Leo

172."Ashurbanpal",In:ANET,(Prenceton,1966).

Stephens, Ferris J.

173."Prayer to Every Gods", In: ANET,(Princeton,1966).

Speiser, E.A.

174."Descent Of Ishtar to The Nether World", In: ANET, (Princeton,1966).

175."A Cosmological Incantation: The Worm and the Toothache", In: ANET, (Princeton,1966).

Spence, Lewis,

176.The Myths Of Mexico and Peru,(New York,2014).

Wilson, John A.

177."The God and his Unknown Name of Power" ,In: ANET,(Princeton,1966).

178."The Journey Of Wen-Amon to Phoenicia", In: ANET, (Princeton,1966).

179."The Legend Of The Possessed Princess", In: ANET,(Princeton,1966).

Wiseman, D. J.

180."The Vassal-Treaties of Esarhaddon, Iraq, Vol. 20, No. 1, The Vassal- Treaties of Esarhaddon",(Spring, 1958).

المحتويات

Magic and Medicine in Ancient Civilizations

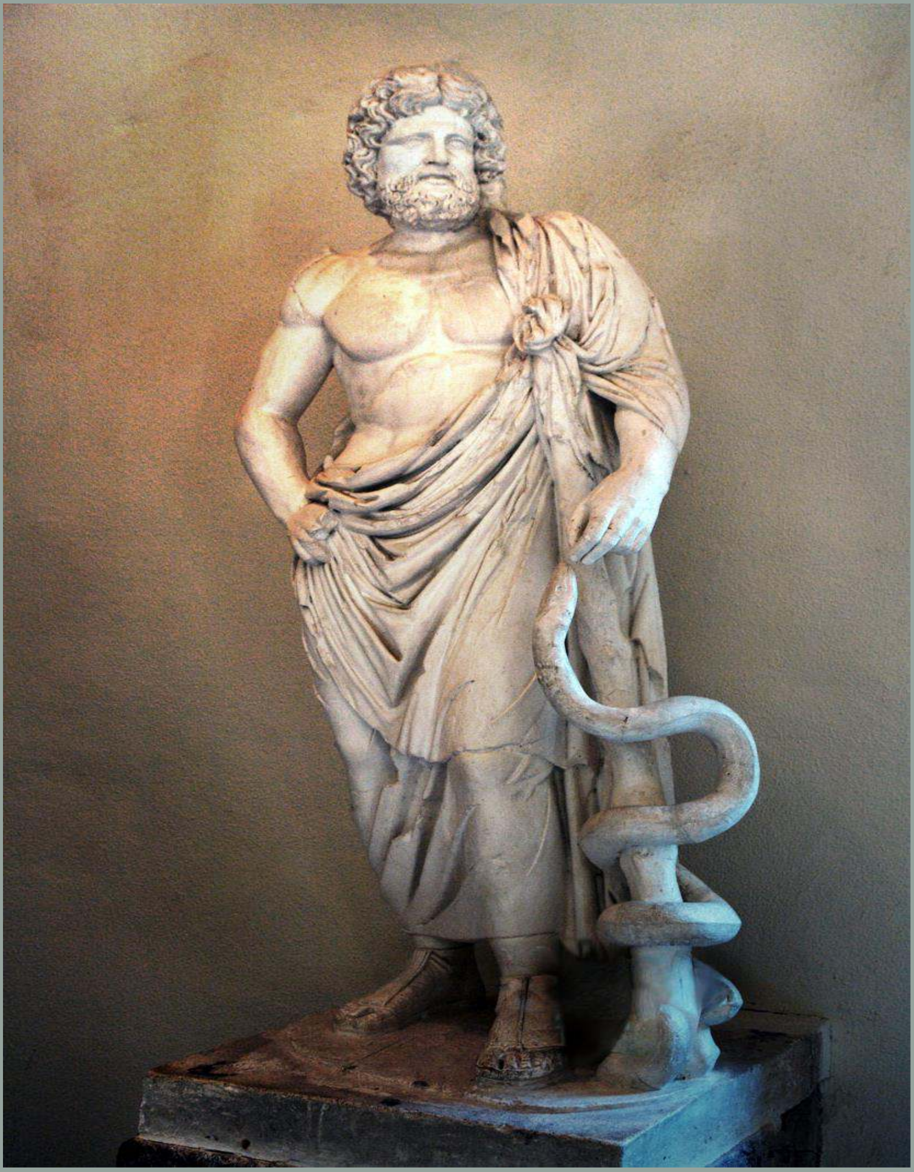
Historical comparative study

By:

Dr. Usama Adnan Yahiya

Magic and Medicine in Ancient Civilizations

Dr. usama Adnan Yahiya



Ashurbanipal